

عشر مسرحيات
الجزء الثاني
871
اختيار و ترجمة
حمادة إبراهيم

المشروع القومى للترجمة

عشر مسرحيات

(الجزء الثانى)

تأليف : مجموعة من الكُتَّاب

ترجمة : حمادة إبراهيم



٢٠٠٥

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٨٧١
- عشر مسرحيات (الجزء الثانى)
- مجموعة من الكُتَّاب
- حمادة إبراهيم
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة عشر مسرحيات مختارة

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 **Fax :** 7358084

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

فدائيــــون

"ثورة الشعب الفلسطينى من خلال ثقافته وأناشيده الوطنية"

للدراماتورج الإيطالى الحائز على جائزة نوبل

داريو فو

il collettivo teatrale

LA COMUNE DI MILANO

FEDAYN

DARIO FO

FRANCA RAME

la rivoluzione
del popolo palestinese
attraverso la sua cultura
e le sue canzoni

lo spettacolo riservato ai soci

per informazioni telefonare al n.

داريو فو

ولد عام ١٩٢٦ فى إيطاليا ، من أسرة متواضعة ومكافحة .

عاش فى ظل النظام الفاشى الذى كان يحكم إيطاليا بالحديد والنار . كاتب ومخرج وممثل ومرتجل بارع .

جعل من المنصة منبرا للنضال ، من أجل نصرة المقهورين والمظلومين فى الداخل ، والدفاع عن الشعوب المغلوبة . هاجمت أعمالُه عصاباتِ المافيا وتجار المخدرات والاستبداد السياسى . ونددت بالاستعمارَ فى شيلى وفيتنام وفلسطين وباقى دول العالم .

مسرحياته الأولى من نوع مسرح الكاباريه ، حيث ربط الارتجال بالكوميديا ديللارت القديمة .

كتب أكثر من خمسين مسرحية ، بدأها بمسرح المنوعات مع زوجته ورفيقة كفاحه " فرانكارامى " التى تزوجها عام ١٩٥٤ .

– قدم فى إذاعة إيطاليا مونولوجات فكاهية فى الخط النقدى اللاذع نفسه .

– أولى مسرحياته كتبها عام ١٩٥٣ ، وعرضها على مسرح بيكولوتياترو بميلانو بعنوان : "الإصبع فى العين "ثم" أصحاء مجانين".

أثار نقده العنيف سخط السلطات السياسية، والدينية، فمنعت العرض.

قدم فى التلفزيون الإيطالى مسلسلا من تأليفه وإخراجه وبطولة زوجته . تدخلت الرقابة بالحذف فتوقف المسلسل .

بعد أحداث مايو الكبرى فى فرنسا عام ١٩٦٨ ، ونجاح حركة الطلاب والعمال فى إسقاط ديجول، قرر داريو فو الانخراط فى المعركة . مما عرَّضه للسجن وعرض زوجته للاعتقال .

جاب إيطاليا ، وقدم عروضه أمام آلاف العمال والطلبة ، فى مراكز تجمعاتهم ، وفى الإستادات الرياضية . وكان يعقب كل عرض ندوة تناقش القضية المطروحة ، مما أثار السلطات والحزب الشيوعى الذى كان يؤيده ، فسحب الحزب تأييده وجماهيره ، مما اضطر داريو فو إلى تكوين فرقة خاصة باسم " البلدية " .

عام ١٩٧٢ قدم عرضا عن كفاح الشعب الفلسطينى ، استعان فيه ببعض الفدائيين الفلسطنين واللبنانيين .

آخر عناوين مسرحياته :

الحكايات المخجلة ، يوميات حواء ، الفجلة والفولة . أرليكينو ، القناص ، البابا والساحرة .

شدد التنكيل على الاستعمار القديم والاستعمار الحديث الذى تمثله أمريكا ، مما جعل الأمريكيين يمنعونه من دخول أمريكا لتقديم عروضه أكثر من مرة ، ولم يُسمح له بالدخول إلا لفترة أيام قليلة ليحضر عرضا له قام مخرج أمريكى بتقديمه .

* * *

الجـــزء الأول

ممـــثـــلـــة : فى العام الماضى . وفى العرض الذى قدمناه عن كفاح الشـعب فى إيطاليا وفى فلسطين وفى الأردن . روينا نكتة طريفة جدا عن الأميرال " مينسون " قائد البحرية الأمريكية . وهو واحد من قواد حلف شمال الأطلنطى (الناتو) . نكتة فى غاية السخرية . بالذات لأنها صادرة عن أميرال فى البحرية . تقول النكتة إنه خلال حفل كوكتيل . سألت سيدة الأميرال قائلة : ما أكبر حاملة طائرات أمريكية؟ فرد الأميرال قائلا . وكان سكرانَ ولذلك كان جوابه طريفا جدا . قال الأميرال : " أكبر حاملة طائرات أمريكية اسمها إيطاليا ." فاستطردت السيدة وهى مندهشة : " إيطاليا ؟ " هل عندنا حاملة طائرات اسمها إيطاليا ؟ وأين ترسو ؟ " فأجاب الأميرال : " فى البحر المتوسط . وهى مرابطة هناك تحرس الشرق الأوسط . وأول عربى يحاول أن يتحرك تقوم بتدميره على الفور .

فالواقع إنه من شبه جزيرتنا الإيطالية لا تتم مراقبة السوق والسياسة الخاصتين بالبحر المتوسط بأسره فقط، ولكن أيضا أى تحرك ذى طابع عسكرى . ففى كعب الحذاء الذى يمثله جنوب إيطاليا يوجد من حاملات الطائرات الخاصة بالحراسة والمراقبة أكثر من مثيلاتها الموجودة فى جميع بلدان حلف شمال الأطلنطى .

وماذا عن مصافى البترول الخاصة بشركات شيل وإيسو والشركات الأخرى المنتشرة فى شبه الجزيرة الإيطالية ؟

توجد فى إيطاليا مصافى بترول أمريكية أكثر من الموجود منها فى أوربا كلها . وهذا يفسر السبب الذى من أجله اختيرت مدينة نابولى الإيطالية لتكون المقر العسكرى لعمليات حلف الشمال الأطلنطى فى البحر المتوسط كله . ولكن الناتو أو حلف شمال الأطلنطى وحاملات الطائرات التابعة له لا تدافع فقط عن مصالح الرأسماليين الأمريكيين والإنجليز . كلا . بل تدافع أيضا عن مصالح أصحاب المصانع والرأسماليين فى إيطاليا بلدنا . وذلك على حساب شعبنا المعدم الفقير . نعم ؛ لأن الشعب الإيطالى ما يزال فقيرا جدا بالنسبة لبلدان أوربا . فهو شعب من شعوب الدول النامية . المضطر إلى الخروج والهجرة إلى البلدان الأخرى . ولكن الرأسماليين عندنا أغنياء جدا . من أغنى أغنياء العالم .

عندنا أشخاص يعدون من أغنى أغنياء العالم. والمضحك المبكى فى الوقت ذاته أن مواطنيهم - إخوانهم فى الوطن - من أفقر فقراء العالم. ويجب علينا أن نشعر بالفخر لذلك. فبفضلهم وبما يحققون من دخول وعائدات تعتبر إيطاليا سابع دولة رأسمالية فى العالم . فالشكر الجزيل لهم !

إذن كل ما يجرى فى الشرق الأوسط يعود إلينا نحن . ونحن أيضا نستورد البترول . فنحن والرأسماليون عندنا نستغل الأيدى العاملة العربية . ولنا هناك أيضا آبارنا . إذن . فنضال الشعب الفلسطينى يهمنا من قريب . بل ويهمنا كثيرا.

أيام الحروب الصليبية . وهو الأمر الذى يعترف به رجال الدين (المتطورون منهم بطبيعة الحال) كانت الذريعة وراء هذه الحروب المقدسة هى تحرير القبر المقدس Santo Lepolcro لكن كان الهدف الحقيقى هو الاستيلاء على طريق التجارة إلى الهند . تجارة الحرير والتوابل .

لقد كان تجار البندقية وجنوه وأمالفى وبيزا هم الذين قاموا بتمويل الحروب الصليبية . لأنها كانت بالنسبة لهم رأس كوبرى إلى سوريا ولبنان . وفلسطين .

بالضبط كما هى الحال الآن . فأغنياء البترول وأصحاب المصالح فى الشرق الأوسط يمولون دولة إسرائيل . لأنها بالنسبة لهم تقوم بدور الحارس والمراقب لأى تحرك عربى يهدد مصالحهم المقدسة .

وبصرف النظر عن اهتماماتنا العالمية . فقد فكرنا أنه من الواجب علينا أيضا أن نستأنف مناقشتنا للنضال العربى. لنضال الشعوب العربية ، وذلك لسبب آخر. ربما يكون أكثر أهمية ؛ ذلك لأن رفاقنا العرب - هذه الأيام - يمرون بمرحلة حرجة للغاية فى صراعهم ضد الاستعمار. فمن ناحية. المجزرة التى تعرض لها الفلسطينيون على أيدى مرتزقة. هذه الجريمة فتت فى عضد المقاومة الفلسطينية التى تحاول الآن أن تعيد تنظيم صفوفها ولكن بمشقة بالغة . ومن ناحية أخرى . محاولة القوى الرأسمالية المستغلة انتهاز هذه الفرصة للقضاء على المقاومة الفلسطينية . من أجل ذلك. أخذنا على عاتقنا إقامة هذا العرض المسرحى ، ونحن مدركون أنه لن يحل المشكلة بطبيعة الحال . لكنه سيخدم القضية بشكل أو بآخر . وسيكون بمثابة حجر فى بناء كبير سيخدم القضية ، بمعنى أنه سيشعر العرب بأنهم ليسوا وحدهم. ليسوا معزولين كما تحاول القوى الاستعمارية ترسيخ مثل هذا الشعور عندهم .

وفيما يختص بالعرض المزمع تنظيمه ، لم نتمكن - نحن الممثلين فى الفرقة - من الوقوف فوق منصة المسرح لنروى تاريخ كفاح الشعب الفلسطينى . فقد رأينا أن أفضل طريقة لتنفيذ هذا العرض هو أن نجعل الفلسطينيين يقومون بهذا العمل بأنفسهم . ويا حبذا لو تم ذلك عن

طريق أولئك الذين يقومون هناك بالثورة وهم الفلاحون والعمال الفلسطينيون .

ولذلك أرسلتني فرقة المحافظة إلى بيروت لمقابلة الرفاق في الجبهة الشعبية الديمقراطية . ونحن على اتصال بهم منذ فترة . وإقناعهم بأن يرسلوا إلينا عدداً منهم . ويفضل أن يكونوا من المغنين الشعبيين والممثلين المحترفين - إذا أمكن - المنخرطين في النضال الوطني. ولكن مجرد الحديث عن وجود ممثلين مسرحيين في القواعد العسكرية وفي معسكرات اللاجئين . كان ضربا من الوهم أو المحال ؟ ففي تلك الأماكن لا توجد فرصة لممارسة مثل هذه الأنشطة . عندئذ بدأت أستعد للعودة بخفي حنين - كما يقول العرب - ولكن حدث ذات ليلة وقبل أن أرحل، أن دعيت إلى إحدى قواعد الفدائيين .

(في منتصف المنصة وفي العمق تظهر مجموعة من الفدائيين جالسين فوق الأرض في حلقة ، يعزفون على آلاتهم الموسيقية ويغنون أغنية " الناي المتجول" .)

داخل خيمة حوالي عشرة من الفدائيين ينشدون في كورس بشكل جماعي. ينشدون بصوت خفيض . أشبه بالشكوى أو الأنين . تبدو لي أصواتهم نشازاً وليست كمثل الأغاني الجميلة القوية المنتشرة في الأسواق منذ فترة . بل ولا حتى مثل الإيقاع القوي الحماسي الخاص

بنشيد منظمة فتح الشعبية . بأغنية "بلادى بلادى " التى استمعنا إليها جميعا فى ميدان الدّومو فى ميلانو فى خلال المظاهرات التى قامت بها الحركة الطلابية .

كانت هذه الأغانى - أغانى قرويين فلسطينيين - أغانىَ كئيبة مليئة بالغضب والسخرية . وقد طلبت أن تترجم الأغنية التى يقومون بغنائها فكانت تقول :

ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله
وخسر اللوز الأخضر من كرم أبيه ؟
ماذا ينتفع الإنسان
لو شرب القهوة فى باريس
وخسرها فى منزل أمه ؟
ماذا ينتفع الإنسان لو جاب العالم كله
وخسر الأزهار على تل بلاده ؟
لا يربح غير الصمت الميت فى جوف
البشر الأحياء .

وقد استولت علىَّ الحماسة . فسألت عن طريق المترجم قائدهم السياسى : لماذا لا تجعلونهم يحضرون إلى إيطاليا لكى يغنوا هذه الأغانى .. فأجاب الرفيق قائلا : "هل أنت تمزحين ؟إنهم من أفضل المناضلين فى الجبهة كما أنهم هم الذين يقومون بتعليم أطفالنا . لا نستطيع أن نستغنى عنهم هنا ؛ فلديهم خبرة طويلة ، بالذات فى

مجال النضال المسلح . إنهم يحملون على ظهورهم خبرة مئات العمليات الحربية . ثم ماذا يمكن أن يصنعوا فوق منصة المسرح . إنهم حتى لا يستطيعون التحرك . هل ترين هذا الواقف هناك؟ لقد كان يرعى الغنم حتى الأمس القريب ؟ هذا الذى فقد إحدى عينيه فى إحدى المعارك هو قروى ؟ لم يذهب قط إلى المدينة ؟ أما هذا الذى يستطيع أن يتحرك . ففى ساقيه من الثقوب التى خلفتها القذائف النارية أكثر مما فى قطعة الجبن السويسرى .

"حينئذ شعرت بتفاهتى . وتذكرت قصة الملكة الفرنسية التى أرادت أن تحل مشكلة نقص الخبز بتوزيع البسكويت على الشعب الجائع .

إن الحديث عن تنظيم عرض لأناس يقومون بالثورة موضوع ليس له محل من الإعراب. لكنهم بدءوا يناقشون الثقافة – ثقافتهم – ثقافتهم القديمة – حينما كان العرب موجودين فى الأندلس . أغانٍ من عصر الحروب الصليبية من هذا النوع :

" وصل الفرنجة يحملون الصليب
خلف كل جندى منهم راهب من روما
وخلف كل راهب تاجر من البندقية . "

وبين حين وآخر كنا نسمع من يغنى أغنية من أغنيات العمل والكفاح .

أغنية الفلاح

يا أيها الليل

كم أنت قصير بالنسبة للفلاح

هأنذا مبكرًا على الطريق الذى لم تشرق عليه الشمس

بعد

زوجتى استيقظت من قبلى

لكى تصنع الخبز بدون الملح

ليس فى جيبى درهم واحد

والريح تهب تلسع بشرتى وجفونى

وفمى ملىء بالتراب

أنا إنسان حر وحيد فى قدمىَّ

فى قدمىَّ العاريتين

ليتنى لم أتزوج مطلقا

على الأقل ما كنت أنجبت أطفالا

لقد قدمت لسيدى مزيدا من العبيد .

ولكن أخبارًا من المشرق أعادت إلىَّ الأمل .

يقولون إن رجالا " حمرًا " يحملون سيوفا قاطعة .

تدفقوا كمياه النهر من الجبال

يغنون أغنية الاشتراكية

دمَّروا قصور الظلم

وأبراج الإقطاعيين

هؤلاء الإخوة أرسلوا إلينا يقولون .

لنا – نحن العرب – :

كونوا أنهارًا بسيوف قاطعة

كونوا أنتم أيضا رياحًا عاصفة

دمِّروا الأبراج والجدران وأسوار السادة

تحرروا

وفى النهاية احتدمت المناقشة . وأكد أكثر من واحد أن من الضرورى تنظيم هذا العرض . وأنه لا يقل أهمية عن الكفاح المسلح . " لكننا لا نجيد فن الإلقاء والتمثيل . بل ولا حتى نحن قادرون على الإنشاد " . " حينما بدأنا الكفاح . لم نكن حتى نجيد إطلاق النار . ولم نكن نعرف كيف نجعل الناس يستمعون إلينا . ". " يجب أن نتعلم كيف نروى تاريخنا . كفاحنا ؟ كما فعل الشعب دائما " . " إذا كنا نريد أن نعرِّف عمالنا وفلاحينا وكل عمال أوربا وطلابها وفلاحيها . لماذا لجأنا إلى السلاح . فلعلنا نستطيع أن نقوم بذلك عن طريق أغنية . أفضل مما لو كتبنا مئات المقالات الدعائية " . إن الفلاحين والعمال يتكلمون لغة واحدة ، لغة المقهورين المستغلين حقا . إن كلمات أغنية فلاح من صقلية أو من البندقية تشبه إلى حد بعيد كلمات رفاقهم العرب . يكفى أن نستمع إلى هذه الأغنية :

المستحيل

كأننا عشرون مستحيل
فى اللد . والرملة . والجليل
هنا .. على صدوركم . باقون كالجدار
وفى حلوقكم .
كقطعة الزجاج . كالصبار
وفى عيونكم .
زوبعةٌ من نار .
هنا .. على صدوركم . باقون كالجدار
نُنظِّف الصحون فى الحانات
ونملأ الكئوس للسادات
ونمسح البلاط فى المطابخ السوداء
حتى ننال لقمة الصغار
من بين أنيابكم الزرقاء .
هنا .. على صدوركم . باقون كالجدار
نجوع .. نعرى .. نتحدى ..
ننشدُ الأشعار
ونملأ الشوارع الغضاب بالمظاهرات
ونملأ السجون كبرياء
ونصنع الأطفال .. جيلا ثائرا .. وراء جيل !
كأننا عشرون مستحيل
فى اللد . والرملة . والجليل ..

إنا هنا باقون
فلتشربوا البحرا ؟
نحرس ظلَّ التين والزيتون
ونزرع الأفكار . كالخمير فى العجين
برودة الجليد فى أعصابنا
وفى قلوبنا ؟ جهنم حمرا
إذا عطشنا نعصر الصخرا
ونأكل ترابًا إن جُعنا .. ولا نرحل !
وبالدم الزكى لا نبخل .. ولا نبخل .. ولا نبخل ..
هنا .. لنا ماضٍ .. وحاضر .. ومستقبل .
كأننا عشرون مستحيل
فى اللد . والرملة . والجليل ..
يا جذرنا الحى تشبث
واضربى فى القاع يا أصول !

أغنية الفلاح البنَّاء

" تجلد يا قلبى
منزل السيد هو الوحيد ذو الطابقين
أنا الذى أحضرت لك الحجارة
حتى تورمت يداى
وفى النهاية حتى لم يقدموا لى فنجانا من القهوة
تجلَّد يا قلبى

لقد زرعت فى حديقة منزل سيدى
وردة وياسمينة
وزرعت أيضا شجرة ليمون
وبجوارها شجرة تين
ومرت بى سيدة القصر ولم تقل لى حتى عم مساءً
وفى صدرها زهرة من شجرة الليمون التى غرستها بيدى.
تجلد يا قلبى . "

ولكن كيف فكرتم فى تنظيم عرض منا نحن العرب ؟ أنا أعرف أنكم أيها الإيطاليون . من ناحية الموسيقى . متعودون ألحانًا أخرى مختلفة ، ألحانًا أخرى .

صحيح أن أغانيكم من أول وهلة تبدو لنا بطيئة رتيبة؟ ولكنها مسألة تتعلق بتعود الأذن . ثم إن المهم ، أى ما يهمنا فى المقام الأول. هو أن تنشدوا لنا أنتم تاريخكم.

فرنكا : فلنبدأ بك أنت . يا أصغرهم سنا . هل تحب حينما تكبر أن تصبح فدائيا .

الصبى : حينما أكبر ؟ ولكننى لست فى حاجة أن أكبر . فأنا فدائى فعلا .

فرنكا : عظيم. ولكننى أقصد فدائى حقا . يعنى مناضلاً. محاربًا .

الصبى : محاربًا ؟

فرنكا : يعنى . أنت الآن مثل الفسوخة . صح ؟

الصبى: ما معنى فسوخة ؟

فـــــــرنكا : حاجة تجلب الحظ .

الصـــــبى : تجلب الحظ ؟ ولكن ما دخل الحظ فى كفاحنا ؟ هل نحن نلعب القمار ؟

فـــــــرنكا : كلا . لا أقصد . لا تفهمنى بهذا الشكل ؟ أنا لم أقصد إهانتك .

الصـــــبى : لا . لا . أنا لم أشعر بالإهانة . ولكن يبدو أنك فهمت خطأ . أنت طبعا تتصورين أننى صبى صغير . لعلك تظنين أن هناك أشياء معينة تخص الكبار لا أستطيع أنا أن أفهمها ؟ وأن الحرب . لابد أننى أنظر إليها على أنها لعبة من نوع الكاو بوى؟ وليس باعتبارها شيئا مخيفا يلقى فيها الآلاف حتفهم ؟ اسمعينى . أنا كنت صغيرا . أصغر بكثير مما أنا عليه الآن . حينما اضطررت للنزوح مع أهلى من فلسطين. وننتقل إلى شرق الأردن لاجئين.

نشيد المقاومة

" يا شعب بالعصى والأيدى وبالمدى الحادة

لنقطع الدرب على القوى المضادة

لا لن تمروا ؟ لن تمروا

بورقة الحل ؟ وحبر التسوية

فالشعب أقوى من حراب التصفية

والشعب أبقى يا دعاة التصفية

لا ؟ لن تُقيِّدوا

سواعد الإعصار بالحبال
لن تذبحوا بالقشة الشلال
فشعبنا اختار طريق التضحية
ولتجرف الدماء حبر التسوية
ولن تمروا ؟ لن تمروا
يا شعب
ليس غير ساعديك والخنادق
وليس غير جُعبة الرصاص والبنادق
فلنفرد الدماء أجنحة
للثورة المسلحة
ولنقطع الدرب على القوى المُضادة "

وجدت نفسى وحيدا مع أعمامى وأخوالى . وهم فى حالة متيسرة . فى البداية لم أكن أعرف شيئا مما كان يحدث. ولكن فى المدرسة . كنت فى السنة الأولى الإعدادية . كان هناك زملاء أكبر منى سنا مشتركون فى العمل السياسى ؛ وقد بدءوا يشرحون لى ويعلموننى ؟

بعد انفصال الجبهة الديمقراطية الشعبية حدث نوع من الغليان بين الطلبة. أنا دخلت الجبهة الديمقراطية وكنت أقوم بأعمال كثيرة فى خلال المظاهرات ، كنت أنا الذى أنشد والآخرون يرددونها على هذا النحو :

تذكر أنك يجب أن تتعلم   أيها الفدائى
تتعلم كيف تحارب   أيها الفدائى

وأيضا كيف تفكر أيها الفدائى
تتعلم كيف تتكلم أيها الفدائى
لذلك يجب أن تسمع أيها الفدائى
ما يقوله لك الكبير أيها الفدائى
لا يجب أن تعامل الفقير مثلك أيها الفدائى
على أنه عدوٌ لك أيها الفدائى
حتى لو كان لا يفهم . أيها الفدائى
لو كان مع العدو . أيها الفدائى
فالسيد هو الذى يفسد عليه تفكيره أيها الفدائى
هو الذى يحكم عليه بالجهل ويمنعه من التعلم أيها الفدائى
يجب أن تعامله على أنه أخ شقيق أيها الفدائى
فقير مثلك أيها الفدائى
مستغل مثلك أيها الفدائى
يجب أن تتحدث معه أيها الفدائى
يجب أن تعلمه أيها الفدائى
ما يقوله الكبير أيها الفدائى
يجب أن تأتى معنا أيها الفدائى
لا يهم إذا كنت صغيرا أيها الفدائى
معنا أيضا صغار أيها الفدائى
معنا أبو شايف أيها الفدائى
معنا ريبى محمد أيها الفدائى
معنا الشعب أيها الفدائى

الصـــــبى : لم نكن نقوم بالمظاهرات وحسب . كنا نقوم بالدعاية فى معسكرات اللاجئين . وكنا نعلِّم القراءة والكتابة للفلاحين الأميين . كان هناك فلاح يسألنى دائما أن أقرأ له فى الكتب. فكنت أقرأ له. لكننى لم أكن أفهم شيئا مما أقرأ.
عن الشيخ الذى كان يمهد الجبال والرفاق الطيبين والصحبة الجميلة ؟ ولكن الفلاح كان فى كل مرة يشرح لى ؟ كان هو يفهم كل ما تقوله الكتب .
عمى الذى كان بورجوازيا ابن سفاح . لم يكن يريد منى أن أختلط بالفقراء ؟ هربت من البيت وذهبت إلى الفدائيين . وفى أثناء أحد التدريبات . قفزت من خلال حلقة من النار . فاشتعلت النار فى سروالى . واحترقت ساقى كلها من القدم حتى أعلى الفخذ . وقضيت ثمانين يوما فى المستشفى . أعانى من آلام لا تطاق .
وحينما عدت إلى قاعدة الجبهة . أرسلونى من هناك إلى جبهة أخرى . وبعد عدة أيام . علمت أنهم يستعدون للقيام بعملية فى أرض فلسطين . عملية بالتنسيق مع جيش التحرير الفلسطينى بقيادة فتح. طلبت المشاركة فى العملية . فتعللوا بصغر سنى. وبالحروق التى فى ساقى. فاستولى علىَّ غضب شديد وصحت فيهم قائلا : "لماذا قبلتمونى إذن فى الجبهة ؟ لماذا جعلتمونى أتدرب ستة أشهر فى معسكرات التدريب . لكى أظل هكذا بلا فائدة.

آكل .أشرب كالبهائم ؟ لكى يتفرج علىَّ السياح باعتبارى من مخلفات القديسين ؟ "

وهكذا سمحوا لى بالاشتراك معهم ، وأصابتنى قذيفة فى ساقى السليمة ؟ قذيفة عيار ٣٨/٧ ماركة (**الناتو**) حلف شمال الأطلنطى ، وفى المستشفى تمكنوا من انتزاع القذيفة من ساقى بعد عدة أيام . بعد ذلك انتقلت إلى ساحة القتال فى معركة "جربد" فى سبتمبر الأسود . وشاركت فى القتال . وأطلقت من رشاشتى الكثير من الطلقات حتى التهبت ماسورة الرشاش ؟ وقد استشهد بجوارى أربعة من رفاقى . ثم انسحبنا إلى الأحراش . وفوق التلال هناك أمطرتنا الطائرات الإسرائيلية بالقذائف .

وحدث أن وجدت نفسى مع عشرة آخرين من الجبهة معزولين ومحاصرين ؟ ظللنا نطلق النار طول النهار . حتى عتمة الليل . كان معى صبى آخر فى مثل سنى . أصابه عيار نارى فى صدره . فمات بعد ساعتين دون أى شكوى أو أنين . وفى الظلام . تمكنت مع زميل آخر من نقله خارج دائرة الحصار . وصعدنا قمة أحد الجبال. وما إن أشرق نهار اليوم التالى حتى فوجئنا بمجموعة من جنود الأعداء تقبل نحونا . كانوا مدججين بالسلاح. وانتظرنا . أنا وعنتر رفيقى . حتى أصبحوا تحتنا . فانهلنا عليهم بكل ما كان معنا من طلقات. فلاذوا بالفرار

وهم يصرخون من الرعب. وأصيب عنتر بعيار فى بطنه.
وأصبح عاجزًا عن الحركة . فقد كسرت إحدى ساقيه.
فقال لى : " أسرع أنت قبل أن يعودوا ، أسرع . ولكن
قبل ذلك أطلق علىَّ عيارًا و اقتلنى ؟ لا تتركنى أقع حيا
بين أيديهم ؟ اقتلنى ." ما كنت لأفعل ذلك مع أى شخص
فى الوجود . لكنه كان رفيقى . كان ينبغى أن أفعل ذلك .
ثم نقلته إلى داخل أحد الكهوف . وكان للكهف باب
فأغلقته عليه ثم ألقيت بالمفتاح . وأخذت الرشاش الذى
كان معه (**كلاشينكوف**) وألقيت برشاشى . ثم انطلقت
إلى حال سبيلى . وفى اليوم التالى . وضعونى فى
السجن . لكننى لم أهتم .
أقسم لك أن هذا ليس كلاما يقال . أنا شاب . ولكن
لا يهمنى أن أموت . إذا كان فى موتى فائدة لكفاحنا .
لم تعد لى أسرة : أسرتى الفدائيون إخوانى . أريد أن
أواصل حياتى معهم . أناضل من أجل الثأر لرفاقى
الذين لقوا حتفهم . بالضبط كما تقول أغنيتنا : " فى
مواجهة الظلم . فى هذا العالم . من أجل قومى الذين
سلبوا أرضهم . من أجل شعبى . حتى لا يكون له سيد
بعد الآن "

فـــدائى : جاءتنى فكرة . يمكننا أن نروى لكم حادثا وقع قبل عدة
أيام – هنا بالذات – فى المعسكر. قصة "أبو على" . أحد
رجالنا الفدائيين . قتلوه هناك فى الوادى.

(إظلام . خارج المنصة يتصاعد لحن جنائزى .

" أنا إن سقطت فلست أول من يموت

ولست آخر من يموت

يا إخوتى يا إخوتى بدمى أخُط وصيتى

فلتحفظوا لى ثورتى بدمائكم بدمائكم

بجموع شعبى الزاحفة ؟

فتحٌ أنا .. أنا ثورةٌ .. أنا عاصفة

إن ماردٌ يهوى سينهض ألف مارد

لو ساعداً قطعوا سيعلو ألف ساعد

فالشعب كل الشعب ثائر ..

وعلى طريق الفتح سائر ..

وحملت قلبى قنبلة . أحمى مسير القافلة

فالشعب كل الشعب دوى عاصفة

فتحٌ أنا .. أنا ثورةٌ .. أنا عاصفة "

يدخل الفدائى الأول من اليمين . يجتاز المنصة . ينشد على طريقة المؤذن . الترجمة الإيطالية تعرض على الشاشة فى العمق .)

" يا كل الشعب

يا كل الشعب

أماماً فى الدرب الصعب

بالسونكى . بالأيدى

وبأحزمة النسف

وبعاصفة الفتح

أمامًا فى الدرب الصعب

* * *

أمامًا فى الدرب الصعب

أمامًا يا شعبى

ولتنحت طلقة نارك من عظمى

ولتصنع قنبلة من لحمى

ولتعبُر عاصفةُ الفتح

من عظمى

من لحمى

من هذا الجرح "

الفدائى (١) : أواه ! أواه ! يا أهل القرية ! يا أهل القرية ! كارثة وقعت ! لقد مات " أبو على " . اثنا عشر رجلا قتلوه . قتلوه فى أحراش البلوط والخروب .

(يدخل بقية الفدائيين معا . حركاتهم وإيماءاتهم تعبر عن الحزن الشديد لموت الرفيق " أبو على " . من جهة اليمين يدخل فدائيون آخرون تتبعهم امرأة . يحملون جسد الرفيق الفقيد)

الفدائى (١) : قتلوا " أبو على " . اثنا عشر رجلا قتلوه .

المـــرأة : كلا . لم ينالوه وهو يلوذ بالفرار . كان سيواجههم حتى وهو بمفرده . هجم عليه ستة منهم . أطلق النار على سيارتهم الجيب .

جميع القذائف التى كان يحملها .

أطلق جميع القذائف التى كانت فى الخزائن الثلاثين للرشاش .

أطلق عليهم .

وقضى نحبه . كان قد فارق الحياة .

بينما الخنازير ما يزالون يطلقون عليه النار .

(تخرج المجموعة التى تحمل الجثمان . الفدائى الثانى والثالث يواجهان الجمهور . الفدائى الأول ينشد الأغنية التى مطلعها " كلا . لا تبكوا يا رفاق " يقوم بالترجمة الفورية الفدائى الثانى .)

الفدائى (٢) : لا تبكوا يا رفاق

أبو على لم يمت ميتة مهينة

" جراحه كانت تقول : " لا "

أغلاله كانت تقول : " لا "

وفوق صدره يمامة أعطته كل ريشها

درعًا لجُرحه كانت تقول : " لا "

" لا " للذين باعوا واشتروا

خلخال غزة .

باعوا الشظايا واشتروا إوزة .

أيتها الإوزة !

كُفى عن الصياح لحظة

ولتسمعيه مرة

يقول : " لا "
آه عليه . لم يمت تحت أشعة " النيون "
بين الشمعدان والقمر .
آه عليه . لا بلاغ . لا جنازة خرساء
لا قصيدةٌ تنوح لا وتر .
أيتها الحجارة !
لو تسمحين لى ببيت شعر واحد
أقوله لكل لحية طويلة ومستعارة .
كفى عن الصياح لحظة
ولتسمعيه مرة يقول : " لا " .
جدار بيت واقف فى غزة
يُقتل كل يوم ألف مرة
أيتها الإوزة ! "

(بعد انتهاء الأغنية . يدخل فدائيان كل منهما يحمل طبلة ويدخل آخرون معا يصاحبون بالأيدى والإيقاع الحركى . وينشدون الأغنية التى تقوم المرأة بإلقائها بالإيطالية خلال المشهد كله .)

أيها الفلاح الذى حمل البندقية ليس عندك ما تخاف عليه
لن تفقد بموتك سوى الفقر الذى يصاحبك
أحبائى ..
أنا بالورد والحلوى
وكل الحب أنتظر .

أنا . والأرض . والقمر
وعين الماء . والزيتون . والزهر
وبياراتنا العطشى
وسكتنا . وكرم دوال ؟
وألف قصيدة خضراء
منها يورق الحجر .
أنا بالورد والحلوى
وكل الحب أنتظر .
وأرقب هبة الريح التى
تأتى من الشرق
لعل على جناح جناحها
يأتى لنا خبر
لعله ذات يوم يهتف النهر :
" تنفس أهلك الغياب
يا مصلوب .. قد عبروا ! "
لقد عادت الطيور المهاجرة
ويوما ما سأجد جميع رجالنا ونسائنا قد تحرروا .

(وبعد ذلك يغادر الفدائيون المنصة فى كورس وهم يقلدون طيران طائر البلشون . يدخل ثلاثة فدائيين حاملين كفنًا أبيض . يتوجهون ببطء ولكن بإيقاع نحو منتصف المنصة . فى الوقت نفسه يدخل الفدائيون الآخرون حاملين جثمان الفقيد : فوق لوح خشبى دمية

ملفوفة فى الكفن. أول الفدائيين ينشد أغنية " فوق النبع. أقسم لك " الباقون يتهيئون لدفن الفقيد . الفدائيون الثلاثة ينتقلون إلى يمين المنصة . الترجمة الإيطالية تظهر فوق الكفن)

غابة الزيتون كانت مرة خضراء

كانت .. والسماء

غابة زرقاء .. كانت يا حبيبى

ما الذى غيرها هذا المساء ؟

أوقفوا سيارة العمال فى منعطف الدرب

وكانوا هادئين

وأدارونا إلى الشرق وكانوا هادئين .

كان قلبى مرة عصفورة زرقاء .. يا عُش حبيبى

ومناديلك عندى . كلها بيضاء . كانت يا حبيبى

ما الذى لطخها هذا المساء ؟

أنا لا أفهم شيئا يا حبيبى !

أوقفوا سيارة العمال فى منعطف الدرب

وكانوا هادئين وأدارونا إلى الشرق وكانوا هادئين .

لك منى كل شىء

لك ظلٌ لك ضوءٌ

خاتم العرس . وما شئت

وحاكورة زيتون وتين

وسآتيك كما فى كل ليلة

أدخل الشباك . فى الحُلم . وأرمى لك فُله
لا تلمنى إن تأخرت قليلاً
إنهم قد أوقفونى .
غابة الزيتون كانت دائما خضراء
كانت يا حبيبى
إن خمسين ضحية
جعلتها فى الغروب
بركة حمراء .. خمسين ضحية
يا حبيبى .. لا تلمنى ..
قتلونى .. قتلونى ..
قتلونى ..
" فوق النبع . أقسم لك
طعنات الخنجر أفضل عندى
من أن يحكمنا غاصب
سأصعد قمة الجبل
حيث أشرف على الوادى بأسره
سأصيح قائلا :
أيها الشعب الثائر
يا ريح بلادى
يا من تملئين الأشرعة فوق النهر
املئى أيضا طيلساناتنا
ادفعينا للكفاح "

(الفدائيون . بعد وضع جثمان " أبى على " فوق الأرض ينشدون على لحن "بلادى بلادى ")

ستدفعنى بموتك يا " أبا على "

كأنك النسر والأسد

(تدخل المنصة أم " أبو على ")

الأم : لا . يا رفاق . أرجوكم . لا تنشدوا له كما تنشدون للأبطال . أنا واثقة أن " أبا على " لن يكون راضيا بهذا الإنشاد . أنا واثقة أنهم حينما أطلقوا عليه أخفى وجهه بيده . كان أبو على يخشى الموت .

الفدائى (١) : اسكتى . لا تقولى ذلك . نحن فى حاجة لمثل أعلى فى البطولة .

الكورس : نحن فى حاجة لمثل أعلى فى البطولة

من أجل الأطفال الذين يتدربون فى المعسكرات

ينبغى ألا يخافوا من الصهاينة

ولا من أى عدو آخر .

الأم : لو كان هناك الآن . لقال لكم إنه كان خائفا . لقد تمكن من التغلب على نفسه. لم يهرب . من المؤكد أنه كان يرتعد خوفا . يجب أن تقولوا ذلك . لا تكذبوا .

الفدائى (١) : لا . لن نقول لهم ذلك . الشعب فى حاجة إلى أبطال خالصين ومنيرين .

الكورس : " لا . لن نقول لهم ذلك .

الشعب فى حاجة إلى أبطال خالصين منيرين "

الأم : لا . إن الأبطال الخالصين المنيرين هم أبطال حكايات السلاطين والشيوخ . أما حكاياتنا . فينبغى أن تكون حكايات حقيقية حكايات بشرية . بشر يتعثرون. يتشككون . بشر يشعرون بالخوف . ولكن لا يهربون من الموت . الذين لا يتشككون ولا يخافون هم المتعصبون الذين لا يعقلون . يخشون السخرية . ينتفخون مثل القرب المصنوعة من جلود الحمير . وهم يثيرون السخرية والاستهزاء . لا يصلحون للثورة .

الفدائى (٢) : لقد تمكنت من إقناعنا . هذا ليس نشيد " أبى على " .

الكورس : " أجل . لقد تمكنت من إقناعنا "

(الفدائيون وهم يواصلوا القيام بإجراءات الدفن . ينشدون لحنا آخر . مختلفا تماما . فى الإيقاع والكلمات عن لحن " بلادى بلادى ") .

الفدائى (٣) : أيها الرفاق . لا تضعوا " أبا على " فى القبر . قبل أن ننشد له . تؤدى له طقوس الرغبات والوداع .

الفدائى (٤) : كلا . هذه طقوس قديمة . لا تؤدى الآن .

الفدائى (٣) : لماذا لا تؤدى الآن .

الفدائى (٤) : لقد منعوها .

الفدائى (٣) : من الذين منعوها ؟

الفدائى (٤) : الإقطاعيون . الشيوخ . منذ سنوات عديدة .

الفدائى (١) : ألم تسأل نفسك عن السبب ؟ لأن طقوس الشعب هى حضارة الشعب . ودون رقصات الشعب ، دون الثقافة

يصبح الشعب مثل الشخص الأبكم الأصم . يصبح مثل الطفل الذى قطعوا له حبل السرة . وهو ما يزال فى بطن أمه .

الفدائى (٤) : شخص مخنوق . من السهل إخضاعه والسيطرة عليه . مولود عبداً .

الفدائى (٢) : لذلك . فإذا أردنا أن نتحرر . ويكون لنا السلطان فإن علينا أن نبدأ باستعادة ثقافتنا وإحيائها .

الفدائى (٣) : فلنحى موتانا كما كنا نفعل فى الماضى مع من كانوا يموتون وهم يناضلون .

الفدائى (٤) : صحيح . أبو على مات كمداً . لم يكن أمامه الوقت الكافى لينادى أبناءه ولا زوجته إلى فراشه . ليودعهم كما ينبغى . فمن الضرورى أن يقوم بذلك الآن .

الفدائى (٢) : تكلم يا عمر . كما لو كنت أنت " أبا على " أنشد أنشودة رغباته ووداعه .

الكورس : أبو على . أنشد لنا رغباتك ووصيتك .

(فى خلال هذه الأغنية . يحمل الفدائيون لوح الخشب وعليه جثمان الفقيد إلى منتصف المنصة . فوق مقعدين . يضعون الدمية فوق الأرض . وفى مكان الفقيد يجلس عمر أعز أصدقاء " أبو على ")

الفدائى (١) : لا تواروني فى الرمال يا رفاق .
لا تواروني فى الصلصال ولا المستنقعات
فى التراب أريد أن تواروني

فى التراب أريد أن أذوب . أصبح غذاءً
للشجرة التى ستغرسونها
اغرسوا فوق قبرى شجرة مشمش
ستأتى زوجتى لتجنى الثمار .
حينما تنضج .
وسيأكل منها أبنائى .،
وغضبى على الأسياد وبغضى لهم
سيختلط بلحمهم ويلتهب فى أجسادهم .
أنا الأرض
أنا الأرض .. لا تحرمينى المطر
أنا كل ما ظل منها إذا
زرعت جبينى شجراً
وحولت شعرى كروماً
وقمحاً
ووردا
لكى تعرفينى
فجودى مطراً .
أنا يا سحابة عمرى جبال الجليل
أنا صدر حيفا
وجبهة يافا
فلا تهمسى : مستحيل .
ألا تسمعين خطى طفلى القادمة

على عتبات فؤادك ؟
ألا تبصرين عروق جبينى
تحاول لثم شفاهك ؟
أنا فى انتظارك أصبح شعرى ترابًا
وصار حقولا
وأصبح قمحًا
وأضحى شجرًا .
أنا كل ما ظل من أرضنا
أنا كل ما ظل مما عشقت
فجودى ؟ وجودى
وجودى مطرا .

(فى نهاية هذه الأغنية. يحمل الفدائيون صديق "أبى على" ليجلس فوق زاوية خشبة الميت . ويجلسون متحوطين مخاطبين إياه . فى الوقت نفسه . المرأة تتجه إلى يمين المنصة . وتعلق على الحوار الذى يجرى بين الفدائيين)

المــــرأة : إنهم يسألون " أبا على " لماذا انضم إلى الفدائيين . من جعلك تفعل ذلك ؟
كان لك عمل تتعيش منه .

الفدائى (٣) : كنت تعمل كهربائيا . وكنت تصلح الراديوهات والتليفزيونات .

الفدائى (٤) : كانوا يستدعونك فى كل مكان . فى كل المقاهى . حتى فى بيوت الأجانب .

الفدائى (٣) : كنت صديقا للجميع . وكنت على علاقة طيبة بالجميع .
لماذا انضممت إلى الفدائيين ؟

الفدائى (١) : آه . ليس من السهل أن أشرح لكم . أولا . حساباتى كانت مختلفة تماما . كلا، لم أكن من النوع الذى لا يبالى. لم أكن من أولئك الذين يقولون : " ليذهبوا جميعا إلى الجحيم . ولأهتم أنا بشئونى . بطنى . هى وطنى " كلا . حينما شاهدت الإسرائيليين يطردون قومى من أراضيهم. شعرت أننى واحد منهم . فعملت فى معسكرات اللاجئين. وشاركت فى جميع التظاهرات ضد الظلم . وجمعت التبرعات للهلال الأحمر . وكنت أصيح بأعلى صوتى : "عاشت الأمة العربية أمة واحدة . عاشت الأمم المتحدة . عاش الروس الذين يقدمون لنا السلاح . أى الذين يبيعون لنا السلاح". وذات يوم تشاجرت مع أبى لأنه قال: "ما أكثر الذين اتفقوا على حماية الحمَل ! عملية قذرة"

الفدائى (٣) : ماذا كان يعنى بقوله هذا ؟

الفدائى (١) : أجابنى قائلا : " الحمل هو الشعب الفلسطينى فإذا كان الذئب والثعلب ، وابن آوى والأسد يريدون جميعا حمايته من النمر . فذلك لأنهم يريدون جميعا أن يلتهموه " . فصحت فيه وأغلظت له القول ، بل شتمته .

الفدائى (٤) : وهل طردك أبوك من البيت ؟

الفدائى (١) : بل ابتسم لى بكل حنان . وقال : " سيحدث ما حدث على عهد الشيخ قسَّام عام ١٩٣٦ . حينما كان الإنجليز هم

المهيمنون على كل شيء . وحمل الشيخ قسام بندقيته مع الفلاحين ليطرد الإنجليز. حينئذ انضم الشيوخ والإقطاعيون – فى البداية – إلى صفوفنا . وكانوا يعلنون الحرب المقدسة. ثم اتفقوا مع رجال الأعمال والبنوك فى إنجلترا وباعونا بأربعة دراهم. وانتقموا أيضا من الشيخ قسام وقتله الإنجليز. فالشيخ فى نظرهم لا يجب أن ينضم إلى الفقراء.

عاشوا .. لم تصحبهم كلمة

ماتو .. لم تصحبهم كلمة

فالفصحى والأوراق المصقولة والإنشاء

والحبر الغالى والأقلام الفضية

كانت مسبية

يلهو بمفاتنها النبلاء ..

والناس البسطاء

عاشوا .. لم تصحبهم كلمة

ماتوا .. لم تصحبهم كلمة

فاغرف من أعماق البئر العذراء

واسق العامل والفران وأطفال الحارة

فالناس ظماء

اكتب عن شحذ الهمة

اكتب عن أحلام الأمة

طوبى للحرف الشامخ فى الليل منارة

والعار لأبراج العاج المنهارة

وسبايا النُقلاء !

(يبسط الكفن وخلفه الفدائيون الذين يختفون ينشدون أغنية الشيخ قسام . وهم ينقلون إلى مقدمة المنصة وهم ما يزالون مختفين . بينما فوق الكفن تشاهد ماسورات بنادق تمر . عند وصول الفدائيين إلى مقدمة المنصة . تظهر رءوسهم وتبرز كاملة . كل فدائى يمسك الكفن بإحدى يديه وبالأخرى يمسك بندقية . الجميع يقلدون مسيرة الجمال على إيقاع أغنية الراهب قسام)

أغنية الشيخ قسام

أيها الشيخ قسام

يا شيخ قسام . يا فقيرا مثلنا

أربعون عاماً مضت على اختفائك

مازلنا نذكرك بعد دفنك بأربعين عاما

حينما كنت تقول لنا :

الأغنياء لا يمكن أن يحاربوا من أجل حريتنا

لقد وصل الإنجليز .

سلبونا كل شىء

والأغنياء والإقطاعيون سيتفقون فيما بينهم

فالأغنياء دائما يتفقون فيما بينهم

يتحدثون لغة واحدة .
قاموسهم مكون من أوراق البنكنوت
أيها الراهب قسام
حين صلبت على وتر القاف النصراوية
عز عليّ الصمت
كان بودى أن أكتب شيئا بالحناء
قبل رحيل خطاهم صوب الشرق
كان بودى ؟
أن أقلب أرضا .. وزمانا .. وسماء
كى ترجع يا شيخى طفلا
يدرج فى ساحة عين العذراء ..
يعترف العائد من جرح طفولته أن الأشواق
لا تصمد فى حر الأشواق
مازلنا نشهد غربتنا
أعواما .. فى ظل اللقيا
وننوح بباب الطاق .. !

(الفدائيون يتراجعون بينما البنادق والرءوس تختفى ببطء خلف الكفن . من خلف الكفن يظهر الفدائيون فى مسيرة الجمال مقلدين الكفاح المسلح ضد الإنجليز . جميعهم الآن ماثلون يمين المنصة يختفون من جديد على إيقاع " أيها الراهب قسام " خلف الكفن ويخرجون من المسرح عند انتهاء الأغنية . المنصة خالية .)

(من أحد الكالوسين . تسمع صرخة امرأة . يدخل فدائى يتبعه آخرون من الكالوس المقابل)

الفدائى (٢) : وصلت زوجة " أبى على " وأخواتها . جئن يبكين وينتحبن معنا .

الفدائى (٣) : لا تسمحوا لهن . أوقفوهن ! لا يجب أن يرينه .

الكورس : لماذا ؟

الفدائى (١) : التقاليد . العرف .

الفدائى (٤) : أى عرف ؟

الفدائى (٣) : عرف كل زمان . النسوة إذا كن يبكين الميت فى الدار فلا تستطيع أى امرأة أن تأتى إلى القبر للاشتراك فى الدفن .

الفدائى (٤) : عجبا . إلى الجحيم أنت وأعرافك هذه . دعوا النسوة يدخلن .

الفدائى (٥) : عجبا . فى البداية قلتم علينا احترام التقاليد . والآن تضربون بها عرض الحائط ؟

الفدائى (٤) : هذه تقاليد الكهنة . وليست تقاليد الشعوب .

الفدائى (١) : حقا . هى قضية الخطيئة الأولى للمرأة . إن المرأة مخلوق نجس. ولو جاءت تبكى هنا على القبر . فإنها ستنقل العدوى إلى روح الفقيد وتثير عند الرجال أفكار السوء .

الفدائى (٥) : عجبا . أنا لست رجعيا . ولكننى أقول لكم . إن امرأة جميلة فى الحداد تبكى وتنتحب وتمزق ملابسها . وتخرج عن طوعها . يمكن أن تثير عندى بعض الأفكار الخبيثة .

الفدائى (٢) : ولكن من الذى يمكن أن يفكر فى الجنس فى مثل هذه الأحوال ؟

الفدائى (٥) : أنا دائما أفكر فى الجنس فى مثل هذه الظروف . أنا أمزح .

الفدائى (٣) : الحقيقة هى أننا ثوريون فيما يختص بالفعل . أما فيما يتعلق بنسائنا فنحن رجعيون .

الفدائى (٤) : هذا صحيح . بالنسبة لنا . فالنساء دائما أشياء بداخلها يكمن فقط ما نطلق عليه الشرف والكرامة .

الفدائى (٢) : المرأة هى عندنا جنس وحسب .

الفدائى (٣) : لا يهم أن نكون مستعمرين، مستغلين . عبيدا مسخرين . المهم ألا نكون تيوسا بقرون .

الفدائى (٥) : براڤو ! يجب أن نضع هذا فى رءوسنا يجب أن نفهم هذا جيدا : التيس الحقيقى هو المستغل .

الفدائى (١) : أنت على حق . إن ثورتنا تبدأ بالكرامة الإنسانية التى يجب أن نقدمها لنسائنا .

الكورس : سنكون أقوى من أعدائنا لو نجحنا فى احترام نسائنا .

أغنية عن نسائنا

أمى ليست بطنا و حسب

انكشف لى ولأبى

حينما ولدت

نساؤنا لسن فقط بطونا

تنكشف لنا ولمستغلينا

لسن فقط عينين ناعستين خبيثتين :

إنهن العقل والقلب بالنسبة لقومنا جميعا .

(الجميع ومن يستأنفن النحيب يتوجهن نحو اليسار . فى مواجهة زوجة "أبو على " التى تدخل الآن يعزينها ويصحبنها إلى جثمان زوجها)

الزوجة : كلا ! دعونى ! لن أشق ثيابى ولن أقطع شعرى . ولن أتمرغ فى التراب .

الفدائى (٣) : كنا نقوم بطقوس الوداع على الطريقة القديمة .

المرأة : أنا أيضا عندى بعض الأسئلة. أريد أن أوجهها لأبو على. أنا لم أعد أدرى عنه شيئا طوال الأشهر الأربعة الماضية.

الفدائى (٢) : يا محمد : " أبو على " كان معك فى الأيام الأخيرة .

الكورس : نعم . محمد كان معه .

الفدائى (٥) : كان معه حينما قبضوا عليه فى عجلون . وقد عاشا معا فى زنزانة واحدة طوال فترة السجن .

الكورس : نعم . طوال فترة السجن .

المرأة : تقدم يا محمد . قم أنت بدور " أبى على " .

الكورس : انهض يا أبو على وقص علينا وصيتك ووداعك .

(الفدائيون يتوجهون ليجلسوا فوق مقعد حول الزوجة وصديق أبو على الذى يتحدث مكان الميت . خلال هذا الحوار تقدم زوجة أبى على للحاضرين مشروبا . وتضع كوبًا بجوار جثمان الفقيد)

الزوجـــة : يا أبا علي . ما الذي ذهب بك ؟

أبـو عـلـي : لقد تجمعنا هناك بعد معركة .

المـمـرأة : والمعركة التي وقعت ؟

أبـو عـلـي : نعم . لقد أدركنا أن الجو في المدينة غير ملائم .

المـرأة : كيف ذلك . ألم تكونوا تملكون في أيديكم زمام الأمور ؟

أبـو عـلـي : لقد أشاع كثيرون أن معركة عمّان كانت انتصاراً للمقاومة الفلسطينية . نعم ، هذا صحيح ؛ فلأول مرة نجحنا في تحريك سكان الأحياء الفقيرة – العمال – الذين حملوا البنادق معنا . ولكن على المستوى العسكري، كانت المعركة كارثة . كنا في ذلك الوقت ننتمي إلى فتح . كان لنا راتب كافٍ وكنا نرتدي بدلة جميلة . وكنا ننام في فراش حقيقي .

المـرأة : لا تقل إنكم انضممتم إلى فتح لكي تتمتعوا بهذه المزايا ؟

أبـو عـلـي : كلا؟ في كل يوم كنا نغامر بحياتنا . ولكن في خلال المعركة بدأنا نعرف أشياء كثيرة . أولاً . عرفنا أن الكارثة سببها أننا على المستوى العسكري كنا ما نزال منظمين على طريقة الجيوش التقليدية . وأننا كنا نتصرف بالعقلية نفسها . فالواقع أننا قبلنا الدخول في المعركة في المكان الذي حدده العدو لضربنا . وكان الانسحاب أو الهروب يعد إهانة . كنا نتحدث كثيرا عن معركة الشعب . والحقيقة أنها كانت معركة مباشرة . معركة مثقفين وعسكريين بورجوازيين . منفصلين تماما عن الجماهير .

الجماهير كان ينبغى أن تناضل وحسب . فى تلك الظروف أدركنا شيئا من الدور الذى كان يلعبه الاتحاد السوفييتى فى هذه العملية .

فـــرنكا : هذه رسالة أخرى أرسلها الفدائيون إلى بريجينيف وكوسيجين .

(فى أثناء قراءة هذه الرسالة تنتقل الزوجة إلى مقدمة المنصة)

الأعزاء بريجينيف وكوسيجين . إن الأمريكان والرأسماليين والإمبرياليين . بتطبيق خطة روجرز . وجدوا الفرصة سانحة لوضع الشعب الفلسطينى كله داخل معسكر تعذيب نازى كبير . وهو الضفة الغربية . وهذا يعنى حبس الشعب بأكمله داخل عدة كيلومترات مربعة . وإجباره على العيش مكدسا فى انتظار الموت جوعًا . لقد سبق للأمريكان تطبيق هذا الأسلوب مع الهنود الحمر أصحاب الأرض الحقيقيين فى القارة الأمريكية . والذين لم يبق منهم الآن على قيد الحياة سوى بضع مئات . يذكروننا بوحشية الاستعمار الأمريكى .

(الفدائيون جميعا ينهضون من فوق المقاعد وينتقلون إلى مقدمة المسرح . حول المرأة . وهم مواجهون للجمهور)

كوسيجين و بريجينيف . نحن شعب فلسطين . نحن الشعب العربى . نتهمكم بالاشتراك فى هذه الجريمة

الكبرى . ولن نغفر لكم هذا التواطؤ . وهذه الخيانة . ليست خيانة الشعوب العربية وحدها .

(الفدائيون ينشدون لتسقط المؤامرة)

لتسقط المؤامرة لتسقط المؤامرة
ولنقطع اليد المتاجرة
بلحم شعبنا بجرح أرضنا
لن تصلبوا شمسى على وحل المؤامرة
لن تجلدوا بالقش ساعد العواصف المدمرة
لن تشنقوا حناجر البنادق المزمجرة
فإن شعبنا أقوى من المؤامرة
وإن شعبنا أبقى من المؤامرة

الزوجة : استمر يا " أبا على " فى حكايتك .

أبو على : حيث كنا أكثر أمنا وسلاما . كان معنا حوالى مائة من الفدائيين . كانوا قلة ولكنهم يساوون الآلاف . وقد ظلوا يقولون لنا :

الفدائى (٢) : إننا نرتكب خطأ للمرة الثانية . كمن يستجير من الرمضاء بالنار .

أبو على : هكذا كانوا يقولون بالضبط .

الفدائى (٤) : ليس من العقل أن نظل هنا مكدسين . فى انتظار أن يفاجئونا مرة أخرى فيهاجموننا . أو يصطادوننا . أو يوقعوننا فى الفخ .

الفدائى (٦) : يجب أن نتوزع فى القرى . فى بيوت الفلاحين . وفى المصانع . وفى المزارع .

الزوجة : كانوا على حق . أليس كذلك ؟

أبو على : مؤكد. لكن قادتنا لم يفهموا . كانوا صما بكما . لم يروا أن نتفرق فى المصانع أو بين الفلاحين وفى المزارع . فالمثقفون يحبون التجمعات .

الزوجة : وهكذا بقيتم هناك فى انتظار أن يحاصروكم ويجهزوا عليكم .

الكورس : وحدث ما كان فى الحسبان .

أبو على : كنا ثلاثة آلاف . فقتلوا منا أكثر من ستمائة . قليل منا تمكنوا من الفرار . وأودعنا السجون . ألفان وثلاثمائة .

(تمثيل صامت لعملية القبض)

فرقة من الجبهة الديمقراطية الشعبية تمكنت من الإفلات. لكنهم عادوا لكى يفجروا المواقع التى تركناها خلفنا بما فيها من أسلحة ومعدات . فتمكن منهم بعض جنود الأعداء . واقتادوهم جميعا إلى معسكر التعذيب . وعند نزولنا من الناقلات كان فى انتظارنا حوالى مائة من الحرس فى الزى الأمريكى . فبدءوا يضربوننا بالعصى والسلاسل الحديدية .

(فى الوقت نفسه تجرى بالتمثيل الصامت عملية الاستجواب : جميع الفدائيين يعتمدون فى عمق المنصة)

ثم بدءوا ينادون علينا ويوزعوننا : نحن أعضاء فتح من ناحية . وأعضاء الجبهة من ناحية أخرى ؛ كانوا يعرفون أسماءنا نحن أعضاء فتح . وجعلوا يعذبون الآخرين . ويضربونهم بالأحذية . ولكنهم لا يتكلمون .

(أداء صامت)

لماذا يخافونهم ؟

ذات يوم وكما هى العادة . كانوا يضربون بعض أعضاء الجبهة . فانبرى حوالى عشرة من أعضائنا – أعضاء فتح – يصيحون ساخطين معترضين على تلك المعاملة . وعقابا لنا . أرسلونا لكى نعمل فى الحقول مع الفلاحين .

(أداء صامت يمثل أعمال الفلاحين . الفدائيون وهم ينفذون الشغل ينشدون :)

هناك أدركنا حقيقة كبرى . فبالنسبة لنا كان هذا العمل يعد عقابا . أما بالنسبة للفلاحين فهذا العمل مستمر طيلة الحياة .

أغنية فرعون

اجتاز فرعون الصحراء فوق عربته .
ولكن من الذى صنع له عجلات العربة ؟
من الذى صمم له العربة ؟
حداد فقير من الفرات .
ومهندسو الأهرامات .

شيدوا مقبرة خوفو .
بالمسطحات المائلة .
التى أخذوها عن الفلاحين .
وأرشميدس اكتشف اللولب لضخ الماء
سرق الفكرة منا نحن فلاحى النيل .
كهنة فرعون
يراقبون القمر والنجوم
ليعرفوا الطالع بالنسبة لفرعونهم .
أما نحن الفلاحين .
فنتطلع إلى القمر والنجوم
لكى نعرف متى نزرع . ومتى نحصد .
كل المحصول لسيدنا الآمر الناهى .
أما نحن الذين أعطينا كل شىء
فقد أدركنا أننا كل شىء :
العجلة ولولب أرشميدس
والحب والأهرامات .
حينما تدرك ذلك .
يكفى أن نتعانق جميعا .
حينئذ . فرعون وكهنته
سيموتون من الفزع .

* * *

نهاية الجزء الأول

الجـــزء الثانى

(بعض الفدائيين الجالسين فى حلقة بين الآخرين . يرددون حكايتهم)

فـــــرنكا : الجزء الذى شاهدتموه من العرض لا يكفى بطبيعة الحال وحده لإعطائكم فكرة عن قصة كفاح الشعب الفلسطينى.
إذا لم تسمعوا مع الأناشيد والطقوس حكاياتهم أيضا .
وحكاية صحـوتهم ووعـيـهم . وكيف أصبحـوا ثواراً مناضلين.
يا حسن . ابدأ أنت فقص علينا قصتك .

صوت خارجى (١) : أنا عـامل . لم أولد فى فلسطين . فـأنا سـورى انضممت إلى الفدائيين وأنا صغير .

صوت خارجى (٢) : إننى أتذكر ذلك جيدا . حينما وصل الإسرائيليون كنت طفلا ، وكنت أسكن هناك مع أمى وهى فلسطينية .
وصل الإسرائيليون قريتنا بملابسهم الملونة . بأسلحتهم الحديثة . وعجرفتهم . وادعائهم بأنهم شعب الله المختار .
فوق ذلك كله . كان يبدو أن معهم الكثير والكثير من الدولارات لشرائنا جميعا. لكنهم لم يشترونا. بل طردونا.

وكانوا يقولون : " هذه منطقة عسكرية " . "نزع ملكية قانونية " ." هذه المنطقة نحتاجها لإنشاء مطار . أفراد بعض العائلات تحصنوا فى بيوتهم الفقيرة . فما كان من الإسرائيليين إلا أن فجروها ودمروها فوق أهلها . كما حدث فى دير ياسين . دمروها بكل مافى داخلها . هل كان هؤلاء الإسرائيليون هم الذين تعرضوا للاضطهاد وخرجوا يبحثون لهم عن وطن ؟ ما الفارق بينهم وبين النازيين الذين عذبوهم ؟ لماذا ينتقمون منا نحن؟ وتعرضنا للإرهاب. فاضطررنا للهروب. كنا ضعفاء بلا ناصر ولا معين. شيوخنا انتقلوا إلى مناطق أكثر أمنا. إلى لبنان والأردن بالأموال التى سلبوها منا. حملنا معنا بعض المتاع . كان لابد أن نهرب . ثم قام رجال ديّان بإقامة أسوار حول المساحات القليلة من الأراضى التى بقيت للعرب . كثيرا منا ظلوا داخل هذه الأسوار . مسخرين من الدرجة الثانية . خاضعين للتميز العنصرى والقهر والموت جوعًا ؟ مضطرين لإبراز أوراقنا مرتين . وثلاث مرات . وعشر مرات فى اليوم الواحد .

فـــرنكا : حول الحياة القاسية التى يعيشها عرب فلسطين نظم الشاعر محمود درويش هذه الأبيات .

أنا عربى ؟

صوت خارجى (٣) : أنا أيضا سجنونى . حكموا علىّ بالأشغال الشاقة مرتين فى فلسطين . وأنا أيضا عامل . عملت فى المناجم

حفاراً . وحمالا فى أحد المصانع الإسرائيلية : فى العام الماضى . حدث إضراب عام . فقام الإسرائيليون بتكديس العرب المضربين داخل قفص كبير . ثم أدخلوا فى القفص حوالى عشرة من العمال الإسرائيليين . كانوا هم المجموعة التى ظهرت فى الإضراب بشكل ملفت للأنظار .

لم يعد يهم بالنسبة لهم التمييز العنصرى . فمنذ اللحظة التى ثاروا فيها على السيد . انحدروا فوراً إلى مستوانا نحن العرب . والآن فهم عرب مثلنا .

صوت خارجى (٤) : حينما كان ناصر ما يزال على قيد الحياة . كنت أحبه كثيرا . كنت ناصريا ومتعصبا للناصرية . مازلت أذكر الأغنية التى ودعناه بها :

الرجل ذو الظل الأخضر

نعيش معك

نسير معك

نجوع معك

وحين تموت

نحاول ألا نموت معك !

ولكن .

لماذا تموت بعيدا عن الماء

والنيل ملء يديك ؟

لماذا تموت بعيداً عن البرق
والبرق فى شفتيك ؟
وأنت وعدت القبائل
برحلة صيف فى الجاهلية
وأنت وعدت السلاسل
بنار الزنود القوية
وأنت وعدت المقاتل
بمعركة تُرجع القادسية
نرى صوتك الآن ملء الحناجر
زوابع
تلو
زوابع ..
نرى صدرك الآن متراس ثائر
ولافتة للشوارع
نراك ؟ نراك ؟ نراك
طويلاً
.. كسنبلة فى الصعيد
جميلا
.. كمصنع صهر الحديد
وحُرا ..
كنافذة فى قطار بعيد ..
ولست نبيا .

ولكن ظلك أخضر
أتذكر ؟
كيف جعلت ملامح وجهى
وكيف جعلت جبينى
وكيف جعلت اغترابى وموتى
أخضر ؟ أخضر ؟ أخضر ..
أتذكر وجهى القديم ؟
لقد كان وجهى يحنَّط فى متحف إنجليزى
ويسقط فى الجامع الأموى
متى يا رفيقى ؟
متى يا عزيزى ؟
متى نشترى صيدلية
بجرح الحسين .. ومجد أمية
ونبعث فى سد أسوان خبزاً وماءً
ومليون كيلواطٍ من الكهرباء ؟
أتذكر ؟
كانت حضارتنا بدويا جميلاً
يحاول أن يدرس الكيمياء
ويحلم تحت ظلال النخيل
بطائرة .. وبعشر نساء
ولست نبيا
ولكن ظلك أخضر ..

نعيش معك

نسير معك

نجوع معك

وحين تموت

نحاول ألا نموت معك !

ففوق ضريحك ينبت قمح جديد

وينزل ماء جديد

وأنت ترانا

نسير ؟ نسير ؟ نسير ..

لم يخطر ببـالى على الإطلاق أنه كـان يمـثل لواء البرجوازية العربية الجديدة أكثر من لواء العالم العربى . بل لم أكن أدرك أن على صيحة " الحرب المقدسة " بدأ صراع بين البرجوازية الرأسمالية العربية المصرية والسورية والعراقية . وبين الرأسمالية الإسرائيلية يعضدها رأس المال العالمى .

باختصار . فإن الإقطاعيين فى الشرق الأوسط وقد تحولوا إلى متعهدين ومقاولين من خلال نزع أملاك الأجانب . قد أدركوا أن أفضل طريقة للاستغلال هى تسخير اليد العاملة ...

فمن الغباء تركها للأجانب . كأنما قالوا : " اليد العاملة العربية ملكنا نحن. ونحن نستغلها ونسخرها. لوجه الله !

عاشت حرية الاستغلال ! عاشت حرية تسخير الشعب العربى الواحد .

وما لبثنا أن أدركنا موضوع . يجب أن تتهيأ لكى تضرب البرجوازية . ولكن هناك أولا إسرائيل التى ينبغى ضربها. فهل من الممكن التعاون مع البرجوازية الوطنية لضرب الرأسمالية الإمبريالية ؟

فى الصين استطاع الحزب الشيوعى بقيادة " ماو " أن يفعل ذلك . وفى فيتنام استطاع " هوشى مينو " أن يحقق ذلك أيضا . فهل يمكن عمل ذلك أيضا هنا فى فلسطين ؟ إن تحقيق التعاون مع عدو يلزمه بعض أوراق اللعب . أى قوة. وعندنا فى فلسطين وفى الأردن . هل هناك بروليتاريا منظمة وواعية ؟ لا . هناك بروليتاريا تناضل بالكامل تقريبا من خلال منظمات مهيمنة يديرها برجوازيون . لنتكلم عن منظمة فتح وغيرها . عند تقديم الحسابات لا يضع البرجوازيون أقدامهم بيننا مطلقا . علينا أولا أن نكبر وننمو . ونؤمِّن حدودنا إذا كنا لا نريد أن نموت فى المهد .

لذلك ينبغى إعطاء البنادق للشعب وتدريبه على القتال وإقناعه بأنه مع الثورة لا يخسر شيئا . بل يجنى كل شىء . ينبغى تعريفه بأعدائه الحقيقيين. إذن فهى قضية دعاية . ولكن ما السبيل لعمل دعاية ثورية فى ظروف ثقافية مثل ظروفنا ؟ أوضاع تقوم على الطاعة العمياء

للأسياد . إن رسول الله محمداً بالنسبة للفلاحين هو الذى خلصهم من الكثير من الموبقات . ويأمرهم بالتطهر للصلاة . بل ويحضهم على أن يحبوا جيرانهم حتى لو كانوا من جنس آخر . الوحيدون الذين استطاعوا منا مخاطبة الفلاحين وإقناعهم بالثورة . فعلوا ذلك أيضا من منطلق إسلامى على هذا النحو :
ذات يوم جاء رجل إلى الخليفة عمر بن الخطاب يشكو له أن ابن عمرو بن العاص كان يسابق ابنه . فسبقه ابنه . فضربه ابن عمرو بن العاص . فأمر الخليفة بإحضار الابن المعتدى . وقال له : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ وأمر المضروب أن يضرب ابن عمرو . قائلا له : اضرب ابن الأكرمين .
أو على هذا النحو :
"عجبت لرجل عنده أطفال يتضورون من الجوع ولا يخرج إلى الطريق شاهراً سيفه ضد كل من كان سببا فى ذلك"
بعد ذلك استطعنا أن نستعمل مكبرات الصوت فى بعض المآذن لعمل دعاية . لماذا نعيش هنا فى معسكرات اللاجئين ؟ لماذا نعيش هنا مع الفلاحين فى الحقول ؟ ليس فقط لأهداف غوغائية بين الدهماء . أو لكى نكسب أعضاء جدداً لقضيتنا . لقد بدأنا من منطلق أننا نعرف القليل . من الجماهير . ومن الجماهير فقط يمكن أن نتعلم ما نحتاجه من أجل الثورة . بدءاً من كيف ننظم

أنفسنا وحتى كيف نعمل ونتحرك . إن الشعب . كما يقول أحد أناشيدنا . هو مخترع كل شيء. من العجلة حتى الأهرام . ومن المؤكد أنه سيخترع أيضا ثورتنا . يكفى أن نساعده كى يصبح واعيا بقوته الخارقة .

فـــرنكا : وأنت ماذا كنت تعمل ؟ فلاحًا أو راعيا أو عاملا ؟

صوت خارجى (٥) : لا . أنا لا ! أنا كنت أعمل لصا .

فـــرنكا : لصا ؟

صـــوت (٥) : نعم . لصا . كنت أعمل لصا . كنت أمارس مهنة اللصوصية . حينما كنت أذهب للعمل أدركت على الفور . وحتى دون أن أقرأ كتبا . أن صاحب العمل يسرقنى . فإذا كان العالم مكونا من سارقين ومسروقين . فأنا أفضل أن أكون من ضرب السارقين . اللصوص . كنت أعيش حياة المهرجانات الأغنياء . وكنت أشعر بالملل من حياة الأغنياء . فبدأت - قضاءً للوقت - أتردد على العاهرات وأشرب وأتعاطى المخدرات . حتى أنصرف عن التفكير فى الوقت .

فـــرنكا : ولكن مثل هذه الحياة تحتاج إلى أموال طائلة .

صـــوت (٥) : وهل تظنين أننى كنت أسرق الدجاج ؟

كنت لصا محترفًا . كنت أميا ولكننى كنت محترفًا . كان فقدى لإحدى عينى هو الذى جعلنى أغير رأيى . كنت فى الجليل فى فلسطين. وجاء الإسرائيليون بقواتهم وعتادهم وعاثوا فى المدينة فساداً . فكانوا يطلقون المدافع على

البيوت . وقد انفجرت قنبلة بالقرب منى على بعد عدة أمتار وأصابتني منها شظية شطرت عيني إلى شطرين . كما تقسم البيضة المسلوقة.

أيها الإسرائيليون ؟ ما ذنبى أنا ؟ هذه العين العوراء يجب أن تعوضونى عنها . ألا تقولون " العين بالعين " ! وعلى الفور طبقت القول على العمل . وما إن خرجت من المستشفى حتى انضممت إلى أول منظمة قابلتنى . كان اسمها " التضحية الوطنية " كان الاسم له رنين ووقع جميل .

بالإضافة إلى كونى جاهلا وأميا . فلم أكن أفهم شيئا فى السياسة . وهكذا صنفونى ضمن البلهاء . على المستوى التنظيمى . أدركت على الفور أن هناك أخطاء كثيرة . وفى اليوم الثالث . عينونى مسئولا عن الخزانة . وإذا كان أمين الخزانة لصا . فلكم أن تتصوروا ما يمكن أن يكون عليه المسئول السياسى والعسكرى . كانوا جميعا يشربون بإسراف طول النهار . ويتعاطون المخدرات . بحيث كنت أنا بالنسبة لهم شخصا عاقلا . يبدو أن نضال التحرر يسير على هذا النحو .

كنا فى أحد المعسكرات . حينما قامت فرقة من الشرطة بالقبض علىّ . نقلونى إلى حجرة كبيرة وبدءوا على الفور فى ضربى . وطيروا لى عينى . عينى الزجاجية طبعا وبدأ التحقيق :

- من أعطاك هذا المسدس ؟

- القائد .

- هل تعرف أنه مسدس إسرائيلي . اقرأ المكتوب عليه .

وصية امرأة : - أنا لا أعرف القراءة .

(فتلقيت لطمة)

- لا تتظاهر بالغباء .

- أنا لا أتظاهر بالغباء . فأنا لم أذهب إلى المدرسة في حياتي .

- ولكنك تعرف أن القميص الذي ترتديه أمريكي . تعرف ذلك ؟

- طبعا . قميص أمريكي . وبنطلون إنجليزي . وحذاء إيراني . وسراويل فرنسية . أنا عالمي .

(وتلقيت بعض الراكلات)

- هل تعرف أن خيمة قيادتك يتردد عليها دائما مستشارون أمريكيون . إسرائيليون ؟

- ليس صحيحا ! هذه شائعات يروجها الروس . أنا قيادتي مكونة من أبناء زنا . لكنهم وطنيون .

(وهنا تلقيت ركلات أخرى)

بعد ذلك أدركوا أني فقير متخلف جاهل بكل شيء وأبقوني في الحجز حوالي شهرين . ثم أطلقوا سراحي .

لم أعد إلى قاعدتي . لم أعد أريد أن أعرف شيئا عن أولاد الزنا هؤلاء . لكنهم بحثوا عني . فقد كانوا يخشون

أن أكون قد نقلت لهم بعض الأخبار . فأخذونى إلى خيمة وضربونى هم أيضا ثم بدءوا التحقيق معى .

– تكلم . ماذا قلت لهم ؟ هل أفشيت شيئا ؟ هل أخبرتهم عن المستشارين الذين يجيئون هنا ؟

– آه . إذن كان حقا ؟

يا أبناء الزنا . أيها الخنازير الأقذار . (**ثم أخرجت خنجرى**) .

– سأمزقكم إربًا إربًا . اخرجوا ! وأحذركم لو مسستم شعرة من رأسى فستكون نهايتكم .

لم يمسوا شعرة من رأسى . وكففت عن السرقة . وعملت فى التجارة . تجارة الطماطم . كنت أتجول بعربة طماطم فى المدينة . فى بعض الأحيان . كنت فى المساء . ألتقى بفتى صغير طالب وعامل كان يناقشنى فى السياسة . مات الآن . وذات يوم حدث تبادل لإطلاق النيران. كان اليهود يتعقبون بعض الفدائيين فى أحد الأحياء . فألقوا قنبلة يدوية فوق عربتى . عربة الطماطم . يا للمصيبة ! لقد انتشرت الطماطم على أرض الطريق بعد أن تحولت إلى عصير . وهنا صحت فيهم قائلا : "كفى ! لقد سلبتمونى فيما مضى عينى . والآن الطماطم. هذه المرة سأصبح فدائيا حقا . وكنت قد شاركت فى المصادمات التى وقعت بين الأعداء وبين الفدائيين . حملت بندقيتى دون أن أنضم إلى أى منظمة من

المنظمات . صديقى الطالب العامل . حينما حدثته عن رغبتى فى الانضمام إلى المقاومة شجعنى قائلا : فهناك سيعلمونك القراءة والكتابة وسيغيرون حياتك تماما .

وهكذا انضممت إلى الفدائيين . طلبوا منى أن أقص عليهم حياتى كلها . دون أن أخفى شيئا . وبكل صراحة . فقصصت عليهم كل شىء . بالضبط كما أفعل الآن . قلت لهم أننى كنت مدمنا . وكنت لصا . توقعت أن يعطونى السلاح فورا . أعطونى زوجا من الأحذية المطاطية وفانلة وشورت مما يرتديه لاعبو كرة القدم . ثم ذهبوا بى إلى المعسكر لكى أجرى وأقفز وألعب رياضة مع غيرى من الأولاد وهم يقولون لى :

" أخرج كل هذه السموم التى تحملها فى دمائك "

ثم أجلسونا جميعا فى دائرة . وراح القادة يحدثوننا عن نضال الفقراء . وعن وضعنا . وتحدثنا نحن أيضا . يسألوننا ونناقشهم وندلى بآرائنا فيهم وهم يبادلوننا الآراء ؟ باختصار. جلسة من النقد الذاتى. أنا أحب النقد الذاتى كثيرا . وخاصة حينما يكون من الآخرين لأنفسهم. حاولوا علاجى من إدمان الحشيش . فكانوا يعطوننى أقراصا لا أشعر بعدها بالرغبة فى التدخين . وكانوا يحدثوننى كثيرا عن الأخطار المدمرة للمخدرات . لقد أقلعت عنها جميعا . ولم أعد أدخن سوى السيجارة . وأنا دائما أسعل بسببها . تعلمت القراءة والكتابة .

وكان أول كتاب قرأته بعنوان " الأم " لمكسيم جورجى ؟ ما أجمله من كتاب ! تكونت عندى رغبة شديدة فى القراءة .؟ وأصبحت أقرأ فى كل مكان ؟ فى المعسكر ؟ فى المطعم ؟ فى الحمام ؟ كم يروق لى أن أقرأ فى دورة المياه ؟ وأستطيع القول بأن معظم ثقافتى قرأتها فى دورة المياه . وكنت أتردد دائما على الدروس التى كانت تعقد كل يوم . كانوا يدرسون لنا تاريخ بلادنا منذ أقدم العصور . ثم يأتى دور المناقشات . وحينما كنت أفكر فى الفترة التى كنت فيها لصا أو أدمن المخدرات . كنت لا أصدق أننى مررت بمثل تلك الفترة . بعد ذلك . التحقت بدورة التدريب العسكرى . ثم بدأنا نتدرب على العمليات الحربية . كم عملية قمت بها ؟ عمليا كثيرة بحيث لا أستطيع حصرها . وكم من المرات كدت ألقى فيها الموت . ولم أكن أبالى بالموت بل كان يطيب لى أن ألقى حتفى . وأتمنى أن أعيش فقط لأقوم بعمليات أخرى وتنتصر الثورة . صحيح أننا قد لا نحقق ذلك فى القريب العاجل . ولكن المهم أننا بدأنا . وأنا واثق بأننا بدأنا بداية طيبة . كل يوم أتحدث مع زملائى . من الفقراء فى المعسكرات . وفى كل يوم نزداد اقتناعا بأننا على الطريق الصحيح . فى كل يوم ينظرون إلينا بود أكثر ويشدون على أيدينا . رجالا ونساءً وأطفالاً .

سألنى أحدهم فى أثناء إعداد هذا العرض . كيف نروى قصص كفاح الشعب الفلسطينى . ولا نروى شيئا من قصص كفاح النساء . نساء فلسطين .

ذات مساء وبينما نحن فى الخيمة داخل المعسكر . كان هناك أكثر من امرأة . كان بعضهن بصحبة أطفالهن ومنهم الرضع الذين يحملنهم فوق أذرعهن . وكان منهن الصغيرات فى السن . وكن ينشدن الأناشيد . وسألت إذا كان من الممكن أن تأتى إحداهن لتشارك فى العرض. فأجابونى قائلين :

– " هذا مستحيل . فالفتيات مشغولات هذه الفترة بعمل عظيم . فبالإضافة إلى الجانب التنظيمى . هناك مشكلة من الصعب شرحها . "

– " لعلك تقصد مشكلة تحرر المرأة . "

– " هذا أيضا جانب من القضية . فتحرير المرأة بالنسبة لنا يمثل العقبة الكبرى التى لابد من التغلب عليها .

كانت هناك امرأة تحمل طفلها على صدرها وكان يبدو عليها التعب والإرهاق . وحين سألتها أن تروى لى شيئا عن حياتها . أشارت لى بالنفى . وأنها لا تستطيع أن تخبرنى بشىء .

وحينما عدت إلى ميلانو . بعد فترة . أعطانى صديق من بيروت شريطا كان مسجلا بصوت المرأة التى قابلتها فى المعسكر . إليكم التسجيل :

" أنا الرفيقة التى لم تجبك على طلبك حينما سألتها فى المعسكر أن تروى لك شيئا عن حياتها . الآن أستطيع أن أحدثك عن نفسى. أنا أصلا بدوية. أمى عاشت سنين طويلة فى الخيام مثل جميع البدو الرحّل الذين يتنقلون هنا وهناك فى وادى الأردن. وقد أحبّت رجلا يعمل فلاحا وتزوجا . وهكذا ولدت أنا فى بيت مبنى من الحجارة . لم أكن أحب عمل الفلاحين. وكيف أحبه ؟ وهل عمل شاق يكون فيه الإنسان أشبه بالبهائم التى لا نقدم لها حتى ما يشبع جوعها ولا يروى ظمأها . ولا تجد فرصة كافية للراحة أو للنوم. والنسوة منا كنّ دائما فى المستوى الأدنى من السلم الاجتماعى: دائما منحنيات على العمل فى الحقول يجمعن الحشائش ويحصدن المحصول . منحنيات على الآبار لاستخراج الماء. منحنيات على غسل الملابس والصحون ومنحنيات على طحين الدقيق وعجن العجين وخبز الخبز. منحنيات دائما حتى أمام أزواجهن. وكذلك على الأطفال لإرضاعهم وتعهدهم فى طفولتهم الأولى .

أمى التى كانت منذ فترة شابة جميلة قوية . أصبحت الآن فى حالة يرثى لها من الضعف. أما جمالها الأول فلم يبقى منه أثر . ويحدث من آن لآخر أن تعود بها ذاكرتها إلى الماضى حينما كانت تعيش فى الخيام فى الصحراء . حيث الرجال يعاملون النساء كما لو كنّ ملكاتٍ متوجات .

فلا يعرضوهن للتعب ولا يكلفوهن رفع الأحمال الثقيلة . كانت أمي كغيرها من النساء في البادية؛ دائما تسافر وتتنقل فوق صهوة الجياد. والرجال دائما في المقدمة لحماية النساء اللاتي كن يرتدين الناعم من الثياب . كانت مهمتنا نحن النساء هي إجادة الغناء والرقص والحديث في شتى الموضوعات الممتعة. كنت ما أزال صغيرة ولكنني كنت أجيد ركوب الخيل . أفضل من أي رجل بدوي . كنت أرتدي الحجاب الخاص بقبيلة أمي . وكنت أذهب إلى المدرسة في بلدة قريبة . وكنت أحب المدرسة . وكنت متقدمة في الدراسة . وظللت في المدرسة حتى الفرقة السادسة. وكنت أبغض العمل في الحقول. وأحاول بشتى الطرق أن أهرب من هذه الحياة وأتجنب هذا المصير. لكن القدر شاء لي أن أتزوج فلاحا يملك قطعة من الأرض. لكنه فلاح . كنت في السادسة عشرة من عمري. وفي يوم من الأيام كان هناك حفل كبير في الميدان العام جاءه فرسان من بلدان أخرى. جاءوا يستعرضون فنونهم. كان أحدهم في زي أسود ، يرقص واقفا فوق صهوة جواده . ويطلق الأعيرة النارية هنا وهناك . من بندقيته التي كانت من الفضة الخالصة. فقلت في نفسي. هذا هو الرجل الذي يروقني. وبالفعل تزوجته . ولن أقص عليك المحاولات التي بذلت من أجل أن يراني ومغازلاته ومحاولاته للتقرب مني وطلب يدي. كان جميلا بحق. قويا.

أما فيما يختص بالثقافة . فكانت الطامة الكـبرى . كان لا يهتم بشىء إلا ببندقيته الفضية وجواده . والتمرينات التى يؤديها فوق الجواد . تزوجنا فى بلده . وقد وصلتها فوق جوادى الذى أهدانى إياه عوضا عن دبلة الخطوبة . كان جواد خطبتى . واستقبلنى أفراد قبيلته بكل الفرحة والترحاب. ثم أقيم حفل الزواج الذى بدأ بالرقص. وكنت أحبه كثيرا . ثم جاء دور لعبة الدعس . حيث ينبغى على الزوج أن ينجح فى دعس قدم الزوجة ليفرض سلطته. سلطة الذكر. كانت لعبة. على الأقل هكذا كنت أتصورها. لكننى لاحظت أن زوجى يوليها اهتماما كبيرا . وكان القلق الشديد يبدو فى عيون أهله وأصدقائه . كنت كما تقضى العادة أحاول أن أتهرب منه وأتجنبه . غير أنه دفعنى دفعة قوية ؟ وهوب ! دعس قدمى . فما كان منى إلا أن دعست قدمه بدورى . فانفجر جموع المدعوين فى الضحك باستثناء أفراد أسرته الذين لم يضحكوا . فقلت فى نفسى: "لعلهم لا يحبون المرح" ولم أعط الأمر أهمية . وكنت قد سمعت من أمى أنه. فى كثير من البلدان. جرت العادة على أن الزوج فى أول ليلة للزواج . وقبل الجماع . يضرب الزوجة لكى يستقر عندها أنه - أى الذكر - هو السيد. وأن هذه هى المعاملة التى تنتظرها إذا ما ارتكبت خطأ . لم أفكر أن تكون تلك العادة سارية أيضا فى بلد زوجى. المهم. حينما كنا نهم بدخول غرفة النوم. لاحظت

أنه مشغول قليلا . وحينما صرنا وحدنا . قال لى:
"اسمعى. الآن يجب أن أضربك. ولكن لا تخافى. فلن أقسو فى ضربى؛ المهم أن تبكى وتصرخى حتى يسمعك الجميع فى الخارج. فصحت فيه قائلة: "ماذا؟ هل أنت مجنون؟ حاول أن تمسنى وسأحطم هذا الوعاء فوق رأسك " .
فأجاب : " حاولى أن تفهمى . هذه عادة . من الواجب أن أضربك . هذه قضية كرامة بالنسبة لى . "
فما كان منى إلا أن قلت له : " أية كرامة ! أنتم جميعا متخلفون . لو مسستنى بيدك . سأقتلك . "
وبالفعل رفعت الوعاء استعدادا لضربه . فوق رأسه " .
وهنا انفجر باكيا. وقال " لا تضعينى فى مثل هذا الموقف الحرج . أرجوك . أتوسل إليك . اصرخى قليلا . وابك . وأنا سأضرب المرتبة . هكذا ! " فقلت له : " لا تضرب المرتبة . بل أضربك أنا وتبكى أنت. هيا. عاليا. أصرخ !
وبينما كنت أقول ذلك نفضت ملاءة السرير . فرأيت منديلا كبيرا من القطن . كأنه مفرش صغير . فسألته :
– ما هذا ؟
– هذا لزوم العرض .
– أى عرض ؟
– صباح غد . هذا المنديل يجب نشره فى النافذة . وبه بقعة من دمك ؛ برهانا نقدمه لكل من فى البلد على أنك كنت عذراء فعلا .

وعندها لم أملك نفسى . فرفعت الطست النحاس وضربته فوق رأسه . فصاح وسال الدم من رأسه . فقذفته بالمنديل الكبير قائلة : " انتهز هذه الفرصة وخضبه بدم رأسك . رأس التيس الكبير البكر .

عندئذ دخلت علينا أمه . وهى امرأة قصيرة وسمينة . لم أرها تضحك مرة منذ جئت إلى هذا البلد . فقالت له :

– ماذا تنتظر لضربها ؟

– لا تريد .

– حسنا . سأرسل إليك إخوانك ليضربوك حتى يقتلوك أو يطردوك . فهذا البيت لا يبقى فيه إلا رجال يثبتون كرامتهم ويبرهنون على رجولتهم .

فما كان من زوجى إلا أن قفز فوقى وهو يصيح كالمجنون. وراح يضربنى ضربا مبرحًا حتى كاد يقتلنى . ولم أتمكن حتى من إطلاق الصراخ. عندئذ ابتسمت أمه ، ولأول مرة ، سعيدة فرحة .

كاد الملعون أن يقتلنى . المهم . أنه فيما بعد . وحينما حاول الاقتراب منى ليداعبنى . انتهزت الفرصة وركلته فى بطنه . أسفل قليلا . فانفجر صائحا أشبه بكلب يخصونه . ثم جعل يتقيأ . وفى جوف الليل نزلت إلى الحظيرة . وأسرجت جوادى . وانطلقت أعدو حاملة بندقية زوجى الفضية . وعند الفجر . توقفت فوق تل صغير . وشاهدت أسفله بعض الرجال يمتطون صهوة

الجياد . فإذا بهم أفراد أسرة زوجي جاءوا يطلبونني .
فاتخذت لى موقعا يمكِّنني منهم وصوبت بندقيتي .
وأطلقت عليهم النار وتمكنت من إصابة أحد الجياد في
صدره . فسقط فوق الأرض ومعه فارسه . لم أقتله .
ولكن جرحته فقط. فتوقفوا ثم استداروا وعادوا أدراجهم.
فهؤلاء المتخلفون جيادهم أهم عندهم من امرأة هاربة .
بعد ذلك . عدت إلى المدينة وعملت مساعدة ممرضة فى
إحدى المستشفيات. فى البداية عملت فى غسل الصحون.
وكان الناس الذين علموا بخبر هروبى ينظرون إلىَّ كما
ينظرون إلى امرأة عاهرة . أما فى المستشفى . فقد
تمسكوا بى فقط لأنه كان من الصعب عليهم الحصول
على نسوة تعمل ليلا . كان بعض المرضى يرفضون أن
أمسهم بيدى . ولكن هذا العمل مع ما فيه من تعب . كان
يروقنى . وبعد أربعة أعوام . صرت رئيسة جناح .
فى أثناء حرب سيناء وانتصار إسرائيل النسبى . لم أكن
موجودة فى فلسطين . كنت فى مصر . كنت هناك منذ
ثلاثة أعوام . أرسلنى المسئولون فى المستشفى لكى
أتخصص فى الجراحة فى مدينة الإسكندرية، وبعد نكسة
سيناء . والأزمة التى مر بها ناصر . حدث نوع من العفو
العام . فأطلقوا صراحى وعدت إلى بيتى ، أو بالأصح
بالقرب من بيتى فيما وراء نهر الأردن . بعد ذلك
انضممت إلى الجبهة الديمقراطية الشعبية التى كان لى

فيها أصدقاء . ومع كلٍّ فلم يكن من السهل البقاء فيها بالنسبة لنا نحن النساء . فقد كان عددنا لا يزيد على عشر وأشاع عنا بعض البرجوازيين أننا مجموعة من العاهرات التافهات. وكذلك الفقراء منهم كانوا لا يحسنون الظن بنا . فالمرأة الثورية بالنسبة للعقلية العربية تعد امرأة غير جديرة بالاحترام. لكننا لم نكن نقيم وزنا لذلك. كنا نقوم بعملنا في المخيمات نعالج المرضى ونقوم بأعمال الدعاية . ثم كانت معركة عمان . اشتركنا في المعركة ، وقمنا بإطلاق النار نحن أيضا . وقلّدنا الكثيرات من النساء . نزلن إلى الشوارع وجمعن السلاح من أيدى الذين سقطوا في المعركة وبدأن يطلقن النار . ثم عدنا أدراجنا . فقد أمرنا القادة بألا نظهر حول المخيم بشعار الجبهة . كنا ندخل ونخرج في تكتم شديد . سألوني عما إذا كنت مستعدة للاشتراك مع مجموعة في عملية مسلحة بهدف " القصاص " من محمد حافظ أحد الخونة الذين يتعاونون مع العدو ويرشدون عن المناضلين . كان يبدو أنها عملية على جانب كبير من الأهمية . أرادوا بها أن يعلنوا أن المقاومة السرية قد بدأت . قبل ذلك بفترة قامت امرأة في عمان بتفجير جناح في الفندق الأمريكي الكبير في عمان وكان به اثنان أو ثلاثة من المرشدين الخونة . وفي القاهرة . اقتص الثوار من مرشد آخر تسبب في القبض على أحد القواد . وفيما يختص بموضوع حافظ ،

كنت مـن حيـث المبدأ ضـد عمليات التصفية الجسدية . إلا أن قـادتى أقنعـونى بأن فى مـثل هذه الظروف التى يخيم عليها اليأس . فإن عملية كهذه من الممكن أن تعطى دفعة كبيرة للمقاومة وللنضال بشكل عام وتكون درسا للمرشدين الخونة . كانت مهمتى تتلخص فى عمل طعم للمرشد الخائن واستدراجه إلى منزل حيث يقوم أحد الرفاق بقتله . عملت ممرضة خاصة لسيدة عجوز مريضة من السفارة الفرنسية ومازلت أذكر الحجاب الأزرق الخاص بقبيلة أمى . فكنت أرتديه متظاهرة بأننى مسلمة متدينة . وكنت أتنقل دائما فى المنطقة وأنا متشحة بهذا الحجاب وكنت دائما أمر أمام المنزل الذى كان يقيم فيه هـذا الخائن . كان يخـرج دائما فى حاشيـة من اثنين أو ثلاثة من العسكريين . وفى كل مرة كان يمر فيها بالقرب منى . كنت أشعر بأنى أموت خوفا . لكننى سرعان ما تمكنت من جذب انتباهه . وذات مساء . حاول الخائن مغازلتى. وردد على مسمعى عبارات غزل جريئة . فتوقفت . والتفت نحوه . وانهلت عليه بالسباب باللهجة الإسكندرانية . وبدأ غزل من نوع جديد . فكان يتبعنى حتى البيت . ولكن كل خطوة من خطواته كانت محسوبة ومراقبة من رجال الشرطة السرية الإسرائيلية الذين كان يتبعونه وهم بدورهم كانوا مراقبين من قبل رفاقنا . وأخيرا . حل اليوم الموعود . وقبلت أن ألتقى به فى بيته .

وفى البيت كان من المفروض أن يتواجد أحد رفاقنا ؛ ولكن حدث أن الشرطة الإسرائيلية . ودون أن يبلغوا الخائن بأى شىء جتى لا يفسدوا عليه مغامرته الغرامية . كانوا قابعين فى الشقة قبل أن نصل نحن . وقاموا بقتل رفيقى . وصلت أنا والخائن . وهم مشغولون بنقل جثمان رفيقى . واضطررت إلى تمثيل مشهد المذهولة المهووسة من هول ما شاهدت . ورحت أتحرك حركات عصبية وأصرخ صراخًا حاداً . وتلبَّست أزمة بكاء هستيرى مشيرة إلى أن الحجرات الأخرى لابد وأن بها أفراد شرطة آخرين متأهبين للتدخل والتخلص منى عند أول خطوة خاطئة . كنت أرتعد مما جعله يلاطفنى بل ويعانقنى. وقبلت أن يضاجعنى. لكننى فى البداية قمت بعمل سيناريو طويل لكى أجبره على طرد أى غريب يمكن أن يكون فى البيت . متعللة بأننى لا يمكن أن أنام معه وأنا أعرف بوجود أى شخص يتجسس علينا . فقام الخائن الذى كان مصمما على امتلاكى . بطرد جميع أفراد الشرطة المختبئين فى الشقة .

وأسلمت نفسى له . وكان علىَّ أن أنتظر طلوع الفجر لكى أقتله . فكان هو ينتهز الفرصة . كنت قد حملت معى مسدسا قمت بإخفائه فى الحمام. وحينما بدأ نور الفجر. نهضت من الفراش. وبحجة قضاء الحاجة. دخلت الحمام وأخذت المسدس وألقيت نظرة فى الحديقة . كان هناك شرطى ينام فوق دكة. فأخذت وسادة ووضعت فيها

المسدس. ثم عدت إلى الفراش الذى كان ينام فيه الخائن. وأطلقت النار على رأسه . لم يتحرك كأننى أقدم له القهوة " كم ملعقة من السكر ؟ " أربع طلقات . أربع طلقات مكتومة . ثم نظرت من النافذة إلى الحديقة لأرى إذا كان الشرطى قد سمع شيئا . فوجدته ما يزال نائما .

وخرجت رابطة الجأش . اخترقت المدينة كلها سائرة على الأقدام . كانت الشرطة الإسرائيلية كلها تجوب المدينة بحثا عن امرأة بحجاب أزرق مثل المسلمات المتحجبات . بعد يومين قبضوا على امرأتين وصفتهما الصحف بأنهما "القاتلتين". وفى الحقيقة. أن هاتين المرأتين قامتا بالإبلاغ عن نفسيهما. وفى الشرطة قاموا باستجوابهما . وتبين أنهما كاذبتان . فقاموا بضربهما حتى سالت منهما الدماء . وطردوهما شر طردة . وعقَّب رئيس الشرطة قائلا: "المرأتان كلتاهما المصابتان بجنون الكذب" ولكن بعد عدة أيام . وصلت إلى الشرطة الإسرائيلية رسائل أخرى من نساء يعترفن فيها بأنهن اللائى قمن بعملية القصاص من الخائن "حافظ " وخلال شهر . كانت قد غطت مئات رسائل الاعتراف مكتب رئيس الشرطة . كانت نساء الشعب العربى بهذا العمل يردن التعاطف معى . ويعلنَّ على الملأ أنهن مستعدات لأى تضحية . أنهن متضامنات معنا . مهما كلفهن ذلك متضامنات مع الثورة . ثورتنا .

* * *

(مسئول فلسطينى ؟ صحفية أجنبية (فرنكا)

حينما ذهبت إلى بيروت . زرت أحد المسئولين الفلسطينيين . فكان هذا اللقاء.

فرنكا : كيف تعيشون الآن وقد طردوكم من المصانع التى تعملون فيها؟

فرنكا : ٣٠٠ ألف فلسطينى طردوا من أعمالهم . والباقون لا يتمكنون من الوصول إلى محلاتهم التى يعملون فيها . أكرر سؤالى : كيف تعيشون أنتم وأسركم ؟

المسئول : نحن نحاول أن نستقل عن هذا المجتمع الإسرائيلى الذى يرفضنا . نحاول أن نرفضه كما يرفضنا .

فرنكا : هم الطرف الأقوى . يستطيعون أن يستخدموا عمالا آخرين يجلبونهم من أى بلد آخر . أما أنتم . فهل يسمحون لكم بالانتقال للعمل فى أى بلد آخر ؟

المسئول : طبعا لا يسمحون لنا بذلك . وحتى إذا سمحوا بذلك . فنحن لا نريد أن نخرج من أرضنا .

فرنكا : كيف تحصلون على الطعام والشراب. وضروريات الحياة؟ كما كان يفعل آباؤنا وأجدادنا قبل الاستعمار : نزرع الأرض ونحفر الآبار .

فرنكا : Fantastique ! وهل تطيقون مثل هذه الحياة البدائية ؟

المسئول : وهل أمامنا خيار آخر ؟ كما نواجه أسلحتهم المتطورة بالحجارة . نواجه مدنيتهم بوسائلنا البدائية .

فرنكا : Fantastique ! مثل مهاتما غاندى ؟

المســئــول : كل شعب له ظروفه الخاصة ووسائله النوعية لمواجهة المستعمر . يكفى أن ينظر حوله ليكتشف هذه الوسائل .

فـــرنكا : Fantastique ! لكنهم يحرقون المزارع . ويحرمونكم من الماء .

المســئــول : نزرع غيرها . نزرع كل شبر من أرضنا . ونرويها بالعلب البلاستيك .

فـــرنكا : Fantastique ! أنا أحب هذا ! زراعة المقاومة .

المســئــول : بالضبط ! زراعة المقاومة .

فـــرنكا : جد والدى كان فلاحًا يعيش فى الريف . كنا نذهب لزيارته ونركب الحمير.

المســئــول : نحن نركب الحمير ونتنقل بها بين القرى . بعد أن فصل الإسرائيليون القرى عن بعضها . هناك طرق نسلكها لا يعرفها الإسرائيليون .

فـــرنكا : Fantastique ! أنا أحب هذا .

المســئــول : ما رأيك لو دعوناك لقضاء يوم معنا ترين فيه كيف نعيش؟

فـــرنكا : على الطبيعة !

المســئــول : نعم . على الطبيعة .

فـــرنكا : ليس عندى مانع على أن أعود قبل الظهر ؛ لأن عندى موعداً آخر لمقابلة أخرى .

المســئــول : إذن . هيا بنا !

إظــــلام

{ المسئول الفلسطينى وفرنكا يجلسان على الأرض أمام الطعام امرأة فلسطينية ترفع ما بقى من الطعام }

المسـئول : أنت لم تأكلى شيئا . طعامنا لم يعجبك إذن ؟

فـرنكا : بالعكس . لقد أكلت كما لم آكل فى حياتى . طعامكم جميل جدا . لذيذ جدا .

المسـئول : هذا هو الطعام الذى نعيش عليه. وكله من إنتاج الأرض. أرضنا .

فـرنكا : أنا أريد أن أسجل كل ما أكلته من إنتاج أرضكم .

[تمسك قلما ودفترًا وتكتب]

أولا . أنا شربت لبنًا طازجًا لذيذًا . هذا من إنتاجكم أيضا ؟

المسـئول : نعم . فنحن نربى الأغنام فى مزرعة خلف الدار . تمدنا باللحوم واللبن وتعطينا أيضا سمادًا للأرض .

فـرنكا : ثم أكلت مجموعة من الخضراوات الطازجة اللذيذة طبعا . كلها من إنتاج الأرض **[تسجل ما تقول]**

المسـئول : والفاكهة أيضا من إنتاجها .

فـرنكا : نعم . أكلت ثلاثة أنواع من الفاكهة اللذيذة . البطيخ كان رائعا !

المسـئول : هل تعرفين قصة هذا البطيخ ؟ نحن لا نزرعه للأكل فقط ولكنه سلاح من أسلحة المقاومة .

فـرنكا : تضربون به الجنود الإسرائيليين مثل الحجارة ؟

المسئول : لا . هذا البطيخ نستفز به الجنود . حينما نشق البطيخة الحمراء نصفين ونرفعها . تبدو كأنها العلم الفلسطينى .

[تسمع أصوات صفير آتية من أعلى الدار]

هذا الصفير أيضا سلاح آخر من أسلحة المقاومة .

فرنكا : الصفير ؟

المسئول : هذا صفير الأطفال الذين كانوا يأكلون معنا . ثم صعدوا إلى السطح . إنهم يتدربون على الصفير الذى يستخدمونه كإشارات ومعلومات يبلغونها لأطفال الحجارة حينما تداهمهم الشرطة .

فرنكا : يعنى وسيلة إنذار مبكر ؟

المسئول : بالضبط . وسيلة إنذار مبكر .

فرنكا : ومكبرات الصوت هذه ؟ **[يسمع بعض مكبرات الصوت]**

المسئول : هذه نستعملها فى إذاعة بعض البيانات المهمة . كما نستعملها فى إذاعة الأغانى الشعبية والوطنية التى نستفز بها الجنود فيفقدون أعصابهم عند سماعها . وهذه الإطارات ...

فرنكا : نعم. هذه الإطارات أعرفها. أشاهدها دائما فى التلفزيون وهى مشتعلة ؟

المسئول : كل هذه وسائل احتجاج . كما نستعملها أيضا فى تعطيل تقدم الجنود حينما يهاجمون قرانا .

إظلام

فرنكا : وفى قسم الشرطة ؟ أكمل يا محمد . ماذا حدث معك ؟

{ فى قسم الشرطة – ضابط – طفل – جندى }

[الضابط يسأل والطفل لا يجيب]

الضـــــابط : من أعطاك هذه المنشورات ؟ لا تتكلم ؟

الـطـفـل : ...

الضـــــابط : ألا تريد أن تعود إلى بيتك وأهلك ؟

الـطـفـل : ...

الضـــــابط : أخبرنى وأنا أتركك تعود إلى أهلك .

الـطـفـل : ...

الضـــــابط : لا تتكلم ؟

الـطـفـل : ...

الضـــــابط : وماذا كنت تفعل فى الغابة فى أثناء الليل ؟

الـطـفـل : ...

الضـــــابط : شاهدك بعض المستوطنين وأنت تدخل الغابة ومعك إطار سيارة . ثم خرجت من الغابة . وبعد قليل اشتعلت النيران فى الغابة . مذنب أم غير مذنب ؟

الـطـفـل : ...

الضـــــابط : خذوه ! **[يشير إلى أحد الجنود]**

الغابات التى أمضينا عشرات السنين فى زراعتها يحرقونها فى لحظات .

إظـلام

فـــــرنكا : والآن يا محمد . احك لنا حكاية الكاتب الإسرائيلى أ.ب. يهوشع .
اقرأ لنا يا محمد ما كتبه فى صحيفة "يديعوت أحرونوت"

مـــحـــمـــد : أيها المستوطنون الإسرائيليون فى غزة والضفة الغربية !
لماذا أصررتم على الانتقال من المدن التى كنتم تعيشون فيها فى أمان واطمئنان ؟ **(الجليل والنقب لا تناسبكم ؟)**
لماذا العناد الذى جعلكم تتركون بيوتكم الأصلية فى إسرائيل وتزرعون أنفسكم وسط السكان الفلسطينيين ؟
لماذا تصميمكم على مصادرة أراضيهم واقتلاع أشجارهم. وهدم بيوتكم . لتقيموا مكانها مستعمراتكم ؟
لماذا هذا التحدى المدمر الذى جعلكم تلقون بأنفسكم إلى التهلكة . وسط الفدائيين الفلسطينيين الذين يواجهون الموت بصدور مفتوحة . بل ورغبة فى الموت . أو بمعنى أصح فى الشهادة . دفاعا عن أرواحهم . وأعراضهم . ومقدساتهم . ورغبة فى إسقاط أكبر عدد ممكن منكم . لأنكم تمثلون بالنسبة لهم الظلم والقهر والاغتصاب ؟
أنا أجيب عن هذه الأسئلة بدلا منكم .
لقد استمعتم بكل بلاهة إلى صيحات المتطرفين المجانين.
لقد استجبتم بكل سذاجة إلى فتاوى الحاخامات المهووسين .

فـــــرنكا : وفى قسم الشرطة . ماذا حدث مع الكاتب الإسرائيلى يا محمد ؟

{ فى قسم الشرطة - الضابط - الكاتب الإسرائيلى يهوشع }

الضابط : هذا كلامك يا أستاذ يهوشع الذى نشرته فى صحيفة يديعوت أحرونوت يوم الأحد الماضى ؟

يهوشع : نعم .

الضابط : أنت معترف إذن ؟

يهوشع : نعم معترف .

الضابط : هل يليق بكاتب إسرائيلى أن يقول مثل هذا الكلام .

يهوشع : أولا أنا أقول الحقيقة . ثانيا نحن من المفروض فى دولة ديمقراطية تحمى حرية التعبير .

الضابط : ولكن الظروف التى تمر بها إسرائيل تحتم أن نقف جميعا صفا واحداً ضد أعدائنا .

يهوشع : هل تريدنى أن أكذب على المواطنين ؟ أن أضللهم ؟

الضابط : لا تكذب ولا تضلل . ولكن ؟

يهوشع : ولكن ماذا ؟ أجامل وأجمل ، المستوطنون يعرفون الحقيقة أكثر منى ومنك لأنهم يعيشونها . هم يحتاجون فقط لمن يبصرهم بخطورة هذه الحقيقة . لمن يعيد إليهم عقولهم قبل أن يفوت الأوان .

الضابط : ألا ترى فى ذلك إثارة للمستوطنين ضد المسئولين ؟

يهوشع : بل هو تحذير لهم من مواطن يحبهم ويرجو لهم العيش فى أمان وسلام . هل تعرف يا سيدى كيف يعيش المستوطنون الآن ؟ هل هذه هى الحياة التى كانوا

يتمنونها حينما جاءوا إلى هذه البلاد ؟ لماذا نقلتموهم من المدن التى كانوا يعيشون فيها فى سلام ؟ لماذا ألقيتم بهم وسط الفلسطينيين ليهدموا منازلهم ويقيموا مكانها مستوطنات لهم . مستوطنات لا يسكنها أحد . لاف المساكن خالية . هل ضاقت بهم المدن التى كانوا يعيشون فيها ؟

الضـــابط : هذه سياسة أمنية تقوم بها الدولة .

يهـــوشع : سياسة أمنية تزرع الإسرائيليين داخل الجسد الفلسطينى . الجسد الملتهب الذى يرفضهم .

الضـــابط : هذه سياسة الأمر الواقع .

يهـــوشع : يا سيدى . أنتم تسبحون ضد التيار . ضد العقل . ضد المنطق . ضد حركة التاريخ .

الضـــابط : حركة التاريخ ؟

يهـــوشع : نعم حركة التاريخ التى لم يستطيع أن يوقفها من هم أشد منكم قوة .

الضـــابط : عم تتحدث يا أستاذ ؟

يهـــوشع : أتحدث عن حركة التاريخ التى تقول : لن تستطيع قوة واحدة فى التاريخ أن تستمر إلى مالا نهاية فى قهر شعب من الشعوب .

الضـــابط : نحن نستطيع هذا .

يهـــوشع : أنت واهم يا سيدى . إن أصحاب الأرض يتمكنون دائما فى النهاية من تحرير أرضهم وإخراج الغاصب .

الضـــابط : أنت متشائم يا أستاذ . أنت كاتب متشائم .

يهـــوشع : بل أنا واقعى . أنا أستطيع أن أذكر لك عشرات الأمثلة من التاريخ . ولماذا أذهب بعيدا : فرعون . هل تذكر فرعون ؟ الذى كان يذبح أبناءكم . الذى كان يتحدى الأنبياء ويتحدى الإله . ماذا كان مصيره ؟

الضـــابط : كان عدونا فانتصرنا عليه وتحررنا منه . لأننا شعب الله المختار . الله ينصرنا دائما .

يهـــوشع : حينما نكون على حق . كنا أصحاب حق . وكان فرعون على باطل . يعاكس حركة التاريخ . فغرق فى البحر وهلك هو وجنوده . وأنا لا أريد الهـــلاك لكم ولجنودكم من المستوطنين .

الضـــابط : قلت لك إنك متشائم . وكلامك هذا ينشر الفزع والرعب بين المستوطنين .

يهـــوشع : المستوطنون يعيشون فعلا فى فزع ورعب . ليس بسبب كلامى . ولكن بسبب سياسة التعنت والاستفزاز التى تمارسونها ضد الفلسطينيين . المستوطنون الآن لا يخرجون من المستوطنات .

الضـــابط : ولماذا لا يخرجون وعندهم كل أسباب الحياة ؟

يهـــوشع : بل قل كل أسباب الموت . وبيوتهم فى الحقيقة ما هى إلا زنزانات أو مقابر فاخرة . حتى النوافذ يخافون أن ينظروا منها . فالستائر دائما مسدلة حتى لا يراهم الفلسطينيون .

الضـــابط : لا تبالغ يا أستاذ . هم يخرجون ، وأبناؤهم يذهبون إلى المدارس .

يهـــوشع : يذهبون إلى الزنزانات المغلقة . هل تعرف فى أى حالة من الفزع يقطعون رحلة الذهاب والعودة . إذا تعطل المرور لأى سبب أو حدث أى شىء غير طبيعى . تراهم ينبطحون على أرض الحافلة تحسبا للخطر . حينما تضطر حافلة المستوطنين للمرور بجوار مخيم " عاناتا " تسرع بجنون لتتحاشى الحجارة والصدام مع الفلسطينيين . هل هذه هى الحياة التى تركوا من أجلها المدن التى كانوا يعيشون فيها ؟

الضـــابط : ماذا تريد يا أستاذ ؟ هذه مرحلة انتقالية . ثم نحن نعيش وسط أعداء شرسين .

يهـــوشع : نحن الذين جعلناهم أعداء . وجعلناهم بهذه الشراسة . إن المستقبل المظلم جعل المستوطنين لا يفكرون فى إنجاب أطفال . وأهملوا كل إصلاحات فى بيوتهم . وتوقفوا عن الزراعة . فلمن يصلحون ؟ ولمن يزرعون ؟

الضـــابط : وموضوع الكاتب المسرحى داريوفو ؟

يهـــوشع : هذا صديق إيطالى قديم . التقينا فى إيطاليا كثيرا . وحضرنا معا الكثير من الندوات والمؤتمرات .

الضـــابط : هل هذا مبرر لكى تتعاون معه فى تنظيم عرض مسرحى عن الفدائيين ؟

يهـــوشع : أنا لم أتعاون معه . كل ما هناك أننا التقينا مرتين .

الضـــابط : واستقبلته فى بيتك . وأنت تعرف أنه يلتقى بالفدائيين . ويجتمع بهم ويزورهم فى معسكرات التدريب .

يهـــوشع : هذا عمل فنى ؟

الضـــابط : وسياسى . كيف تتعاون مع هذا الكاتب الشيوعى الذى يعلن عداءه لإسرائيل وللسامية ؟

يهـــوشع : هذا كاتب ورجل مسرح عالمى. حاصل على جائزة نوبل .

الضـــابط : هذه هى المشكلة . معنى ذلك أن ما يقوله عنا يسمع فى كل مكان . إنه يتهمنا بأننا قتلة وأعداء للديمقراطية .

يهـــوشع : إذن أنتم تراقبون حركاتى . وتعدون علىَّ خطواتى .

الضـــابط : هذا لمصلحتك . ولحمايتك .

يهـــوشع : حمايتى ؟

الضـــابط : نعم . ولحمايتك أيضا نمنعك من السفر .

يهـــوشع : هذا كثير .

الضـــابط : تريد أن تسافر إلى إيطاليا لتحضر عرض صديقك داريوفو عن الفدائيين .

يهـــوشع : نعم ، ويجب أن أكون فى المطار بعد ثلاث ساعات .

الضـــابط : نحن نحميك يا أستاذ . لدينا معلومات تقول إن المستوطنين سيمنعون سفرك حتى لو اقتضى الأمر ؟

يهـــوشع : ماذا ؟

الضـــابط : حتى لو اقتضى الأمر تفخيخ سيارتك .

يهـــوشع : هذا تهديد لا أقبله .

الضـــابط : سيارتك مفخخة فعلا يا أستاذ .

يهـــــوشع : يمكن أن أذهب إلى المطار بسيارة أجرة .

الضـــابط : لن يسمحوا لك يا أستاذ . أنت معنا فى أمان .

يهـــــوشع : يعنى لن أستطيع حضور العرض ؟

الضـــابط : من حسن حظك !

يهـــــوشع : من حسن حظى ؟

الضـــابط : نعم . الموضوع خرج من أيدينا . الموساد ناوى يتدخل .

الامتحانات لا تنتهى أبدا

كوميديا فى ثلاثة فصول وبرولوج

تأليف : إدواردو دى فيليبو

(الجائزة العالمية " أنطونيو غيلترينيللى " ١٩٧٢)

إدواردو دى فيليبو

ولد فى ٢٤ مايو ١٩٠٠ ، فى مدينة نابولى ، من أسرة متواضعة . ممثل ومخرج وكاتب . يذكرنا بموليير فرنسا ، وريحانى مصر .

بدأ التمثيل وهو فى سن الرابعة ، ولم ينقطع عنه حتى آخر حياته حيث قام بدور البطولة فى المسرحية التى نترجمها له والتى هى آخر أعماله . عمل فى فرقة إدواردو سكاربيتا الشعبية الشهيرة ، منذ عام ١٩٠٩ . هو وأخوه وأخته ، بدأ مرحلة التأليف بكتابة بعض المونولوجات التى كان يلقيها بنفسه . ثم كتب بعض الإسكتشات التى ينتقد فيها المجتمع .

كتب أولى مسرحياته بين ١٩٢٣ و ١٩٢٤ بعنوان "قولوا له دائما نعم" ثم مسرحية "من أسعد منى حظا" ؟ لكنه لم ينجح فى عرضهما .

كتب عام ١٩٣٠ مسرحية " الحاوى "

التقى بالكاتب الإيطالى الأشهر بيراندللو عام ١٩٣٣ . وتوطدت بينهما الصداقة ، وقام دى فيليبو بأداء بعض الأدوار فى بعض مسرحيات بيرندللو . كما اشتركا معًا فى كتابة مسرحية بعنوان "الثوب الجديد" .

كتب دى فيليبو المسرحيات التالية :

عيد الميلاد فى بيت كومبييللو (١٩٣١) ، واحد شعره أبيض (١٩٣٨) ، لن أدفع لك (١٩٤٠) ، أنا الوارث (١٩٤١) ، نابولى مليونيرة (١٩٤٥) ، فيلومينا مارنورانو (١٩٤٦) ، الأشباح (١٩٤٦) ، الكذب أبو أرجل طويلة (١٩٤٧) ، أصوات الأعماق (١٩٤٨) ، السحر الكبير (١٩٤٩) ، الخوف رقم ١(١٩٥٠) ، عائلتى (١٩٥٥) ، حبيبى، قلبى (١٩٥٥) ، دى بريتورى فنشنسو (١٩٥٦) ، ابن بولتشينيللا (١٩٥٧) ، السبت الأحد الاثنين (١٩٥٩) ، عمدة حى سانيتا (١٩٦٠) ، العَقْد (١٩٦٧) ، الأثر (١٩٧٠) ، الامتحانات لا نتهى أبدا (١٩٧٣) .

ويلخص إدواردو أعماله وهو فى ذلك يعبِّر عن طبيعة العمل الفنى وبواعثه فيقول :

"الدافع عندى هو الصراع بين الفرد والمجتمع. كل عمل فنى ينطلق من انفعال معين ، من رد فعل معين ضد الظلم ، هو تعرية لنفاقى الشخصى ونفاق الآخرين، هو تضامن مع إنسان أو مجموعة من البشر، هو ثورة على القوانين البالية المجافية للعصر ، هو فزع أمام أحداث تزلزل الحياة والشعوب كالحرب ... "

* * *

الشخصيات بترتيب ظهورها على خشبة المسرح

جوليلمو سبيرانسا

فوريو لاسبينا

جرسون

أتيليو

أوجوستينو

كوراّدو

الطالب الأول

الطالب الثانى

الطالب الثالث

المغنية

أمنيريس

جيليولا

ستانيسلاو

جيرولامو

لاودوميا

بيتشوكا

كوكوروللو

بوناريا

تيريزا

فيتّورينا

فورتوناتو

فيليتشى

روزا

جاتشينتو كياراستيللا

الخادمة

فالينتينو

سامبييرو

الأستاذ أسود

الأستاذ أحمر

الأستاذ أبيض

الكونتيسة

دون تشيكوتسا

المتأخر الأول

المتأخر الثانى

جمهور

البرولوج

[قاعة المسرح مظلمة ، ترتفع الستارة الأمامية بينما حزمة من الضوء الأبيض تغمر مركز ستارة خلفية من القطيفة السوداء]

[فى حركة سريعة ، وتمكن من أسرار المهنة ، يتقدم جولييلمو سبيرانسا إلى الجمهور ، فارجا الستارة السوداء وهو يقترب من مقدمة المنصة . يرتدى حُلة صباحية عادية جدا ، ويحمل فى يده اليسرى ثلاث لحى صناعية: سوداء ورمادية وبيضاء . من تلك اللحى التى كان المشخصون فى الماضى يثبتونها على وجوههم بواسطة أشرطة من المطاط وخيوط متينة وردية اللون . بعد أداء انحناءة التحية ، يخلع الممثل بكل احترام غطاء رأسه الطلابى المصنوع من ورق الجرائد ، ويبدأ فى إلقاء كلمة التقديم]

جولييلمو : أيها الجمهور الكريم، سيداتى سادتى: إن بطل المسرحية التى ستشاهدونها هذا المساء اسمه جولييلمو سبيرانسا . أرجو ألا تندهشوا إذا رأيتم هذه الشخصية ، التى سأقوم

أنا نفسى بأداء دورها من الشباب حتى الشيخوخة، أقول أرجو ألا تندهشوا إذا رأيتم هذه الشخصية لا تغيِّر ثيابها : فهى لا تستطيع بل يجب ألا تفعل ذلك . وقد سألت الكاتب في ذلك فأجابنى قائلا: "إن بطل هذه المسرحية ليس نموذجا معينا، بل هو نموذج لنا جميعا ، بطل تتميز حياته بما تتميز به حياتنا نحن من ملامح إيجابية وسلبية ، لذلك فمن المستحيل العثور على ثياب تعكس شخصيته المركبة" ثم أردف قائلا: "إن الشخصية تعبر عن نفسها بأفكارها وأقوالها لا بما ترتدى من ثياب". ولما كان من رأى الكاتب أن يعفيكم من ظهور شخصية المعلق على الأحداث، فإننى من آن لآخر، سآتى إلى هنا ، خلال مجرى الأحداث ، وأثرثر معكم قليلا حتى تتمكنوا من الاطلاع على آراء جولييلمو سبيرانسا فيما وقع من أحداث، وتوقعاته بالنسبة لما سيقع منها، وذلك بلسانه. وبعبارة أخرى، ستكونون أنتم موضع سره.

جولييلمو سبيرانا ترك الجامعة لأنه تخرج . ولا ندرى الكلية التى كان قد اختارها : وكما ترون فإن غطاء رأسه معمول من ورق الجرائد . وتبدأ أحداث المسرحية خلال الفترة ١٩٢٢- ١٩٢٣ . ومغنية الشارع ... **[يرجع خطوة إلى الخلف ويرفع الستارة عند منتصفها لتتقدم المغنية حاملة الجيتار]** ... هاهى ذى . ستسمعكم من آن لآخر الأغنيات التى كانت ذائعة الصيت فى ذلك العصر .

أمـا هذه اللحى الثـلاث فـهى تمثل مـراحل العـمـر : السـوداء للشـبـاب والرمـاديـة للرجـولة ، والبـيـضـاء للشـيخـوخة . **[يلصق على وجهه اللحية السوداء]** هـأنذا فى العـشـرين من عـمـرى مـتـخـرج لتوى فى الجـامـعـة ، وأعـيـش فى ذلك العـصـر الذى يتـذكـره بعضنا بنوع من الحنين ، عصر الرومانسية وأغنية " ودع شبابك " .

[تغنى بمصاحبة الجيتار]

المغنيـــــة : زوى الجمال (مع الشباب ولن يعود) راح الجمال

والشباب لن يعود   ويّا الشباب

والعمر الذى ولى بلا حبيب   وعمرى اللى راح من غير

لن يعود   حبيب مش راح يعود...

[تخرج]

... حينما كان الطلبة لا يزالون يغنون ...

جـوليـيلمـو : **[من الداخل ومن بعيد ، تسمع أصوات الطلبة]**

[من الداخل] عـاشت نابولى ، مـدينة النسـاء الجـميلات .

الطلبـــــة : نحن الأعمدة ، نحن

أعمدة الجامعات .

فى هـذه اللحظة تفـتح السـتـارة القطيـفـة عن " شـارع مقـابلات المصـادفة " . فى هذه الأثناء تكون " الشلة " قد لمحت جولييلمو سبيرانسا . يكفون عن الغناء ليلتفوا حوله ويحـتـفلوا به . كـان أول من لمحـه ودل الآخـرين عليـه هو فوريو لاسبينا .

فـــــــوريو : **[من الداخل]** هاهو ذا هناك ، هناك ! جولييلمو !

الطلبـــــة : **[من الداخل]** جولييلمو !

فـــــــوريو : **[من الداخل]** وصلنا ! تعال !

أتيليـــــو : **[من الداخل]** لم يتخلف أحد عن الدعوة .

جـوليـيلمـو : تعالوا ، أيها الأصدقاء ، تعالوا !

أوجوستينو : حفلة كبيرة !

كـــــورّادو : شراب مثلج كما نريد .

[الطلبة وعلى رأسهم فوريو ونادل المشرب الذى يحمل ثلاث زجاجات من الشراب ، يغزون المنصة ويحيطون بجولييلمو]

كـــــورّادو : فى صحة جولييلمو الذى تخرَّج وحصل على درجة الامتياز يا... يا...

الجـــميـع : ألا لا !

أتيليـــــو : فى صحة الجميع .

فـــــــوريو : مهلا. **[وفجأة يتقمص شخصية علامة فى الطب ، ويأخذ فى الكشف على جسم جولييلمو فى ريبة وتشكك]** إن نظرات زميلنا جولييلمو الذاهلة الجامدة ، بل والفزعة ، تجعلنا نتصور، أيها الزملاء الأجلاء، أن الرهبة التى تملكته فى حضرة أعضاء لجنة الامتحان ، عظم الله قدرهم ...

الجـــميـع : آمين !

فـــــــوريو : وأنا أضيف " ورفع قدرهم ". أقول إن الرهبة زلزلت أوصاله لدرجة أنه أصيب ليس فقط بالهبوط فى قدراته

النفسية بل وبشلل نصفى مفاجئ فى الوجه أدى إلى قصور فى الكلام وفى البلع سواء بسواء. الطبيب المعالج؟

أوجوستينو : أنا ، البروفيسور الشهير : طبيب أول مستشفى " على كيفكم يا حبيْبى " متخصص فى الأمراض الباطنية والظاهرية ، وبصفة عامة أمراض القلوب وقصريات الليل والنهار . فالينتينو ، فالينتسّيمو ، تحت أمرك .

فوريو : **[فى لوعة]** أفراد أسرته ؟

أتيليو : **[وقد غطى رأسه بمنديل عقده تحت ذقنه]** ليس هناك غيرى ، يا بروفيسور ، أنا أمه . أبوه مات من الخوف بمجرد أن حملته إليه المولدة . نحن من أسرة متواضعة ، لكن عندنا نقوداً ونقوداً كثيرة . وأنا على استعداد لخلع أقراطى من أذنى لإنقاذ الإنسان الذى حل فى بيتنا ودخل فى أحشائى دون أن يدعوه أحد ، ودون أن يدفع إيجارا.

فوريو : أقارب آخرون ؟

أتيليو : **[مشيرا إلى كوراّدو]** هناك أخوه البكر ولكنه ذكى جدا ، فقد أدرك أن موت أخيه مصلحة له ، فسوف يستطيع على المائدة أن يأكل ضعف ما يأكله الآن .

فوريو : هل عمل تحاليل ؟

أوجوستينو : طبعا .

فوريو : أريد أن أطلع عليها .

أوجوستينو : تفضل [**وهو يقدم لفوريو بعض الأوراق الممزقة**] اختبار الوازرمان ، تحليل البول ، نسبة السكر فى الدم ، تنترج الدم فى الجسم .

فوريو : والبصاق ؟

أوجوستينو : فى وجهك يا بروفيسور ، تحليل البصاق ... [**بعد لحظة مشيرا إلى الورقة التى يطالعها فوريو**]

فوريو : نعم ، طبعا ، فهمت .

أوجوستينو : وبالنسبة لتطورات المرض ؟
ما رأيك ؟ ماذا نقول للأم ؟

فوريو : [**لجوليليمو:**] أخرج لسانك [**الطلبة يرغمون جوليليمو على الانحناء ليرى فوريو مؤخرته ، بعد ذلك يقوم أحدهم بإدخال يده بين ساقى " المريض " ثم يخرجها على هيئة لسان ضخم يتحرك**] الترمومتر !
[**يقوم أحدهم بوضع مكنسة تحت إبط جوليليمو**] حرارة المريض حرارة رجل بالغ [**كأنه يراقب صعود الزئبق فى المكنسة**] يصعد ...

الجميع : يصعد .

فوريو : يصعد .

الجميع يصعد .

فوريو : الترمومتر ينفجر! انزعوه [**فى حزن وتأثر للأم المزيفة**] سيدتى ...
اطمئنى! نعم ، نعم ، يا بروفيسور .

أتيليـــــو : الحمد لله !

فـــــوريو : الموضوع يتعلق بحساسية مفرطة فى القلب . موجات البيسكومبولاتيزمو المعدى ، وانحرافات من الفرينيكولوجيا ستاتيكا ، وتمزق فى جواستابوليو فارما كولوجيكو والبسيكو كاكيتيكو. والتهاب شديد فى الأمعاء. ولقد قام الزميل المعالج بجميع أنواع العلاجات التى يسمح بها الطب الحديث . والآن الأمر بيد المريض المريض هو الذى يجب أن يتصرف **[يتحرك]** والطبيعة يمكن أن تُحدث أى معجزة .

["الأطباء" يتصافحون مهنئين]

كـــــورّادو : **[رافعا فى الهواء كأسا]** فى صحة الشهادة التى انتزعتها أسنان جوليلمو سبيرانسا انتزاعا ، إيا ، إيا ، إيا ...

الجـــمــيع : ألا لا ، ألا لا ، ألا لا ! **[وهم يشربون ويوزعون الكئوس]**

فـــــوريو : أنا فى منتهى التأثر. أنت تعرف صراحتى يا جوليلمو. عناق أخوى **[يتعانقان]** كنا معا فى الابتدائى ، وفى الثانوى ، وفى الجامعة . قضينا معا أجمل ساعات صبانا . كنت أكثر حظا منى مع البنات وفى الدراسة ، أما أنا ، فدائما راسب وغارق فى ملحق أو فى دور ثان . وأقسم لك أننى غير حاقد عليك . وأعلنها هنا بصراحة أمام جميع الزملاء ، إننى سأكون لك كالملاك الحارس ، مستعدا لبذل حياته فى سبيل صديقه الحميم جوليلمو

سبيرانسا **[يلى ذلك تصفيق تأييد طويل : " يغيش فوريو لاسبينا "]** الكلمة الآن لجوليلمو .

[هتافات صاخبة وتصفيق طويل]

جوليلمو : أصدقائى الأعزاء ، رفاق الدراسة . إن زمن خلو البال واللامسئولية حتى سن العشرين انتهى على الأقل بالنسبة لى. فبمجرد الحصول على الشهادة التى ننتزعها بأسناننا كما قال كورادو ، يحدث فى داخلنا وفى أقل من ثانية نوع من التحول والتغيير . ودون وعى أو إرادة ، نشعر بمعنى المسئولية طاغيا عنيفا. ونتذكر أقوال الوالدين : " يا ابنى ، سأضحى بكل شىء لكى تدخل الجامعة . وتذكر أنك دون " قطعة الورق " لن تكون فى نظر المجتمع أكثر من يد مكنسة " . إننى وقد أصبحت الشهادة فى يدى - لا أدرى لماذا يسمى أبى الشهادة قطعة ورق . آه ! - أقول إننى وقد أصبحت الشهادة فى يدى أشعر بمعنى المسئولية والالتزام والصراع . سأتزوج حالا . فقد وعدت حبيبتى ...

الجميع : تعيش جيليولا !

جوليلمو : شكرا . وعدتها بأننى سأطلب يدها بمجرد تخرجى . واليوم بالذات سأتحدث مع أهلها .

الجميع : يعيش العروسان !

جوليلمو : أيها الأصدقاء ، انتهت الامتحانات . لن أؤدى امتحانات بعد اليوم ! انتهت الامتحانات !

الجـــمـــيع : يعيش جوليلمو سبيرانسا .

جـوليـيلمـو : أحييكم ، أيها الأصدقاء .

فـــــوريو : نذهب معا .

جـوليـيلمـو : لا . أنا ذاهب إلى أهل حبيبتى .

الجـــمـــيع : مبروك .

جـوليـيلمـو : شكرا . وشكرا على المشروب .

فـــــوريو : لا ، المشروب ستدفع أنت ثمنه .

جـوليـيلمـو : **[للنادل]** ضعه على الحساب . **[للأصدقاء]** أشكركم مرة أخرى . أنا ذاهب **[يخرج بسرعة]**

الـــنـــادل : حساب النبيذ !

فـــــوريو : فيما بعد. سنعود لندفع لك شخصيا . سنبحث عنك. انتظرنا عند النافورة .

الـــنـــادل : أية نافورة ؟

فـــــوريو : النافورة المريضة .

الـــنـــادل : النافورة المريضة ؟

كـــــوراتو : رخويات البحار الحارة . ألم تقرأ كتاب بالاتسيكى ؟

فـــــوريو : تمشى على طول وسوف تسمع نداء النافورة المريضة : بليف ، بلاف .

الـــنـــادل : كيف ؟

فـــــوريو : **[مع جميع الطلبة]** بلاف ، بليف ، بلوف... بلاف ، بلاف ، بليف ، بليف، بليف ...

[يخرجون بينما الستارة الداخلية تنزل وراءهم]



الفصل الأول

[رويدا رويدا ، يبتعد ضجيج الطلبة الرتيب ، بينما تصل إلى الأسماع - من الداخل - بدايات ترانيم الجيتار وصوت المغنية . والأغنية ، وهي من الأغاني التي كانت ذائعة الصيت عام ١٩٢٢ - ١٩٢٣ ، تبدأ قبل أن تختفي تماما الأصوات الجماعية للطلبة . الفتاة تدخل من الجهة المقابلة لتلك التي خرج منها الطلبة ، وتجتاز المنصة وتخرج بدورها . وما إن تختفي المغنية ، حتى يظهر من أحد الكالوسين ، جوليلمو سبيرانسا الذي يجتاز المنصة في خطى وئيدة . يحمل في يده اليمنى باقة من الزهور الحمراء . وتتدلى من إبهام يده اليسرى علبة حلوى ، ومن رقبته تتدلى الشهادة التي حصل عليها .

وحينما يخرج جوليلمو من الجانب المضاد للذي دخل منه، تفتح الستارة الداخلية عن صالون أسرة فورتيتسا . جو بهيج معتم قليلا ، أثاث متين رصين ، مثال الأثاث الخاص ببرجوازية ذلك العصر - يلاحظ على أفراد الأسرة نوع من الارتباك . فهذا السيد جيرولامو ينظر

فى ساعته وينفخ ؛ أما ستانيسلاو فيذرع الصالون ذهابا وإيابا وهو سارح الفكر . وأما السيدة أمنيريس فتحرك المروحة طلبا للهواء ، ومن آن لآخر تحاول تنظيم ما قد يختل من نظام شعر ابنتها جيليولا التى لا نستطيع حتى الآن أن نستبين موقفها بالضبط ، هل هى جادة أم تلعب على والديها . من الداخل ، يأتى رنين الجرس الكهربائى فيلفت انتباه أفراد الأسرة والخادمة " لاودوميا " التى تسرع إلى الباب بعد لحظة من الحيرة . يجلس أفراد الأسرة جميعا مرة واحدة متخذين الهيئة التى تمليها القواعد والأصول فى ذلك العصر . بعد لحظة طويلة ، الخادمة تعود وتعلن :]

لاودوميا : السيد جوليلمو سبيرانسا

جيرولامو : ليدخل !

[لاودوميا تخرج]

لاودوميا : [تعود وتدعو جوليلمو للدخول] تفضل ، يا سيدى .

[يدخل الشاب جوليلمو سبيرانسا وينحنى نصف انحناءة غشيمة ، تبدأ مراسم التعرف بتمتمة العبارات المناسبة لهذا الظرف ، ولكن مع مراعاة جدية السبب الذى أدى إلى هذا اللقاء ، وتقاليد ذلك العصر . باقة الزهور للسيدة أمنيريس ... وعلبة الشيكولاته لجيليولا ... وأخيرا يخاطب جيرولامو الخادمة بلهجة تتسم بالتسلط اللطيف]

جيرولامو : لاودوميا !

لاودوميا : سمعا وطاعة يا سيدى !

جيرولامو : كرسيا للسيد ودعينا وحدنا .

لاودوميا : حالا ! [وتقدم الكرسى لجوليلمو]

جيرولامو : انتظرى !

لاودوميا : أمر سيدى !

جيرولامو : أمنيريس ؟

أمنيريس : جيرو ؟ **[جيرولامو يميل على زوجته ويتمتم بعبارات غير مفهومة . أمنيريس بعد أن سمعت]** حاضر **[توجه الخطاب إلى الخادمة]** لاودوميا ، الحلوى والبسكويت .

لاودوميا : حالا ، يا سيدتى **[تخرج]**

جيرولامو : **[لجوليلمو]** الآن وقد تعرفت على أهل جيليولا ، وأيضا صهرى ستانيسلاو بوريللى ...

ستانيسلاو : طبيب أمراض باطنية .

جيرولامو : أقول: الآن يسعدنا أن نعرف سيادتك أكثر... بل، قبل كل شيء، نحب أن نعرف كيف ومتى وأين عرفت ابنتنا جيليولا.

[لاودوميا تعود حاملة صينية عليها أكواب وزجاجة شراب والبسكوت ، جيليولا تسرع بتقديم الشراب والبسكوت . الكأس الأولى تقدمها لوالدها والثانية لخالها . فى تلك الأثناء ، تنصرف السيدة أمنيريس إلى الاهتمام بجوليلمو ، والآن هاهى ذى مستعدة لتتلقى من يدى جيليولا البسكوت والشراب]

جـيليـولا : أنا سآكل بسكوتة واحدة فقط .

أمنيــريس : **[لجوليلمو]** ابنتى ملتزمة بالريجيم .

[يبدأ الحاضرون المحادثة وهم يحتسون الشـراب الممتاز ويقضمون البسكوت]

جـيـرولامـو : إذن ، كيف تم التعارف ؟

جـوليـيلمـو : الحقيقة إننى لا أعرف ...

جـيـرولامـو : لا تعرف كيف عرفت ابنتى !

جـوليـيلمـو : لا أعرف إذا كانت الآنسة جيليولا تسمح لى بذلك أم لا .

أمنيــريس : ومـا الضـرر ؟ أنا على علـم بذلك ، لأن ابنتى حكت لى فورا ما حدث وما لم يحدث .

ستـانيسلاو : أنا أيضا أعرف الموضوع ، فقد حكته لى أختى .

جـيـرولامـو : الوحيد الذى لا يعرف شيئا هو أنا .

ستـانيسلاو : نعم ... موضوع الأزرار .

جـيليـولا : كلا : الزرار .

جـيـرولامـو : أى زرار ؟

أمنيــريس : لم أخبـرك بأى شـىء يا جيـرولامو ، لأن جيليـولا لم تكن تريد أن تخبـرك بالموضـوع خوفـا من أن تعنفـهـا . ولكن الآن سـتـحكى لك هـى كل شىء بنفسـهـا ، وسـتـرى أن الموضـوع لا تشوبه أية شائبة ، بل ستفخر بذكاء ابنتك وحسن تصرفها ، وستعجب بشجاعة السيد جوليلمو سبيرانسا . جيليولا ، احكى الموضوع لبابا .

جـــيليـــولا : إذا حكى هو **(تشير إلى جوليلمو)** البداية ، أحكى أنا النهاية .

جـوليـيلمـو : كنت أنزل كل يوم من شارع ميـتزو كانونى فى طريقى إلى الجامعة . وفى منتصف الطريق ، لفت انتباهى شرفة صغيرة بالدور الأرضى فى هذا المنزل، مليئة بأصص الزهور من كل نوع . ففكرت فى نفسى قائلا : " ترى من الذى يقوم برعاية هذه الزهور. لابد أنه إنسان رقيق حساس، لأن الزهور منتقاة بعناية والأصص مرتبة "بذوق سليم" . ومرَّ يوم ، ويومان وأنا أنظر ، أنظر إلى الشرفة، وأخيرا ، وذات صباح اكتشفت البستانى البارع .

جـــيليـــولا : كنت جالسة فى الشرفة لأتنسّم الهواء ، ولقضاء بعض الوقت فى معالجة ثوب قديم كان يعز علىّ أن ...

جـوليـيلمـو : اتفقنا على أن أحكى أنا البداية وأنت النهاية .

جـــيليـــولا : عفوا ، أكمل أنت .

جـوليـيلمـو : كانت هى تخيط بالإبرة وتعالج الثوب، بينما أنا سعيد وعيناى على الشرفة، أملأ بطنى بالمشروبات والمثلجات من المشرب المقابل . " كيف أتعرف عليها ! ما الطريقة للاقتراب منها ؟ " وأخيرا ، حضرتنى فكرة .

ستانيسلاو : الآن يأتى موضوع الزرار .

جـيـرولامـو : سكوت ! **[لجوليلمو]** وبعد ذلك ؟

جـــيليـــولا : مرت أيام وأيام وأنا أعالج الثوب وهو يملأ بطنه بالمثلجات ...

جـوليـيلمـو : ثم تشجعت . تعرفون ماذا فعلت ؟ بقوة اليائس انتزعت زرارا من الجاكته ...

جـيليـولا : واقترب من الشرفة ...

جـوليـيلمـو : جوليلمو : **[يقف على قدميه ويرفع يده اليمنى حتى عنقه ليقدم الدليل على الحظ الذى كان حليفه]** كان السور يصل حتى هنا .

جـيليـولا : " يا آنسة ، والإبرة فى يدك ، هل تتكرمين فتثبتين لى هذا الزرار ؟ " فأجبته قائلة : " ليس معى سوى الخيط الأبيض ، وليس معى خيط بلون الجاكته . " فقال . "لا يهم ، خيطيه وسوف تتمكن عيناك بقوتهما من تحويل لون الخيط إلى لون الجاكته" . فثبتُّه له بالخيط الأبيض .

جـوليـيلمـو : **[ينهض من جديد ، وفى هذه المرة ، يرفع الجانب الأيمن من جاكتته ليبين الزرار المثبت بالخيط الأبيض . الزرار يجب أن يكون كبيرا جدا ، وكذلك صليب الخيط الأبيض يجب أن يكون سميكا وواضحا جدا]**
نحن لا نكذب عليكم ، يا سادة ، هاهو ذا الزرار .

أمنيـريس : وما الداعى ؟ لا أحد يشك فيما تقول .

جـيرولامـو : وبعد ذلك ؟

أمنيـريس : وبعد ذلك ، وبعد ذلك... جيرو ، ماذا تريد أن تعرف بعد ذلك ؟ بعد ذلك ، الآن الموضوع هكذا .

جـيرولامـو : هكذا .

ستانيسلاو : هكذا .

جيرولامو : **[مناديا]** لاودوميا !

لاودوميا : **[داخلة]** نعم يا سيدى .

جيرولامو : اصطحبى الآنسة جيليولا . اذهبى يا بنتى ، فالسيد جوليلمو سبيرانسا يريد أن يحدثنى فى موضوع يهمك ، لذلك فمن الأفضل أن تذهبى .

جيليولا : بابا ، إذا كان الموضوع يهمنى ، أليس من الأفضل أن أكون حاضرة .

جيرولامو : أنت طفلة ، عمرك ست عشرة سنة ... لا أحد يمكن أن يعمل لصالحك خيرا من والدك ووالدتك وخالك. أمنيريس، اذهبى أنت أيضا .

أمنيريس : حاضر **[مخاطبة جوليلمو]** بعد إذنك .

جوليلمو : **[ناهضا]** تفضلى يا سيدتى .

أمنيريس : هيا بنا يا جيليولا ، تعالى **[تخرج تسبقها جيليولا]**

جيرولامو : اجلس ، يا جوليلمو . **[جوليلمو يجلس من جديد]**. يا عزيزى الشاب، الصراحة فضيلة. فلنتحدث وجها لوجه وبمنتهى الصراحة . إذا كانت نواياك صادقة ، سنتفق ، وإلا فإننى أقول لك عفوا يا بابا ، قد أخطأت المنزل .

جوليلمو : أؤكد لكم أن نواياى ...

جيرولامو : إذا كانت نواياك صادقة ، فنحن الذين سنتأكد من ذلك .

ستانيسلاو : هو ذاك .

جيرولامو : واعلم أن وضعك سندرسه بالميكروسكوب ، وأنك ستكون موضع اختبارات ودراسات غاية فى الدقة .

جـوليـيلمـو : نعم ، ولكن ...

جـيـرولامـو : نعم ، ولكنك تريد أن تقول إنك قد تخرجت .

جـوليـيلمـو : نعم .

جـيـرولامـو : وماذا يعنى ذلك ؟

ستـانيسـلاو : وماذا يعنى ذلك ؟

جـيـرولامـو : أسلم قيادك لمن هو أخبر منك . الشهادة ليست سوى قطعة من الورق .

جـوليـيلمـو : **[وقد حضرته كلمات والده]** بدأنا .

ستـانيسـلاو : الامتحانات الحقيقية ، يا عزيزى ، تبدأ فقط بعد الحصول على الشهادة .

جـيـرولامـو : والحصول عليها طبعا يعتبر شيئا ، ولكنه ليس كل شىء .

ستـانيسـلاو : الشهادة ، يا عزيزى ، هى التزام من جانب الشاب نحو المجتمع .

جـيـرولامـو : والحظ يمكن أن يخدم الأكفاء وغير الأكفاء . العالم ينظر إليك ، والمجتمع يراقبك ، يحمى نفسه وحسنا يفعل .
لا نعنى بذلك أنك بالذات لن تتمكن من بلوغ المستوى اللازم لتكون جديرا بشهادتك . ولكن ... ماذا يقال فى هذه المناسبة ؟ من يعش ير ؟ " اللى يعيش يشوف . " ؟

جـوليـيلمـو : ولكن المثابرة والاجتهاد فى الدراسة . والنجاح ، واحترام حقوق الغير ، ونبل العائلة التى أنتسب إليها ، والتى أفخر بالانتساب إليها ، كل ذلك لابد أن يكون له بعض الأهمية .

جـيـرولامـو : أكيد ، لا شك أن البادرة عظيمة . ولكنها مجرد بادرة .

سـتـانيسلاو : عزيـزى جوليلمو سبيرانسا . ضع هـذا جيـدا نصب عينيـك : بمجـرد الحصول على الشهادة ، لابد أن تقدم للمجتمع الحساب والمبرِّر لهذه الشهادة. أنت فى الواقع ، لم تفـعل أكـثـر من عـمل إجـراء شكلى لابد أن تتـبـعـه إجراءات أخرى كثيرة حتى ...

جـولـيـلمـو : [**وقد جحظت عيناه**] حتى متى ؟

جـيـرولامـو : حتى يعترف الجميع اعترافا شعبيا بأن هذه الورقة شهادة حقيقية .

سـتـانيسلاو : وتذكَّر أن قلة قليلة من المتميزين هم الذين ينجحون فى بلوغ نقطة النهاية.

جـيـرولامـو : جيليولا ابنة وحيدة ، ولن أقول لك أكثر من ذلك .

جـولـيـلمـو : طبعا .

جـيـرولامـو : هل تسمح لى ولصهرى أن نوجه إليك بعض الأسئلة .

جـولـيـلمـو : سأجيب عنها بكل صراحة .

جـيـرولامـو : عظيم .

سـتـانيسلاو : رائع .

جـيـرولامـو : وأنا شـاب – أقـول لك الحـقـيـقـة – كنت أجد مـتـعـة فى الذهاب إلى منزل بعض المعارف ، حيث كانت تلتقى شلة من الأصـدقـاء تلعب الورق بمبـالغ زهـيـدة للغـاية : هى الملاليم القليلة التى كنت أستطيع توفيـرها من الراتب الشهرى الضئيل الذى كان يخصصه لى والدى . ومع

ذلك فأستطيع أن أؤكد لك أن العبد لله لم يضع قدمه فى محل للقمار .

ستانيسلاو : محلات القمار ، بتاتا !

جوليلمو : سمعت عن محلات القمار ، ولكن أقول لكم الحقيقة ، لم أتردد عليها مطلقا .

جيرولامو : ولكنك تعرف اللعب ، طبعا .

جوليلمو : عشرة بصرة ، عشرة شايب ، ولكننى كنت أخسر لأننى لا أتذكر الورق ، لذلك فقد فضلت ألا ألعب .

جيرولامو : حسنا فعلت . لى ابنة أخت ...

ستانيسلاو : بياتريتس ... مسكينة !

جيرولامو : أصرت - ضد رغبة العائلة جميعها - على أن تتزوج من شخص منحرف .

ستانيسلاو : وبدأنا نجمع التحريات .

جيرولامو : كان معتاداً الأكل فى مطاعم وكان معتاداً المقاهى ، والمراقص، والملاهى الليلية، ولا يمشى خطوة على قدميه . إذا كان يريد الانتقال لمسافة خمسة أو ستة كيلو ، كان يركب العربة الحنطور . طبعا كما كان متوقعا ، لم يدم الزواج ثلاث سنوات .

جوليلمو : اطمئنوا ، أنا أكلت فى المطعم حينما اضطرنى لذلك زملائى فى الجامعة . ولكننى أفضل الأكل فى البيت ، بل فى أغلب الأحيان أقوم بنفسى بطبخ شىء بسيط . ولا أتردد على مقاه أو مراقص. أما بالنسبة للمواصلات،

فــإذا كــانت المســافــة طويلة جـدا ، فــإننى أســتـخــدم موتوسيكل بثلاث عجلات .

ستانيسلاو : الطبيب هو الذى يحدثك الآن : كم سيجارة تدخن ؟ وكم فنجانا من القهوة تشرب ؟

جوليلمو : القهوة ، أشرب منها قليلا : فنجانا فى الصباح وآخـر بعد الإفطار . وفى بعض الأحيان أتناول فنجانا ثالثا بعد الظهر ، إذا كنت فى صحبة أحد من الأصدقاء . أدخن سبع أو ثمانى سجائر فى اليوم .

ستانيسلاو : أنصحك بالاقتصار على ثلاث سجائر توزعها كما أوزعها أنا. الأولى فى الصباح بعد القهوة ، والثانية بعد الغداء ، والثالثة فى المساء بعد العشاء .

جوليلمو : أنا متأكد أننى سأنجح فى عمل ذلك بسهولة .

ستانيسلاو : هل أصبت فى طفولتك بالحصبة ؟

جوليلمو : لا أتذكر صراحة . ولكننى سأسأل أهلى وأخبركم .

جيرولامو : عندما يحين الوقت ، ستعرِّفنا بأهلك .

جوليلمو : سيسعدنى ذلك .

ستانيسلاو : عفوا ، يا جيرو . **[مخاطبا جوليلمو]** لا تنس الاستفسار عن موضوع الحصبة ، لأن الحصبة للكبار يمكن أن تكون قاتلة .

جوليلمو : أهلى سيتذكرون بلا شك .

ستانيسلاو : بابا وماما يتمتعان بصحة جيدة ، أليس كذلك ؟

جوليلمو : يفيضان بالصحة والعافية .

ستانيسلاو : والأجداد ؟

جوليلمو : جدى مات فى السابعة والأربعين من عمره .

[جيرولامو و ستانيسلاو يتبادلان نظرة كلها ريبة]

جيرولامو : فى هذه السن الصغيرة ؟

جوليلمو : حادثة ... فقد التوازن ، ووقع على ظهره ، فسقط على رأسه ، ومات فى الحال .

ستانيسلاو : فى سن السابعة والأربعين يفقد التوازن ؟ يجب دراسة لذلك .

جيرولامو : سبعة وأربعون عاما لا تعتبر شيئا .

جوليلمو : أما الجدة ، فقد فارقتنا فى سن التسعين .

ستانيسلاو : **[مخاطبا جيرولامو مطمئنا إياه]** التعويض موجود .

جيرولامو : أحب أن أعرف إذا كان قد سبق لك أن خطبت فتيات أخريات .

جوليلمو : خطبت بمعنى الكلمة ، لا . ولكننى عرفت ثلاث فتيات أو أربع لفترات قصيرة جدا ، لأننى تبيَّنت على الفور أن طباعهن لا تتفق مع طباعى .

جيرولامو : يؤسفنى أن أقول لك إن موقفك من هذه الفتيات الثلاث أو الأربع دليل عدم تريثك وتعقلك ؟

ستانيسلاو : كلام فارغ . كل الشبان يختلفون ويفترقون ... ولكن بمجرد زواجهم يضعون عقولهم فى رءوسهم . أنا من رأيى أن نناقش نقطة أخرى . سيادتك ، كما هو واضح تماما ، لا يمكن أن تزعم أنك قديس منزه . فلنتصور أنك

مع زملائك كنتم تترددون على النساء . ولا غبار على ذلك حتى الآن . بل إن مثل هذه الزوغات السرية ، من وجهة نظر معينة لها قيمتها ، فمن شأنها أن تطمئننا ، فهى ، إذا تم هذا الزواج ، ضمان لنا بالنسبة للمستقبل على أنه لن تحدث مفاجآت . أحب أن أسألك إذا كانت وقعت لك بعض المتاعب .

جوليلمو : الغرامية ؟

ستانيسلاو : لا ، بعض المضايقات ذات الصبغة الصحية .

جوليلمو : بصراحة ، لا أفهم المقصود بالسؤال .

ستانيسلاو : أعنى إذا كانت هذه النساء ، القذرات ...

جوليلمو : ولكنهن لم يكن قذرات .

ستانيسلاو : إذن ، فلنقل المشبوهات .

جوليلمو : يعنى .

ستانيسلاو : إذن ، كنت أريد أن أعرف إذا لم تكن إحداهن قد أصابتك لسوء الحظ ، بمرض من الأمراض التى يخجل الرجل من ذكرها .

جوليلمو : إيه ... أنا بصراحة لم أكن أتوقع سؤالا من هذا النوع .

ستانيسلاو : تكلم، نحن رجال، وفضلا عن ذلك ، فأنا طبيب . تشجع ، تكلم ، لو كان حدث فبالتأكيد ليست غلطتك أنت .

جوليلمو : يجب أن أعترف بأننى كنت واحدا من المحظوظين القلائل.

ستانيسلاو : متأكد من ذلك ؟

جـوليـيلمـو : لم تحدث لى أية مشاكل .

ستانيسلاو : [**مقدما بطاقته لجوليلمو**] غدا بعد الظهر ، فى نحو الخامسة ، تفضل عندى فى العيادة . سأقوم بالكشف عليك بكل دقة : مراقبة بسيطة لدقات القلب ، جسة خفيفة للكبد ، تحليل بسيط للدم ، وبذلك ننزع الشك باليقين .

جـيـرولامـو : نرجو المعذرة . وأكرر لك أن جيليولا هى ابنتنا الوحيدة . العادة أن يكلف طبيب العائلة بهذه المهمة، ولحسن الحظ، فالطبيب موجود فى البيت [**مناديا**] أمنيريس ، جيليولا ! [**بعد برهة تظهر الفتاة وأمها**] السيد جولييلمو سبيرانسا ذاهب .

أمنيـــريس : بهذه السرعة ؟ يا للأسف !

جـوليـيلمـو : لقد أسرفت فى استغلال كرم حضراتكم .

جـيـرولامـو : شىء أخير أريد أن أتفق عليه معك فى حضور زوجتى وابنتى ، وبعد ذلك فأنت حر طليق .

جـوليـيلمـو : تفضل .

جـيـرولامـو : كان انطباعنا ،أنا وصهرى، أن أول لقاء بالسيد جولييلمو سبيرانسا سيكون له نتائج عظيمة فى المستقبل . وفى انتظار ذلك بقى أن نقرر أنه فى خلال خمسة عشر يوما ، أو شهر على أكثر تقدير ، حينما نتمكن من الحصول على جميع المعلومات اللازمة بشأنك ...

ستانيسلاو : غدا بعد الظهر ، فى الخامسة والنصف ، نلتقى فى العيادة ...

جـوليـيلمـو : لن أتخلف .

جـيـرولامـو : بعـد الحصـول على المعلومـات وبعـد موضوع العيـادة الذى يتحدث عنه صهرى ، سيكون فى الإمكان التحدث عن لقاء قريب لمناقشة الموضوع بشكل أعمق، وإذا أمكن، تحديد موعـد للخطبة . والآن لنشـرب كأسا أخرى كفأل حسن . [**أمنيريس تملأ الكئوس مرة أخرى وتقوم جيليولا بتوزيعها**] . وليكن واضحا من الآن ، أنه إذا سار كل شىء على ما يرام، فمن تاريخ الخطبة وحتى عقد القران لابد من مرور سنتين على الأقل .

جـوليـيلمـو : [**متألما**] سنتين ؟ ...

جـيـرولامـو : قلت سنتين على الأقل . الفترة اللازمة لمعرفة الثمار التى يمكن أن تجنيها من وراء قطعة الورق التى أعطوك إياها .

جـوليـيلمـو : الشـهادة ؟

جـيـرولامـو : يعنى . سنتان مدة طويلة . أعـرف ذلك . ولكن فى خلال هذه الفترة ، سأسمح لك بالتردد على منزلى . وبذلك تتاح لكما الفرصة ليتعرف كل منكما على الآخر بطريقة أفضل ويدرس خلقه وطباعه [**رافعا الكأس**] والآن يسعدنى أن أتمنى لجميع آمالنا كل نجاح وتوفيق .

[بعد أن يرفع كل منهم كأسه ، يشرب الكأس ثم يستمر فى احتساء الشراب اللذيذ فى هدوء ، بينما تتردد من بعيد أصداء أصوات الطلبة الجماعية . وتقفل الستارة السوداء القطيفة]

[يظهر جوليلمو سبيرانسا وفوريو لاسبينا أحدهما من اليمين والآخر من اليسار ويتقابلان . تفتح الستارة القطيفة عن " طريق لقاءات المصادفة " . الحرارة التى يحيى كل منهما بها صاحبه تدلنا على أنهما افترقا زمنا طويلا]

فــــوريو : **[وكان أسبق إلى رؤية صديقه]** جوليلمو !

جـوليـيلمـو : **[بنفس لهجة المفاجأة]** فوريو !

فــــوريو : جوليلمو ، بالأحضان !

جـوليـيلمـو : أنا الذى يطلب الحضن ، ومن كل قلبى ، **[يتعانقان بحرارة ، بل إن فوريو هو الذى يضم جوليلمو إليه ، بينما الآخر ، يستسلم للضم بسبب ما يحمله من لفائف وعلب]** رويدا ، رويدا ... إنك تخنقنى !

فــــوريو : أجل ، أنت على حق . اعذرنى . إنها فرحتى بلقائك بعد طول الفراق .. جوليلمو ، إننا لم نلتق منذ أكثر من سنتين .

جـوليـيلمـو : سنتين إلا ثلاثة أشهر : فقد أعفيت من هذا " الترم " .

فــــوريو : ماذا تعنى " بأعفيت " ؟

جـوليـيلمـو : عزيزى لاسبينا ...

فــــوريو : جوليلمو إننى أحبك ، قل لى فوريو . إن "لاسبينا" هذه مرتبطة بالعادات الطلابية بحيث أصبحت مع مرور الوقت، شيئا، مادة، سبورة، صورة الملك فيتوريو إيمانويل الثالث، صورة السيد المسيح، اصطلاح ما متعلق بأثاث إحدى

قاعات المحاضرات الجامعية. وأقولها لك صراحة ، إن هذا كله قد محوته من ذكرياتى الطلابية. كنت تقول لى؟

جوليلمو : لم أعد أتذكر الآن .

فوريو : حكاية الإعفاء من " الترم " .

جوليلمو : آه ، نعم . إن حماى ، أو بمعنى أصح ، حما المستقبل، قد شاء ألا يتم تحديد الموعد النهائى لزواجنا قبل عامين. ولكن نظرا " لحسن سلوكى " ، وهذا من فضله وكرمه ، تكرم ووافق على ترقيتى إلى خطيب رسمى ، وذلك قبل انقضاء الدورة الاعتيادية بستة أشهر انتظارا لتعيينى زوجا فعليا .

فوريو : فهمت . وهكذا لم نتقابل منذ عام وتسعة شهور .

جوليلمو : بالضبط .

فوريو : ولكننى أعرف كل شيء عنك ، لأنك لم تغب عن بالى . إننى ألتقى كثيرا بالأصدقاء ... أتيليو ، وأجوستينو **[وهو يربت على ظهره بيده فى ود أبوى]** برافو ، برافو ، حقا ... أنت بدأت تشق لنفسك طريقًا .

جوليلمو : يعنى ، ليس هناك ما أشكو منه .

فوريو : أنا واثق من ذلك . فى جميع الإصدارات التى تهتم بقطاع تخصصك ونشاطك، من الصعب ألا يذكر اسمك . إننى أتابعك وأقرأ كل ما يتعلق بك .

جوليلمو : لقد تعبت كثيرا يا عزيزى فوريو، والآن أستطيع أن أقول بكل أمانة ، ليس هناك من يبارينى فى مجال تخصصى .

فـــــوريـو : آه لو عرفت المرارة التى أشعر بها حينما أضطر للدفاع عنك .

جـوليـيلمـو : تدافع عنى ؟

فـــــوريـو : دعنا من ذلك ، يا جوليلمو ، الناس أشرار . حكاية القشة الكبيرة والقشة الصغيرة . يرون عيوب الغير الصغيرة ولا يرون عيوبهم الكبيرة .

جـوليـيلمـو : نعم، ولكن أريد أن أعرف القشة الصغيرة التى فى عينى.

فـــــوريـو : هل تريد أن تهتم بما يقول الناس ؟

جـوليـيلمـو : هل هم أصدقاء لى ولك ؟

فـــــوريـو : جوليلمو ، أصدقاء ، أو غير أصدقاء ... أنا بالذات لأننى صديقك أحذرك، من ناحية ، من ألسنة السوء ، ومن ناحية أخرى ، أقول لك لا تهتم واضرب بهم عرض الحائط واستمر فى طريقك . تعرف : أنا من كثرة الرسوب اضطررت لترك الجامعة بعدك بقليل صارفا النظر عن الشهادة ، وإلا كنت فقدت صحتى . ماذا كان بوسعى أن أفعل ؟ إلى من كنت أستطيع أن ألجأ للحصول على وظيفة أو مركز ؟ حينئذ ، استعنت بما كان لدى من معرفة لا بأس بها فى مجال العلوم ، وبدأت أشتغل فى الأشياء العملية ، كالاختراعات البسيطة المفيدة ، وبالفعل فقد سجلت بعض الاختراعات التى نالت نجاحا كبيرا فى معرض ميلانو . من ذلك ... مثلا، الحذاء والجورب الملتصقان كل منهما فى الآخر ، وحافظة

المفاتيح التى تصفر بمجرد إخراجها من الجيب حتى تعود إلى الجيب مرة أخرى. وأشياء كثيرة أخرى عملية . وأتنقل من وزارة إلى أخرى ... ماذا أقول لك ... هناك من يريد لك الخير وهناك من يريد لك الشر . يقولون : "نعم ، عظيم ، إنه ليس بالأبله - " هو " يعنى أنت - ولكن شابا مثله كيف تسنى له أن يشغل المركز المهم الذى يشغله بدون وساطة حما المستقبل الذى - وهذا هو الواقع - من مصلحته أن يكون صهره شخصًا يمكن تحريكه **[يعنى شرابة خرج]** وبالتالى يتورط كما سبق أن تورط هو فى الماضى ، وكما هو متورط الآن ؟

جوليلمو : تشهير! هذا محض تشهير بصرف النظر عن الأسماء ، بصرف النظر عن أسماء هؤلاء الأوغاد الذين يشيعون ذلك .

فوريو : جوليلمو ، يا أخى ، هل تظن أننى يمكن أن أقول لك أسماء هؤلاء الأشقياء حتى تجد نفسك وسط فضيحة عظيمة، لا يكون من شأنها إلا توسيع دائرة القيل والقال!

جوليلمو : إن حماى لم يسمح لنفسه أبدا بالتدخل فى شئونى وفى مستقبلى ، ولو حتى بإبداء مجرد النصيحة . إن المركز الذى أشغله ، حصلت عليه بجدارة ، بكفاءة . كان ترتيبى الثالث من بين ألفين وخمسمائة من المتسابقين . إن القليل الذى حققته حتى الآن مدين به لكفاءتى فقط ، لعزيمتى ، لذكائى .

فـــــوريو : أنا مقدر تحاملك ، لكنى أنصحك بعدم الانسياق فى غضبك ، فقد شاع بينهم أنك ممسوس ، ومتعصب ، ومغرور .

جـوليـيلمـو : يقولون ذلك ؟

فـــــوريو : يقولون ذلك ، لكن لا يجب أن تتحامل : دع عنك ذلك . لا تهتم . استمر فى طريقك ، بل لو كان طريقنا واحداً ، لسرت معك .

جـوليـيلمـو : أشكرك ، لكننى وصلت فعلا .

فـــــوريو : هل تسكن هنا الآن ؟

جـوليـيلمـو : لا ، هنا تسكن خطيبتى . هذا باب بيتها .

[يشير إلى مكان قريب ، ناحية اليسار]

فـــــوريو : كم يسعدنى أن أتعرف على خطيبتك جيليولا ، صحيح أنها تدعى جيليولا ؟

جـوليـيلمـو : نعم ، جيليولا . سأقدمك لها مرة أخرى . فهى ليست فى المنزل الآن . كنت أود أن تأتى معى ، لكنها أسرة ليست متبسطة . فحماى رجل من " الدقَّة " القديمة ، محافظ جدا وشكاك للغاية .

فـــــوريو : وهل تظن أننى إذا صحبتك ، دون سابق إنذار سيسىء استقبالى ؟

جـوليـيلمـو : ليست النظرية ...

فـــــوريو : أنا صديقك الحميم أم لا ؟

جـوليـيلمـو : طبعا .

فـــــوريو : إذن ؟

جـوليـيلمـو : اليوم يعقد اجتماع العائلة، يجب أن نحدد موعد الزواج .

فـــــوريو : إيه ، إياك أن تكون اخـتـرت الشـبـين الشـاهد ، إذن لغـضـبت منك . الشـبـين الشـاهد ضع ذلك جـيـدا فى اعتبارك ، يجب أن يكون أنا . جوليلمو ، إهانة كبرى لى إذا لم تخترنى شبينا .

جـوليـيلمـو : إذا كان هذا يسرك ...

فـــــوريو : لماذا ، ألا يسرك أنت هذا ؟

جـوليـيلمـو : كثيرا ، كيف لا ؟ يسرنى كثيرا .

فـــــوريو : والشبين الشاهد يشارك فى اجتماع الأسرة هـذا . مع مشاغلى يجب الاتفاق على موعد الزواج. أهذا هو الباب؟

جـوليـيلمـو : نعم .

فـــــوريو : تعال إذن ، هيا بنا . سترى كيف سيسـتقبلونك حينما تعلن وأنت تدخل عليهم : " أصـهارى الأعـزاء ، أقـدم لكم الشبين الشاهد على الخطبة . شد حيلك ، تشجع ، هيا بنا . وأخـيـرا سـأعـرف هذه السـاحـرة التى تمكنت من انتزاعك من أصدقائك . سـأترك كل مـا عندى من أعمال لكى أنعم بهذه السـعـادة . وفى أول ليلة من ليالى العرس سأقوم أنا بوصفى الشبين الشاهد، بتنظيم أغنية السهرة الحافلة بالأمانى الطيبـة للعروسـين ، تحت نافذتـك ، على لحن " سانتا نوتى " [**هاجما عليه**] امش !

[وبين الوجل والحرج، يستسلم جولييلمو لقيادة صاحبه. وما إن يختفي الاثنان حتى يظهر جمهور غفير من أصدقاء وصديقات العروسين ، منهم من يحمل جيتارا ومنهم من يحمل مندولين ، ومنهم من يحمل آلات موسيقية أخرى ، يشكلون حلقة فى منتصف الطريق تحت نوافذ العروسين. وفى هذه اللحظة ، وفيما تستهل المجموعة لازمة أغنية السهرة ، يدخل فوريو ويأخذ مكانه وسط المجموعة ، وفى التوقيت المضبوط يشترك فى إيقاع الأغنية]

فوريو : " ياللا نغنى مع بعضنا

" واحنا فى فرحة واحنا فى هنا

" عاوزين نعمل حفلة جميلة "

الكورس : " ياللا نغنى مع بعضنا

" واحنا فى فرحة واحنا فى هنا

فوريو : " عاوزين نعمل حفلة جميلة

" لجولييلمو مع جيليولا .

الكورس : " عاوزين نعمل حفلة جميلة

" لجولييلمو مع جيليولا .

فوريو : " بسلامتها ماما الغالية

" عملتك إزاى كده حلوة

" وعيونك دول نجمين

" نوروا قلبى من جوه

الـــكـــورس : " ياللا نغنى مع بعضنا

" واحنا فى فرحة واحنا فى هنا

فـــــوريـو : " عاوزين نعمل حفلة جميلة

" لجوليلمو مع جيليولا .

الـــكـــورس : " عاوزين نعمل حفلة جميلة

" لجوليلمو مع جيليولا .

الكورس مع فوريو: " عاوزين نعمل حفلة جميلة

" لجيليولا ويَّا عريسها

" عاوزين نعمل حفلة جميلة

" لجيليولا ويَّا عريسها

[تختفى المجموعة فى ظلام الليل ، فى حين يظهر جوليلمو سبيرانسا ، فى وضح النهار ، فى مقدمة المنصة . بعد برهة ، يتجه مباشرة إلى الجمهور]

جـوليـيلمـو : زوجتى حامل . والآن أريد أن أعرف ماذا يهم الناس إذا كانت زوجتى حملت قبل الزواج أو بعده . هناك أمور تحدث رغم إرادتنا . منذ أربعة أشهر والموضوع فى طىِّ الكتمان ، لأننا لا نثيره حتى مع أقاربنا . وكنت أعلل نفسى بأنه ليس هناك من يهتم بالموضوع والدخول فى تفصيلاته ومحاولة حسابه وتحديده بالشهر واليوم والساعة . كانت حماتى هى التى قالت : " حسنا ، لم تقم القيامة. حينما يولد الطفل أو الطفلة نقول إنه ابن سبعة" غير أن شقيق حماتى، الطبيب لفت أنظارنا إلى أن حكاية

ابن سبعة لا تنفع ، لأن زوجتى كانت فى الرابع عند الزواج ؛ حينئذ أردفت حماتى قائلة : " إذن ، نقول إنه وضع قبل الأوان " ولم تكد تمضى خمسة أيام على وضع جيليولا ، ومع كل الاحتياطات المتخذة ليظل الموضوع طى الكتمان حتى مع الأهل ، بدأت تصلنى خطابات بلا إمضاء مليئة بالإشارات الساخرة والأمانى الطيبة بالحادث السعيد السابق لأوانه - والسابق لأوانه تحتها خط - وعبارات الاستهزاء والشتائم . بل لقد بلغ الأمر بأحدهم أن كتب يقول : " بينما ما نزال نتبادل التهانى بزواجكما الذى تم منذ خمسة شهور، نهنئكم من أعماقنا بمولد ولى العهد الذى سيتم بعد خمسة أيام أو ستة " ويختم رسالته قائلا : "مفيش حد عبيط" . والآن لا أدرى لماذا يخاف الناس من أن يتهموا بالعبط ويتجاهلون حالة بريئة كحالتى ، ويتصورون أنهم ينفون عن أنفسهم صفة العبط بإرسالهم خطابات بلا إمضاء من هذا النوع . الشىء الآخر الذى سيجننى هو أننى لا أستطيع التأكد من الشخص الذى أذاع هذا الموضوع **[يظل مشغول البال لحظة]**. "الشهادة ليست سوى قطعة من الورق" ... مسكين والدى ، كم أسدى إلىَّ من النصح وكم قال لى من أشياء ! قال لى مرة : " حبيبى جولييلمو ، تذكر أنك فى الحياة ستصادف الزهور والأشواك . ستجد فى

طريقك الزهرة والشوكة [1] " **[يظهر فوريو لاسبينا ؛ جوليلمو يلمحه ويظل لحظة تحت وقع المفاجأة ، ثم يتدارك نفسه فورا ويحيى صديقه " الحميم " بحرارة]**
عزيزى فوريو !

فوريو : وأخطأت أيضا هذه المرة : كان يجب أن تدعونى بالشبين الشاهد . لكننى أصفح عنك لأنك لم تدعنى بلقبى " لاسبينا " .

جوليلمو : **[يصمت لحظة ثم يتمتم حائرا]** بهذه السرعة ...
[وأخيرا ، وفى صمت ، ينصرف الصديقان].
[ما إن يخرج الصديقان ، حتى نسمع ، من الداخل ، صوت المغنية ، التى لا تلبث أن تدخل من أحد الكالوسين وهى تعزف أحد الألحان التى كانت ذائعة الصيت عام ١٩٣٥ ثم تغنيه ، فى هذه الأثناء ، يدخل جوليلمو من الناحية المقابلة ويتقدم إلى صدر المنصة ويتوقف ويمعن النظر فى الجمهور . المغنية تسير خلف جوليلمو ، ثم تبتعد وتخرج من الناحية المقابلة للتى دخلت منها . جوليلمو ينزع اللحية السوداء ويستبدل بها الرمادية ، ثم يعرضها على الجمهور بابتسامة كلها حياء] .

جوليلمو : الزمن يمر ... آخر مرة التقينا فيها كانت قبيل عشر سنوات . كأنها بالأمس . كيف يمكن فى هذه الفترة

(١) إشارة إلى اسم صديقه " سبينا " وهى تعنى بالإيطالية شوكة .

القصيرة من الزمان أن تحدث أشياء كثيرة وتتم تحولات وتغيرات ... إذا حاولت عمل موازنة لما آلت إليه أحوالى خلال تلك الفترة ، لا أقول إن نتيجتها ستكون خسارة ، ولكنها أيضا ليست ربحا . لقد حدثت أمور سارة ، ولكن أيضا أحداث قاسية . طفلان خلال الأعوام الثلاثة الأولى من الزواج ، ذكران ، من شأنهما أن يسعدوا والدهما ، ولكنَّ كلاً منهما ، ولأسباب مختلفة ، كان مصدر شكوك ومضايقات . فى حفل ميلاد الأول مثلا ، أصابنى الضيق لأن جميع المدعوين ، بلا استثناء ، كل بدوره وفى مجموعات من خمسة أو ستة ، أحاطوا بالمولود وراحوا يراقبونه من أم رأسه حتى أخمص قدمه . هذا يلبس نظارته ليرى جيدا ، وذلك ينزع نظارته ويمسحها ثم يلبسها مرة أخرى ... ثم يتبادلون الأحاديث معبرين عن انطباعاتهم قائلين: " سبحان الله ، سبحان الله ، صورة طبق الأصل من أبيه " ثم يشد كل منهم على يدى قائلا : "مبروك ، يا جوليلمو ، نسخة منك" . وإن أنس لا أنسى تلك العجوز التى مازلت أشعر بيدها وهى تصافحنى ، وفى بعض الأحيان أشعر بها فوق ظهرى ، والغريب أننى لم أكن قد رأيتها قبل ذلك ، قالت لى: " هذا الولد صورة منك . شىء عجيب ! " . أما بالنسبة للطفل الثانى فلم يحدث شىء من هذا القبيل ، فلم يشر أحد إلى التشابه بينى وبينه، مجرد مصافحة وتمنيات طيبة . " يا له من

طفل رائع " ، " كأنه قطعة سكر "، "خوخة " ، " لكن ، الحقيقة ، هذه المرة كله أمه ، أما أنت ، فلا شيء منك بالمرة " وإذا كنت فى المرة الأولى تساءلت : " لماذا كل هذا التعجب وكل هذه الدهشة لكون الطفل يشبهنى ؟ معنى ذلك أنه إذا لم يكن هناك تشابه ، لوضعوا أبوتى موضع الشك والريبة ؟ إذن كل هؤلاء السادة ليسوا مدعوين ، وإنما هم لجنة للمراقبة وتقصى الحقائق ؟ " ، وفى المرة الثانية أصابتنى الحيرة والدهشة. فمن قائل : "هذه المرة ، كله أمه" ، ومن معقب " أما أنت ، فلا شيء منك بالمرة " ... وبما أن هناك سابقة ... من حقكم أن تعرفوا كل شى . إليكم الحكاية . جيليولا ، كسائر البنات فى سنها ، قبل أن تعرفنى ، عاشت قصة حبها الأول . وكان هذا الحب بريئا. وأنتم تعرفون ما يحدث من نار ولهيب فى العائلة ، فلم تكن راضية عن هذا الزواج ، فصرف الفتى والفتاة النظر عن الموضوع . كل ذلك اعترفت لى به جيليولا بأمانة . ولكنكم تعرفون ... "هذه المرة ، كله أمه" ، أما أنت ، فلا شيء منك بالمرة " تحول الموضوع بالنسبة لى إلى أزمة . لم أكن أنام الليل . حتى إننى فى إحدى الأمسيات ، بينما كانت العائلة كلها فى الصالون بسبب حضور بعض الأقارب للزيارة ، دخلت الحجرة التى كان ينام فيها الطفل ، وجردته من ثيابه تماما لأطالع كل دقائقه . وكلما أمعنت فيه النظر ،

كلما بدا أنه لا يشبهنى . ثم قلت فى نفسى : " والآن أديره لأطالعه من الناحية الأخرى " . ولكن بينما كنت أحاول القيام بذلك ، شعرت فجأة بنفسى ذليلا مهينا ، حتى لقد فضلت أن تنخسف الأرض بى وبابنى وبالبيت ومن فيه جميعا . فقد جال بخاطرى هذا التفكير : " بأى حق أسمح لنفسى بمراقبة جسم هذا الطفل ، والبحث فى عينيه عن لون عينى ، وتقدير سعة الجبهة ، وتطابق الجمجمة ، واليدين ، والقدمين ؟ هل يعنى ذلك أن الامتحانات قد بدأت بالنسبة لهذا المخلوق الصغير ؟ " وخجلت كأننى لص . فقد تمثلت لى نفسى كأمهر وأدق عضو من أعضاء لجنة تقصى الحقائق والمراقبة . لم يكن ذلك الحادث السلبى الوحيد الذى وقع لى فى العشر سنوات الماضية . فمنذ ثلاث سنوات مضت ، مات حماى وبعد ذلك بشهور قليلة لحق به صهره الطبيب . أما طفلاى، فهما ولدان أحدهما يسمى فورتوناتو والآخر فيليتشى . ولا داعى الآن لتقديمهما إليكم ، سنشير ذلك فى الوقت المناسب . أما بالنسبة لعملى ، فليس هناك من بأس فأنا أتمتع بنوع من الاحترام والتقدير ، مع أن ذلك يثير حفيظة الطائفة وعلى الرغم منها . فالواقع أن جميع الإصدارات التى تهتم بمجال تخصصى ونشاطى ، حينما تذكر اسمى تفعل ذلك بحذر شديد وبدقة شديدة فى اختيار ألفاظ المديح ، دون أن تذيِّل ذلك بعبارات مثل

" ربما " أو " لكن " أو " سنرى " . هذا كل ما فى الأمر .
[بعد أن جال فى القاعة بنظرته الفاحصة ، وأدرك تشكك الجمهور وريبته] لا لا ؟ ليس هذا كل ما فى الأمر ؟ أنتم على حق **[بابتسامة لطيفة]** ليس هذا كل ما فى الأمر. **[بتكشيرة كأنه طفل ضبط متلبسا بخطأ]** ولكن يخجلنى أن أقول ذلك . ولكننى وعدتكم بألا أخفى عنكم شيئا ، ويجب أن أفى بوعدى. لقد وقعت فى غرام فتاة . ولكنه غرام ملتهب . هى صغيرة جدا . لا أدرى حتى هل هى جميلة أم لا ، ولكننى أراها ساحرة . أنظر إليها وأظل مشدوها ، أنظر إليها ... **[وقفة قصيرة]** ولا يوجد هذا غير ذلك . **[بالنظرة الفاحصة السابقة نفسها يمعن فى الجمهور فى القاعة ثم يستسلم مرة أخرى]** بل يوجد ؟ يوجد غير ذلك. **[يتقلص]** نعم ، الحق معكم ... يوجد غير ذلك. الجانب المؤلم فى كل هذا الموضوع حاولت أن أخفيه عنكم ، ولكن إذا حدث فى يوم من الأيام أننى وجدتنى مضطرا ، فسأحكى لكم كل شىء من البداية للنهاية.]
[الستارة الداخلية تنفرج عن " شارع مقابلات المصادفة " من أحد الجانبين تظهر جيليولا وجوليليمو . جيليولا ، بعد أن ترددت على المحلات ، تبدو محملة بالمشتريات من علب ولفائف . جوليليمو أول من يلحظها] . جيليولا ، أخيرا **[وهو يريها الساعة]** فى انتظارك منذ ثلاثة أرباع الساعة تقريبا .

جـــيـــولا : ومن قال لك " انتظر " ؟

جـوليـيلمـو : قلنا ذلك حينما خرجنا ، أنت تمرين على المحلات ، وأنا على المكاتب والبنوك . بل أنت التى قلت : " لنتقابل هنا "

جـيليـولا : أحسن ، لأنك بعد أن انتظرت عشر دقائق أو ربع ساعة ، فضلت أن تنتظر أيضا بدلا من الانصراف .

جـوليـيلمـو : تفكير جميل ، ثم تصلين أنت ولا تجديننى . أنت تعرفين جيدا أننى لست بالجلف لدرجة أننى لا أكون فى موعد ضربته مع سيدة .

جـيليـولا : **[بحدة]** طيب ! المواعيد مع السيدات تحترم ، ولكننى زوجتك .

جـوليـيلمـو : إيه ، الزوجة زوجة .

جـيليـولا : يا فرحتى ، وصلنا لدرجة أن تقولها فى وجهى .

جـوليـيلمـو : ماذا ؟

جـيليـولا : أننى يجب أن أحمد الله على أننى زوجتك ، وإلا عاملتنى كزوج من النعال القديمة .

[يتبع ذلك صمت أليم]

جـوليـيلمـو : **[فى انزعاج وقلق ، ينظر جولييلمو لصديقه مستفسرا على أمل أن يجد عنده تعليلا لموقف زوجته العدائى المفاجئ . ولكن فوريو بكل طلاقة يتجنب نظرات جولييلمو الذى يفضل بكل حذر وحيطة أن يغير مجرى الحديث]** أراك عصبية ، لذلك أرى أنه من الأفضل عدم الإلحاح .

جــيليــولا : هذا أفضل ، وأحسن لك .

جـوليـيلمـو : إيه ، ترددت على المحلات كما تحبين واشتريت ما كنت تريدين ؟

جــيليــولا : وكيف لا ؟

جـوليـيلمـو : هل اشتريت لى الكولونيا ؟

جــيليــولا : النقود لم تكن كافية .

جـوليـيلمـو : لا يهم ، اشتريها لى غدا .

جــيليــولا : وغدا لن أخرج ، يعنى الكولونيا الخاصة بك إما أن تشتريها أنت وإما أن تكلف بشرائها أحداً يفهم فى العطور .

جـوليـيلمـو : جيليولا ، ماذا جرى لك ؟ **[جيليولا لا تجيب]** فوريو ، هل عنك فكرة ؟

فـــــوريـو : نعم ، لقد لاحظت نوعا من الاضطراب عليها ، وكذلك لاحظت كيف إنها انقبضت بمجرد أن رأتك . ولكن كما يقال : بين الزوج والزوجة ...

جــيليــولا : هل سيستمر هذا التحقيق طويلا ؟

جـوليـيلمـو : ليس هذا تحقيقا . ولكن بما أنك حينما افترقنا عند باب المنزل كنت على ما يرام ، مبتهجة ، ومسرورة ، يجب أن تفهمى على الأقل انشغالى إذ أجدك الآن وقد تغيرت تماما وتحولت من حال إلى حال .

جــيليــولا : ماذا تفعل ؟ حتى الجو يتغير من لحظة لأخرى . ونحن أيضا نتأثر مثل الترمومتر .

جوليلمو : أكيد ، ولكن الجو لم يتغير بتاتا ، بل ظل كما كان حينما افترقنا عند باب المنزل .

جيليولا : إذا كان الجو ظل كما كان ، فهناك شيء ما أقوى تأثيرا عليَّ من الجو قد انقلب رأسا على عقب **[لفوريو]** عزيزي الشبين الشاهد ، إلى اللقاء .

فوريو : مع السلامة يا عزيزتي وإلى اللقاء .

[جيليولا تخرج عجلة ، حتى دون أن تلقى نظرة على جوليلمو ، بينما الستارة الداخلية تقفل وراء الرجلين]

جوليلمو : تصرفات مجانين . هل قابلتها في الطريق ؟

فوريو : نعم .

جوليلمو : وهل كانت ثائرة أيضا حينما قابلتها ؟

فوريو : لم أتنبه لذلك .

جوليلمو : ألم تحدثك عني ؟

فوريو : نعم ، هكذا ، كالعادة . ولكن هل أنت مشغول البال ؟

جوليلمو : طبعا . لا أريد لها أن تلاحظ ... نعم ، باختصار ...

فوريو : موضوع علاقتك ؟

جوليلمو : نعم ، الحالة التي أنا فيها ...

فوريو : من التشتت ...

جوليلمو : إن طريقة ردها لا تعجبني .

فوريو : من أية ناحية ؟

جوليلمو : أنت تعرف شيئا لا تريد أن تخبرني به . نعم . أنت تعرف أنني أمر بفترة تشتت . الفتاة التي قابلتها ...

فـــــوريو : بوناريا ؟

جـوليـيلمـو : ومن غيرها ؟ أنا أعبدها ، وأنت تعرف ذلك . وإذا لم أكن قـد تركت زوجتى بعد ، إذا لم أكن بعد قد هجرت المنزل وعشت بمفردى فذلك لأن عندى طفلين.

فـــــوريو : تماما .

جـوليـيلمـو : **[بلهجة آمرة]** دعنى أتحدث . تصرفت وأتصرف بكل حذر وحـيطة . أرى بوناريا فى القليل النادر . وهذا يعـتـبـر بالنسبة لى تضحية كبرى؛ المحل الذى نتقابل فيه مطعم يتردد عليه الحوذية وسائقو السيارات النقل **[اللوريات]** لأنه يقع على مسافة عشرين كيلومترا على الطريق الزراعى .

فـــــوريو : ولكن ماذا تعنى بهذا ؟

جـوليـيلمـو : أنك الوحيد الذى يعرف هذا المكان ، لأننى صحبتك إليه لأعرفك على بوناريا .

فـــــوريو : أرجـو ألا يخطر ببـالك أننى أنا الذى أخـبـرت جـيليـولا بموضوع بوناريا هذه.

جـوليـيلمـو : سامحنى ، أرجو أن تسامحنى ، لكن يجب أن أعترف لك أن الشك راودنى.

فـــــوريو : يؤسفنى ، يؤسفنى هذا كثيرا .

جـوليـيلمـو : هذا لا يمكن أن يكون صحيحا . كلا ، أنت ، كلا . إذن لقامت القيامة .

فـــــوريو : الحمد لله !

جـوليـيلمـو : إذن لا يمكن أن يكون هذا هو سبب تعكر مزاج جيليولا .

فـــــوريـو : بل هو ذاك .

جـوليـيلمـو : هو ذاك ؟

فـــــوريـو : نعم .

جـوليـيلمـو : وأنت ماذا أدراك ؟

فـــــوريـو : جيليولا قالت لى .

جـوليـيلمـو : ومن قال لجيليولا ؟

فـــــوريـو : جوليلمو ، أيـن تعـيـش أنت ؟ جوليلمو ، المدينة كلها على علـم بعلاقتك هذه . يتحدثون عنها فى كل الأوساط . والذى يتـردد الآن شىء واحـد : "المسـألة مـسـألة وقت : المهم كيف ستتصرف الزوجة " .

جـوليـيلمـو : يقولون ذلك ؟

فـــــوريـو : نعم ، هذا فـقط ... ولن أخـبـرك بعـد ذلك بالضـيق الذى أصابنى أنا شخصيا .

جـوليـيلمـو : أنت ؟

فـــــوريـو : طبعـا . فـهـم يعلمـون أننـا أصـدقـاء ، لـذلك يريـدون أن يعرفوا منى كيـف نشأت العلاقة الغرامية ، وأين وكيف عرفت هذه الفتاة ، هل هى جميلة ، قبيحة ، كم عمرها ... ولن أحدثك بعد ذلك عن حرجى وهم يسـألوننى عن رأيى فى نزوتك هـذه : وهـل ستجعـل منهـا زوجتك مـأساة ، أم فى نهـاية الأمر ستقبل الأمر الواقع وتلزم الصـمت . باختصار ، لقد فقدت راحتى وهدوء بالى .

وأنت بماذا تجيب ؟

جـوليـيلمـو : مـاذا يمكن أن أجيب؟ مـن ناحيـة، أنـت صديقى وأحبك .
ومـن ناحيـة أخرى أرى أن جيليولا لا تسـتـحق ذلك ...
أحاول التـخلص قائلا : " هنا ، هنـاك ... تحت ، فوق ...
نعم ، حسن ، ولكنكم تعرفون أن ... وتيتيتى تيتيتتا ... "

[عبارات فوريو الأخيرة تختفى فى الكالوس بينما يخرج الصديقان . الستارة القطيفة تنفرج عن حجرة الإقامة فى منزل جوليلمو . " أمنيريس " مع صديقتين شابتين من صديقات العائلة : السيدة " كوكورواللو " والسيدة "بيتشوكا " جالستان إلى المائدة . " لاودوميا " ترفع فناجين الشاى، وبعد أن تضعها فوق الصينية، تنصرف خارجة . وما إن تخرج الخادمة ، حتى تستأنف أمنيريس حديثها مع الصديقتين].

أمنيـــريس : نحـن امـرأتان وحيـدتـان . ابـنـتى شـديـدة الاعـتـزاز بنفسـها - نســخة من المرحوم والدها - أى ألم تكتمه فى نفسـها ، وهو يسـتغل ذلك ليعمل ما يريحه . الوغد . دنس تماما واجباته زوجًا ووالدًا لطفلين .

جــيليـــولا : **[داخلة]** هاهو ذا **[عارضة لفافة من الورق المزين وقد عقد أعـلاها بشريط]** أغلقت عليه هنا ، وإلا تبخر العطر .

بيـتـشـوكـا : كمـا فعلـت أنـا . أنا عملـت لـه لفافة وحفظته **[تخرج من حقيبتها لفافة وتعرضها]** هاهو ذا .

لاودودمـيـا : **[من الداخل]** ممكن ؟

أمنيـــريس : تعالى .

لاوبومــيـــا : [داخلة] حضر الشبين الشاهد .

أمنيـــريس : أدخليه .

لاوبومــيـــا : تفضل !

فـــــوريو : [داخلا] شكرا **[لاوبوميا تخرج]** سيدتى أمنيريس ، خادمك المطيع **[يلثم يدها]** عزيزتىَّ الفاضلتين ... **[انحناءة بسيطة للسيدتين]**

أمنيـــريس : [مشيرة إلى فوريو] لولا هو لظللنا أنا وابنتى على جهل بكل شىء .

فـــــوريو : حينما تبين لى أن الأمر لم يعد مجرد نزوة وإنما هو موضوع جاد ، وجدت من واجبى ، وفى ذلك أيضا مصلحة جوليليمو ، أن أقول كل شىء لجيليولا .

بيـتشـوكـا : طبعا .

جـــيليـــولا : والمنديل الذى عثرت عليه فى جيب بنطلونه موجود فى هذا المظروف .

فـــــوريو : ما حكاية هذا المنديل ؟

أمنيـــريس : بفضل معلوماتك ، توصلنا إلى معرفة أن عشيقة صهرى تسمى " بوناريا " وأنها تعمل بائعة فى محل للعطور .

بيـتشـوكـا : وعلى الفور فكرت فى البائعة التى تعمل فى محل العطور الذى أشترى منه ، لأنها أيضا تسمى " بوناريا " حينئذ وفى الحال ...

كوكورولو : **[مقاطعة صديقتها]** عفوا يا مارجيريتا . إذن العملية تنحصر فى معرفة ما إذا كانت البائعة التى تعمل فى المحل الذى تشترى منه مارجيريتا هى نفسها ...

فوريو : التى تعمل فى المحل الذى يشترى منه جولييلمو .

كوكورولو : طيب ، والآن يا جيليولا عليك أن تخبرينا أولا بموضوع المنديل .

جيليولا : منذ عدة أيام ، وجدت فى أحد جيوب بنطلون جولييلمو منديلا تفوح منه رائحة عطر لم يسبق له استخدامه أبدا .

بيتشوكا : وبمجرد أن أخبرتنى جيليولا بأنها وجدت هذا المنديل ...

أمنيريس : فكرة التقليب فى جيوب زوجك ، فكرتى أنا .

جيليولا : نعم يا ماما . ولا أحد يمكن أن يسلبك هذا الفضل **[السيدة بيتشوكا كانت تتكلم]** ، **[مخاطبة بيتشوكا]** وبعد؟

بيتشوكا : حينما أخبرتنى جيليولا بهذا المنديل ، حتى دون أن أسألها رأيها ، بدأت فى صباح اليوم التالى تنفيذ الخطة التى وضعتها . ارتديت ملابسى ، وخرجت من المنزل وذهبت إلى محل العطور . وعلى فكرة ، المنديل الذى شممْتنى رائحته جيليولا ذكرنى كثيرا بالعطر الذى شممته مرارا يفوح من " بوناريا " هذه ، لكننى كنت أريد أن أتأكد أنه هو نفسه. وحينما وصلت إلى مدخل المحل ، تك ، تك ، تك . دخلت . كانت على البنك **[مقلدة صوت بوناريا وحركاتها بطريقة ساخرة]** "صباح الخير يا مدام

بيتشوكا". "صباح الخير يا عزيزتى" . "ماذا تطلبين ؟ ".
" أريد أن أقدم هدية لصديقة لى ، فاختارى لى عطرا
يرفع رأسى أمامها " . " عندنا هذا العطر ، نوع جديد."
هذا نعم ، وهذا لا ... وأخيرا تظاهرت بأننى لاحظت فى
تلك اللحظة فقط ، العطر الذى كانت تتعطر به ، فقلت :
"النوع الذى تتعطرين به أنت يعجبنى ، شمِّمينى إياه ...
نعم ، أظن أن هذا معقول جدا لأن هذه الصديقة رشيقة
مثلك وتكاد تشبهك أيضا . اسمعى ، ضعى لى نقطة فى
هذا المنديل ، وسأشمِّمه لها فإذا أعجبها ، اشتريته وأنا
مطمئنة " . وقبل أن أختم كلامى ، وبكل لطف ، والحق
يقال، تناولت فى الحال قنينة العطر من الواجهة الزجاجية
وفتحتها خصيصا من أجلى . فسألتها قائلة " وإذا
لم يعجبها" فقالت " آخذه أنا ، فهو على العموم النوع
الذى أستعمله " **[تخرج من الحقيبة اللفافة وتعرضها]**
هنا يوجد المنديل **[تأخذ فى فتح اللفافة]**

جيليولا : لا، انتظرى . لأنه إذا كان هناك اختلاف بين النوعين
يختلط هذا بذلك ولا ينفع الاختبار . ابتعدى قليلا . أنت
هناك وأنا هنا **[تشير إلى طرفى الحجرة]** الشبين
الشاهد يقوم أولا بشم منديلى، ثم يشم منديلك بعد ذلك .
[تتخذ كل منهما المكان الذى حددته جيليولا]

فوريو : **[وقد بدا عليه الانشغال بسبب المهمة المكلف بها]**
لا أحب أن أتحمل مسئولية من هذا النوع .

جـيليـولا : لا تبالغ فى تضخيم الموضوع ، أيها الصديق .

فـــوريو : حاش لله . ولكنك تعرفين كل شىء . الموضوع أننى منذ عام أصبت بمرض شديد فى أنفى . وقد شفيت الآن ، ولكن حاسة الشم عندى أصبحت ضعيفة . هذه المهمة ، ألا تستطيع أن تقوم بها السيدة أمنيريس ؟

أمنيـريس : أرجوك . لقد أفقت من النوم حالاً ، وقد أصبت فى الليل بلفحة برد شديدة . أنفى مسدود بطريقة يعلمها الله .

فـــوريو : إذن نعمل الآتى : مدام بيتشوكا ، أنا آخذ مكانك وأمسك المنديل . وتقومين أنت بشم المنديل الذى معى أولا ، ثم منديل جيليولا .

بيتشوكا : لكن العطر أنا أعرفه ، فلن أستطيع التمييز وسأخطئ .

فـــوريو : سأجرب أولا . يجب أن أسلِّك أنفى جيدا . ثم نبدأ الامتحان. [**يسلك أنفه عدة مرات**] لقد فعلت . مستعدات؟

بيتشوكا : نعم ، نعم .

فـــوريو : [**يشم منديلا، ثم يشم الآخر، يتوقف فى منتصف الطريق بين المرأتين وينشق بأنفه مرارا؛ يتكرر ذلك مرة أخرى ، وأخيرا يعلن الفتوى التى يتلهف الجميع لسماعها**] ليس هناك من شك . العطر واحد .

بيتشوكا : إذن "بوناريا" عشيقة زوجك هى نفسها التى أعرفها أنا .

أمنيـريس : اطلبى القبض عليهما الاثنين ، ولا تأخذك بهما رحمة .

جـيليـولا : اسكتى . يا ماما .

كوكورولو : الاتهام بالفاحشة لابد له من أدلة .

أمنيـــريس : قلت لى إن العطر نفسه يفوح أيضا من فانلات زوجك ومن قمصانه .

جــيليـــولا : وماذا فى ذلك ؟

أمنيـــريس : الفانلات والقمصان والمناديل تقدم إلى المحكمة .

فـــــوريـو : سيداتى المحترمات ، المحكمة ليست مغسلة الملابس القذرة . والملابس القذرة -- والظرف مناسب لأقول ذلك - لا يجب غسلها خارج الأسرة .

جــيليـــولا : سألقى بنفسى من النافذة ، وأريحهم منى ، فأنا لم أعد أحتمل أكثر من ذلك . أوه ! **[تنفجر فى البكاء بقدر]**

كـوكـورولو : **[كممثلة رديئة، تحفظ مع ذلك دورها عن ظهر قلب، تسرع إلى جيليولا لتأخذ بيدها]** جيليولا ، ما هذا ، تشجعى ..

بيـتـشـوكـا : كل شىء سيعالج بحكمة ...

كـــوكـــورولو وبيتشوكا : **[فى نفس واحد مثل الجوقة]** أنت لا تزالين الزوجة .

كـوكـورولو : أوه ، كفاية .

بيـتـشـوكـا : دعك من هذا ، تكلمى ، تكلمى !

كـوكـورولو : لا ، لا ، تكلمى أنت .

بيـتـشـوكـا : بماذا كنا نقول ؟

كـــــورولو : كنا نقول : أنت لا تزالين الزوجة .

جـــيليـــولا : وما معنى هذا؟ **[وهى ما تزال تنشج]** يعاملنى كالخادمة .

أمنيـــريس : لابد من حل . إننا جميعا نفقد صحتنا يوما بعد يوم ، خصوصا ابنتى التى أصبحت لحما على عظم .

كوكوروللو : سينتهى كل شىء ، سينتهى كل شىء .

فوريو : هونى عليك . يا صديقتى ، هونى عليك . ولنحاول أن نفكر فى هدوء ، لأننى أعتقد أننا نقترب من المرحلة الفاصلة من هذه الورطة الملعونة التى تردًى فيها صديقى العزيز .

أمنيريس : آه ، يا إلهى !

جيليولا : ماذا يمكن أن يحدث بعد ذلك ؟

كوكوروللو : إذا أردتم البقاء وحدكم ، ننصرف نحن .

أمنيريس : كلا ، أنتما على علم بكل شىء : ابقيا ابقيا .

كوكوروللو : إذن يا سيد فوريو أكمل حديثك .

فوريو : أنا لم يكن من المفروض أن أحضر إلى هنا اليوم . حينما خرجت من المنزل ، كنت أريد السفر إلى روما ، لأذهب إلى الوزارة لأسجل أحد اختراعاتى : الزجاجة ذات الغطاءين .

كوكوروللو : لماذا ، غطاء واحد لا يكفى ؟

فوريو : ليس لأنه لا يكفى . أنتم تمزحون . إن هذه الزجاجة ذات الغطاءين التى اخترعتها ستحدث ثورة فى عالم تعبئة الزجاجات. كيف؟ الغطاء الأول فى مكانه المعروف ، أما الثانى فإننى أجعله أسفل عنق الزجاجة على بعد خمسة سنتيمترات من الأول .

كوكوروللو : وما الهدف من ذلك ؟

بيتشوكا : صحيح ، لماذا ، لماذا !

فــــوريـو : حتى إذا كنتم فى مخيـم رياضى ، أو فى سباق خيل ، أو فى مركب فى عـرض البحر ... باختصار ، فى مكان لا تجدون فيه فى متناول أيديكم كوبا ، فإنكم تستطيعون بعملية واحدة نزع الغطاءين ، فيدخل الهواء فى الزجاجة وبذلك تشربون كما تريدون دون التعرض لخطر جذب الشفتين داخل الزجاجة .

كـوكـورولو : يا حلاوة ...

بيـتـشـوكـا : وأين تباع هذه الزجاجة ؟

فــــوريـو : لا تباع فى أى مكان ، يجب أولا تسجيل الاختراع .

جــيليــولا : يا صديقى ، ولكننا كنا نتحدث عن زوجى .

فــــوريـو : وفى أثناء حديثنا عنه ، خرجت الزجاجة .

أمنيــريس : أنا شخصيا إذا لم تعطونى كوبا من الكرستال النظيف الشفاف ، لا أشـرب ولو قتلتمونى .

جــيليــولا : **[وقد نفد صبرها]** وبعد ؟

فــــوريـو : كنت أقـول : بينما كنت فى طريقى إلى المحطة . قابلت جولييلمو . كان ذاهلا ، شاردا . فحزنت لمشهده . الفتاة ستسافر . سترحل وتتركه !

أمنيــريس : آه ، الحمد لله !

فــــوريـو : مهلا ، مـهلا يا مدام أمنيريس . فـلا أعتقـد أن هذا الموضـوع سـينتهى بسهولة .

كـوكـورولو : فى رأيى الحكاية انتهت بالفعل. البنت كانت ذكية. استغلت الموقف لأقصى درجة . جعلته يشترى لها الملابس ،

والمجوهرات، على الأقل هذا ما يقال، ومن يدرى لعلها أيضا تمكنت من تسجيل بعض الأملاك باسمها ... لا أذكر ممن سمعت هذا ... وفعلت وحصلت على كل ما تريد، باختصار، والآن: تقول له مع السلامة ، وتذهب لحال سبيلها .

فــــوريو : وإذا كانت بوناريا هذه أكثر مكرا مما نظن ولعبت بورقة السفر معتقدة أن جوليلمو فى غمرة اضطرابه ، يمكن أن يترك بيته وزوجته وأولاده ، ويسافر معها .

جــيليــولا : ألقى بنفسى من النافذة ، ألقى بنفسى من النافذة .

كـوكـوروللو : لكن انظروا ماذا يحدث ، لكن انظروا ماذا يحدث !

بيـتشـوكـا : أنا لا أعتقد أنه ستكون لديه الشجاعة لترك العائلة .

أمنيــريس : كان دائما متعلقا بالأولاد .

جــيليــولا : يعملها ، يعملها ... أنا متأكدة .

فــــوريو : صديقتى العزيزة ، اللحظة التى يمر بها جوليلمو حرجة جدا . حينما قابلته صباح اليوم قلت له ذلك. ففاجأنى بأن قال لى: "هذه الفتاة لا يمكن أن أضحى بها . أضحى بحياتى ولا أضحى بها". ولما قلت له: "اسمع ، حذار، هذا الذى تقوم به سيدمِّرك ... فى هذا العصر الذى نعيش فيه، الحياة الخاصة لرجل مرموق مثلك تؤثر على عمله وشهرته" وهذه هى الحقيقة . الجميع يفتحون أعينهم وآذانهم. وأى زميل يستطيع أن يضرك لن يتردد : باختصار ، حذرته كثيرا . ولكننى متأكد من أنه لم يحاول حتى أن يفكر فيما قلته له . وفى النهاية ثار فى وجهى

وقال: "دعنى أذهب؛ فأنا على موعد مع بوناريا" ، وحيَّانى على عجل وهو غاضب. ثم ذهب لحال سبيله. يا للخسارة! رجل فى مثل مركزه ومكانته يضيع هكذا بكل بساطة .

أمنيــريس : رمَّة لا تستحق حتى أن تلبِّس الحذاء لابنتى .

جـيليــولا : **[وهى تنادى بلهجة حازمة وقاطعة]** لاودوميا !

كـوكـوروللو : ماذا حدث ؟

أمنيــريس : ماذا تريدين أن تفعلى ؟

لاودومـيـا : **[داخلة بسرعة]** - أمرك يا سيدتى !

جـيليــولا : احضرى القبعة والحقيبة والمظلة. مظلة المرحوم أبى، أو مظلة المرحوم عمى . المهم ، أريد أقوى مظلة عندنا فى البيت .

[لاودوميا تخرج]

أمنيــريس : أين تريدين أن تذهبى ؟ ردِّى على ماما ...

كـوكـوروللو : جيليولا ، فكرى جيدا فيما تقدمين عليه .

جـيليــولا : ليس هناك دقيقة واحدة لتضيعها **[مخاطبة فوريو]** أين سيلتقيان ؟

فــوريو : فى مطعم ، مطعم حقير يرتاده الحمالون والحوذيون . ليس المكان المناسب لمثلك .

جـيليــولا : سأذهب حتى إلى الجحيم ، لأنكِّد عليهما حياتهما .

[لاودوميا تعود حاملة ما طُلب منها . وبسرعة تضع جيليولا القبعة على رأسها وترتدى القفاز وتحمل الحقيبة والمظلة، وتسرع فى اتجاه باب الخروج. الآخرون يحاولون تهدئتها بعبارات مناسبة]

الفصل الثانى

[مطعم فى ضواحى المدينة . جيليولا وبوناريا جالستان إلى إحدى الموائد ، متواجهتين. سبق ذلك مقابلة بينهما، والآن كل منهما ترمق الأخرى بعينيها ، متحصنتين بالصمت ، كل منهما تنتظر من الأخرى أن تقطع الصمت وتقدم حلا للمشكلة . ومع ذلك ، فإن جيليولا يبدو عليها القلق والتوتر . أما بوناريا فتشعر بالقوة والهدوء للقرار الذى سبق أن اتخذته بعد طول التفكير . وبعد طول الانتظار ، جيليولا هى التى تبدأ بلهجة جافة واندفاع]

جيليولا : إذن ؟

بوناريا : [ببرود] عفوا يا سيدتى ، " إذن ؟ " هذه ، مع العديد من علامات الاستفهام ، يجب أن أقولها أنا ، وليس للسبب نفسه الذى جعلك تقولينها . وإذا أردت أن أقولها ، فإننى سأقولها مع البقية .

جيليولا : فلنسمع هذه الـ " إذن " مع البقية .

بوناريا : سأقول لك البقية كلها ، وبذلك تتصرفين وتتركيننى فى حالى. غريب أنك لم تفهمى ما قلته لك قبل قليل. ما معنى ذلك ؟ معناه إما أنك لا تريدين أن تفهمى أو أنك غبية .

جـيليـولا : احفظى لسانك !

بـونـاريـا : إذا كنت لا تريديـن أن تفـهمـى ، فإننى أقـول لك مـرة أخرى ، أما إذا كنت غبية ، فلا تضيعى وقتى .

جـيليـولا : قلت لك ، احفظى لسانك .

بـونـاريـا : قلت لك وأكرر مـرة أخرى . لم يعد هناك شىء بالمرة بينى وبين زوجك . انتـهى كل شىء . ولكن ليس لأننا مللنا من علاقـتنا ، ليس لأن كـلا منا سئم الآخر : لقد شـعـرنا بالخـوف من الزوجـة ، من الأبناء ، شعـرنا بالخـوف من الناس . الناس مخيفون . لقد وضعونا تحت المراقبة ، أنا وهو ، جـولييلمـو المسكين ." شـاهـدونا هنا ، وشـاهـدونا هناك " ، " مسـاء أمس ، كنتمـا فى السينمـا " ، " ذهبتمـا إلى الحديقـة بالسيارة " ، " شاهدناكمـا تدخلان من باب العمـارة رقم كذا بشارع كذا "وهكذا دائمـا وأبداً . بل لقد شاهدونا حيث لم نذهب لا إلى الحديقة ولا إلى السينمـا ولا ونحن ندخل العمارة رقم كذا بشارع كذا . المحل الذى أعمل به لم يقبل عليه الناس فى الماضى كما يقبلون عليه منذ بدأ العـهـد الجـديد الذى يسمـونه عـهـد " بوناريا – جولييلمو سبيرانـا " ذهاب وإياب مستمر، رجال ونساء . وبخاصة الرجال ، شىء مقزِّز !أنا التى قلت كفى ، كفى !

جـيليـولا : كفى ماذا ؟

بـونـاريـا : سـأسافـر ، سـأرحل . طلبـت نقـلى إلى فـرع المحـل فى ميلانو .

جـــيليـــولا : وبذلك تزداد حـرارة الحب فى قلب زوجى ، ويصـبح من السـهل أن يكتب لك شقة صغيرة : ثلاث غرف ، ومطبخ وحمام ، بالأثاث .

بــونـــاريـــا : أنت لم تفهمى شيئا .

جـــيليـــولا : **[بإصرار متأكدة بكذب بوناريا]** وهكذا تقل الزيارات السرية للغبى الذى يدفع، وتزداد زيارات الزبائن الخصوصيين.

بــونـــاريـــا : هذا وهم تتصوره دائما الزوجات حينما يفقدن أزواجهن. صـحيح أنـا لا أنتظر منك أن تقـولى لى : " أنا فـقـدت زوجى لأنه عثـر معك على الجنة ، ومعى أنا كان يجد الجحيم " ... ولذلك ، فأنا سـأرحل ، لأن القليل من الجنة التى عثر عليها معى وعثرت عليها معه سيتسمم بالجحيم المفتوح الذى يجده فى بيته وخارج بيتـه ، ومن الأفضل أن يبقى فى جحيم بيته ، وأنا فى جحيم فرع ميلانو .

جـــيليـــولا : مـاذا تقصـدين ؟ وضحى كلامك . تريدين أن تقولى لى باختصار إنك فقدت عقلك من أجل زوجى إلى درجة أنك تفضلين الذهاب حتى لا ترينه يتعذب ؟

بــونـــاريـــا : لا ، وإنما لكى أوفر له الهدوء ، لأننى إذا بقيت هنا ، إذا لم نقطع نهائيا ، علاقة ، ماذا أقول لك ...

جـــيليـــولا : علاقة الفاحشة .

بــونـــاريـــا : لا ، يا سيدتى العزيزة .إذا كان هذا هو تفكيرك ، إذن ينبغى أن أقـول لك مـا لم أشـأ أن أقـوله لك تأدباً منى ورحمة بك . لأن ما بيننا هو الحب فقط .

[هنا فقط تتبدد البرودة الظاهرية فى بريق الدموع فى عينى الفتاة التى تسيطر على نفسها وتواصل] أريد أن أبتعد لكى أعطى لجولييلمو الفرصة لكى ينظم حياته سواء فى البيت أم فى خارج البيت . لقد حقق جولييلمو الكثير من النجاح فى مهنته، وسيحقق المزيد من النجاح. وأنت بوصفك زوجة يمكن أن تكونى عونًا كبيرًا له ، أما أنا فباعتبارى عاشقة ، سأكون السبب فى دماره.

جـيليـولا : **[ساخرة]** – هكذا .. هكذا إذن ، تريدين أن تكونى غادة الكاميليا ؟ الفريد وفيوليتا ؟

بـونـاريـا : لا ، أنت خاطئة .

جـيليـولا : روميو وجولييت إذن ؟

بـونـاريـا : سيدتى ، أنت مثقفة . أما أنا ، فلا . أنا ابنة بوابة . لم أعرف أبى ولم أره فى حياتى . كل هذه الأسماء التى تذكرينها : " الفريد " و " فيوليتا " و "روميو وجولييت " لا تعنى شيئًا بالنسبة لى . أنا كنت أعمل فى تهذيب الأظافر . وهكذا عرفت جولييلمو . إذا كنت لا تصدقين أن جولييلمو سيكون بالنسبة لى الرجل الوحيد فى حياتى، فهذه أمور تخصك . أما ما يخصُّنى ، فهو أن الدليل الوحيد على الحب الذى بينى وبين جولييلمو هو أن نفترق نهائيا . وهذا ما سنفعله **[منادية]** مدام تيريزا !

تيـريزا : **[هى صاحبة المطعم ، تأتى على عجل]** – نعم !

بـونــاريــا : السيدة هى أخت جوليليمو سبيرانا . وهى تعـرف كل شىء . وتريـد أن تطلع على المراسلات التى تبادلتها مع جوليليمو . هـل يمكن أن تحضُريها ، إذا سمحت ؟

تيـــــريزا مفهوم ، أمرك يا سيدتى **[تخرج]**

جــيليـــولا : مـاذا تريديـن مــن وراء ذلك ؟ هـل تمزحين ؟ فيم تهمنى المراسلات التى بينكما ؟ أنا ليس عندى وقت لأضيعهً .

بـونــاريــا : لا تخافى . ليس هناك رسائل .

تيـــــريزا : **[تعود حاملة حزمتين ضخمتين من البطاقات تقدمها لبوناريا]** هاهى ذى . **[تلتفت نحو جيليولا]** سيدتى ، أنت أخت الأستاذ جوليليمو ؟ ألم تشاهديهما وهما معا ؟

جــيليـــولا : **[مغيظة ومن بين أسنانها]** لا ...

تيـــــريزا : ألا فاعلمى أنه مشـهد رائع أن تريهما وهما معا. يأتيان هنا عندى منذ بداية تعارفهمـا . هو متـزوج ... أخبـرنى بذلك ... فكيف يفعل ؟ ... حينما يستطيع الهرب ، يهرب . وأنا أجـهز لهـمـا الغداء الظريف ... أليس كذلك، يا آنسة بوناريا ؟ **[عينا بوناريا تلمعان من جديد]** وهما يجلسان هنا، على هذه الطاولة نفسها ، ودو ... دو ... دو والعين فى العين، يا ربى! وحينما لا يتقابلان ... ثلاثة أيام أو خمسة أو عـشـرة ، يتـراسـلان على عنوانى هــذا ... يرسـلان البطاقـات وأنـا أحتفـظ بهـا . بعــد إذنكما ؟ **[تخرج]**

بـونــاريــا : أنا لا أجـيـد الكتـابـة ، لذلك لم أكن أسمح لنفـسى أن أكتب له رسـالة كلهـا أخطاء . كنت أكتـفى بالبطاقة ،

أكتب عليها كلمة واحدة : " حبيبى " ، بكل مشاعرى . وهو ، لكى لا يحرجنى يرد بالكلمة نفسها .

جــيليــولا : ولذلك تريدين أن تسافرى ؟

بــونـــاريـــا : لذلك أريد أن أسافر .

جــيليــولا : وأنا ؟

بــونـــاريـــا : أنت ... ماذا ؟

جــيليــولا : ومن يتحمل فى بيته رجلا يشعر بالمرارة وخيبة الأمل . كل علاقته الزوجية تنحصر فى مجرد بعض الواجبات : "هذا المبلغ لمصاريف البيت" " وهذا للخياطة" ... " كيف حال الأولاد ؟ " " أين تريدين أن تصحبيهم للتصييف هذا العام ؟ "

بــونـــاريـــا : مع شىء من الصبر ، ومع مرور الزمن ...

جــيليــولا : يمكن تدبير الحياة المشتركة بصورة أفضل !

بــونـــاريـــا : يعنى ...

جــيليــولا : **[بشىء من الخبث يبدو فى عينيها حيث تظهر إحداهما أقل انغلاقا من الأخرى]** – وأنت تتكلمين ، كنت أنظر إليك وأفكر وأقول فى نفسى ، هذه الفتاة تعجبنى ، أنا أحسدها ... ليس لأنها سعيدة مع جوليلمو ، كلا : لأنها تملك ما ينقصنى أنا . أنت تتمتعين بإرادة قوية ، تعرفين ماذا تريدين وأين تستطيعين الوصول .

بــونـــاريـــا : وبعد ؟

جــيليــولا : ألا تستطيعين ، مثلا ، أن تغيرى من خطتك ؟

بـونـاريـا : كيف ؟

جـيليـولا : أنا أغلق عيناً... وأنت تؤجلين سفرك حتى يمكن، مع مرور الزمن، أن تستقر الحياة المشتركة بيني وبين زوجي .

بـونـاريـا : **[دون أن تتأثر على الإطلاق بالاقتراح ، تجيب باللهجة المحايدة نفسها التى استعملتها مع بوناريا حتى الآن]** سيدتى . أنا فتاة نشأت فى بيئة فقيرة. كانت أمى بوابة. كانت مهمتنا أن نلبى رغبات السكان ، نفعل ما يريدون. وهذا هو الفارق بينى وبينك . وهكذا أنت التى تعرفين دائما ماذا تريدين ، بينما أنا أعرف فقط ما لا أريد . الحياة المشتركة بينك وبين زوجك ، افهمى هذا جيدا ، لن تستقيم أبدا .

جـيليـولا : أنت حطمت حياتى وبيتى .

بـونـاريـا : سيدتى ، بيتك كان محطما قبل أن يعرفنى جولييلمو ، وإلا لما بحث عنى .

جـيليـولا : **[فى قمة الإثارة تصفع بوناريا]** قذرة !

بـونـاريـا : **[كأنها لم تشعر، تطالع البطاقات واحدة واحدة]** حبيبى ...

جـيليـولا : أفعى ! **[تصفعها مرة ثانية]**

بـونـاريـا : [الأداء نفسه] حبيبى ...

[يدخل جولييلمو ويقف على حدة ويشاهد]

جـيليـولا : ملعونة ! **[صفعة ثالثة]**

بـونـاريـا : **[وهى ما تزال تقرأ]** حبيبى ...

جـيليـولا : ساقطة **[صفعة رابعة]**

بـونـاريـا : [وهى تقرأ ، لكنها الآن تكتم انفجارًا بالبكاء] حبيبى !

جـيليـولا : [يتدخل ، وبهدوء يتصدى لذراعى جيليولا بحيث يمنعهما من الإفلات ، ثم يرمقها بنظرة تحذير ، ثم وبغضب مكتوم] لن أسمح لك بلمس بوناريا مرة أخرى . [يضطر زوجته لصفع نفسها أولا باليد اليمنى ، قائلا] هل ... [ثم باليد اليسرى] ! فهمت ؟ [تظل جيليولا متحجرة ، وعيناها جاحظتان ؛ جولييلمو يواصل] إياك أن تهينى هذه الفتاة . هل ... [صفعة باليد اليمنى] ! فهمت ؟ [صفعة باليسرى ، ثم يخفف الضغط ويجبر الزوجة على عقد ذراعيها كالتلميذة ويشير إليها بالصمت واضعا إصبعه على أنفه] سـ سـ ست ! هل فهمت ؟ [تظل جيليولا جامدة بلا حراك فى الوضع الذى فرضه عليها الزوج ، الذى يتوجه إلى بوناريا بكل رقة] السيارة فيها حقائبك فى الخارج . إذا أردت ، يمكنك أن تسافرى .

بـونـاريـا : [وهى تجمع البطاقات من فوق الطاولة] وهذه ؟

جـوليـيلمـو : خذيها معك . وحينما تتوافر لديك القوة ، مزقيها . [بوناريا تأخذ البطاقات ، وبعد أن تنظر مليا فى عينى جولييلمو نظرة حزينة ، ودون أن تلتفت إلى جيليولا ، تتوجه ناحية الباب وتنصرف . جولييلمو يجلس بهدوء فى مكان بوناريا . وبعد وقفة طويلة ، يسمع فى الخارج محرك سيارة تنطلق ، عندما تبتعد الضوضاء وتختفى ، يسأل] تريدين تناول الغداء هنا أو تشربين شيئا فقط ؟

هذا المطعم يقدم طعاما جيدا ومشروبات تفيد فى الحالة التى نحن فيها .

[جيليولا تنهض وهى تشعر بالإهانة ، وتتصرف دون أن تنطق بكلمة واحدة . جوليلمو ، وقد شعر أنه تخلص من حالة الضيق ، يأخذ راحته ويضع مرفقيه فوق الطاولة وجبهته فوق قبضتيه مجتمعتين. بعد قليل ، يصل فوريو . يتقدم خطوات قليلة ، وحينما يلمح جوليلمو جالسا على هذه الطاولة وقد ظهر عليه الهم ، يتوقف ، رامقا لحظة صديقه بنظرة شفقة لا تدع شكا فى شعور الرضا الذى يحس به فى هذه اللحظة . وفى لمح البصر ، يتحول تعبير الوجه إلى قلق شديد يناسب مقام التأثر الأخوى الذى يكتسبه ، ليس فقط بنبرة حزن فى الأزمة التى عصفت بالسلام العائلى للزوجين ، وإنما يجعله على أهبة الاستعداد لمدّ يد العون لصديق الدراسة الذى لا ينسى]

فوريو : جوليلمو حبيبى ! ماذا حدث ؟ هل فعلا تريد أن تصل بالأمور إلى أقصى حد ممكن ؟ هيا ، أنت رجل ، وعليك مسئوليات. جيليولا كانت محطمة بالمعنى الحرفى للكلمة . وحماتك ، دعنا من الحديث عنها . أنا ذهبت إلى بيتك فى زيارة قصيرة . فقالت لى أن أسرع إلى هنا لأرى ماذا يجرى ؛ لأن المرأة المسكينة لم تستطع أن تمنع جيليولا من المجىء إلى هنا لتفاجئك بصحبة بوناريا تلك .

جـولـيـلـمـو : دعك من التـهـريج وكف عن الهـراء، لأنك أنت الذى جئت بجيليولا إلى هنا .

فـــــوريـو : [منافقا] أنا ؟

جـولـيـلـمـو : لا تنكر ، فهذا أسوأ . لقد شـاهدتك حين وصولى إلى هنا ؛ كنت أغلق باب السـيارة ، وكنت أنت واقـفـا أمـام المبنى المجاور المكتوب عليه " بيض طازج " وكنت تشرب بيضة .

فـــــوريـو : يخلق من الشبه أربعين يا جوليلمو .

جـولـيـلـمـو : ومن الذى أعطى جيليولا عنوان هذا المطعم ؟

فـــــوريـو : معروف للجميع أنك تتقابل هنا مع بوناريا .

جـولـيـلـمـو : أصبح معروفا للجميع حينما عرفته أنت .

فـــــوريـو : أنا أعذرك ، لأنك الآن لا تملك السيطرة على نفسك .

جـولـيـلـمـو : لحسن الحظ! لأن هذه هى السعادة الوحيدة التى تعزينى لأنه لكونى لا أسيطر على " نفسى هذه " التى أنفر منها، أستطيع أن أقول لك بكل صراحة ووضـوح ، إننى لا أريد أن أرى لك وجـوداً فى حـيـاتى ، وأننى لم أعـد أحـتـمل نفاقك وأكاذيبك .

فـــــوريـو : هذا الكلام موجه لى ؟

جـولـيـلـمـو : لك بالـذات ! أنت طبعا فوجئـت لأن الكلام عـلى غـير ما تهوى .

فـــــوريـو : ولكن ما مناسبة هـذا الكلام .وعـن أى نفـاق تتحـدث؟ هل أنا الذى أحضرت جيليولا إلى هنا ؟

جـوليـيلمـو : نعم . وأنا متأكد من ذلك . يجب أن تخرج من حياتى . اغرب عن وجهى . عاش الأعراب الذين يبنون الجدران العالية لتحيط ببيوتهم ، وبارك الله فى النوافذ التى عليها الستائر . كل شىء بالداخل فى الحفظ والصون . الأفراح والأتراح والانتصارات والهزائم ، كل شىء مستور ! كل شىء بعيد عن أعين الغرباء ، الأيام المريرة ، واللذيذة ، السعيدة والأليمة فى حياتنا تصبح فى أيدى أمثالك مواد استهلاكية وسلع تجارية تباع بالمتر وبالكيلو فى البيوت وفى الشوارع والميادين . أريد أن أخلع ثوب البلهاء الذين أجبرونى على ارتدائه، وبعد أن ارتديته قالوا إنه يليق بى!

تيـــــريزا : **[تتقدم نحو فوريو وبيدها ورقة حساب واجب الدفع]** هذا هو حساب المشروبات التى شربتها مع أخت السيد جولييلمو. إذا كنت لا تريد أن تدفع الآن ، أضيفها على الحساب .

فـــــوريو : **[مضطربا ، يرفع رأسه ليثبت نظره على جولييلمو ، ولكن حينما يقابل بنظرة الاتهام من الصديق ، يصرف نظرته ويحطها على المسكينة تيريزا وهو يتميز غيظا]** أدفع الآن . خذى **[يعطيها بعض النقود]** الباقى لك .

تيـــــريزا : شكرا **[تضع النقود فى جيبها وتنصرف]**

[فوريو ، مع أنه يبدو تحت وطأة هزيمة أخلاقية مفاجئة ، فإنه فى الحقيقة سعيد لأنه استطاع أن يقول لهذا "النذل" الماثل أمامه كل ما كان يعتقده فيه دائما ، وقبل أن ينصرف يوجه نظرة طويلة مسمومة إلى جولييلمو]

جـوليـيلمـو : هيا ، اغرب عن وجهى .

فـــــوريـو : **[بعد تأمل قصير]** لكنك فاسد ، نتن من داخلك .

جـوليـيلمـو : جولييلمو : وبعد ؟

فـــــوريـو : إذا أنت خلعت ثوب الأبله ، فستبقى فى قميص وفانلة الأبله أيضا، وتحتهما السروال. وهو سروال الأبله أيضا . وكذلك الجوارب . وإذا نزعت البشرة، وهى بشرة الأبله كذلك ، فسيبقى الهيكل العظمى وهو أكثر بلاهة من البشرة ومن الثوب . وإذا أنت فتحت الجمجمة فستجد مخ الأبله بداخلها . هل فهمت؟

جـوليـيلمـو : وبعد ؟

فـــــوريـو : وهل تعلم لماذا شهادتك الجامعية لم تظل مجرد " قطعة ورق" وطارت إلى أعلى مع الشهادات التى لها قوة وتأثير المفاتيح التى يسمونها فى الفنادق "المفاتيح العمومية " ، ويسمونها فى المجتمع " الفساد " و " الوصولية " و"المحسوبية " ، هل تعلم لماذا ؟

جـوليـيلمـو : بسبب " فساد " و " وصولية " و " محسوبية " حماى .

فـــــوريـو : لأنك وصولى ، عرفت كيف تنظر إلى بعيد ، ووضعت عينيك على جيليولا . ثم كافأتها ، كما أخبرتنى قبل قليل وهى تبكى ، صفعتها أمام عشيقتك .

جـوليـيلمـو : جيليولا ، أنا صفعتها بيديها هى حتى لا ألمسها ؛ أما أنت فإنى أصفعك بيدى .

فـــــوريـو : مسكين يا جولييلمو !

جـوليـيلمـو : لا أريد أن أراك فى طريقى أبدا .

فـــــوريو : أنا تحت أمـرك يا صـديقى العـزيز . **[ينهض ويتوجه ناحية الباب]** ولكن تذكر يا سيد جولييلمو سبيرانا ، جميع الأبواب التى - بفضل حماك المحترم - كنت تجدها مفتوحة على مصراعيها أمامك ، ستجدها بعد ذلك مغلقة بإحكام . سوف يحكم المجتمع على سلوكك الفاضح .

[يظل لحظة فى انتظار أى رد فعل من جانب جولييلمو ، لكن جولييلمو لا يرد ، وهكذا ينصرف فوريو]

جـوليـيلمـو : ينهض مرة واحدة ، ويتـوجـه ناحـيـة البـاب ، وينظر إلى الخارج ليتأكـد من ذهاب فوريو . حينما يتأكد من ذلك يسرع إلى مقدمة المنصة ويخاطب الجمهور ، بينما تقفل الستارة المخملية السوداء خلفه] رمّة عفنة . نمام قذر . ما دخل حماى فى نجاحى فى عملى ؟ إن صفع زوجتى أمـام بوناريا شىء يخـصـنى أنا وزوجـتى وحـدنا ، كيف يسمح المجتمع لنفسه بأن يحكم على أفعال تحدث فى إطار خصوصيات أسرة ؟ إذا كـان لابد من إرسال هـذا الغسيـل القـذر إلى الحمـام العمـومى فلنرسـها ، ثم لا يتـحـدث عنهـا أحـد بعـد ذلك . حـضـراتكم كنتم موجودين حينما قلت " إذا اضطرونى ، فسأقص عليكم كل شىء بالتفصيل " ... وهاهم يضطروننى ، يجبروننى . إذن من حـقى ، بل من واجبى أن أشـرح لكم . شـرحـًا وتوضيحـًا . وفى الختام ، أناشـدكم الرحمـة . على الأقل

الرحمة من جانبكم [**السـتارة المخملية تفتح كاسفة عن داخل منزل جوليـيلمـو . جيلـيولا جـالسـة على الأريكة كاشفة البال ، لكنها يقظة ومتنبهة**] . هذه جيليولا وهذا ما حدث منذ ست سنوات . [**بعد صمت قصير ، وهو يمرر يده فوق جبينه كأنما ليتذكر الحوار الذى دار بينه وبين جيليولا ؛ يقرِّب كرسيا من الطاولة ويجلس أمام زوجته**] إذن ؟

جـيليـولا : كما تريد يا جولييلمو ، أنا متعبة ، مرهقة . منذ ستة أشهر ، ودون رحمة لحالتى الجسدية ، ولكبريائى ، وكرامتى ، لقد وضعتنى تحت نار سلسلة من الأسئلة ، ويجب أن تعترف أنها ليست أسئلة سهلة ، وإنما أسئلة ثقيلة . كما تريد أنت ... لكننا يجب أن نصل إلى طريق ، أيا كان هذا الطريق .

جـوليـيلمـو : الحقيقة أننا نضل فى متاهات ، ولا نملك الشجاعة لكى نتصارح بالحقيقة ، وجها لوجه .

جـيليـولا : الحقيقة ، أنت تضطرنى لقولها ، حينما تجعلنى أتفجَّر بالأكاذيب التى أقولها لك حتى لا نصل إلى نتيجة قاسية يمكن أن تحطم بيتنا .

جـوليـيلمـو : ألا تعلمين أننى فى الماضى ، وخوفا من حقيقة يمكن أن تدمرنى كفرد ، لكى لا أقول كرجل ، كنت أتشبث بأكاذيبك معتبرا إياها حقائق مقدسة ؟

جـيليـولا : أرجوك ! هل تعـرف مـا الحـقيـقـة المقدسـة ؟ إذا كـانت الأكاذيب التى كنت أقولها لك ، اعـتبرتها أنت حـقائق ، فإن ذلك لم يجعلنى أحبك وأعجب بك وحسب .

جـوليـيلمـو : آه ، الصديقات العزيزات ...

جـيليـولا : الشماعة المعتـادة ، "الصديقات" . صديقاتى لا دخل لهن بالمرة ، وبخاصة تلك التى توجه إليها الاتهامات دائما .

جـوليـيلمـو : [بنظرة ذات مغزى] الكونتيسة ماريا ديللى جراتسيا فيليبيتى أولتيرا ...

جـيليـولا : أنت ظالم . هذه السيدة الفاضلة تذكرك دائما بالخير .

جـوليـيلمـو : أكـيـد !... ليس هـناك طريـقـة أجـدى مـن ذلك لتـصـديـق أقوالها المسمومة التى تبثها .

جـيليـولا : ليست بحاجة مطلقا إلى بث سموم . كانت دائما تقول لى : " حـذار . فكرى فى زوجك . يجب أن تحـبيـه ، على الخير والشر " .

جـوليـيلمـو : على الخير والشر ؟

جـيليـولا : طبعا . ودائما تذكرنى بأن عندى ولدين ، وأن أى خطوة خاطئة يمكن أن تؤدى إلى دمارى. وإذا كان ينبغى أن أتحمل وأصبر، فعلىَّ أن أتحمل آلام المسيح وأصبر على الجحيم.

جـوليـيلمـو : أى آلام مسيح ، وأى جحيم تتـحملين ؟ ومـا العيـوب التى تشير عليك بتحملها والصبر عليها ؟

جـيليـولا : جوليلمو ، لقد تركتنى وحدى شـهوراً كاملة ، بيتا كاملا فوق ظهرى ومسئولية طفلين ناشئين .

جـوليـيلمـو : دائما لأسباب تتعلق بالعمل .هل كان سهلا علىَّ أن أكون بعيدا عنك وعن الأولاد ؟كنت أترك البيت يسير على نهج معين ومحدد ، وحينما أعود أجد شيئا جديدا ينغص علىَّ حياتى. ألم أعد مرة من السفر لأجد فورتوناتو وفيليتشى معمَّدين ومثبتين

جـيليـولا : فى رأيك هل أترك هذين الطفلين يترعرعان كالحيوانات دون تعميد ؟

جـوليـيلمـو : آه ، كـده ؟ ألم نتفق على ذلك منذ كنا خطيبين ؟ ألم أشرح لك مرارا أسلوب التربية التى كنت أرجوها لأولادى ؟ ألم أقل لك إننى أقتل نفسى ولا أفرض على أولادى شيئا مما فرضه على أهلى دون موافقتى ؟

جـيليـولا : فى أثناء الخطبة تقال أشياء تبدو سهلة التنفيذ، ولكن بعد ذلك، الزواج يواجهك بحقائق على أرض الواقع، ومنطق عملى يوضح لك الأمور. أليس من الممكن أن تتعارض الأفكار ؟ آراء كثيرة تأتيك من هنا ومن هناك ، الأهل والأصدقاء والمعارف. الجميع وفى صوت واحد يقولون لى: ألم تعمِّدى الأولاد بعد؟ تلك السيدة الفاضلة ، الكونتيسة ماريا ديللى جراتسيا فيليبيتى أولتيرا ، حينما علمت بأن " فورتوناتو وفيليتشى " لم يُعمَّدا ، صُعقت ، وصاحت بى المسكينة تقول: "هل تعلمين أن هذين الطفلين إذا ماتا دون تعميد لا يحق لهما الحساب يوم القيامة ، ويظلان إلى الأبد فى الأعراف ؟ " كانت المسكينة تبكى وهى تقول لى ذلك .

جـوليـيلمـو : ولكن ما دخل ماريا ديللى جراتسيا فى مصير أبنائى بعد
الموت ؟ وإذا كان فورتوناتو وفيليتشى يفضِّلان حينما
يكبران أن يبقيا فى الأعراف ؟ كيف تسمح ماريا ديللى
جراتسيا بأن تضع حدا لروح المغامرة عند الإنسان ؟
هل اتفقنا على ذلك ونحن خطيبان ؟ ثم إن أى تغيير كان
ينبغى أن نناقشه معا . افترضى أن فورتوناتو وفيليتشى
حينما يكبران يقولان لى : " بابا ، لماذا عمَّدتنا ؟ نحن
لا نريد ذلك " . فماذا أفعل إذن ؟ هل ألغى تعميدهما ؟
كنت أريد أن يقررا أمورهما وحدهما حينما يكبران .
السيد المسيح تعمد وهو فى الثلاثين من عمره .
لم الاستعجال بالنسبة لأولادنا؟ ولماذا هذه الـ "ماريا"
تسمح لنفسها بتقرير شئون ومستقبل أولادى ؟

جـيليـولا : هذا هو عيبك . شرس وصلب الرأى تظل تدق على
المسمار نفسها حتى نصل إلى النقطة الميتة . ليس فقط
بخصوص التعميد أو الختان ، ولكن بخصوص أمور
أخرى كثيرة لابد أن تسير كما تريد أنت وحدك . وتنسى
أننى موجودة أنا أيضا فى حياتك ، ولى عقل فى رأسى ،
وأفكار مختلفة عن أفكارك ، ومن حقى أن أتكلم وأناقش
وأعارض . لكن ، لا ، أى شىء يجب أن يبدأ وينتهى كما
تريد أنت وحدك .

جـوليـيلمـو : بل كل شىء يجب أن يبدأ وينتهى كما يريد الآخرون ،
بما فى ذلك الموضوع الذى أبعدك عنى للأبد .

جـــيليـــولا : الإنسان يمكن أن يصاب بالجنون وهو يتحدث وحده .

جـوليـيلمـو : ولكنه يعـود إلى عـقله إذا شــارك فى حـوار جـديد مع الحبيب البائس القديم من باب الرحمـة والشفقة والحنين "للسيمفونية التى لم تنته" ، لما كـان ينبـغى أن يكون ، ولكنه لم يكن .

جـــيليـــولا : [باندفاعة غضب] الإنسان يلجأ إلى أى شخص وإلى كل شىء لكى يخرج من نُقرة .

جـوليـيلمـو : يخرج من نقرة ليقع فى حفرة .

جـــيليـــولا : مرة واحدة وقعت فى حفرة .

جـوليـيلمـو : [بمرارة] مرة واحدة ؟...

جـــيليـــولا : [متحدية] مرة واحدة فقط ... أكررها لك .

جـوليـيلمـو : [بالأداء نفسه] أيضا ...

جـــيليـــولا : [شرسة] نعم ، نعم . حينما يتعلق الأمـر بالمرة الحسنة ، " المرة الوحيدة " يكفى للأبد .

جـوليـيلمـو : ولماذا لم تستمرى ... ؟

جـــيليـــولا : أنا عندى ابنان ، وهو ثلاثة .

جـوليـيلمـو : [مصدوما ، بعد وقفة طويلة] كيف ... كيف استطعنا أن ننجب ولدين ...

جـــيليـــولا : [ماكرة] حينما لا يكون هناك ما يقال فى الفراش ، نعمل أولادًا .

أمنيـــريس : [داخلة] الأكل جاهز . الطباخة عملت مكـرونة فى الفـرن على الطريـقة الصـقليـة ، وعليها البـاذنجان [المسقعة] .

أنا أيضا سآكل منها ، تبا للرجيم وللعلاج . سواء طبقته أو لم أطبقه ، فلم يبق من عمرى إلا القليل .

جـيليـولا : [**الجوليلمو**] . أنا ذاهبة لآكل ، هل ستأتى أنت ؟

جـوليـيلمـو : أنا سآكل فى الخارج .

جـيليـولا : وفى المساء ؟

جـوليـيلمـو : سأعود متأخرًا . حضرى لى شيئا من الطعام البارد .

جـيليـولا : [**بلا اكتراث**] حاضر .

أمنيـريس : [**بكل رقة مسبلة عينيها كتمثال صينى**] ستخرج ؟

جـوليـيلمـو : سأخرج .

أمنيـريس : [**لابنتها**] سيخرج ؟

جـيليـولا : سيخرج [**وتنصرف**] .

أمنيـريس : [**الأداء نفسه**] بعد إذنك [**وتنصرف هى أيضا**] .

جـوليـيلمـو : [**بعد صمت طويل ينهض ويتقدم نحو مقدمة المنصة ، بعد إلقاء نظرة بانورامية على القاعة ، يتوجه بالخطاب إلى الجمهور بصوت متعب**] على أية حال ، مضت السنون [**بعد وقفة قصيرة، يظل فى أثنائها جامدا ونظره مثبت على الجمهور، صوته أصبحت تشوبه نبرة التوسل**] الرحمة ! الرحمة ! الرحمة ! [**وهو خارج من أحد الكالوسين لا يزال يكرر**] الرحمة ! الرحمة ! الرحمة ! [**تقفل الستارة الحمراء . مضت عشرون سنة . المغنية بالجيتار تجتاز المنصة وهى تترنم بأغنية من الأغانى المشهورة عام ١٩٥٧ تخرج المغنية . تظهر حجرة طعام**

تتوسطها الطاولة وستة كراسىٍّ ، وقد جلس فى مكان جوليلمو المعتاد ، فورتوناتو ، الابن البكر لجوليلمو وجيليولا . الابن منهمك فى قراءة الصفحة الثالثة من صحيفة يمسكها بين يديه مفتوحة . بعد وقفة قصيرة ، تظهر من أحد الكالوسين فيتورينا زوجته ؛ يسمع رنين جرس الباب] .

فيتورينا : هاهم قد وصلوا . **[بسرعة]** قم يا فورتوناتو، لا يجب أن يروك جالسًا إلى الطاولة .

فورتوناتو : يعنى تريدين أن أكون متكافا مع أخى وزوجته ؟

[ومع ذلك ، ينهض ويبتعد عن الطاولة]

فيليتشى : **[من الداخل تتقدمه فيتورينا وتتبعه زوجته روزا]** سامحونا يا جماعة . تأخرنا قليلا بسبب تيتيللو . صباح الخير .

فورتوناتو : أهلا وسهلا .

[زوجتا الأخوين تتعانقان وتتبادلان القبلات]

روزا : بدأ يفهم . حينما يرانى أضع القبعة على رأسى ، يعرف أننى خارجة ويهيِّج البيت .

فيتورينا : قلت لى إن الطفلة التى وجدتها ، كارولينا ، أصبحت متعلقة بتيتيللو وهو أصبح متعلقًا بها .

فيليتشى : بالنسبة للعب والخروج للفسحة والذهاب إلى المدرسة ، لكن حينما يأوى إلى الفراش يريد "ماما" بجوار سريره .

روزا : وكارولينا تمد "بوزها" من الغيرة . **[إلى فيتوريا]** أحضرت لك وردتين .

فيتورينا : يا حبيبتى ...

فورتوناتو : هل نجلس إلى المائدة ؟

فيليتشى : هل تريدين أن تأكلى الآن ؟ أنا أريد .

فيتورينا : لقد أعددت لكم كباب حلة بالموتساريللا والبسلة ... الطباخة بتعمله حلو قوى .

فورتوناتو : إذن ، هيا إلى المائدة .

الجميع : إلى المائدة .

فيتورينا : اذهب إلى المطبخ لحظة واحدة .

فيليتشى : آخر لمسة يجب أن تعطيها سيدة البيت .

فيتورينا : **[هازلة]** اللمسة السحرية . دقيقة . اجلسوا أنتم **[تخرج]**

فورتوناتو : زوجة أخى بجوارى **[بمجرد أن يجلس الثلاثة ، يرن جرس الباب طويلا]** تصوروا لو يجلس معنا على المائدة جرس الباب أيضا .

فيليتشى : جرسان هما اللذان يجلسان إلى المائدة معنا دون دعوة : جرس الباب وجرس الهاتف .

فيتورينا : **[من الداخل]** تفضلى يا ماما !

فيليتشى : **[مندهشا من الزيارة المفاجئة]** ماما ؟

روزا : هل تنتظرونها .

فورتوناتو : لا .

جـيليـولا : [تدخل تتبعها فيتورين] صباح الخير . أنتم على المائدة .
أنا آسفة . لكن الموضوع مهم جدا وعاجل وإلا لما سمحت لنفسى بالمجىء وإزعاجكم فى وقت الغداء . أين أذهب ، ومع من أتكلم ؟ تعرفون ليس لى أحد غيركم . الموضوع يتعلق بوالدكم . اسمعوا ما الذى ينوى عمله ... منذ ثلاثة أشهر وهو يحكى لى موضوعات غامضة ، أعمال واستثمارات ومشاريع ... المهم فى النهاية قال لى إنه آن الأوان لعمل شىء من أجل تحسين الحالة المالية للأسرة... لكن ، لأنى أعرفه جيدا ، وأعرف أنه حينما يبدأ فى الكلام لا ينتهى أبدا ، قلت له : "طيب ، طيب ، ماشى" وأنا لا أعرف عما يتحدث ، بل أفكر فى موضوع آخر ، وحينما انتهى من الكلام، لم أعرف عن أى شىء بالضبط كان يتحدث وماذا قال . لكن هذه المرة ، الوضع يختلف ، لا بد أن هناك شيئا ما وراء الكلام ، لأنه مع مرور الوقت لم يكف عن الحديث عن تحسين الحالة المالية وتطوير الوضع الاقتصادى . الإلحاح من جانبه جعلنى أشك فى الموضوع ، وجعلنى أنتبه لما يقول، وفى النهاية فهمت كل شىء . فهمت ماذا يريد بالضبط . إنسان مجنون ، فقد عقله تماما : يريد أن يستثمر مبالغ ضخمة فى مشروع فى رأيه سيجلب عليه الملايين فى ظرف سنوات قليلة جدا . ومن أجل ذلك ، يريد أن يبيع الأرض .

فيتورينا وروزا: [معا] يريد أن يبيع ؟

فـيتـورينا : أى أرض ؟

جـيليـولا : لم أفـهم ولم أحـاول أن أفـهم . المهـم أنـه يجب ألا يمس شبرا واحـدا مما سيؤول إلى أبنائى بعد مـوته **[جرس الباب]** هذا هو ! فـتـاة مـسكينة تتـزوج لكى تتـحـرر من عائلتها ، فإذا بها تجد حولها عائلة أخرى أدهى وأمرّ من الأولى . يا ربى ، هل من المعـقـول أن الواحـدة فى هذه الحياة تخرج من جحيم لتدخل فى جحيم آخر .

[جرس الباب يرن مرة أخرى]

فـيتـورينا : أنا ذاهبة لأفتح **[تخرج]** .

روزا : إذا كـان هذا بـابـا ، فـالأولاد أيضـا مـوجـودون ويمكن الوصول إلى حل .

فـيتـورينا : **[من الداخل]** تفضل يا بابا !

جـوليـيلمـو : **[داخلا]** – جئت وقت الغداء ، أنا آسف .

فـيتـورينا : **[داخلة]** – دعونا روزا على الغداء ، ثم جاءت ماما .

جـوليـيلمـو : أفسدنا عليكم يومكم ، لكننى مضطر لإنهاء الحديث الذى بدأته مع جيليولا .

جـيليـولا : ننهيه مـرة أخـرى ، لأن الأولاد من المفـروض أن يتناولوا الغداء . إلى اللقاء وبالهناء والشفاء .

فـيتـورينا : انتظرى يا مـامـا . إذا كـان الموضـوع مـهمـا ، أليـس مـن الأفضل الوصول إلى حل فورا ؟

فـورتورناتو : إذا أحببتما ، تركناكما وحدكما .

جوليلمو : ولماذا ؟ الموضوع يخصكم أنتم بالذات ، ومن الأفضل أن تبقوا وتقولوا رأيكم ، وبذلك نصل إلى نقطة التقاء .

فورتوناتو : إذا كان الأمر كذلك ...

جوليلمو : والدتكم لمّحت لكم بشيء ...

فورتوناتو : كلا ، أبدا . أنا شعرت أنها تريد أن تتكلم ، لكنك وصلت بعد ذلك .

جوليلمو : جيليولا ، أريد أن أعرف لماذا غضبت وخرجت بمجرد أن أشرت إلى الموضوع الذى نتناقش فيه منذ ثلاثة أشهر .

جيليولا : الذى تناقشه أنت ، لا أنا . تركتك تتكلم كما تريد ، لأننى كنت معتقدة أنك مع مرور الوقت ستتفتح عيناك . ولكنك كعادتك دائما تشد الحبل ، تشد ، تشد ، حتى ينقطع . ولكننى هذه المرة أردت أن أقطعه أنا بنفسى. إذا كنت قد صممت على تدمير العائلة ، فلن أسمح لك بذلك . عندى المحامون الذين سيوقفونك عند حدك . واعلم أن القانون فى صفى. إن زوجة - بل جدة، لأننا عندنا الآن أحفاد - إن زوجة صالحة، تعرف واجباتها، تدرك أن من واجباتها أيضا أن تحافظ على مصالح الأبناء والأحفاد .

جوليلمو : ألم أظل أعمل طول حياتى من أجل بيتنا؟ كل ما كسبته ، ألم أكسبه من أجل العائلة ؟

جيليولا : إذن، الأموال، والبيت ، والأثاث والمجوهرات ، لا تستطيع أن تفعل فيها ما تريد لأنها لم تصبح لك، إنها ملك للعائلة .

جوليلمو : **[إلى الأبناء، الذين أرادوا أن ينأوا بأنفسهم عن الخلاف، لقد ظلوا صامتين منذ البداية متخذين موقفا سلبيا، أحيانا ينظرون إلى السقف وأحيانا ينظرون إلى الأرض. ومرة يسوون رابطة العنق، دون أن يغلبوا طرفا على الآخر]** إن أمكما لا تريد أن تفهم **[فورتوناتو ينظر إلى السقف، وفيليتشي ينظر إلى الأرض]** ترفض أن تفهم ما أشرحه لها منذ أكثر من ثلاثة أشهر.

جيليولا : أنت لم تقل لي الحقيقة. هناك شيء تخفيه عني. جوليلمو، ما دمت على قيد الحياة، لن تبيع طوبة من البيت، بيتنا، لن تمس شبرا واحد من الأرض.

جوليلمو : كل هذا ملكي، وإذا أردت أن أبيعه بعته فورا.

جيليولا : أنا أعترض. المحامي شرح لي كل شيء. أنا أمنعك، وسيوقع على ذلك أبناؤك أنفسهم. وإذا لم يوقعوا، فزوجاتهم فيتورينا وروزا سيتولون إقناعهم. مع السلامة **[تخرج]**.

جوليلمو : وهل تقبلان أنتما أن توقعا على إقرار مهين يضر بمصلحة أبيكما؟

فورتوناتو : هذا هو الموضوع. أنت وماما تعملان من الحبة قبة، موضوع بسيط تحولانه إلى مأساة. لا أحد هنا ينوى أن يلحق بك أي ضرر أدبي. الموضوع يمكن أن يناقش. توضع النقاط على الحروف وتصلان إلى اتفاق.

فيليتشي : بالنسبة لي، أقول الحقيقة، أنا عمري ما رأيت ماما هائجة بهذه الطريقة.

جـوليـيلمـو : لأنهـا نشـأت وتـرعرعت فى أسـرتهـا تحت صـوبة تتنفس فقط هواء نقيا، تعيش آمنة مطمئنة، دون أن تدرك أسباب ذلك . فـمن الطبـيـعي الآن أن ترفض أن تفـهـم . هذا هو الموضوع. فماذا ترون؟ **[ينتظر إجابة لكنه لا يتلقاها لا من الأبناء ولا من زوجاتهم]** حـاولت أن أقنعـهـا بكل الطرق، بالصـبـر والرقـة والهـدوء، ولكن لا فـائده لم أتمكن من إقناعـهـا بالاسـتمـاع لما أقـول . هل مـوقف أمكمـا هذا صحيح ؟ وليس الموضوع موضـوع يوم أو يومين، بل منذ شـهـور وسنوات وأنـا مع أمكمـا أدق رأسـى فى الحـائط. **[حتى هذه المرة . لا يتحـرك للأبناء ولا لزوجاتهم جفن]** يا أولاد، أنا لا أستطيع أن أظل أتكلم وحدى كالمجنون . يجب أن تبدوا رأيكم بالإيجاب أو بالنفى .

فــورتوناتو : بابا ، أى رأى يمكن أن نقوله إذا كنا لا نعلم شيئا عن الموضوع ؟

جـوليـيلمـو : ألم تسـمعوا أن أمكم تريد أن تجمع توقيعاتكم وتضيفها إلى توقـيـعـهـا لتـحـجـر علىَّ وتمنعنى من التـصـرف فى أملاكى ؟

فـيليـتـشى : هذا فـهـمناه . والآن نريد أن نفـهـم مـا الموضـوع الذى ترفض ماما أن تفهمه.

فـيـتـورينا : عفوا يا فيليـتشى ، لا فـائـدة مـن التحـدث كما نلعب بالكرة ، أنا ألقيـهـا إليك وأنت تلقيـهـا إلىَّ . مـامـا تكلمت قـبل قليل بكل وضـوح : القـرار الذى اتخـذته مـامـا كـان

نتيجة لحاجة بابا إلى أموال كثيرة لتنفيذ مشروعه ، ومن أجل ذلك قرر أن يبيع الأرض .

جـوليـيلمـو : من الطبيعى أنكم عقدتم اجتماعاً للعائلة .

روزا : كلا . لأننا بينما كنا نتحدث ، وصلت أنت .

فـيـتـورينا : الباقى عرفناه كله . لأن الأخبار وصلتنا من طرق أخرى . لم يكن من الضرورى عقد اجتماع للعائلة ، لأن جميع الأصدقاء كانوا يتكلمون فى الموضوع : " الحقوا ، امنعوه ، هذه خطوة خاطئة " . " هذا الموضوع قد يجركم إلى الدمار ... " . هذا كلام الأصدقاء . أما الكونتيسة الفاضلة ماريا ديللى جراتسيا ...

جـوليـيلمـو : فيليبيتى أولتيرا ...

فـيـتـورينا : نعم. هى بالضبط، نحن نعتبرها فعلا الملاك الحارس لبيتنا.

جـوليـيلمـو : يا إلهى ، ولكن كيف يمكن أن نحمى أنفسنا من هذه الملائكة الحارسة التى تخرج من الآذان ، ومن الأنف ، ومن العيون ، والعصا بأيديهم لا يواجهونك بها صراحة ، وإنما يضعونها لك فى العجلة دائما ليجعلوك تتعثر فى طريقك **[بعد تأمل قصير]** وإذا نفَّذت البيع ؟

فـورتونناتو : هذا قرار يخصك أنت .

جـوليـيلمـو : ربما أقرر .

فـورتونناتو : " ربما " لا تعنى " قد "

جـوليـيلمـو : **[باندفاعة]** إذن ، قد ! قد ! إنها أموالى ، وكل شىء ملكى . لقد قررت ، وسأبيع **[يتوجه ليخرج]** .

فيليتشي : فكر في ذلك جيدا .

جوليلمو : **[عائدا على عقبيه]** وقعوا ! وقعوا على وثيقة الانحراف هذه . وقعوا . اقطعوا لساني ، اقطعوا يدي ، وساقيَّ ... افعلوا ذلك ! سأدافع عن نفسي وسنرى لمن الغلبة .

فيتورينا : **[متدخلة بدورها]** فورتوناتو ، تكلم . أخبره وجها لوجه أن والدتك على حق ألف مرة إذ تتصرف على هذا النحو ، وأننا مثلها لدينا شك حول الأسباب التي جعلته يقرر تنفيذ هذا البيع المفاجئ .

جوليلمو : شك ؟

فيتورينا : نعم ، يا بابا .

جوليلمو : أيُّ بابا ! سمني السيد فلان ، كرسيا ، كنبة ، شمعدان . أي شيء ما عدا بابا .

فورتوناتو : بالعكس نحن نريد أن ندعوك بابا بكل شعور الحب والتقدير .

فيليتشي : نعم ، يا بابا، لأنك الآن تمر بمرحلة، ماذا أقول، مرحلة ...

روزا : ضياع .

جوليلمو : أنا ؟

فورتوناتو : نعم . مرحلة تذكِّر من قريب بالمرحلة التي تعكرت فيها المياه بينك وبين ماما بسبب بائعة العطور .

جوليلمو : **[مذهولا]** بائعة العطور ؟

فيتورينا : بوناريا .

جـوليـيلمـو : **[التلفظ بهذا الاسم وهو فى مثل هذه الحالة من المرارة ، بدلا من أن يزيـد حنقه على هؤلاء الأشخاص ، يهدئ من ثورته . مجرد اسم بوناريا يسرى فى شرايينه مثل زيت الزيتون حينما يوضع على الجرح الذى ما يزال داميا ؛ وجه جوليـيلمو ينبسط ، ويصبح منيرا ، وعيناه تلمعان فخرا واعتزازا ، وترقّان ؛ بعد وقفة طويلة]** شكرا ! هذه أول مرة أسمع منك يا فيتورينا ، اسمك فيتورينا ، أليس كذلك ؟ هذه أول مرة أسمع منك فيها كلمة رقيقة أجد فـيـهـا السكينة والراحـة بالنسـبـة لى . بو - نا - ريا **[مخاطبا فورتوناتو]** أنت أخطأت حينما قلت إننى أمر بمرحلة تذكر من قريب بمرحلة بائعة العطور... ليس لأنك أهنت بوناريا بوصفها "بائعة عطور"، وإنما لأنك سمحت لنفسك ، بسبب عدم معرفتك بها ، بأن تخلط بين الفترة التى أمر بها الآن والفترة التى عشتها مع بوناريا . **[من الآن فصاعدا ينطق اسم بوناريا مقطعا مقطعا]** ممكن نجلس ؟ **[يجلس هو فى صـدر الطاولة فى مـواجـهـة الجمهور وحوله الابنان وزوجتاهما]** شكرا يا بو - نا - ريا ، يا بنت البوابة " يا بائعة العطور " مازلت أنت التى تأتين لإنقاذى **[الأربعة ، مذهولين ، يرمقون جوليـيلمو ويرصدون كل حركة له]** هل ترون أننى غريب الأطوار ، غير عادى ، مشرف على الجنون ؟ أعيش فى الأحلام؟

ربما ، صحيح ، لكننا جميعا نعيش في الأحلام . كنت يوما من الأيام مدعوا على الغداء عند أحد الوجهاء ، كنا حوالى مائة رجل فى العقد الخامس من العمر . وبعد أن فرغنا من الطعام والشراب اقترح أحدهم أن نلعب لعبة بريئة مسلية : أن يعترف كل منا بأنه كتب فى مطلع شبابه قصيدة حب ويلقيها على الحاضرين . كان الجميع قد كتبوا قصائد حب فى شبابهم ، قصائد جميلة ، وألقى كل منهم أجزاء من قصائدهم ، أو كلها . أنا أيضا ألقيت قصيدتى ... سأعفيكم من سماعها لأنها لا تعجبنى **[صمت طويل]** . لا تعقدوا مجلس الأسرة لاتخاذ القرار فى مصيرى . فقد غيرت رأيى . وأقلعت عن فكرة إعطاء دفعة لوضعنا ... أوه ، أسف، لوضعكم المالى . حينما أموت ، سأترك الميراث الذى سيتقاسمه أبنائى ، أبناء الكلمات المتقاطعة . وإرضاءً لى ، لا أقول إرضاءً لكم ، وإرضاء لى ، سأحاول بكل سرعة أن أنتقل إلى العالم الآخر ... لا أقصد أننى أنوى الانتحار ، لا تنزعجوا : لا أحب أن أترك هذه الفضيحة فى الأسرة . فالإنسان ، يعرف أنه لا محالة ميت ، ولا مفر من ذلك . وهو يعرف أيضا أنه لا يستطيع أن يؤخر الموت ، هذا صحيح ، لكنه متأكد من أنه حينما يبدأ يعيش كالشجرة ، حينما يمضى الأيام مزروعًا فى الكرسى يقرأ الكتب والجرائد ، فإن

نهايته تكون قريبة . من الممكن أن يموت الإنسان من الكتب ومن الجرائد . لن أمنعكم من الصلاة عليَّ والدعاء لي ، لكنني أرجوكم ألا تمنعوني من الدعاء لكم . **[ينهض ويشرع في الدعاء بكل إخلاص]**

" إلهنا الذي في السماوات

" يا فاطر السماوات والأرض

" مليك كل شيء

" أسألك أن تغفر لهؤلاء القوم

" وأن تتجاوز عن سيئاتهم

" وأن تقبلهم عندك

" مع النبيين والصديقين والشهداء

" آمين ، آمين ، آمين "

[يتقدم نحو منتصف مقدمة المسرح ، يتوقف ، ويسلط على الجمهور نظرة ملحة ، أليمة ، الآخرون يخرجون من الكالوسين . من الداخل تصل بواكير أنغام الجيتار وصوت العازفة التي تشرع في الترنم باللحن الذي لقي أكبر نجاح عام ١٩٧٢ . هنا ، على المخرج أن يختار ما يراه أنسب : جوليلمو ينزع اللحية الرمادية ويضع اللحية البيضاء . في تلك الأثناء يتحول تعبير وجهه الأليم إلى تكشيرة غامضة . في حين يجمد في مكانه أكثر من أي وقت مضى ، ونظرته موجهة إلى الجمهور . عمال

الديكور يرفعون طاولة الغداء أمام المشاهدين ، ويهبط عمق المسرح من المخمل الأسود . وأمامه كرسى فوتى فوقه كتاب . وضع الفوتى يحدده المخرج . المغنية تجتاز المنصة وهى تغنى، وحينما تصبح قريبة من الكالوس ، يصل جوليلمو إلى الفوتى ويأخذ الكتاب ، ويجلس ، ويشرع فى تصفحه ، بينما تخرج المغنية من المنصة]

[الستارة تهبط ببطء شديد ، معلنة نهاية الفصل الثانى]

* * *

الفصل الثالث

[طريق مقابلات المصادفة]

[من أحد الكالوسين تظهر جيليولا . يبدو عليها آثار آلام جسدية طال تحملها ، وآثار أحداث عصبية مختلفة وقعت لها . تسرع نحو منتصف مقدمة المنصة وتتوجه إلى الجمهور كأن لديها رسالة عاجلة تريد أن تبلغها له]

جيليولا : سيداتى وسادتى ، اعذرونى . أنا آسفة للهيئة التى أتقدم بها إليكم . يبدو علىَّ كأننى خادمة . لكن الحقيقة أن الوقت لم يسعفنى لكى أمشط شعرى وأرتدى ثوبا مناسبا . ومن ناحية أخرى ، لم تكن لدى القوة ولا الشجاعة لعمل ذلك . **[عاليا]** جولييلمو ! **[تنفجر باكية بكاء صادقا يعبر عن لحظات الألم التى يمر بها الإنسان منذ ملايين السنين]** جولييلمو ، مريض. مريض من فترة طويلة؛ والآن حالته ازدادت سوءاً . أعرف أنه كان دائما يعترف لكم ويصارحكم بأحواله ، لذلك فكرت أنا أيضا أن ألجأ إليكم لأخبركم بالتطورات

التى حدثت منذ اليوم الذى أصيب فيه بالمرض وحتى الآن [**بطريقة مأساوية مفاجئة**] جولييلمو ، جولييلمو ، حبيبى . لا يمكن أن تتركنى . لا يمكن أن تتخلى عن امرأة وحيدة ومسكينة لا عائل لها ولا معين . جولييلمو ، حبيبى . لا تتركنى! لا أريد أن أطيل عليكم فى وصف الأيام السوداء التى أعيشها الآن ، والأيام الأسود التى أنا مقبلة عليها. يجب أن أتكلم عنه ، نعم يجب أن أكلمكم عنه . وأريد أن أفعل ذلك بسرعة ، لأننى ، صدقونى ، فى هذه الأيام حينما اضطر إلى الخروج وتركه وحده لعمل مشوار بسيط أو لشراء بعض الحاجات الضرورية ، وطوال الوقت الذى أكون فيه فى الخارج ، تستولى علىَّ فكرة واحدة : "الآن ، أعود إلى البيت فأجد جولييلمو قد ترك البيت وترك الباب مفتوحاً " بل أحياناً أقول لكى أتخلص من هذا الكابوس ... [**تضرب جبهتها بقبضة يدها**] آه ، لا أريد أن تفهمونى خطأ ، أريد أن ترثوا لحالى [**باسطة ذراعيها اليمنى نحو الجمهور**] هل صحيح أنكم لا تفهموننى خطأ ؟ هل ترثون لحالى ؟ عادت المياه إلى مجاريها بينى وبين جولييلمو . وأصبحنا نتكلم . يكلم كل منا الآخر ويستمع كل منا للآخر ، وهو يتكلم بصورة طبيعية بقدر ما يستطيع . جولييلمو يتكلم بما تبقى لديه من أنفاس . ولكننا نفهم بعضنا. لماذا يفهم الناس بعضهم على هذا النحو فقط عند الموت ؟ خلال

الخمس عشرة سنة التى لم أظهر لكم فيها ، لم تقع أحداث خطيرة . بعد أن تراجع عن تنفيذ المشروع المالى... تذكرون الخلاف الذى دبَّ بيننا بخصوص ذلك ؟ ربما كان لا ينبغى أن أظهر معارضتى الشديدة فى مثل هذه الظروف ... لأنه منذ ذلك الحين وقد فترت حماسته وبدأ يعيش حياة رتيبة راكدة : بين الكتب والصحف ، الصحف والكتب . وهكذا أصابه المرض . لماذا ؟ من يدرى ؟ لا يريد الذهاب إلى الأطباء . يتعالج عند الطبيب البيطرى . حاول الجميع فى العائلة أن يشجعوه على اللجوء إلى أحد الأساتذة ، أو أحد الأطباء المشهورين ، ولكن لا فائدة . "أريد الطبيب البيطرى" هذا ما يردده دائما . وإذا سألناه عن السبب ، يقول إنه لا يريد أن يشاركه الأطباء فضل شفائه ولا مسئولية موته . يقول إن الطبيب البيطرى إذا كشف على حمار أو بغل لا يسأله : " هل تشعر بألم هنا حينما تتنفس " ؟ أو : " حينما أضغط هنا ، هل تشعر بألم ؟ " أو "حينما تصحو فى الصباح هل تشعر بدوران فى رأسك ؟ " أو " هل تأكل بشهية ؟ " ... لقد أصيب بالجنون ، صدقونى ، جوليلمو أصيب بالجنون . اليوم سينعقد كونسولتو بشأنه يحضره ثلاثة من كبار الأطباء ، أساتذة من أساطين علوم الطب . ولكننى واثقة من أنه سيرفض حتى أن يخرج لسانه من فمه ، أو أن ينظم نفسه ويتلفظ ببعض الكلمات . حالة

جوليلمو الآن ميئوس منها . لم يعد يتكلم ، بل هو يتلعثم. ولم يعد يرى إلا بالكاد . ولم يعد يسمع [خائرة] هذه هى الحقيقة ! ليس من السهل ، صدقونى ، ليس من السهل العناية بشخص يشرف على الموت . **[وهى تركز على الأهم]** شخص يشرف على الموت يهمك ، يخصك بطبيعة الحال . سامحونى ، أريد أن أذهب ، أسرع إلى البيت لكى أطمئن عليه . وأرجو من الله **[رافعة يديها إلى السماء]** أن أجد الباب مفتوحا فأعرف أنه استطاع النهوض وخرج . **[تخرج]**

[يدخل فوريو من أحد الكالوسين. تظهر عليه آثار السنين التى من الواضح أنها لم تكن سعيدة . يحدث نفسه ، يمشى ببطء . من الكالوس الآخر، يظهر جاتشينتو كياراستيلا وهو بواب العمارة التى كان يسكن فيها فى الماضى أسرة فورتيتسا وحاليا ومنذ فترة جوليلمو وجيليولا . فوريو هو الذى عرف أولا البواب العجوز بينما تغلق وراءه الستارة القطيفة السوداء .

فوريو : **[معبرا عن سعادته لرؤية الرجل]** كياراستيلا ، جاتشينتو كياراستيلا ؟

جاتشينتو : **[بشىء من الريبة بطبيعة الحال]** من ؟

فوريو : كيف " من ؟ " ... ألا تذكرنى ؟ ألست أنت بواب العمارة التى كان يسكن فيها عائلة فورتيتسا ثم عائلة جوليلمو ؟

جاتشينتو : **[متذكرا]** فوريو لاسبينا ! أوه . السيد فوريو لاسبينا ؟

فــــــــوريـو : هل أنا تغيرت لدرجة أنك لم تعرفنى ؟

جـاتشـينتـو : كـلا ... أنـت كـمـا أنـت . أنا الـذى صـــرت عـجـــوزا ، أما أنت ، فلا ، كل ما هناك أننى لم أكن أتوقع مقابلتك . كان الجميع يسمونك صديق السيد جولييلمو .

فــــــــوريـو : كيف حاله الآن ؟

جـاتشـينتـو : ألا تعلم ؟ إنه مريض .

فــــــــوريـو : **[بخبث]** مريض ؟

جـاتشـينتـو : أنت لا تعرف ؟

فــــــــوريـو : لا .

جـاتشـينتـو : هو مريض جدا . أنا لا عمل لى إلا الذهاب إلى الصيدلية والإياب من الصيدلية **[يعرض عليه ما يحمله]** هذه كلها أدوية من أجله . واليوم ينعقد له كونسولتو أطباء . ليتك تأتى لزيارته قبل أن يفقد ذاكرته . أنا متأكد أن وجودك سيسره

[يخرجان]

[تفتح الستارة المخملية السوداء عن حجرة المعيشة فى منزل جولييلمو الذى نراه ما يزال جالسا فى " الفوتى " ورأسه مسند فوق مخدات . تسود الحجرة فوضى غريبة. وحول المريض أكوام من الكتب والصحف متناثرة فوق الأرض .

[خلال المشهد القادم ، يبدو أعضاء الأسرة منهمكين ومشغولين . مشاهد صامتة تقوم خلالها المرضة بإجراء

بعض الأعمال المتعلقة بالمريض .

[جرس الباب يرن . بعد قليل تدخل الممرضة يتبعها فالينتينو الحلاق، وهو من أهل الثقة عند أصحاب البيت . يحمل حقيبة بها جميع ما يلزم لعمله .]

الممرضة : **[عاليا نحو الداخل]** فالينتينو وصل . **[بعد قليل]** وصل فالينتينو الحلاق . **[يصل أفراد الأسرة من الغرف المختلفة ، يبدو عليهم الاهتمام وكذلك الفضول لمشاهدة ما سيجرى . أول من وصل روزا]**

روزا : أهلا يا فالينتينو !

فالينتينو : أهلا يا مدام روزا .

روزا : **[مشيرة إلى جوليلمو]** ماذا ، هل سيحلق لحيته ؟

فالينتينو : لا أعرف . نسمع ما تأمر به مدام جيليولا .

فيتورينا : **[داخلة يتبعها فورتوناتو]** بابا سيحلق لحيته ، تعال يا فورتوناتو .

فورتوناتو : فالينتينو ، ليتك تقنعه ألا يحلقها .

فيتورينا : أنا رأيى ، لأسباب صحية ، من الأفضل أن يحلقها .

روزا : عفوا ، بعد هذه الشهور التى أمضاها بين الفراش وبين هذا الفوتى وقد نحل جسمه وضعفت صحته ، لن يعرفه أحد من الأصدقاء إذا رآه فى هذه الحالة.

فيتورينا : فلنعمل برأى فالينتينو ، ننظر ماذا تقول ماما .

فورتوناتو : إذا حلقها أو لم يحلقها ، بعد ذلك أريد منك أن تضبط لى شعرى هذا ، فقد أهملته فى الأيام الأخيرة .

فيليتشى : وأنا أيضا أريد أن تسوى لى بعض الأشياء .

فالينتينو : أنا تحت أمركم ، لكن من الأفضل ترك شعركم كما هو بالنسبة للظروف الحالية . لأن الناس إذا رأوا شعركم مقصوصا حديثا ولامعا وجميلا ، سيقولون " وأبوهم فى هذه الحالة ، كيف وجدوا الوقت لقص شعرهم على هذا النحو " **[ملمحًا]** سيقولون هذا فيما بعد .

جيليولا : **[داخلة]** لا راحة ولا هدوء . ولا وقت لعمل أى شىء . لم أكد أشرب رشفة من القهوة باللبن حتى اضطررت لترك الفنجان .

الخادمة : سأحضر لك فنجانا آخر يا سيدتى **[تخرج]**

جيليولا : إذا كنت ستحلق لحيته ، فأسرع ، ففى ظرف نصف ساعة سيصل البروفيسور أسود مع أخصائيين من أجل عمل الكونسولتو .

فالينتينو : أنا لا أحتاج إلى أكثر من خمس إلى ست دقائق لحلق اللحية **[يهم بفتح الحقيبة]**

جيليولا : انتظر **[مخاطبة زوجها بصوت مرتفع وهى تضغط على كل كلمة كما يُفعل مع شخص معاق فى حالة خطيرة ومضطرب الذاكرة]** جوليلمو ، جوليلمو. فالينتينو وصل. هل تذكر فالينتينو ؟ **[لكن جوليلمو حاضر الذهن ، بل ويستطيع أن يجيب شفاهة ، لكنه فضل هذه المرة أن يجيب بإيماءة من رأسه بالإيجاب]** لا تستطيع أن تتكلم ؟ **[إيماءة أخرى بالإيجاب من رأسه كالسابقة]** مساء أمس

تحادثنا طويلا ، وكان يتكلم جيدا ... هل تشعر بالتعب ؟ [**جوليلمو بالأداء نفسه**]. لا بأس، استرح. لأنك بعد قليل سيتعيَّن عليك أن تجيب عن جميع الأسئلة التى سيوجهها إليك البروفيسور أسود والأخصائيان [**جوليلمو يبتسم لها بينما رأسه يهتز بالإيجاب**] إذن ، هل قررت أن تحلق لحيتك ؟ [**جوليلمو كالسابق**] هل تضايقك حينما تنام ؟ [**جوليلمو يصدق على قولها**] حسنا ، كما تريد أنت. [**مخاطبة الآخرين وبالذات فالينتينو الحلاق**] من الأفضل أن تحلقها ، فهو يقول إنها تضايقه فى أثناء اللحظات القليلة التى يتمكن فيها من النوم.

فالينتينو : إذن ، إلى العمل .

[الجميع ، وعلى رأسهم روزا ، يحيطون بالمريض كأنهم يستعدون لمشاهدة عرض غريب . وبسرعة البرق يخرج فالينتينو الفوطة ويفردها ويبدأ فى إجراءات الحلاقة ويذكرنا بمشهد الحلاقة الذى قام به " فيجارو " مع "بارتولو" . يحيط رقبته بالمنديل الذى أحضره معه ويحاول إرضاءه بكل السبل] السيد جوليلمو وجهك منير كالقمر البدر ، فى آخر مرة جئت فيها لأحلق لك اللحية قبل عشرة أيام ، كانت حالتك أسوأ من الآن بكثير . الآن أنت أفضل كثيرا . وجهك يشع بالنور .]

[تدخل الخادمة حاملة صينية عليها فنجان قهوة باللبن وبعض البسكوت . الجميع يأخذون من البسكويت ،

وكذلك جيليولا تغمس منه فى القهوة . حتى فالينتينو تشجعه جيليولا وروزا على أخذ قطعة من البسكوت]

جيليولا : هكذا أصبح أكلنا .

روزا : قهوة باللبن ، وبيضتان مسلوقتان .

جيليولا : لم نعد نطبخ أبدا .

فالينتينو : وماذا تريدون أن تطبخوا ؟...

جيليولا : لم يعد هناك وقت .

فيتوريا : العائلة كلها مجندة حوله .

فالينتينو : **[مخاطبا الخادمة]** يا آنسة ، لو سمحت ، كوبا من الماء .

الخادمة طبعا . **[تهم بالخروج]**

فالينتينو : **[مخاطبا جوليليمو]** - أولاً نضبط الشعر ، ثم نبدأ فى الموسى .

[فى الوقت الذى يهم فيه الحلاق بالتعامل بالمقص مع اللحية ، يرن جرس الباب]

الخادمة : أفتح أولا ، ثم آتى لك بالماء .

فالينتينو : على مهلك **[مخاطبا أفراد الأسرة ، وموقفا حركة المقص]** أكمل أو أنتظر؟

جيليولا : تنتظر ماذا ؟

فالينتينو : ربما يصل قريب آخر من الأسرة يريد أن يرى لآخر مرة لحية السيد جوليليمو .

الخادمة التى تجتاز المنصة لتصل إلى المطبخ ، تتقدم الدكتور أوجوستو سامبييرو . وهو الطبيب البيطرى الذى عالج جولييلمو فى بداية أزمته . الطبيب يقابل بحفاوة من الأسرة]

سامبييرو : صباح الخير . **[الجميع يردون على التحية]** السيد جولييلمو ، أرى أنك أحضرت الحلاق ليحلق لك لحيتك . وهذا شىء يسعدنى لأنه يدل على أنك تتحسن .

جيليولا : لا يا دكتور ! لا يعنى هذا أنه يتحسن. **[بصوت خفيض]** بل فى رأيى أنه لا يتقدم ولا يتأخر . فالينتينو ، انته بسرعة وإلا ضاع الوقت فى الثرثرة .

فالينتينو : أنا جاهز . **[خلال المشهد التالى ، يضع الصابون فوق اللحية ويحلقها]**

سامبييرو : **[مخاطبا جيليولا على حدة]** - الحقيقة أننى انزعجت حينما وجدت رقم هاتفكم فى العيادة عندى ومعه العبارة التى تقول : عاجل ، احضر فوراً "

[جميع أفراد الأسرة يحيطون بالدكتور وجيليولا]

جيليولا : يا دكتور ، أنت طبيب بيطرى ممتاز ولا أحد يشك فى ذلك . وقد أراد زوجى أن تقوم بعلاجه منذ البداية ، وأنت تقوم بعلاجه فعلا .

سامبييرو : لحظة يا حضرات . أنا قبل أن أكون طبيبا بيطريا ، كنت صديقا حميما للسيد جولييلمو. جميع كلاب الأسرة وقططها وببغاواتها قمت أنا بعلاجها . أنا مرتبط بروابط

ود مع هذه الأسـرة ، لذلك تقـدمت لمسـاعـدة السـيـد جوليليمو . ولكننى لم أزعم مطلقا أننى أقوم بعلاجه . أنا فعلت كما يقول المثل : " اربط الحمار حيث يريد سيده " . كل ما أستطيع أن أقوله ، ولأننى تابعت حالة السـيـد جوليليمو منذ البداية ، أنه سليم معافى كالحصان .

جـيليـولا : لذلك أرسلت فى طلبك على وجه السرعة .

سامبييرو : لا أفهم .

فـورتوناتو : قولى له يا ماما ، ماذا تنتظرين ؟

روزا : يا دكتور ، الواقع أن اليوم ينعقد الكونسولتو .

فـيليتـشى : ثلاثة أساتذة كبار .

جـيليـولا : المفروض أنهم سيتشاورون فى أمر حالته ... وحول الأدوية التى استعملها حتى الآن ...

سامبييرو : مؤكد . هذا واجبى . ثم سنتفاهم فيما بيننا نحن البيطريين .

[أفراد الأسرة يتبادلون نظرات ملؤها الإحراج . ثم تبدأ روزا الكلام]

روزا : ولكن هؤلاء الأساتذة لن يحضروا للتحدث معك .

سامبييرو : لماذا ؟

فـيليتـشى : هؤلاء الأساتذة ليسوا أطباء بيطريين .

فـيتـورينا : هم ثلاثة علماء كبار .

سامبييرو : ولكن إذا كان هؤلاء العلماء الكبار لن يحضروا للتحدث معى ، فمن المصلحة أن أتحدث أنا معهم .

روزا : كصديق للعائلة .

جـــيليـــولا : ولا ينبغى أن تقول إنك طبيب بيطرى .

جميع الأسرة: لا داعى لذلك .

سـامـبـيـيـرو : **[مندهشا]** لا بأس. إذا كنتم ستجبروننى على التحدث مع هـؤلاء العلماء الفطاحل فى الطب البشرى ، فسأفعل ذلك وأنا أقدم نفسى من خلال الأسماء والألقاب وبطاقات الزيارة ، وعناوينى ، وأرقام هواتفى ، وجميع المناصب التى أشغلها والشهادات التى حصلت عليها فى الطب البيطرى .

فـاليـنتـيـنو : **[بسرعة البرق يستدير نصف دائرة فيصبح خلف جولييلمو ، ثم ينزع عن رقبته المنديل الأبيض وينفضه ثم يعلن قائلا]**: نعيما يا باشا. اللحية اختفت **[يجعل المرآة بين يدى الزبون ثم يتراجع إلى الخلف وينتظر رأيه]**

الخـــادمـــة : **[داخلة]** البروفيسور أسود وصل . ومعه أستاذان آخران.

جـــيليـــولا : **[وقد وصلتها الرسالة]** أحمر وأبيض . حضروا من أجل الكونسولتو .

فـاليـنتـيـنو : **[بعد أن أعاد كل شىء إلى الحقيبة وأغلقها ، ينحنى مستأذنا من أفراد الأسرة]** أتمنى لكم نهارا سعيدا . فيما بعد ، إذا لم يكن فى ذلك إزعاج ، سآتى لأطمئن على السيد جولييلمو **[يخرج]**

جـــيليـــولا : **[مخاطبة الخادمة]** أدخلى الأساتذة أسود وأحمر وأبيض.

الخادمة : حالا . [تخرج . جميع أفراد الأسرة يتخذون حول المريض هيئة الحزن والألم المناسبة للموقف. الخادمة وهى داخلة] - تفضلوا !

[فطاحل الطب البشرى الثلاثة يدخلون]

فورتوناتو : [مخاطبا الأساتذة] أنا أفسح لحضراتكم الطريق !

أسود : [بنصف ابتسامة] أفسح !

أحمر : أفسح ، أفسح .

أبيض : أفسح !

أسود : [مخاطبا الأسرة] - خالص احتراماتى لحضراتكم !

أحمر وأبيض: خالص احتراماتى !

فورتوناتو : [مقدما جيليولا إلى الأساتذة] السيدة جيليولا ، حرم المريض [مشيرا إلى فيليتشى] والدتنا .

جيليولا : [بصوت متهدج ، باسطة ذراعها نحو روزا وفيتورينا] زوجتا الأبناء .

[انحناءات مختلفة من جانب الأطباء الثلاثة]

فورتوناتو : [مشيرا إلى فيليتشى] أخى !

[رأس كل من فورتوناتو وفيليتشى ، مع رءوس الأطباء الثلاثة، تنحنى معا إلى الأمام تعبيرا عن الاحترام الشديد]

[مشيرة إلى جولييلمو] زوجى ، المريض .

جيليولا : [الأطباء الثلاثة يراقبون جولييلمو من بعيد ، لحظة فقط ، ثم يطرحون رءوسهم إلى الوراء ويخفضونها كأنما يقولون : " أنت بين أيدٍ أمينة ، لا تحمل هما "

فـــورتوناتو : **[مشيرا إلى سامبييرو]** الدكتور أوجوستو سامبييرو .

أبـــيـــض : الطبيب المعالج ؟

جـــيليـــولا : بالضبط .

الـثـــلاثـة : **[معًا وفى إشارة احترام]** أهلا بالزميل العظيم ...

سـامـبـيـيرو : **[بحركة تلقائية]** مقاعد من فضلكم **[مخاطبا الأطباء]** تفضلوا بالجلوس.

أبـــيـــض : أبعد ما يمكن من المريض .

[جميع أفراد الأسرة وبمساعدة الخادمة ، ينظمون المقاعد بعيدا عن جولييلمو ؛ الأطباء الثلاثة يتشاورون فيما بينهم ، ثم يخاطب أبيض سامبييرو الذى ظل واقفا بمعزل قليلا] الزميل العظيم ، قبل أن نسأل المريض ، نريد يا أستاذ ...

جـــيليـــولا : **[تتدخل بسرعة]** دكتور ، دكتور أوجوستو سامبييرو .

أبـــيـــض : نرجو من سعادتك أن توجز، إن أمكن، فى نقاط بسيطة، بداية المرض وتطوراته ، ثم حالته الراهنة .

سـامـبـيـيرو : الأساتذة العظام ، من واجبى أن أعلن على الفور أننى لست طبيبا بشريا ، أنا طبيب بيطرى . حينما استدعتنى عائلة السيد جولييلمو، أسرعت بالحضور لأننى لم أتصور أن الأمر يتعلق بعلاج السيد جولييلمو زوج السيدة جيليولا . وأنا لم أقم بعلاجه، ولا أزعم ذلك وليس من حقى ذلك . أردت أن أكون بجواره لأشد من أزره . أنا لم أوقع على أى وصفة طبية . والأدوية التى يتعاطاها حاليا

قدمها له أفراد الأسرة بتوصية من بعض الأصدقاء والمعارف . ولعلكم أيها الأساتذة العظام تدركون ما أنا فيه من حرج ، وأننى لا أستطيع أن أصف لكم علميا تطورات هذا المرض . إن أفضل الحكام فى هذا الصدد هم أنتم . أما أنا فقد قمت بواجبى كصديق . إلى اللقاء .

[يخرج]

جيليولا : **[فى منتهى الإحراج]** أنا فى غاية الأسف يا سادة .

فروتوناتو : آسفون لما حدث .

[أبيض ، فى انتظار أن يبدأ أحد الزميلين الكلام ، يبتسم ابتسامة غامضة]

أسود : **[البادرة جاءت من أكبرهم ؛ أسود يعرف أصول المناصب فيبدأ بكل هدوء مخاطبا جيليولا]** اطمئنى ، يا سيدتى . العلم سيقوم بكل ما يمكن لإعادة الصحة إلى زوجك . والآن من الضرورى أن نوجه بعض الأسئلة إلى المريض .

جيليولا : لا فائدة يا عظمة الدكتور ، فلن يجيب . لذلك طلب الطبيب البيطرى حتى لا يُوجه إليه أسئلة .

فورتوناتو : لا يرد ؟

فيليتشى : لا يرد .

أسود : عفوا ، يا سادة . هل قريبكم أخرس ؟

جيليولا : أبدا ، هو يتكلم جيدا .

أحمر : ماذا إذن ؟

فيليتشى : هو يرفض التعاون مع الأطباء البشريين ...

فـــورتونـاتو : ويقـــول إن الطبـيب البـيطــرى يكشـــف على المرضـــى ويعالجهـم دون أن يسألهم .

فـيليـتـشى : وأنه ، فى الواقع ، ليس سوى حيوان ...

أســــــــود : كلام معقول ، ولكن هل يقبل ذلك ؟

جـيليـــولا : نعـم ، لكنـه يقـول إن مـا يفهمـه هـو أن العقل يقول بأن الطبيب ينبغى أن يتشاور مع الأطباء الآخرين وليس مع المريض ...

[صمت طويل ، يتبادل خلاله الأطباء الثلاثة نظرات ذات مغزى، ملؤها الاقتناع ؛ وأخيرا يتكلم البروفيسور أسود]

أســــــــود : إيه ، إذن ، أيهـا الزمـلاء ، نلقى نظرة . **[ينهض ويتوجـه ناحية جوليلمو]**

[الطبيبان الآخران يتبعانه . أفراد الأسرة ينهضون هم أيضا ويتجمعون فى نقطة من الحجرة يمكن منها متابعة ما يجرى بسهولة . جوليلمو يرى فى كل ما يدور حوله مادة للتسلية ، ويرحب بهذه الزيارة الطبية إذ هى تذكره بيوم تخرجه فى الجامعة حينما ارتجل زملاؤه مشهداً مماثلا ، وشارك هو فيه من باب المجاملة . الكشف الطبى الذى يجرى عليه يجب أن يكون سريعا ومركزا : استماع لنبضات القلب ، قياس الضغط ، طرق بالشاكوش تحت الركبة لاختبار الانعكاسات . الاهتمام الشديد من جانب الأطباء يتركز حينما يشرعون ، بدءًا من أكبرهم ، فى ملاحظة توسيع إنسان العين . المهم أن الأطباء الثلاثة

بالرغم من تعبيراتهم التى تتباين من الانزعاج إلى الرضا، ومن التفاؤل إلى اليأس ، لا يتوصلون إلى معرفة درجة خطورة المرض الذى يعانى منه جوليليمو . وأخيرا يبتعد البروفيسور أسود من المريض يتبعه أحمر وأبيض ويصلون إلى حيث يوجد أفراد الأسرة .

أســـــود : **[مخاطبا جيليولا]** – هل عمل الامتحانات ، أقصد التحاليل .

جـيليــولا : طبعا .

أســـــود : أريد أن أطلع عليها .

فــورتوناتو : [عارضا كمية ضخمة من التحاليل على البروفيسور]

البروفيسور : اختبار الوازرمان ، البول ، نسبة السكر فى الدم ، تنترج الدم فى الجسم .

أســـــود : **[ملقيا نظرة سريعة على الأوراق ويقدمها أولا بأول للأستاذ أحمر]** نعم ... نعم ... نعم

أحـــمـــر : **[وهو يقرأ]** نعم ... نعم ... نعم

أســـــود : **[وهو يأخذ ورقة من أحمر]** هذا هو البصاق .

أحـــمـــر : نعم ... نعم ... نعم .

[ويتحدثون فيما بينهم بطريقة غير مفهومة]

[يحاول جوليليمو التركيز ليفهم ما يقوله الأطباء ، لكن أصواتهم تختلط بأصوات زملائه الطلاب حينما قاموا بمشهد تمثيلى مماثل قبل سنوات]

أســـــود : **[وهو يقدم ورقة أخرى لأحمر]** البراز .

[صوت فوريو ، وهو مسجل ، يتدخل فورا ، لكن جولييلمو يلتقطه بالكاد]

صوت فوريو : أنت تبرزت البراز ؟

[التسجيل يواصل مكررا المشهد الذى جاء فى البرولوج وأصوات الممثلين الذين قاموا بأدائه، بينما الأطباء الثلاثة يتكيفون مع هذا الدوبلاج موائمين الحركات بالكلام] :

لا ، أنا لم أتبرز البراز .

فمن تبرز البراز ؟

هو تبرز البراز .

وبالنسبة لتطورات المرض ؟ ما رأيك ؟ " ماذا نقول لأفراد الأسرة ؟

أسـود : **[فى حزن وتأثر ، مخاطبا جيليولا]** سيدتى ...

جـيليـولا : نعم ، نعم ، يا بروفيسور .

أسـود : حساسية مفرطة فى القلب .

[التسجيل يواصل بينما يقوم أسود بدبلجة فوريو]

صوت فوريو : موجات البيسكومبو لاتيزمو المعدى ، وانحرافات فى الفرينيكولوجيا ستاتيكا ، وتمزق فى جواستابوليو فارما كولوجيكو والبسيكو كاكيتيكو. والتهاب شديد فى الأمعاء.

[التسجيل يتوقف هنا ، وتبدأ جوقة الطلبة : "حينما تصل الحوالة، حوالة بابا" التى تكون بمثابة خلفية لصوت أسود]

أسـود : لو كان المريض التحق بكلية الطب فى الماضى ، لقامت هى بكل هذه العلاجات التى يسمح بها العلم الحديث.

للأسف، الوقت متأخر. والآن يتعلق الأمر بالمريض. المريض هو الذى يجب أن يتصرف. لن ندخر وسعا فى علاجه. سنقوم بملاحظته، سنقوم بمراقبته، سنقوم بإجباره دائما على عمل التحاليل الدقيقة ونتمنى أن يتمكن من الخروج من الأزمة **[انحناءات التحية]** تحياتنا أيها السادة والسيدات

[يتبادل الأطباء الانحناءات والمصافحات بالأيدى والتهانى، تتوقف جوقة الطلبة بمجرد خروج الأطباء . فورتوناتو وحده يصحب الأطباء إلى الباب. أفراد الأسرة الآخرون يتجمعون فى منتصف الحجرة متسائلين حول كلام أسود. تصل من الخارج بعض أصوات سيدات ومنها صوت الكونتيسة ماريا ديللى جراتسيا فيليبتى أولتيرا. السيدات يحيين الأطباء باحترام لحظة خروجهم من البيت]

السيدات : **[أصوات من الداخل]** تحياتنا واحتراماتنا .

الأطباء : **[أصوات من الداخل]** تحياتنا واحتراماتنا .

[يسمع غلق الباب الخارجى وراء الأطباء الثلاثة]

فورتوناتو : **[وهو يدخل السيدات الثلاثة]** تفضلن . ماما موجودة . **[مخاطبا جيليولا]** ماما ، هذه أيضا الكونتيسة فيليبتى أولتيرا .

روزا : **[مخاطبة فيتورينا]** ماريا ديللى جراتسيا! **[وتسرع ناحية الباب مع جيليولا وفيتورينا بينما تصل الكونتيسة وخلفها بيتشوكا وكوكوروللو وفورتوناتو]**

الكونتيسة : **[فى الستينيات ، شعر فضى مشرب بالزرقة ، نحيفة وشاحبة ، كأنها فى حداد، تعبير وجهها جنائزى، ما إن ترى جيليولا حتى ترتمى عليها وتأخذها فى حضنها]** حبيبتى المسكينة ، حبيبتى جيليولا .

جيليولا : **[مستسلمة وبكل احترام بين أحضان المرأة الفاضلة]** كم أرحتنى لما رأيتك ، أشكرك يا ماريا على حضورك .

الكونتيسة : **[كأنها سيدة البيت]** اجلسى يا حبيبتى **[مخاطبة السيدتين اللتين وصلتا معها]** اجلسا يا حبيبتى **[يجلسن فى المكان نفسه الذى جرت فيه المناقشة قبل قليل بين الأطباء وأفراد الأسرة ؛ الكونتيسة تشير إلى جولييلمو وتسأل جيليولا]** هو ؟

بيتشوكا : **[بغاية الاهتمام]** هو ، هو ؟

كوكورولو : **[الأداء نفسه]** هو ؟

جيليولا : لحظة . أرى إذا كان راح فى سنة من النوم **[تذهب إلى جولييلمو الذى أغمض عينيه بمجرد أن شعر أن زوجته وصلت . بعد أن ألقت نظرة عليه، جيليولا تعود إلى صديقاتها لتطمئنهن]** نام . الحمد لله .

فورتوناتو : **[بعد أن استشار زوجته وأخاه وزوجته]** إذن ، ماما ، نحن نذهب إلى البيت ، نأكل شيئا ونعود . فرصة وجود الصديقات معك لكى لا تكونى وحدك .

الكونتيسة : طبعا ، نحن موجودات ، اذهبوا أنتم بالسلامة .

فيتورينا : سنعود بسرعة .

روزا : نصف ساعة على الأكثر .

كوكورولّو : حتى ولو ساعة ، ساعتين ، لا تحملوا هما .

الكونتيسة : خذوا راحتكم .

فيتورينا : شكرا .

فيليتشي : على العموم ... نحن بجوار الهاتف . نصل فوراً

روزا : [مخاطبة الكونتيسة] ربنا موجود .

فورتوناتو : هيا بنا إذن ، بسرعة .

[تحيات ، مصافحات بالأيدى ، ويخرج الأربعة]

الكونتيسة : إذن ، ماذا يقول الأطباء .

جيليولا : **[بصوت متهدج]** لا أمل ...

بيتشوكا : يا ربى !

كوكورولّو : مسكين يا جوليلمو !

الكونتيسة : بل مسكينة يا جيليولا . لم يمر عام على وفاة أمها .

كوكورولّو : ربنا يرحمها ، كانت فى حالة طيبة وصحة جيدة .

بيتشوكا : كم كان عمرها ؟

جيليولا : سبعة وتسْعين عاما .

[حركة ذات معنى من جوليلمو]

كوكورولّو : أنا أشهد بذلك .

جيليولا : كانت تلضم الإبرة بدون نظارة .

الكونتيسة : تلضمها أو لا تلضمها ، الأم دائما الأم ، وحينما تذهب وتتركنا ، حتى لو كانت بلغت من العمر مائة أو مائتى عام ، تصبح البنت منا أرملة فعلا .

جــيليــولا : دائما أنت على حق ، يا ماريا يا حبيبتى .

الكونتيسـة : والآن ، قولى لى : إذا كانت الأخبار كما تقولين سيئة على هذا النحو ... عفوا ، أنا أحبك وأريد مصلحتك .

جــيليــولا : طبعا يا حبيبتى .

الكونتيسـة : هل حاولت أن تعرفى إذا كان قد ترك لك شيئا مكتوبا .

جــيليــولا : أبدا ، رفض أن يكتب أى شىء. وحينما حاولت أن أعرف، حوّل موضوع الحديث ، وقال لى إن ما ينبغى أن يكتبه هو ، قد كتبه القانون ، ثم أضاف قائلا : " الوصية المكتوبة يمكن أن يطعن فيها القانون ، أما التى يفكر فيها الإنسان فتبقى محبوسة فى القبر .

بيتشوكا : لم أفهم جيدا .

كوكوروللو : ولا أنا .

الكونتيسـة : أنا أشم رائحة . هل أنت متأكدة أنه لم يكتب شيئا ؟

جــيليــولا : **[تخرج من صدرها ورقة مطوية أربع طيات]** هـذا **[تعرضها]** هذا كل ما كتبه **[تقرأ]** : "حينما أموت ، أريد أن أذهب إلى القبر عريانا . أريد أن أدفن عريانا . لا تنتهزوا فرصة عدم استطاعتى إتيان أى رد فعل ، فتفعلوا بجسمى ما فعل بجسم حماى من أشياء مخزية يندى لها الجبين ، حينما كفنتموه فى لباس السهرة بعد عمل الماكياج والزينة . وقال بعض الحاضرين " هل هو ذاهب إلى القبر أم إلى حفل راقص ؟ " مفهوم : عريانَ جئت إلى الدنيا ، وعريانَ أريد أن أغادرها . شكرا ، مع

خالص تحياتى . توقيع : السيد فلان ،
هل فهمتم ... ؟ **[تطوى الورقة وتعيدها مكانها]**

الكونتيسة : اتجنن ... مسكينة يا جيليولا .

بيتشوكا : وأنت هل ستنفذين هذه الرغبة ؟

جيليولا : **[مترددة]** يعنى يا حبيبتى ...

الكونتيسة : من غير المعقول .

كوكورولو : " عريانَ جئت إلى الدنيا ، وعريانَ أريد أن أخرج منها "

بيتشوكا : مستحيل . كان معروفا بين الناس ، انظرى كم من البشر سيأتون لرؤيته .

الكونتيسة : ستكون فضيحة .

جيليولا : ولكن رغبة الميت تحترم .

الكونتيسة : سنتحدث عن ذلك حينما يأتى وقته . أخبرينى حقيقة : هل أكلت شيئا ؟

جيليولا : شربت قهوة باللبن مع بسكوتتين .

الكونتيسة : أنا أحضرت لك دجاجة مشوية **[تقدمها ملفوفة]** ولا تزال ساخنة ، وزجاجة بيبسى .

بيتشوكا : وأنا أحضرت لك فاكهة طيبة **[تقدم لفافة]**

كوكورولو : وأنا أحضر حاجة حلوة **[تقدم هى أيضا هديتها]**

جيليولا : يا حبيْبى ، يا حبيْبى ...

الكونتيسة : والقسيس ؟ هل ما يزال يعارض مقابلة القسيس ؟

جيليولا : رأسه جامد . يقول إنه لم يعمل سوءًا فى حياته ، لذلك ليس لديه ما يقوله لأحد .

الكونتيسة : إذا أحببت ، أكلّم الأب راجوزا ، فهو الذى يحضر صعود أرواح سكان عمارتنا .

جيليولا : لا ، لا . سيغضب الأب تشيكوتسا ، فهو صديق للعائلة ، ولو جاء أحد آخر ستكون مشكلة . المهم نرجو أن يستدعيه جوليليمو عند حلول الأجل .

الكونتيسة : سنرى . والآن ننتهز فرصة نوم زوجك وننصرف نحن ، وبذلك تستطيعين أن تأكلى هذه الدجاجة وإلا فستبرد .
[ينهضن جميعا] يجب أن تعتنى بصحتك .

بيتشوكا : **[وهى تخرج وراء جيليولا والكونتيسة]** وجهها شاحب، المسكينة .

كوكوروللو : طبعا : سهر الليالى .
[الأربع نساء يخرجن]

[عندما تبتعد ثرثرة النسوة وتختفى فى الحجرات الأخرى، ويتأكد جوليليمو أنه أصبح وحيدا، يجذب ذراعيه ويتمطى ويتثاءب طويلا أشبه بالحيوان . ثم يجول المكان بعينه ويتطلع حوله معبرا عن ضيق وملل شديدين من كل ما يحيط به من أثاث وجدران . وأخيرا يتناول كتابا ويفتحه فى الصفحة التى كان قد وضع فيها علامة . وبين تثاؤب وآخر يحاول أن يتصفح بعض الأوراق على وجه السرعة . يتوقف عن القراءة ويتنصت . فقد سمع صوتا قريبا ينطق باسمه همسا .

الصــــوت : يا سيد جوليلمو [**يُبغت جوليلمو ، ولكن يساوره شك فى أنه لم يسمع جيدا، فيحاول أن يركز ويرهف السمع . الصوت يهمس مرة أخرى باسمه . ولكن هذه المرة أكثر همسا**] يا سيد جوليلمو !

[**هذه المرة يبرز خلف جوليلمو رأس قسيس مهندم الثياب ثم يقدم نفسه بطريقة لطيفة**]

تشيكوتسا : يا سيد جوليلمو . أنا الأب . أنا الأب تشيكوتسا [**جوليلمو يقطب وجهه، ويقفل الكتاب وعينيه ويسند من جديد رأسه على ظهر الكرسى**] يا سيد جوليلمو ، هل تسمعنى أو أنك أصبحت أقرب للعالم الآخر أكثر من هذا العالم ؟ [**جوليلمو لا يرد**] يا سيد جوليلمو ، لا تريد أن ترد قاصدا أم أنك فى غيبوبة ؟ [**الموقف نفسه من جوليلمو**] يا سيد جوليلمو ، أنا أعرف هذا جيدا . لأنك إذا كنت لا تريد أن تجيب قاصدا ، فإننى سأسألك أيضا وسأحاول إقناعك بالإجابة عن أسئلتى وذلك لمصلحتك أنت ... أما إذا كنت لا تجيب لأنك فى غيبوبة ، فإننى سأوجه إليك الأسئلة أيضا ، سواء تلقيت إجابات عنها أو لم أتلق إجابات ، وذلك أداءً لواجبات عملى الذى ينبغى أن أقوم به . إذن ، هل أنت فى غيبوبة أم لا ؟ [**الوضع نفسه من جوليلمو**] يا سيد جوليلمو ، حاول أن تجيب عن أسئلتى . أنا لست شخصا أيا كان ، لقد حققت خلال حياتك المجد والشهرة ، لذلك يجب أن تعترف

بالفضل والجميل للعناية الإلهية ، فهى التى منحتك القوة والذكاء لكى تناضل. [**الوضع نفسه من جوليلمو**] يا سيد جوليلمو . العالم لا يريد أن يخيب أمله بموقفك هذا المعادى للقانون الإلهى . لا تريد أن تجيب ؟ حسنا هذا معناه أننى سأتصرف بنفسى [**يضع كرسيا بجوار جوليلمو ويجلس**] يا ابنى ، نحن كلنا خطاءون . وأنت يا مبارك لم تكن قديسا ولا معصوما . هذا شىء معروف. لذلك ، فقبل أن تترك فوق هذه الأرض ذنوبك وخطاياك ، عليك أن تتوب وتندم على خطاياك وتعترف بها . اعترف بخطاياك يا بنى . والله غفور رحيم . وسوف يلقاك ويقبلك مع الصديقين والشهداء . [**جوليلمو يرمق الأب ويغضّ عينه ويبتسم ابتسامة غامضة**] عظيم . ابتسم ، ولا تتكلم. هذا كل ما عليك عمله يا أخى . لا تتكلم . أنا سأقوم بكل شىء . [**يرسم علامة الصليب**] باسم الأب والابن والروح القدس [**ويرسم علامة الصليب على جبين جوليلمو ؛ ثم يبدأ صلوات غير مفهومة يختمها بعلامات الصليب مرة أخرى ويرسمها على جبين جوليلمو أيضا**] آمين ! أباركك على الأرض وأغسلك من خطاياك يا بنى ، ولكن تذكر أن هناك محكمة أخرى فى السماء ستحاكمك [**أمام استحالة الهروب من مراقبة الأب ومراقبة السماء يرفع جوليلمو نظره إلى أعلى ثم يخفض رأسه باسطا ذراعيه علامة على القبول والتسليم بما لا يمكن ردّه**]

[تغلق الستارة المخملية السوداء ، بينما تسمع ، فى الداخل ، جوقة الطلبة . تدخل من الكالوسين مجموعتان من الأشخاص ، برجوازية من ناحية وشعبية من الناحية الأخرى . يبقون منتظرين فى وضع الانتباه . وبصوت خفيض يتحدثون عن الجنازة التى ستقام . جوقة الطلبة تبتعد أكثر حتى تختفى حينما تفتح الستارة المخملية السوداء كاشفة عن بوابة ضخمة نصفها مغلق تدل على أرستقراطية العصر الماضى . من الجانب الأيمن الذى يرى منه البوابة النصف مفتوحة ، توجد طاولة مستطيلة ، متوسطة الحجم فوقها دفتر وقلم للتوقيعات .

[كياراستيللا البواب ، يتقدم من الداخل مع ساكن محترم يتذكران صفات المرحوم جوليلمو الإيجابية والسلبية . حينما يبلغ الطريق ، ينضم الساكن المحترم إلى مجموعة البرجوازيين ، يتبادل بعض التحيات مع بعضهم . وباحترام شديد للصف يأخذ مكانه فى الانتظار . كياراستيللا يلزم الطاولة وعليها دفتر التوقيعات . تحدث جلبة منظمة بين المجموعتين حينما تصل كياراستيللا إشارة من فوق السلالم بأن المتوفى على وصول . بكل دقة ، تأخذ عيون المجموعتين وضع الانتباه ويعتنون بكل صغيرة وكبيرة تتعلق بشعائر الجنازة . يقوم كياراستيللا بتحرير مصراع البوابة المعلق من الوتدين ، ويفتح البوابة على مصراعيها . من عمق البوابة يصل موكب الجنازة

بطيئا. فورتوناتو و فيليتشى فى المقدمة وخلفهما حوذيان يشكلون مربعا فى منتصفه "الميت" . رغبة جوليلمو الأخيرة لم تنفذ: فقد ألبسوه حلة أسموكن قديمة من الحرير اللامع، يظهر منها شق قميص أبيض، رابطة عنق سوداء، حذاء لامع . فالينتينو الحلاق. أبدع فى استخدام فنِّه. فقد هذب ولَّمع الشعر الذى يبدو مصبوغا ، ولوَّن العينين وخطَّ الحاجبين، ورسم الشفتين ، وحمَّر الخدين . وراء التشكيل مباشرة ، تظهر جيليولا فى ثوب الحداد تسندها زوجتا الابنين والكونتيسة ماريا ، وعلى الجانبين الصديقتان بيتشوكا و كوكوروللو . الخادمة بصحبة البواب. عندما يصل الموكب الطريق يتوقف ليعطى الفرصة للأصدقاء الواصلين للتعبير عن عزائهم للأرملة وأفراد الأسرة . البرجوازيون يحيطون بجيليولا بعبارات مناسبة . الشعبيون يراقبون متأثرين . الآن فقط ، ومن بين المجموعة المحيطة بأفراد الأسرة ، يظهر فوريو سبينا الذى ارتدى للمناسبة حلة سوداء ، وكل شىء أسود فى أسود : قفاز أسود ، رابطة عنق سوداء ، وكذلك القبعة . مقاسات واسعة فضفاضة بالنسبة لشخصية .

[بوصفه صديق العمر للميت ، فوريو ، بعد أن صافح جيليولا والكونتيسة والصديقتين ، يضم " الصديق " بين ذراعيه ويرمقه بنظرة مركزة تلخص فى لحظة الماضى الطويل الذى عاشاه معا . بعد العناق ينضم فوريو إلى

الجانب الأمامى من التشكيل الجنائزى ويتوقف ويتخذ هيئة من ينوى أن يلقى كلمة رثاء]

فوريو **[ما إن قرر أن يبدأ الكلام حتى التقت عيناه بعينى الميت ؛ يمكث لحظة مضطربا ، ثم يستعيد رباطة جأشه ويبدأ]** مات جوليلمو سبيرانسا **[من هذه اللحظة وطوال الخطبة يحدث بين فوريو والميت تبادل نظرات موحية وذات معانٍ مضمرة]** نحن جميعا ، الزوجة والأبناء والأحفاد والأقارب والأصدقاء المخلصين - وأنا أولهم جميعا - مفجوعين وملتاعين ، اجتمعنا حوله لكى نكرر ونحن لا نصدق وبلغة الصمت التى تناسب المقام، لكى نكرر ونقول: مات جوليلمو سبيرانسا. لن ننسى ما حيينا رجل الأدب والثقافة العظيم والمناصب العليا التى شغلها فى حياته المهنية، والمكانة العالية التى احتلها بين زملائه ، والشهرة الكبيرة التى تمتع بها فى الداخل والخارج. أريد أن أذكِّر بإحدى خصاله الحميدة حينما كان يقود سفينة العائلة بكل حكمة وبكل تضحية مؤثرا راحة زوجته وأبنائه وذويه. بل أريد أيضا أن أذكِّر بالحب الكبير الذى كان يكنه فقيدنا للفقراء والمحتاجين من أبناء شعبه، وكيف كان لا يدخر وسعا فى مد يد العون والمساعدة لكل محتاج، وكيف أنه أخذ بيد الكثيرين من الناشئين وذلل لهم العقبات وشق لهم طريق النجاح. هذه الحقيقة البريئة التى أصبحت معروفة للجميع، كانت دائما هى النبراس للفقيد .

جوليلمو العزيز . ليس عندى ما أقوله أكثر من ذلك . هذه الليلة ، حينما يخلو هذا الطريق من المارة وتغشاه العتمة ، ستطوف روحان حول هذا المبنى : الأولى روح جيرولانو فورتيتسا المختال العبوس المهيب، والأخرى روح جوليلمو سبيرانسا المترددة المتشككة . بعد ذلك ستلتقى الروحان أمام هذه البوابة وتتعانقان لتظلا فى النهاية متحدتين فى سكون الأبدية .

[نحيب ودموع وعناق بين أفراد مجموعة البرجوازيين وأفراد أسرة الميت . الموكب يتشكل من جديد وتدب فيه الحياة . هذه المرة فوريو وحده هو الذى يسند جيليولا . وأخيرا يختفى الموكب فى الكالوس .

جاتشينو : **[وهو يغلق مصراع البوابة ويخاطب الخادمة]** لقد أُغلق كتاب آخر. بمناسبة الكتب والكراسات. ساعدينى فى رفع هذه الطاولة **[يتعاونان فى رفع الطاولة. لكنهما يبقيان، فقد سمعا صوتا آتيا من الداخل مناديًا فى لهفة وقلق]** **[من الداخل]** انتظروا ، انتظروا ، من فضلكم .

الصوت : لحظة .. **[يصل من الكالوس المضاد للكالوس الذى خرج منه الموكب ، متأخران لعلهما من أصدقاء الأسرة ، يصلان بسرعة لاهثين .**

المتأخر الأول : لا ترفعوا الدفتر ، لو سمحتم .

المتأخر الثانى: لحظة فقط ، نضع توقيعنا .

جاتشينو : تفضلوا ، وقعوا .

المتأخر الأول : الجنازة تحركت ؟

جـاتشـينو : طبعا ، أنتم تأخرتم .

المتأخر الأول : الساعة كانت متأخرة والمرور صعبا .

جـاتشـينو : لو وصلتم قبل خمس دقائق فقط ، كان من الممكن أن تلحقوا الجنازة .

المتأخر الثاني: [**بعد أن وقع فى الدفتر**] يؤسفنى أننى لم أعز الأبناء ... نحن أصدقاء.

المتأخر الثاني: [**وهـو يوقـع**] على الأقل من أجل الأرملة ... هل كانت الجنازة جميلة ؟

جـاتشـينو : [**قليل الرض**] يعنى. جنازة جيرولاندو فورتتسا كانت رائعة.

المتأخر الثاني: السبب أن جوليلمو سبيرانا فى الأيام الأخيرة . لم يكن حاضرا فى ذاكرة الناس .

جـاتشـينو : كان يعيش فى عزلة .

المتأخر الأول : لو كان مات قبل عشرين عاما مضت ... [**مخاطبا صديقه**] هل تذكر ؟ حينما كان فى القمة وجميع الصحف تهتم به

المتأخر الثاني: الصحف ، والمجلات ...

المتأخر الأول : لم يعرف كيف ومتى يموت [مخاطبا جاتشينو] هل كان هناك جمهور كبير فى الجنازة ؟

جـاتشـينو : [**بينما يكمل رفع الطاولة بمساعدة الخادمة**] شويه... شويه...

[جاتشينو والخادمة يختفيان حاملين الطاولة ، ويخرج المتأخران بينما تسدل الستارة]

زيارة ثقيلة

تأليف : راؤول دامونتى بوتانا

راؤول دامونتى بوتانا

" كوبى " هو الاسم المستعار للكاتب الهزلى والرسام والروائى والمؤلف المسرحى والممثل " راؤول دامونتى بوتانا ". المولود فى بيونس أيريس فى ٢٢ نوفمبر ١٩٣٩ . لعائلة شهيرة تنتمى إلى الوسط الصحفى والدبلوماسى فى الأرجنتين. وقد أمضى كوبى شطراً من شبابه فى مونتيفيديو عاصمة أوراجواى .

ومنذ ١٩٦٣، عاش فى باريس حيث ذاعت شهرته رساماً . ساهم فى دوريات مختلفة مثل "الإكسبريس ". و" هارار كيرى " . و " شارلى الأسبوعية . و " لينوس " وغيرها . واشتهر على الأخص برسومه للمرأة الجالسة التى ظهرت أولا فى " لونوفيل أوبزرفاتير " . وقد نشر ألبومات من الرسوم . " كوبى " فى ١٩٦٥ (التى حازت على جائزة الفكاهة السوداء فى ١٩٩٧٧) . و" الدجاجات بغير مقاعد " . وتلتها أعمال أخرى .

الأعمال المسرحية لـ "كوبى" جعلته يستحق الجائزة الكبرى للأدب المسرحى فى مدينة باريس فى ١٩٨٧ ، قبل أن يموت بوقت قليل بالإيدز فى ١٤ ديسمبر من العام نفسه . وليس من المستغرب أن يكون جانبًا

من أعماله المسرحية – مثل أعماله النثرية – مشربًا بالثقافة الأرجنتينية أو الأمريكية الجنوبية ، كما هى الحال بالنسبة لمسرحيته : "إيفا بيزون" **Eva Perón** فى ١٩٦٩ ، و"الهـرم" **La pyramide** فى ١٩٧٥ و"المأســاة البربرية فى فصلين شعرًا **"La tragédie barbare en deux actes et en vers"** ، "كاشافار" **Cachafaz** التى طبعت بعد وفاته فى ١٩٩٣ . ويبقى أننا نجد بوضوح فى مسرحه – كما فى رواياته وقصصه – عناصر من ثقافة الجماهير ، والدعاية ، وأنواعًا شعبية – مجلات الرسوم والخيال العلمى ، والأنواع البوليسية ، ومسرح الشارع .

المشهد الأول

(سيرىْ ـ الممرضة)

الممرضــة : بيجامتك الجديدة وصلت .

سـيـرىْ : أنا لم أطلب بيجامات ولا نيلة .

الممرضــة : هذه هدية من زوجة أخيك .

سـيـرىْ : زوجة أخى من الممكن أن تفعل أى شىء لتفسد عيد ميلادى .

الممرضــة : مزاجك اليوم منحرف . ولم تأكل فطيرتك . هل تناولت الأقراص ؟

سـيـرىْ : نعم .

الممرضــة : كلها ؟ أنت صبغت شعرك مرة أخرى ؟ لذلك بقيت فى الحمام ساعة كاملة ؟

سـيـرىْ : هل هذا شىء يخصك ؟

الممرضــة : هل تنتظر الشاب الأشقر الذى أحضر لك الورد فى عيد الميلاد ؟

سـيـرىْ : أنا أمنعك من التدخل فى حياتى الخاصة .

الممـرضــة : أنا قلت ذلك لكي أدخل السـرور على قلبك . اهدأ قليـلا حتى أعطيك الحقنة .

سـيـريـنْ : حقنة مرة أخرى ؟

الممـرضــة : اليوم هو موعد نقل الدم لك . **(تتهيأ لشكه بالحقنة)**

سـيـريـنْ : أنت تؤلميننى .

الممـرضــة : أوردتك فى حالة يرثى لها .

سـيـريـنْ : شىء طبيعى . فأنت لا تكفين عن شكى بالحقن ! آى !

الممـرضــة : خلاص ! إياك أن تنزع الحقنة . أعصابك اليوم ثائرة . سأضيف إلى الدم الجديد قليلا من الفاليوم المهدئ .

سـيـريـنْ : لا أريد مـهدئات كيماوية . أنا أفضل تدخين قطعة من الأفيون كما أفعل .

الممـرضــة : ليتك تذيقنى هذا الأفيون يوما ما .

سـيـريـنْ : إياك ! لن تستطيعى الإمساك بالحقنة .

الممـرضــة : أعطنى قطعة صغيرة أجرِّبها مع زوجى فى إجازه نهاية الأسبوع .

سـيـريـنْ : خذى . ولكن حذار ! فى البداية لا تضعى فى الغليون **(البايب)** أكثر من قطعة فى حجم رأس الدبوس . وإلا فستتعرضين للإصابة فى القلب .

الممـرضــة : هل تفيد حينما ينام معى زوجى ؟

سـيـريـنْ : بل يحدث الفشل الذريع !

الممـرضــة : إذن. لن أعطى منها لزوجى. بل سأقوم بتدخينها وحدى . هل قمت بقياس حرارتك ؟

سـيـريـى : نعم . أشعلى لى النارجيلة .
المـمـرضـة : سترفع من درجة حرارتك .
سـيـريـى : أحب أن ترتفع حرارتى قليلا .
المـمـرضـة : أرجو اليوم أن تحضر خادمتك . لقد فاض بى الكيل من تنظيف غرفتك من بقايا الحفلات التى تقيمها . إننا لم نر مثل ذلك فى المستشفى منذ إنشاء التأمين الصحى .
سـيـريـى : أنت تتكلمين كرجل لوطى .
المـمـرضـة : أنا أتساءل : ألم يكن من الأفضل أن أولد لوطية . لقد تيسرت لك أمور كثيرة فى حياتك .
سـيـريـى : أنا معجب بك جدا . حينما أخرج سأصحبك فى جولة لكبار الخياطين (**مصممى الأزياء**) أنت مثلى الأعلى للمرأة .
المـمـرضـة : أنت لست أول من يدعونى لمثل ذلك . من الأفضل لو أنك ذكرتنى فى وصيتك .
سـيـريـى : إذن فلن أترك لك سوى الديون .
المـمـرضـة : على أية حال . إذا كنت ماتزال على قيد الحياة . فذلك بفضلى أنا بالذات . فينبغى عليك أنت أن تقدم لى هدية عيد الميلاد .
سـيـريـى : سبق أن أعطيتك جميع مجوهراتى .
المـمـرضـة : البيجاما التى أرسلتها زوجة أخيك. إذا كانت لا تعجبك ...
سـيـريـى : وهل ترتدين مثل هذه الأشياء ؟

المـمـرضـــة : أودُّ أن أبقى فى البيت أتمخطر فى بيـجـامـا . لكن ليس عندى وقت . هى هدية أقـدمـهـا لزوجى الذى يبـقـى فى البيت طول النهار يحضرٍّ لى أطباقا عينات .

ســـيـــريـىْ : ذوقه غريب زوجك هذا . ينبغى أن تقدميه لى .

المـمـرضـــة : لا . يا سيدى ! زوجى أنا أحـتـفظ به لنفسى . صـاحـبك وصل مبكرا اليوم .

ســـيـــريـىْ : أى صـاحـب ؟ هوبير ! قـولى لـه إنى أمـوت . فليـأت فى يوم آخر .

المـمـرضـــة : لو قلت له ذلك . لظل ينتظرك حتى تموت .

ســـيـــريـىْ : قولى له إنى مت فعلا . نقلونى للمشرحة .

المشهد الثانى

(الممرضة - سيريىْ - هوبير)

ســـيـــريـىْ : تأخرت كثيرا ! ما الذى جاء بك يا هوبير مبكرا هكذا ؟

هـوبـيـــــر : أردت أن أكون أول من يهنئك بعيد ميلادك . وقد سمحت لنفسى بأن أحضر لك هدية .

ســـيـــريـىْ : بيجاما ! ماريا . تعالى . تفرجى على هذه الزركشة . زوجك هو الذى سيكون سعيد بهذه الهدية .

المـمـرضـــة : أوه ! هذه البيجامة جميلة جدا . سأحتفظ بها لنفسى . **(تخرج)**

المشهد الثالث

(سيريىْ - هوبير)

سيريىْ : قل لى يا عزيزى هوبير . كيف حال الدنيا منذ انسحبت منها ؟

هوبير : ماشى الحال . يا أستاذ .

سيريىْ : بكل أسف ! لو كنت أستطيع إيقافها ! كيف تقضى سهراتك الآن بعد أن تركتك وحيدا بلا أنيس ؟

هوبير : أبدا. يا أستاذ. باريس الآن لم تعد كما كانت فى الماضى. بعد غلق ملهى **(ثور فوق السطح)** لم نعد ندرى ماذا نصنع بعد العرض . وفوق ذلك . لم تعد هناك عروض . وحتى لو حدث . لم تعد هى المكان المناسب للقاء صفوة الجنس الثالث ولا العمر الثالث . مازال من الممكن أن يتنزَّه الناس فى حدائق التويليرى . لكننى شخصيا أخاف أن ينشلوا حافظة نقودى . من حظك أنك مصاب بالإيدز. فأنت هنا على الأقل لا تتعرض لأى خطر.

سيريىْ : أنت دائما يا هوبير تجد اللفظ المناسب الذى يسر الخاطر .

هوبير : هذه هى الحقيقة . أنا أغار منك . أخاف أن أعيش مائة عام . لأننى منذ الآن أصبحت لا أدرى ماذا أصنع بحياتى.

سـيـريـى : اذهب لتعيش فى العالم الثالث . إنك بما عندك من أموال تستطيع أن يكون لك بلاط من الشبان المراهقين يهوون عليك بمراوح من أوراق شجر الموز .

هـوبيـر : لقد فكرت فى ذلك . لكننى أخاف من الشعور بأننى بعيد جدا عن أصدقائى .

سـيـريـى : أصدقاؤك ماتوا جميعا .

هـوبيـر : بقى لى أنت . يا أستاذ .

سـيـريـى : لن يدوم ذلك طويلا ! وحينما أموت أنا أيضا . ماذا ستصنع بوقتك ؟

هـوبيـر : سأذهب إلى المقابر .

سـيـريـى : من أخبرك أننى سأذهب إلى هناك ؟

هـوبيـر : الجميع هناك .

سـيـريـى : صحيح !

هـوبيـر : إذن . أين ستذهب ؟

سـيـريـى : لن أقول لك . أنا لا أنوى أن أخبر أحداً أيًا كان بعنوانى القادم .

هـوبيـر : وضريحك ؟

سـيـريـى : أى ضريح ؟

هـوبيـر : لم يكن بنيتى أن أخبرك . ولكنك فعلا أصبح لك ضريح فى أرض المقابر . هذه هديتى لك . اسمح لى أن أقدمها لك بعد موتك . يا أستاذ .

سـيـريـى : هوبير . أنا أكرهك .

هوبيــــــر : لقد اشتريت أرضا أمام أوسكار وايلد بالضبط وعلى بعد خطوتين من مونترلان . إننى أتحرَّق لكى أريك الصور الجوية لما تم إنجازه من أعمال .

سيــــريىْ : وما هذا ؟

هوبيــــــر : تمثالك . يا أستاذ .

سيــــريىْ : لو سمحت . كسر هذا تماما .

هوبيــــــر : لعلك كنت تفضل مقبرة مونبارناس لأنها أكثر ألفة .

سيــــريىْ : أنا لا أريد أن أدفن فى أى مكان . لقد تمنَّعت عليك منذ كنا فى المدرسة الثانوية . فلا تظن أنك ستتمكن منى حينما أموت . أنت عجوز عاشق للجثث!

المشهد الرابع

(سيريىْ - هوبير - الممرضة)

الممــرضـــة : أنت اليوم على ما يرام . صراخك وصخبك واصلان لحد المطابخ . هناك صحفى يريد مقابلتك .

سيــــريىْ : هل معه آلة تصوير ؟

الممــرضـــة : لا . لقد قمت بتفتيشه .

سيــــريىْ : هوبير . يا عزيزى . يمكنك أن تحضر اللقاء بشرط ألا تذكر شيئا عن عمرى. وبالذات لا تذكر أننى كنت معروفا قبل الحرب .

هوبير : أنت لم تكن معروفا قبل الحرب .

سيريىْ : أكثر من ذلك . أنت عرفتنى حينما كانت أمى ما تزال ترضعنى. فأنت كنت رفيق والدى فى المقاومة ضد الألمان. أدخلى الصحفى .

المشهد الخامس

(سيريىْ-هوبير-الممرضة-الصحفى)

الممرضة : أستاذ هوبير . قم أنت بدور سيدة البيت . أنا مشغولة جدا . فهذا وقت نوبتى . ستجد المشروبات فى الثلاجة فى الفيراندا .

(الممرضة تخرج).

المشهد السادس

(سيريىْ - هوبير - الصحفى)

سيريىْ : اقترب أيها الفتى . لا تخش شيئا إن قبلّت يدى . أنا لست مصابا بأى مرض معد . بصرف النظر عن الرذائل الخلقية . هوبير . مقعداً لو سمحت . ما اسمك ؟

الصحفى : جان مارك . يا سيدى .

سيريْ : هل أخبروك أنك تشبه شخصا يدعى بوتيشيللى ؟ فعلا . بوتيشيللى هذا مصور مشهور كان يقيم فى مدينة فيرونا .

هوبير : صورة طبق الأصل من بوتيشيللى .

سيريْ : ممكن تأخذ معنا كأس نبيذ أبيض من فيرونا يحبه بوتيشيللى ؟ هوبير . قدم النبيذ . أخبرنى أولا بموضوع الحديث الذى جئت من أجله . لأننى أحذرك : أنا لا أستطيع أن أتحدث فى جميع الموضوعات . فأمى مثلا لا تعرف أننى رجل لوطى .

هوبير : كلا . هى تعرف ذلك .

سيريْ : هوبير . أنا الذى أدير المقابلة .

هوبير : هل تحب أن أصنع لك قليلا من مربى البرتقال فى النبيذ الأبيض يا عزيزى بوتيشيللى ؟

الصحفى : بكل سرور . أشكرك .

هوبير : لكن يا أستاذ . الناس جميعا يعرفون أنك لوطى .

سيريْ : لكن أمى لا .

هوبير : بل هى تعرف ذلك منذ طفولتك الأولى . فالأم لا تخطئ ولا تنخدع .

المشهد السابع

(سيريىْ - هوبير - الصحفى - الممرضة)

الممرضة : هذا هو الوسط الممتاز هنا . نقل الدم عندك يتم بمنتهى السرعة لأنك تتحرك أشبه ببائع متجول . وأنت تعرف أن قلبك ضعيف . فكلما شاهدت شابا تعرضت لاحتمال حدوث نزيف . هناك أيضا سيدة تريد مقابلتك .

سيريىْ : سيدة هنا ؟ لابد أنها زوجة أخى . قولى لها البيجامة التى أرسلتها لى لا تعجبنى وأننى لا أريد مقابلتها .

الممرضة : هذه ليست زوجة أخيك .

سيريىْ : إذن . لماذا تريد مقابلتى ؟ أولا . من تكون ؟ هذه المرأة لابد أن لها اسمًا . هل هذه بطاقتها ؟ ريجينا مورتى ؟ هى إيطالية ؟

الممرضة : لست أدرى .

هوبير : أليست هى مغنية الأوبرا التى كنت تعرفها فى فيرونا قبل الحرب ؟

سيريىْ : ريجينا مورتى ؟ يعنى ملكة الموت ! ياله من اسم مشئوم !

هوبير : لكنه اسم ممتاز بالنسبة للأوبرا .

سيريىْ : هل يبدو عليها شكل مغنية أوبرا ؟

الممرضة : أنا لا أعرف كيف يكون شكل مغنيات الأوبرا ؟

هوبير : هل يبدو على هيئتها الاحترام ؟

المرضـــة : على أية حال، هى لا تخشى من سرقة مجوهراتها فى المترو.

هوبيـــــر : هى إذن مغنية أوبرا .

ســـيـريىْ : أنا لا أحب مغنيات الأوبرا . فمن المستحيل إسكاتهن . ثم أنها لو رأت الصحفى فستحاول أن تسرق منى الحديث . أدخليها فسأعرف كيف أدافع عن نفسى .

(المرضة تخرج)

المشهد الثامن

(سيريىْ - هوبير - الصحفى)

ســـيـريىْ : عزيزى جان مارك . ولكن هذا اسم مبتذل . أتسمح لى أن أسميك جان ماركو؟

الصـحـفى : طبعا يا أتساذ .. بكل سرور ..

ســـيـريىْ : جان ماركو بوتيشيللى . أنا سعيد جدا لوجودك معى . أنت تتمتع بما نجده فى تماثيل عصر النهضة من جمال رائق صاف . عدنى ألا تكون قاسيا معى فى المقال الذى تكتبه عنى فى جريدتك . فقد شاعت عنى أكاذيب تتعلق بسوء طباع مزعوم . وأننى تعودت أن أصفع زملائى الممثلين . صحيح أن المرء منَّا يشعر أحيانا بأنه يريد أن ينفس عن مشاعره فى الكواليس . لكننى لم أسئ معاملة أحد من أصدقائى فوق خشبة المسرح .

المشهد التاسع

(سيريىْ - هوبير - الصحفى - ريجينا مورتى)

سـيـريىْ : مدام ريجينا مورتى. آه ريجينا! عزيزتى ريجينا ! ياله من شعور لطيف منك أن تأتى لزيارتى . أنت هنا لعدة أيام فى أوبرا باريس لتلعبى دور البطولة فى أوبرا **(كارمن)**... أنا قرأت هذا الخبر فى إحدى الصحف ... أم كان هذا فى الموسم الماضى ؟ أقدم لك جان ماركو . شاب فرنسى لطيف. و هوبير أحد رفاق السلاح لوالدى .

هـوبـيـر : هوبير ديبونّيه .

سـيـريىْ : عزيزى هوبير. أمامك صاحبة أقوى حنجرة فى العالم. ريجينا أسمعينى مرة أخرى آخر ألحان بريندزى فى الترافياتا .

ريجـينـا : **(تغنى)**

المشهد العاشر

(سيريىْ - هوبير - الصحفى - ريجينا نورتى - الممرضة)

الممـرضـة : ماذا يحدث هنا ؟ لقد أيقظتم الطابق كله .

سـيـريىْ : برافا ! برافيسّيما ! هايلة ! ممتازة ! سيى أونا ديفينيتا ! أنت معجزة ! اسمعى يا ماريا . أنا لم أطلب حضورك ! اذهبى واهتمى بأمر مرضاك .

المـمـرضـــة : أنت الذى سيصـــاب بالمــرض لو ظلـلت تتحـرك هكذا . لا تنس أنك أصبت بغيبوبة الأسبوع الماضى . هل رأيت ضغطك ؟ أنت ستنفجر بعد قليل !

ريجـــــينا : ليس من عادتى أن أفجِّر مستمعىَّ يا أنسة .

المـمـرضـــة : من فـضلك ! أنا هنا الآمـر الناهى ! أنا لا أريد إثارة مـشـاكل سـاعـة الإفطار ! سـأتركك الآن ! ولكن إذا استمرت هذه الفوضى. فسأمنع عنك الزيارات ! واضح ؟

(الممرضة تخرج)

المشهد الحادى عشر

(سـيريىْ - هوبير - الصحـفى - ريجينا مورتى)

ســـيـــريىْ : أرأيت كيف يعاملوننى هنا يا عزيزتى ريجينا ! تصورى أن هذه المرأة التى بلا قلب هى التى ســتـتلقى أنفـاسى الأخيزة عند موتى .

ريجـــــينا : اعتمد علىَّ . يا صديقى . صدقنى . أنا سأحميك من هذه المرضة الشرسة ! بمجرد أن علمت أنك مـشـرف على الموت قـررت أن أترك كل شىء لكـى أكون بجوارك حتى الفصل الأخير . لقد ألغيت جميع العقود ! مـازلت حتى الآن أحتـفظ بكلمـاتك الرقـيـقـة التى بعثت بهـا إلىَّ فى افـتـتـاح أوبرا توسكا على مـسـرح مـيلانو . هاهى ذى :

ريجينا . أحبك ! ريجينا. أحبك ! لم أرك منذ ذلك الحين . ولكننى كنت واثقة من أننا سنلتقى يوما ما . إن أسقف جنوه ابن عمى . لا ينتظر سوى مكالمة هاتفية لكى يحضر وينضم إلينا .

سيرين : أنا لا أستطيع أن أتزوج بك يا عزيزتى ريجينا . فأنا مصاب بالإيدز .

ريجينا : يا له من مرض رائع ! أى مجد أعظم من أن يقضى المرء نحبه تحت عبء كل هذه المغامرات الفاضحة ! ما أروعها من نهاية لفنان كبير ! ويا له من مصير لامرأة أرملة ! سأقوم بتأليف طقطوقة لأغنيها يوم جنازتك ! أستاذ ديبونيه . ألم يبق عندك شىء فى الثلاجة ؟ أنا فى حاجة لأهدئ عصافير معدتى . هناك دجاجة ؟ ولكن أنا لا أريد أن آكل دجاجة كاملة . نصفها يكفينى .

سيرين : هذه دجاجتى يا هوبير ! أنت ستأكلين علبة سردين .

ريجينا : سردين؟ سردين بالزيت؟ ليس هناك أفضل من هذا للمحافظة على قوة الرئتين. ولكننى أرى أن عندكم أيضا لحم روزبيف. أنت تلقى معاملة طيبة من التأمين الصحى . لو كنت أعرف . لما أنفقت المبالغ الضخمة فى فندق **(ريتس)** فى كل مرة آتى فيها إلى باريس سأحجز ملحقا فى جناحك .

سيرين : الفندق كامل العدد .

ريجينا : لا تكن سخيفا . هل هذه طريقة تقابلنى بها بعد هذا الغياب الطويل ؟ تقابلنى بمشاجرة عائلية !

سـيـريـى : أنا لم أبعث إليك أبدًا بهذه الكلمة السخيفة . بمجرد أن تنتهى من إفطارك سأشكرك على زيارتك .

ريجـينا : ألا تسألنى عن قيمة المهر الذى سأدفعه لك ؟

سـيـريـى : هل تظنين أننى عاشق تافه تنفق عليه النساء . أيتها الخنزيرة العجوز !

ريجـينا : لست أنت الشاب الذى تنفق عليه النساء . وإنما هم الذين خربوا بيتك ! ديكوراتك المسرحية القديمة صفّوها فى المزادات !

سـيـريـى : ولكن ماذا تريدين منى أن أصنع بأموالكم وأنا فى هذه الحالة؟

ريجـينا : سأبنى لك (**إل بيو جراندى بانتيون**) فى العام . أكبر مدفن فى العالم . فى مقبرة (**جبانة**) جنوه . لتطل وتشرق على البحر المتوسط .

سـيـريـى : شكرا ! لقد بنيت مدفنًا فعلا فى جبانة القديس لاشيز !

ريجـينا : لا تقارن جبانة القديس لاشيز بجبانة جنوه !

هـوبـيـر : عفواً يا عزيزتى ريجينا ، أنا الذى أتولى هذا الموضوع , وردِّى على اقتراحك هو " الرفض " . الضريح الذى شيدته فى جبانة القديس لاشيز ، لاينقصه سوى اللمسات الأخيرة . الضريح الآن ممكن استعماله .

ريجـينا : لكنه يستطيع أن يقضى الصيف فى إيطاليا .

Un pànteon sulla baia di Genova, il piu bel Tromento al' mondo!

مدفن فوق خليج جنوه أجمل منظر غروب للشمس في العالم !

سيريى : أنا لا أحب خليج جنوه !

هوبير : هكذا يا عزيزتي ترين أن اقتراحك لا يحظى بأى قدر من القبول والاعتبار . ويجب أن أخبرك أنه ممنوع منعا باتا سفر الأموات لقضاء عطلة الصيف ، حتى داخل السوق الأوروبية المشتركة ؛ ومن ناحية أخرى ، فهذه عملية بغيضة إلى أقصى الحدود ، لأنها قد تلقى الرعب فى قلوب الأطفال المسافرين للاصطياف .

سيريى : هوبير ، كفٌ عن المناقشة ، وأعطها معطفها لتنصرف .

ريجينا : أوه ! حبيبى! احتقارك هذا يلقى بى فى اضطراب عميق! أنا التى كنت أفكر فى مشاركتك السلام والسعادة فى نهاية مطاف حياة صاخبة ، أنا التى كنت أتمنى أن أرتدى الحداد عليك أشبه بلواء عبقرية تمثيلية ، أجد نفسى فى هوَّة سحيقة ! فى أى جحيم أشباح يلقى بى احتقارك وإهمالك !

سيريى : نحيبك هذا يثير الأعصاب يا سيدتى . خذى معطفك وأسرعى إلى طبيبك النفسانى .

ريجينا : بدلا من أن أهجرك ، أفضل أن أضع حدا لحياتى

سيريى : أمامك. أين سكين الروزبيف ؟ يا شمس حياتى ، انظر فى عينىَّ للمرة الأخيرة ! إذا كانت رغبتك هى أن أضع حدا لحياتى ! فأنا طوع أمرك !

المشهد الثانى عشر

(سيريى - هوبير - الصحفى - ريجينا مورتى - الممرضة)

الممرضة : اسمعى يا سيدتى ، هل تعتقدين فى الميلودراما ؟ أعطنى هذه السكين . فهذا خطرا !

سيريىْ : وصلت فى وقتك يا ماريا . مدام مورتى انتهت زيارتها . يمكنك اصطحابها للخارج .

الممرضة : هيا ، اخرجى ، وإلا فسأغضب !

ريجينا : (يغمى عليها بين ذراعى الصحفى) – Addio mondo' cruel وداعًا أيها العالم القاسى !

سيريىْ : ليس فوق فراشى !

الممرضة : ماذا بها ؟ كأنها تختنق، لقد ازرق لونها ! ابتلعت شيئا ! أنت أصابعك طويلة ، حاول أن تنزع ما دخل حلقها ! ما هذا ؟

الصحفى : ورك دجاجة .

سيريىْ : ابتلعت ورك دجاجة ؟

هوبير : مثل الأفاعى الكبيرة !

سيريىْ : خذيها إلى الإسعاف ! بسرعة قبل أن تفيق !

ريجينا : O profonda notte dell infortunio ! أوّاه يا ليل الكارثة العميق !

المشهد الثالث عشر

(سيريىْ - هوبير - ريجينا مورتى - الممرضة - البروفيسور فيرتودو)

سيريىْ : البروفيسور العزيز !

البروفيسور: الأستاذ العزيز ! اسمح لى أن أقدم لك مارون جلاسيه . لقد مضى عامان وأنت فى العلاج تحت إشرافى .

سيريىْ : يا لها من لفتة لطيفة أن تفكر فى عيد ميلاد الإيدز الذى أصابنى . كيف حالى يا عزيزى البروفيسور ؟

البروفيسور: بماذا تشعر أنت ؟

سيريىْ : أشعر بقلق شديد . أخشى أن أموت قبل أن ألعب دور ريتشارد الثالث .

البروفيسور : لا تقلق ، يمكنك أن تقوم بتقديم عروض هنا فى المستشفى كما كان يفعل "ساد" . سأعيرك بعض المرضى لمساعدتك . وسأكون ممنونا لك لو أعطيتنى دوراً صغيرا يا أستاذ ، حتى ولو حامل رمح فى المسرحية .

سيريىْ : سأفكر فى ذلك ياعزيزى البروفيسور! والآن عندى سؤال: متى سأخرج من هنا ؟

البروفيسور: لا تفكر فى مغادرتنا ! فالعلم الآن له متطلبات صارمة مثل المسرح . ينبغى أن تشعر بالفخر من النجاحات المتكررة ضد الموت التى كنت أنت بطلها فى هذا الصرح

العلمى . هل الموت الذى يتـربص بك يخـتلف عن الموت المتَّشح بالسواد فوق خشبة المسرح ؟

سـيـريىْ : عـزيزى البروفـيسور . أنا أشكرك علىٰ حبك للمسـرح ، ولكنى فى هذه الحالة ، متى سأموت ؟

البـروفـيسـور: ما هذا الذى بين يديك ؟

سـيـريىْ : لتر من السورامين ، كما يحدث كل اسبوع ، ومليار من وحـدات الانتـرفـيـرون (interferon) كل شـهـر ، بصـرف النظر عما يُصنع بى كل يوم .

البـروفـيسـور: عظيم ، عظيم جـدا . مـدام بونجـو ، ملف المريض . ألم تحدث أى وعكات صحية خلال الأيام الأخيرة ؟

سـيـريىْ : توقف للقلب مرتين ، وغيبوبة مرة .

البـروفـيسـور: عظيم ,عظيم جدا .

المـمـرضـة : يا له من يوم يا بروفـيسـور ! هـذه السـيـدة أغـمى عليـها وهى ليست من نزلاء المستشفى وليس عندى سرير لها .

البـروفـيسـور: تصرفى يا مدام بونجو. عظيم ، عظيم جدا . عظيم جدا ، عظيم جدا . بل عظيم جدا جدا .

سـيـريىْ : كيف عظيم جدا ؟

البـروفـيسـور: فى الحقيقة ، من المفروض أنك تكون قد متَّ فعلا .

سـيـريىْ : من المفروض أنى قد مت فعلا ؟

البـروفـيسـور: أنت عشت زيادة على عمرك ستة أشهر على الأقل .

سـيـريىْ : أنت متأكد ؟

البروفيسور: مدام بونجو ، خذى من المريض عيِّنة من الدم من ذراعه الأخرى ، يجب أن نعرف سبب هذه الصحة المفرطة . وإلا يجب أن نعترف بحدوث معجزة .

سيريى : أرجو ألا تغيروا بالقوة حالتى الصحية إلى أسوأ .

البروفيسور: لا تخش شيئا ، لن يكون ذلك سوى معجزة من معجزات العلم.

سيريى : إذن سأمتثل للشفاء ؟

البروفيسور: بالعكس ، بالعكس ، مادمت قد قلت لك إنك من المفروض أن تكون قد مت .

سيريى : طمأنتنى! ولكنى أعود إلى سؤالى الأول : حقيقة سأموت؟

البروفيسور: لن تموت أبدًا يا أستاذى العزيز ، سيبقى اسمك خالدًا حتى بعد مماتنا نحن .

سيريى : أنا لا أتكلم عن اسمى ، أنا أتكلم عنى أنا .

البروفيسور: سوف تعيش عمرًا يساوى عمر الإيدز . وقد بلغ الإيدز من العمر عامين . سنتحدث فى ذلك فى مناسبة عيد ميلاده القادم . سأمر عليك غدا لكى أراك ككل يوم .

هوبير : هل تحب أن تشاركنا إفطارنا يا عزيزى البروفيسور ؟ فرصة لتغيير ما يفرض عليك فى الكافيتيريا .

البروفيسور: شكرا ، شكرا ، كان بودِّى . ولكن ليس عندى وقت لابد أن أجرى عملية فى المخ بعد ربع ساعة .

سيريى : عملية فى المخ لمريض بالإيدز ؟

البروفيسور: عمليات المخ هى هوايتى المفضلة . فأنا لا أجريها سوى يوم الأحد . ولكن ماذا أرى ؟ ورك دجاجة ؟

هوبير : ليس هذا يا عزيزى البروفيسور . بل خذ هذا الورك الآخر الذى لم يسبق استعماله .

البروفيسور: ولحم روزبيف ! لا أصدق عينىَّ! أهو من الكبد الحقيقى ؟

هوبير : سأذهب لأعد لك "بلاتوه" لنقضى نزهة ونتناول الطعام فى الخلاء قبل أن تجرى عمليتك .

البروفيسور: لا أريد أن أفرغ خزانة طعامكم .

هوبير : لا يهم . سنحصل على غيره من مطاعم فوشون . أليس كذلك يا أستاذ ؟

سيريى : طبعا ! خذ كل شىء يا عزيزى البروفيسور .

البروفيسور: لا أعرف كيف أشكرك ؟

هوبير : لا شىء يعز عليك يا عزيزى البروفيسور .

البروفيسور: يا مدام بونجو ، ساعدينى فى نقل هذه الطيبات من الرزق . أنت تعرفين مخبأً فى حجرة العمليات . سأتناول طعامى فى وقت الراحة .

الممرضة : أنا لست خادمتك .

البروفيسور: منذ أن تزوجت أصبحت لا تطاقين يا مدام بونجو . أمامى .

الممرضة : وماذا أصنع بمغنية الأوبرا ؟

البروفيسور: سنجد حلا دائما لكل شىء .

(الممرضة والبروفيسور يخرجان)

المشهد الرابع عشر

(سيريىْ - هوبير - الصحفى - ريجينا مورتى (مغمى عليها))

سيريىْ : هوبير ، أنت تعرف تماما أن مطاعم فوشون لا توصل الطلبات للمنازل يوم الأحد.

هوبير : على العموم عندنا " المارون جلاسيه " الذى أحضره البروفيسور .

سيريىْ : لن أموت بالمارون جلاسيه بالذات !

المشهد الخامس عشر

{سيريىْ - هوبير - الصحفى - ريجينا مورتى (مغمى عليها) - الممرضة}

الممرضة : الساعة الآن الثانية عشر ظهرا . هل تحب تناول الطعام فى الخلاء ؟

سيريىْ : ماذا تقدمون ؟

الممرضة : جزر مبشور وهامبرجر بالماكيرونه . ومن حقك قطعتان من الحلوى لأن اليوم هو يوم الأحد : قطعة من الجبن وزبادى بالفراولة .

سيريىْ : أكل مقرف !

هوبير : المفروض أنه طعام صحى مادام ليس له رائحة .

سيريىْ : إذن ، كله أنت وأعطنى أنا المارون جلاسيه .

الممرضة : تصرَّفوا !

(الممرضة تخرج)

المشهد السادس عشر

((هوبير - سيريىْ - الصحفى - ريجينا مورتى (مغمى عليها))

الصحفى : يمكننى أن أذهب لأحضر لك شيئا تأكله من خارج المستشفى يا سيدى .

سيريىْ : آه ، أنت ما تزال هنا ؟ ألا تقول شيئا ؟

الصحفى : لم تتح لى الفرصة يا سيدى .

سيريىْ : هذا كل ما لديك من أقوال ؟ اسمع ، إذا نشرت كلمة واحدة مما رأيت وسمعت هنا فسألعنك من العالم الآخر .

الصحفى : لن أفعل ذلك ، يا سيدى .

سيريىْ : لماذا لا تقول لى أستاذ ؟

الصحفى : لم أتعود على ذلك يا أستاذ ؟

سيريىْ : أنت مرتبك ؟ ألم تصادف فى حياتك الخاصة مجنونة ؟

هوبير : أستاذ ، يجب أن تتخلص من هذه العادة السيئة فى معاملة الصحفيين ، قبل لحظة كنت تشبهه ببوتيشيللى .

سيريْ : أنا شبهت هذا الوحش ببوتيشيللى ؟ أنت تنتمى إلى جيل من الناس عديمى الجمال يا عزيزى هوبير ، أره صورة لى وأنا فى مثل عمره .

هوبير : أى صورة ؟

سيريْ : أره صورتي وأنا فى دور هاملت .

هوبير : أنت قمت بدور هاملت فى جميع الأعمار .

سيريْ : أره أية صورة ,لا يهم ,

هوبير : لا أجد لك أية صورة وأنت فى دور هاملت . ولكن هذه الصورة لك وأنت فى دور الخادم. أعتقد أنها فى مسرحية توفاريتش ؛ أنت فيها بجوار الفنانة إلفيرا بوبيسكو .

سيريْ : اقطع بوبيسكو وأره صورتى وحدى .لا تحن رأسك لترى الصورة ، بل ارفع الصورة قليلا فوق مستوى نظرك . أخر رأسك قليلا للوراء . هوبير ، مرآتى المتحركة . امسكها بيدك الأخرى، ارفع حاجبيك... ارفع قليلا ... قليلا أيضا ... قليلا أيضا، قدِّم ذقنك كما أنا فى الصورة ... الآن شكلك يصلح بروفيل فى المسرح . ستكون ممثلا لو كان عندى وقت لتدريبك وإعطائك بعض الدروس .

الصحفي : لعلى لا أملك الموهبة يا أستاذ .

سيريْ : أنا أقمل ذلك لكى أطيب خاطرك ، لأنك فى الواقع تشبه شوال البطاطس . أنت طرى وبصاص مثل جميع الصحفيين . لقد سخرت منك فى ثلاث جمل . انتهت المقابلة ، يمكنك تدبير أمرك .

المشهد السابع عشر

(هوبير - سيريىْ - الصحفى - ريجينا مورتى (مغمى عليها) الممرضة)

الممرضة : هدية أخرى من زوجة أخيك .

هوبير : شربات من عند جروبى !

الممرضة : أنا لم أر فى حياتى شرباتا بهذا الحجم . إن زوجة أخيك هذه امرأة أرستقراطية حقا . بمناسبة عيد ميلادك ، طلب منى البروفيسور تخليصك من الأنابيب قبل الموعد **(تنزع عنه أنابيب نقل الدم)** وبذلك يمكنك أن تسير خطوات لكى تقترب من الشربات .

سيريىْ : هل شاهده البروفيسور وهو يدخل ؟

الممرضة الشربات ؟ إنه حتى مرَّر إصبعه فوقه .

سيريىْ : سيتوجَّب علينا يا هوبير أن نفكر فى طريقة لتموينا فى السر.

المشهد الثامن عشر

(هوبير - سيريىْ - الصحفى - ريجينا مورتى (مغمى عليها) الممرضة - البروفيسور)

البروفيسور : هأنت ذا قد تخلصت من الأنابيب ، يا أستاذ .

سـيـريى : كيف أشكرك يا عزيزى البروفيسور ؟

البروفيسور : كيف أشكرك أنا على هذا الروزبيف اللذيذ؟ طرى مثل الزبد، ولكننى أرى أنكم تستعدون لتناول الحلو، فى حين أن وقتى لن يسعفنى لمشاركتكم. المفروض أن أكون الآن فى حجرة العمليات. ولكن مريضتنا قد تبخَّرت ولا أعرف أين ذهبت.

سـيـريى : هوبير ، ملاعق الحلو لو سمحت .

البروفيسور : ملعقة شربة واحدة تكفينى ، شكرا ! ممم ! الله ! شربات فـراولة برِّية . تذكـرنى بعطر مـربيـتى أيام طفـولتى فى

هـوبيـر : بوفيل ... وأول دراجة بثلاث عجلات **(تريسيكل)** ... كراك ، كراك ... وجارتى الصغيرة ، ماذا كان اسمها ؟ كانت لطيفة جدا بضفائرها الصغيرة وهى فوق العجلة ... ليلى كان اسمها ليلى ... ممم الله ! فنان كبير جُروِبِّى هذا !

الممـرضـة : أيام الآحـاد ، أنت تعـرف كيف يكون الزحـام فى المدخل يا بروفيسور، مريضتك ربما يكونون قد نقلوها إلى قسم الولادة.

البروفيسور : معقول ! لقد شاهدتها قبل ساعة على الأقل وهى تحت المخدر فى العنبر .

الممـرضـة : أنت متأكد ؟ لقد مروا صباح اليوم لأخذ موتى الأسبوع . فلا بد وأنهم أخذوها معهم .

البروفيسور : مدام بونجو ، هذا عملك ! أينما كانت ، أنا أريد مريضتى فورا فوق منضدة العمليات ! هذا أمر !

الممـرضـة : المشرحة لا تفتح يوم الأحد بعد الظهر .

البروفيسور : تصرفى ، يا مدام بونجو . ابحثى عن مفتاح المشرحة .

سيريىْ : أنت فقدت مريضتك يا بروفيسور، وأنا وجدت لك غيرها . ماذا ينبغى أن أصنع بهذه السيدة المهووسة الموجودة فى فراشى ؟ أنا لا أنوى أن أحتفظ بها هنا إلى الأبد .

البروفيسور : سيدة مهووسة؟ إنها مريضتى. كيف وصلت إلى هنا؟ ليس من اللطيف منك أن تأخذ مريضتى فى فراشك يا أستاذ.

سيريىْ : آخذها فى فراشى ؟ أنا منذ ساعة وأنا أطالب بأن تخلصونى منها .

البروفيسور : مدام بونجو ,هل سمعت ؟

الممرضة : عمَّال النقالات مشغولون بالإفطار .

البروفيسور : أحسن ! سننقلها هكذا . أيها الفتى : ساعدنى .

ريجينا : أشعر أننى محمولة فى النرفانا ... أواه ، يا حبى العظيم , انتظرنى ... بعد عملية المخ سأحبك أكثر ...

سيريىْ : لا تنس أن تنظف لها مخها يا عزيزى البروفيسور !

(الممرضة والبروفيسور والصحفى يخرجون حاملين ريجينا مورتى مغمى عليها)

المشهد التاسع عشر

(سيريىْ - هوبير)

سيريىْ : هوبير ، هل أنا فتنْته ؟

هوبير : من ؟ بوتيشيللى ؟ إنه تحت قدميك ، يا أستاذ .

سيريى : طريقتى القديمة ماتزال فعّالة . لم يبق أمامى إلا أن أدفعه إلى الحب المجنون. هذه الليلة ، أنا ألعب بكل شىء لكل شىء . أما زلت أحتفظ بسترتى الجلدية ذات الأهداب الحريرية ؟ ومنديل العنق الهندى الذى اشتريته من عند شيروتى؟

هوبير : كل ملابس الخروج هناك فى بيتك .

سيريى : كيف ؟ أليس عندى شىء أرتديه لكى أخرج من هنا ؟

هوبير : لا شىء ، يا أستاذ .

سيريى : هوبير ، أنا لم ألاحظ أبدا أن مقاسك هو مقاسى .

هوبير : ولا أنا .

سيريى : موديلاتك قديمة ، لكن لا بأس .

هوبير : هل تريد بذلتى ؟ وأنا ؟

سيريى : أنت ستمضى الليل فى فراشى . يجب أن يبقى أحدنا ليخدع ممرضة الليل .

هوبير : وإذا عملوا لى إجراءات نقل الدم ؟

سيريى : هذا سيحدث أكيد . ولكن هل تخاف من شكة حقنة ؟

هوبير : أنا أرتعد من مجرد الفكرة .

سيريى : ظننت أنك صديق وفى يا هوبير !

هوبير : أستاذ . أنت تعلم أننى على استعداد لعمل أى شىء من أجلك ، ولكن

سيريى : إذن ، أسرع ، بنطلونك ! وخذ ارتد بنطلون البيجاما هذا!

هوبيـــر : ولكننى فى هذه الحالة سأكشف لك عن ساقى .

سـيـريىْ : يجب أن أرى ساقين مرة على الأقل فى حياتى .

هوبيـــر : أنا أموت خجلا !

سـيـريىْ : إن ساقيك بالضبط كما كنت أتخيلهما .

المشهد العشرون

(سيريىْ - هوبير - الممرضة - الصحفى)

الممرضـة : يا أستاذ هوبير ، ارتد ملابسك . أنت تعرف أن هذا ممنوع منعا باتا . أنت بذلك تعرضنى للمساءلة . هذه المرة سأتظاهر بأننى لم أر شيئا ، ولكن حذار المرة القادمة .

هوبيـــر : شكرا ، يا عزيزتى ماريا .

الممرضـة : يا أستاذ هوبير ، فى مثل سنك !

سـيـريىْ : يا هوبير ، متى تعدون المائدة ؟

الممرضـة : هذه أول مرة أذوق فيها الكبدة المشوية . مع أننى مولودة فى قرية اسمها كبدة وأمى من مدينة اسمها مشوية . غريبة ، أليس كذلك ؟

سـيـريىْ : حسب معلوماتى ، أنت لست مدعوة للطعام . اذهبى وتناولى طعامك فى المقصف كما تفعلين كل يوم .

المــرضـــة : ولكن اليوم هو عيد ميلادك .

ســيــريىْ : إذن ، شريحة صغيرة فقط . فهذه الكبدة ليست مطاطة .

المــرضـــة : إنها مثل طعام الكلاب . أوه ! ياللقرف !

هـوبيــــر : شريحة يابوتيشيللى ؟ ماريا : كأس نبيذ أبيض ؟

المــرضـــة : شكرا ؛ لكى أبلِّع هذا القرف . لن تصدقنى ، لقد دخَّنت قطعة الأفيون . ولم أشعر بأى تأثير ، أيها الصحفى ، أنت تشبه زوجى ، ولكن على أبيض .

ســيــريىْ : يا ماريا ، أنت تحت تأثير الأفيون. لقد حذرتك ألا تدخنى الأفيون قبل أن تعودى إلى بيتك .

صـــــوت البروفيسور : مدام بونجو ، ها هى المريضة .

صوت ريجينا: أوه ، يا حبى ! من أعماق اللاوعى السفلى أفكر فيك !

المــرضـــة : قل لى . عندما ندخن الأفيون هل نرى الناس خضراً ؟

ســيــريىْ : أنت ترين الناس خضـراً لأن خيـالك ضيِّق كخيـال الذبابة . لو كـان الأمـر كذلك ، لما كـان هنـاك داعٍ لتدخين الأفيون .

صـــــوت البروفيسور : مدام بونجو ، هاتى المشرط ! مدام بونجو ، فتاحة زجاجات !

المــرضـــة : لا بأس إذا كنت أصبحت ذبابة ! فأنا أحب العالم وهو أخضر .

(تخرج)

المشهد الحادى والعشرون

(سيريىْ - هوبير - الصحفى)

سيريىْ : أخيرا أصبحنا وحدنا . هوبير ، ضع لنا فى المسجل شيئا من الموسيقى الخفيفة وأغلق الستائر .

هوبير : هل تحب لحن فالس من ڤييناً ؟

سيريىْ : حط البيتيلز . فأنا من المعجبين بأواخر الستينات .

هوبير : كنت أعتقد أنك لا تحب هذا .

هوبير : صديقى العزيز ، إذا كنت تريد زيارة ابنة عمك فى فيرساى ، فقد حان الوقت لكى تبدأ سفرك .

هوبير : ابنة عمى فى فرساى ؟ لقد ماتت .

سيريىْ : باستثنائى أنا ، لابد وأن يكون هناك أحد بقى على قيد الحياة من معارفك .

هوبير : لا أحد يا أستاذ .

سيريىْ : إذن اذهب إلى مدافن القديس لاشيز للإشراف على أعمال الضريح . لا تظل هكذا ملتصقا بى طول اليوم .

هوبير : سأذهب لأنام القيلولة فى البانيو . أيقظنى لمشاهدة مباراة كرة القدم فى التليفزيون .

(يخرج)

المشهد الثانى والعشرون

(سيريىْ - الصحفى)

سيريىْ : لا تخش شيئا. أنا لا أنوى الاعتداء عليك أو أن أغتصبك، أريد فقط أن أسألك أنا ، مرة نتبادل الأدوار ، أنا سأقوم بدور الصحفى وأنت ترد على أسئلتى . كم عمرك ؟

الصحفى : ثلاثون عاما ، يا أستاذ .

سيريىْ : دعك من "أستاذ" هذه . جنسك؟ تبدو مترددًا . ما المكتوب فى شهادة ميلادك؟

الصحفى : الجنس ذكر .

سيريىْ : أرأيت كيف أن الموضوع سهل ؟ متزوج ؟

الصحفى : لا ، يا أستاذ .

سيريىْ : هل أنت دون جوان ؟ (**زير نساء**)

الصحفى : لا ، أبدا .

سيريىْ : أنت حقا إنسان عادى جدا . هل سبق لك أن حلمت بالمجد ؟ ليس فوق خشبة المسرح . ولكن فى الحياة الواقعية ، فى صحيفتك ، أو فى أسرتك ؟ وأنت طفل صغير ، هل كنت تحب مساعدة العميان فى اجتياز الشارع لكى تثير إعجاب زملائك ؟

الصحفى : لا أظن أن هذا حدث لى فى حياتى . لقد كنت طفلا عاديا جدا أيضا ، يا أستاذ.

سـيـريـنْ : ولكنك وأنت مراهق ، لابد أنك حلمت بأن تصبح كاتبا كبيرا قبل أن تصبح صحفيا . ألم تكتب شيئا ؟ حتى ولو قصيدة ؟

الصحفى : لا أظن .

سـيـريـنْ : هل حدث لك شىء مهم ، ولو مرة ، فى حياتك ؟ ولو حتى بالمصادفة ... ألم تحقق أى نوع من التميز ؟ ألا تمارس أى نوع من الرياضة ؟

الصحفى : بلى ، أنا أمارس التنس .

سـيـريـنْ : حالة ميئوس منها . أنت راسب . لا يحق لك أن تشغل ولو عموداً واحداً فى صحيفتى .

الصحفى : أنا أسف لأنى خيبت أملك يا أستاذ .

سـيـريـنْ : لست أول من يفعل ذلك . هل لك فى نفس من نارجيلتى ؟ رائعة ، أليس كذلك ؟ هذه نارجيلة الكاتب جان كوكتو ، أعطانى إياها حينما كف هو عن التدخين . وأنا مازلت على قيد الحياة . لا أخشى أن أموت ، ولكن أخشى أن أظل محبوسا داخل إطار ذكرياتى . لو كانت الحياة الخالدة على هذا النحو ، فأنا أحاول أن أخرج منها منذ زمن بعيد . أليست رائعة هذه النارجيلة ؟

الصحفى : رائعة يا أستاذ .

سـيـريـنْ : سأتركها لك لترثها عنى . وبذلك تذكرنى فى ليالى الضيق والملل والسأم

الصحفى : شكرا جزيلا يا سيدى !

سيريىْ : توهمت أن أعثر فيك على شبابى ، ولكن لا يوجد فيك شىء يجذبنى . قبل ثلاثين عاما ، كان من الممكن أن تثيرنى ، بل إننى غير واثق من ذلك ، ثم إنك لم تكن سوى طفل رضيع . أعد علىَّ قراءة ما قلت . كيف ، أنت لم تسجل ما قلت ؟

الصحفى : لا ، يا سيدى . أنا أعتمد على ذاكرتى .

سيريىْ : إذا كانت ذاكرتك بلهاء مثلك ، فلن تكتب سوى بلاهات : خذ كراسة من التأمين الصحى وقلمى الباركر. كم صفحة تنوى كتابتها ؟ أريد أن أعرف حتى أوزع تأثيراتى .

الصحفى : كم صفحة تريد ؟

سيريىْ : ليس المهم عدد الصفحات، ولكن أريد صورتى على الغلاف. هوبير، أين راحت صورتى وأنا فى دور هاملت؟

صوت هوبير : الحقونى ! النجدة !

(الصحفى يخرج)

سيريىْ : هوبير ، هذا المسكين يحلم بكوابيس فى أثناء القيلولة .

المشهد الثالث والعشرون

(سيريىْ - الصحفى يدخلساندا هوبير)

هوبير : أى ! نحلة فى البانيو !

ســـيــريىْ : لا بد فـورا من انتـزاع الزبانة (الحمه) ، لا تنس أنك مصاب بالسكر .

هـوبيـــــــر : جلست فوقها .

ســـيــريىْ : ماريا . حينما نحتاجها لا نجدها .

الصـحـفى : اسمح لى أن أساعدك يا سيدى .

هـوبيـــــــر : أى !

الصـحـفى : الزبانة لم تدخل فى اللحم . ها هى ذى .

هـوبيـــــــر : أشكرك يا صديقى العزيز . لقد أنقذت حياتى .

المشـهـد الرابع والعشـرون

(سيريىْ - الصحفى - هوبير - الممرضة)

الممـرضـــة : سيدى هوبير، تانى؟ لم أكن أتصور أن يصدر ذلك منك ، شىء مخجل !

الصـحـفى : يوجد نحل فى الحجرة !

الممـرضـــة : نحل . أى !

ســـيــريىْ : جاء على الشربات، النحل غطاه بالكامل. ماريا ، أخرجى الشربات من هنا .

الممـرضـــة : أين تريدنى أن أضعه ؟

ســـيــريىْ : ضعيه فوق خلية النحل .

الممـرضـــة : أخاف !

سـيـريـْ : لا تصرخى ستفزعينه ... امشى بهدوء نحو الباب ... إنها سكرى من الفراولة البرية :

(الممرضة تخرج بالشربات)

صوت ريجينا: أشعر أننى أعود إلى الحياة ، يا حبيبى !

المشهد الخامس والعشرون

(سيريْ - هوبير الصحفى - ريجينا مورتى - البروفيسور)

البروفيسور : عزيزى الأستاذ ، اسمح لى أن أهدى إليك اختراعًا علميا دوليا ! لقد نجحت فى تركيب مخ صناعى من اختراعى .

ريجـينا : آه ياحبى ، مخى المعمول بالسيليكون لا يفكر إلا فى سعادتك . ودليلا على وفائى سأهديك مخى القديم ؛ الذى تركت فيه ذكريات غرامياتى السابقة . هو ماضىً الذى أهديه إليك فى هذه القطعة من المادة الرمادية .

سـيـريْ : ماضيك ، أعطيه لقطتك! ولا تقتربى منى ، أنت تخيفيننى! **(يختفى وراء الصحفى)** يا بروفيسور ، اعمل شيئًا !

البروفيسور : سلوكها سلوك عادى تماما . هى تريد أن تبرهن لك عن مودتها .

ريجـينا : Questo cervello col quale sono nata é per te, amore mio ! Devi mangiarlo per provare la tua passione !

tieni, mangialo tutto ! Quando tu sarai morto, io mangero il tuo cuore !

هذا المخ الذى ولدت به هو لك ،يا حبيبى ! يجب أن تأكله لتثبت لى حبك! حينما تموت ، سآكل أنا قلبك !

(تلقى المخ على الصحفى الذى يحمى وراءه سيريىْ، الصحفى يخرج وهو ينظف نفسه)

البروفيسور : يالها من ملهمة ! عبقرية مسرحية حقيقية !

المشهد السادس والعشرون

(سيريىْ - هوبير - ريجينا مورتى - البروفيسور - الممرضة)

الممرضة : **(تدخل حاملة الشربات)** النجدة ! النحل !

(تسقط بالشربات فوق البروفيسور)

سيريىْ : برافو ، ماريا !

هوبير : مفاجأة مسرحية حقيقية !

الممرضة : أوه بروفيسور . ماذا فعلت ؟ سامحنى .

البروفيسور : حاولى جمع بعض الشربات بملعقة ، يا مدام بونجو .

ريجينا : E adesso, amore mio, ché cosa devo fare? Sono la tua schiava !

والآن يا حبيبى، ماذا يجب أن أصنع؟ أنا جاريتك المطيعة.

سيريْ : توجهى بحديثك إلى البروفيسور ! فالمخ الذى فى رأسك من صنعه وعليه هو أن يصدر إليك الأوامر .

ريجينا : Mio caro professore, ché cosa devo fare ?

بروفيسورى العزيز ، ماذا يجب أن أصنع ؟

البروفيسور : قلت لك إن مخك يسير وحده . فليس فى حاجة لتلقى أوامر من أحد . أنت مخلوقة حرة .

ريجينا : Oh nobile vestale, che cosa devo fare ?

ماذا يجب أن أصنع ؟

الممرضة : أنا لا أفهم شيئا حينما تغنى. إذا كنت تريدين شيئا ، فاسألى كما يسأل الناس .

ريجينا : عزيزى الأستاذ هوبير ، الطيب ، الجميل . إن القدر بعد أن تنقل بى من سيد إلى سيد، جعلنى لك جارية مطيعة ! أريد منك أن تصدر لى أمرا ! ماذا يجب أن أصنع ؟

هوبير : عزيزتى ريجينا ، أنا آمرك بالسكوت .

البروفيسور : آه ، كلا ، لا تقل لها ذلك . فهى ينبغى أن تظل تغنى دون انقطاع ، وإلا فإن مخها سيصاب بالعطل . ياعزيزتى غنى لنا شيئا يكون رقيقا على الأذن ، مثلا أغنية لتنويم الأطفال . الآن لا تريد أن تفتح فمها . ولكن هذا مجرد صدمة بسيطة تكون بعد العملية الجراحية .

سيريْ : سوف نستغنى عن صوتها . إن وجودها يملأ المنصة يا هوبير ، اركنها فى أحد الأركان .

هوبير : وأنا يا عزيزى البروفيسور ، متى سأعود للجلوس ؟

البروفيسور : سنفكر فى هذا الأمر بعد أسبوع .

المـمـرضـة : وأنا ؟ من يهتم بأمرى ؟ أنت تهتم بالجميع إلا أنا . أنت تعرف أننى دخنت الأفيون ، وأننى فى حاجة إليك الآن .

البروفيسور : مدام بانجو ، لا أريد فضائح أمام الجمهور .

المـمـرضـة : إذن ، ليعلم الجميع أنك عملة مزيفة . فمنذ عقدت زواجى على الزنجى ، لم تعد تدعونى لزيارتك فى الجارسونيرة ، لم تعد ترغب فىَّ ، لأننى تزوجت من زنجى أسود . أيها العنصرىُّ

البروفيسور : مدام بونجو !

سـيـريـىْ : برافو ، يا مدام بونجو !

هـوبـيـر : ياله من جو دراماتيكى رائع !

المـمـرضـة : سأرسل إلى زوجتك خطابا دون توقيع ، سأصف لها كيف كنت تضاجعنى فوق الدراجة ذات العجلات الثلاث **(التريسيكل)**

هـوبـيـر : فقرة من فقرات الألعاب البهلوانية .

البروفيسور : سبق أن قلت لك إننى لا أريد أن يشاركنى فيك أحد . يا ماريا ! أنا رجل لى كرامة ! لكننى أقسم لك أننى لم أسمح لأحد بركوب التريسيكل بعدك .

المـمـرضـة : كذاب ! أنت فعلت ذلك مع فتاة الصالة .

البروفيسور : لم أركِّبها فوق التريسيكل ، وإنما فوق المكنسة .

سـيـريـىْ : فوق المكنسة . رائع !

هـوبـيـر : مثل ساحرات شكسبير .

المـمـرضـــة : فـوق المكنسـة ؟ قـذارة . لم أكن أظـن أنك تجـرؤ على فعل ذلك.

ســيــريـىْ : ثورى أكثر . أخرجى كل ما عندك .

البروفيسور : ألا تكفين ، أيتها القذرة ؟

(البروفيسور يصفع الممرضة)

صفعة ! واقعية حقيقية !

هـوبيـــــر : حبيبتى، هل تبكين ؟ هل سببت لك ألما ؟

البروفيسور : أحبك يا جان . لقد غفرت لك كل شىء .

المـمـرضـــة : نهاية سعيدة ، وا أسفاه ! ياالخيبة الأمل !

ســيــريـىْ : سنركب التريسيكل :

البروفيسور : أنت مجنون ، الناس .

المـمـرضـــة : لنذهب إلى حجرة العمليات .

البروفيسور : اخرجوا أيها الأوغاد !

(البروفيسور والممرضة يخرجان)

المشهد السابع والعشرون

(سيريىْ - هوبير - ريجينا مورتى)

ســيــريـىْ : أين ذهب بوتيشيللى ؟

هـوبيـــــر : لعله يتمشى فى الحديقة .

ســيــريـىْ : سيرجع ، أنا متأكد .

ريجـــــينا : فليرحلوا عنا ! فليرحل الأحياء مع الأحياء ! إن مملكتنا تجهلهم ! يا حبى ، متى ستكون دخلتنا ؟

ســــيـــريى : أنت مجنونة ؟ نحن لم نتزوج .

ريجـــــينا : بل نحن كذلك فى مملكة الأموات .

ســــيـــريى : أنت ربما مت ، أما أنا فلا .

ريجـــــينا : Ti voglio adesso ! Andiamo subito consommare il nostro Amor sul letto !

أريدك الآن . هيا بنا فوراً نمارس حبنا فى الفراش !

هـوبيـــــر : ريجينا ، لاحظى أنك خارجة الآن من عملية حساسة .

ريجـــــينا : أنت لا تريدنى وأنت على قيد الحياة ، إذن سأقتلك لكى أتمكن منك ميتا . فلن يكون حبنا إلا أكثر قوة وأكثر إثارة . أين سكين الروزبيف ؟

ســــيـــريى : تانى ؟

هـوبيـــــر : عزيزتى ريجينا ، من حقك أن تمارسى كل شىء. ولكننى أرى أن ملابسك هذه التى ترتدينها غير لائقة بهذه المناسبة السعيدة ، فملابسك الداخلية غير مناسبة . فلكى تأسرى قلب الرجل لابد أن ترتدى ثيابا داخلية مغرية. هل تعرفين معنى ذلك ؟ بعد قليل ، سأصحبك فى جولة فى بوتيكات حىٍ بيجال الشهير ، وبذلك يمكنك أن تمارسى غدا .

ريجـــــينا : Andiamo subito a pigalle, bello e buono signor Du-bonnet !

هيا بنا فوراً إلى بيجال، يا عزيزى الجميل الطيب القلب .

سيريْ : هو كذلك ، خذها إلى بيجال ، ثم اتركها هناك .

هوبير : ليس الآن فوراً ، يا عزيزتى ريجينا .

ريجينا : Subito ! Voglio andare a pigalle comprare le mutande sexy!

فوراً أريد أن أذهب إلى بيجال لأشترى الملابس الداخلية السكسى.

هوبير : فيما بعد ، قلت لك فيما بعد .

سيريْ : انتهز الفرصة يا هوبير ، وتخلص منها .

ريجينا : فورا ! فوراً ! Subito , subito!

هوبير : أنت تخنقيننى !

ريجينا : Subito, subito, la morte subito !

فورا ! فورا ! الموت فورا !

المشهد الثامن والعشرون

(سيريْ - هوبير - ريجينا مورتى - الصحفى)

(الصحفى ينقض على ريجينا ويضربها فوق رأسها بمصباح)

ريجينا : دو - رى - مى - فا - فا Do-re-mi-fa-fa

(الصحفى ينقل ريجينا إلى السرير)

سـيـريـى : بوتيشيللى ، كدنا نموت خنقا ! أنت أنقذت حياتنا ! أين ذهبت ياملاكى العزيز ؟

الصـحـفى : كنت أقوم بتغيير مكان السيارة .

سـيـريـى : هوبير، ابق بجوارها بالمصباح . أنا لا أريد أن أموت مخنوقا بيد امرأة . لقد قضيت حياتى أهرب من النساء .

هـوبيـر : أنا شاهد على ذلك .

سـيـريـى : حينما كنت أغادر خشبة المسرح ، كنت أجدهن فى الكواليس جماعات فى انتظارى . وأحيانا كن يصعدن من فتحة الملقن . كان ينبغى أن أستخدم رجال الإطفاء لإجلائهن عن مقصورتى . وكم من مرة وجدت بعضهن مختبئات خلف ملابسى ، وتحت أريكتى !

هـوبيـر : فى ماناوس ، كان لابد من استخدام الجيش لإخراجك من المسرح .

سـيـريـى : وكلما قمت بدور المجنونة فى المسرح ، زاد حبهن لى .

هـوبيـر : لعنة ، لعنة حقيقية !

سـيـريـى : عزيزى هوبير ، لقد أخرجتنى من مواقف خطيرة كثيرة !

هـوبيـر : لا تذكِّرنى بذلك ، هناك عشر حالات انتحار فى أعناقنا .

سـيـريـى : ولكنك أنت، ألا تقول شيئا ؟ انظر إلىَّ . هل تخاف منى ؟

الصـحـفى : كلا ، يا سيدى .

سـيـريـى : هذا المكان ، جو هذا المستشفى حيث كل شىء يذكِّر بالموت . وهذه المرأة الفظيعة المفتونة بموتى ! وأنا فى انتظار الموت... ألا تعرف أن الموت قابع فى هذه الحجرة ؟

الصحفى : نعم لا أعرف ، يا سيدى .

سيريىْ : لقد جاء يبحث عنى ، وأظنه خلف ظهرى .

هوبير : هو موجود فعلا ، ولكن عمَّن جاء يبحث ؟ لعله لا يبحث عنك أنت .

المشهد التاسع والعشرون

(سيريىْ - هوبير - ريجينا مورتى - الصحفى - البروفيسور)

البروفيسور : عزيزى الأستاذ ، أيها السادة . لابد أنكم ستندهشون وأنتم تروننى فى ثياب المناطق الاستوائية . أنا مسافر إلى أفريقيا لأكافح مرض الإيدز هناك . هذا هو الشىء الوحيد الذى بقى أن أفعله حتى لا أصاب بالجنون .

سيريىْ : ستسافر إلى أفريقيا ؟ والمرضى الذين تعالجهم هنا ؟

البروفيسور : الأطباء يستبدلون بسهولة مثل المرضى .

سيريىْ : وأنا يا عزيزى البروفيسور ؟

البروفيسور : لا تحاول أن تثير شفقتى ؛ أنا لا أرجع عن قرارى . إن وضعى هنا ، بين زوجتى الشرعية ومدام بونجو ، أصبح غير محتمل ، هل تريد أن أعترف لك بموضوع التريسيكل؟ أنا طول عمرى أخاف من التريسيكل . فى أفريقيا ، على الأقل ، لا يعرفون التريسيكل .

سيريىْ : أعطنى الفرصة لكى أفكر يا بروفيسور . ولا تتصرف بلا روية . استشر زملاءك قبل أن تتخذ قراراً .

البروفيسور : إنهم هم الذين يدفعوننى لترك الكرسى الذى أشغله فى الجامعة . إن طرقى فى العلاج تبدو لهم يومًا بعد يومًا مشبوهة ، مثيرة للشكوك . الطب الذى أمارسه ، أنا إنسانى أكثر من اللازم بالنسبة لعالم المعامل المتجمد الجامد . فى أفريقيا ، سيكون بإمكانى أن أطلق الحرية لتوجهاتى الإنسانية ، النابعة من القلب ، فهناك لن ينقصنى العنصر البشرى . أرجوك أن تشرح هذا كله لمدام بونجو . لقد أرسلتها لترتيب القبو أسفل ، لكى أبعدها لحظات لأنى أخشى مواجهتها بما قررت. وأنت ، إذا أردت نصيحتى ، عالج نفسك بالنباتات . أنت على أية حال ستموت . وفى أسوأ الحالات ، فنجان من منقوع النعناع أو الشيكوريا أفضل وأمتع من عملية نقل الدم .

سيريىْ : فنجان شيكوريا ؟ ولكن أنا عندى الأفيون .

البروفيسور : استعمل الاثنين . وداعا ، يا عزيزى الأستاذ . ربما نلتقى فى مكان ما خارج هذا العالم الذى كل ما فيه صخب وضجيج ورعب ، مكان ما فوق كوكب آخر . أنت كنت دائما مريضى المفضل ..

سيريىْ : عزيزى البروفيسور . أنا لا أدرى ماذا أقول .

البروفيسور : اغفر لى اضطرابى أنا لم أتعود أن أبكى أمام الناس .

سيريىْ : هوبير ، منديلك لو سمحت .

البروفيسور : شكرا . إنه الشعور بالحزن بعد عملية الجماع . كان الرومان يعرفون ذلك أيضا من مئات السنين .

هوبيـــــر : صحيح أن مدام بونجو فيها الكثير من صفات القابلة **(الداية)** الرومانية .

البروفيسور : كيف أعبر لكم عن عرفانى فى هذه اللحظة من الكآبة والحزن ؟

ســـيـــريىْ : سيمر ذلك سريعا . الجميع يعرف الحزن بعد عملية الجماع .

هوبيـــــر : لا تسرف في التشاؤم ، فقد يستمر ذلك طول العمر . كما هى حالتى مثلا ، عملية جماع واحدة ثم نصف قرن من الحزن. لكننى لن أخبركم بالطرف الآخر فى ذلك الجماع. فستضحكون .

ســـيـــريىْ : أنا أعرف ، كانت مرضعتك .

البروفيسور : كيف ، أنت أيضا ؟

هوبيـــــر : كل منا له امرأة محتومة فى حياته، وهى غالبا مرضعتنا .

البروفيسور : هل هذا أفيون ؟ ولكن ماذا ستقول زوجتى إذا رجعت وأنا فى هذه الحالة من السكر ؟

ســـيـــريىْ : قل لها إنه عيد ميلادك .

البروفيسور : فى أثناء طفولتى، كانت أسرتى تقضى عطلة الصيف فى فيلا تستأجرها فى مدينة بوفيل وكانت مربيتى ضخمة شقراء اسمها إيفون . وكنت أتمنى من كل قلبى أن يشترى لى والدى تريسيكلاً ، لكنها كانت تعارض فى ذلك، كانت

تفضل وضعي في عربة الأطفال حيث كانت تستطيع تقييدي كما تريد . وكان والداي لا يسمعان إلا كلامها . مع أن عمري كان ست سنوات . وذات يوم قررت أن أسرق تريسيكل لِيلىِ جارتي الصغيرة ، وأنا أظن أن مربيتي كانت تغط في النوم تحت إحدى الأشجار . وكنت مخطئا . وياله من خطأ ، فقد اضطررت إلى الدخول في سباق مجنون مع المربية التي انطلقت في إثري . وفجأة اصطدمت بإحدى الأشجار وكسر أنفي وتحطمت أسناني اللبنية وتناثرت وشقت شفتاي . وسالت دمائي فوق الرمال . حينما انقضت عليَّ المربية وكشفت عن مؤخرتي وألهبتني ضربا أمام الناس. والأدهى من ذلك، أن الوالدين رأيا أن هذا العقاب غير كاف على جريمتي . فجعلاني أقضي الليلة كلها معلقا في حبل الغسيل من أذني انظروا ، مازلت أحتفظ بأذني مقطوعتين .

سيريْ : شيء رهيب !

البروفيسور : ولم أملك في حياتي تريسيكلاً !

هوبير : عزيزي البروفيسور المسكين . إن المربيات هن أكثر مخلوقات الله وحشية على الأرض .

البروفيسور : لحسن الحظ ، لم يبق منهن ولا واحدة .

هوبير : وفي ذلك نصر كبير للإنسان .

البروفيسور : ولكن الآباء والأمهات سيكون منهم أعداد كثيرة يا عزيزي هوبير .

هـوبيـــــر : للأسف ! للأسف !

ريجـــينا : هو ... هو ... هوبير !

ســيـــريىْ : افعل شيئا ، يا بروفيسور ، لقد سبق أن حاولت خنق هوبير !

ريجـــينا : هو ... هو ... هوبير ! Voglio il mio aperitivo preferito !

أريد مشروبى الفاتح للشهية المفضل !

البروفيسور : ماذا تقول يا أستاذ؟ إن سلوكها عادى جدا . هذا موعد مشروبها الفاتح للشهية.

Cara diva, come ci sentiamo ?

يا نجمتنا العزيزة ، كيف الحال ؟

ســيـــريىْ : عزيزى بوتيشيللى ، قدم واحد هوبير لمدام ريجينا ، خذ ، ضع هذا القرص فى كأسها .

ريجـــينا : فى أى مسرح نحن؟ هذه مقصورتى؟ وأنتم من تكونون؟

البروفيسور : نحن أصدقاؤك ، أيتها النجمة العزيزة !

هـوبيـــــر : أكثر أصدقائك حبا لفنك وإعجابا بموهبتك !

الصـحـفى : فاتح الشهية ، أيتها النجمة العزيزة !

ريجـــينا : Grazie, notevole signori. E bebbiamo al`trionfo de stassera !

شكرا، أيها السادة الوجهاء ! ولنشرب نخب نجاحنا هذا المساء ! بالمناسبة ، متى ينبغى أن أصعد على خشبة المسرح؟ هل قمت بتوقيع العقد؟ كم سيكون أجرى ؟ ومن الممثل الذى سيلعب أمامى ؟ ولكننى أعرفك . أنت مصمم

الملابس فى المسـرح . هل أنت الذى لفـفـتنى فى هذه الضـمـادات ؟ أشـعـر كـأننى أصـبت فى رأسـى. هل هذه أوبرا حديثة؟ من مؤلفها؟ وقائد الأوركسترا، هل هو أنت؟ وأنت من تكون ؟ آه ، أنت ، أنت ! أنـا كنت أعلم أننـى سـأصـادفك فى طريقى إن عاجـلا أو آجـلا ، أيـها الممـثل اللامع . أنت غرَّرت بى ثم هـجرتنى وتـخليت عنى حـينمـا كنت مغنية صـغيـرة فى الطرقات . إن احـتـقـارك لى ظل عـلامـة فى تاريخى الفنـى . لقد أقـسـمت أن أصـرعك فى أول فرصة أقابلك فيها . لقد انتظرت هذه اللحظة عشرات السنين . ولكن حـانت لحظة الانتقام ، حـانت اللـحظة التى أنفذ فيها انتقامى الأسود منك ! أين سكين الروزبيف ؟

سـيـريـْ : يا لها من رغبة متسلطة !

البروفيسور : نجمتنا العزيزة ، لا يمكن أن تقتلى هذا الزميل قبل أن تصعدى على خشبة المسرح .

ريجـينا : من أنت حتى تصدر لى الأوامر ؟

البروفيسور : رئيس الأوركسترا أيتها النجمة اللامعة !

ريجـينا : أنت على حق ، أيها المايسترو العزيز . أمامى الأبد كله لكى أذوق انتقامى. اربطه إذن واحبسه لى فى مقصورتى. سأمزقه إربا إربا ، وأشرب حساءه بعد العرض .

سـيـريـْ : لا تمثلوا هذه النوعية من العروض أمامى .

البروفيسور : أنت الذى تمسـرح كل شىء تمسـه يا أسـتـاذ ، إن مسرحانيَّتك تطغى علينا .

سـيـريْ : إننى أشعر بالفزع. خلصنى من هذه المرأة قبل أن ترتكب جريمة. واذهب أنت أيضا معها. ألم تكن تنوى أن تستقل طائرة إلى أفريقيا ؟ حسنا ، خذها معك . اجعلها تغنى أوبرات "فاجنر" للمصابين بالإيدز فى أفريقيا .

البروفيسور : أشعر كأننى تلقيت صفعة أدبية يا أستاذ ، إذا كان هذا هو شعورك ، فسنرحل إلى أفريقيا على أية حال .

ريجـينا : إلى أفريقيا ؟ كم سيكون أجرى ؟

المشهد الثلاثون

(سيريْ - هوبير - ريجينا مورتى - الصحفى - البروفيسور - الممرضة)

الممـرضـة : **(تدخل حاملة مسدسًا)** ارفع يديك ! عرفت أنك تريد أن تسافر إلى أفريقيا مع مغنية الأوبرا يا وسخ ! أنا رأيتك وأنت تغتصبها فى حجرة العمليات .

البروفيسور : مدام بونجو ، أنت تسيئين الحكم . هذه السيدة هى عمل يدى ، إبداعى . لا أستطيع أن أتركها فى أيدى أى شخص كان. أمَّا الأسباب الحقيقية لرحيلى إلى أفريقيا ، فهى أسباب إنسانية .

الممـرضـة : إذن ستتخلى عنى ، أيها القذر ؟

البروفيسور : يمكننى أن أعيد تقدير وضعى ، ولكن فى إطار إنسانى فقط . أنا أقدم إليك وظيفة معالج مساعد فى أفريقيا بشرط أن تهتمى بأمور نجمتنا العزيزة فقط لا غير . ستكونين بنوع ما ذراعى اليمنى، لكن علاقتنا الشخصية ستكون خارج الموضوع . يا مدام بونجو . هذا شرط ملزم وصريح ، سأجعلك توقعين على ورقة بذلك .

الممـرضـة : وهل تعتقد أن سيدة عصرية ، مثلى ، أقدمت على الزواج من زنجى أسود ، يمكن أن تصبح خادمة لعجوز مخرفة كتلك ؟ وفى أفريقيا ؟

ريجـينا : Chi e questa ? Una cantatrice rivale ? Signorina, un po di rispetto ! Cui la diva sono io !

من هذه؟ مغنية منافسة لى، يا آنسة ، قليلا من الاحترام! هنا ، أنا النجمة !

الممـرضـة : أرأيت كيف تعاملنى ؟

البروفيسور : إنها تعاملك كمغنية . وهذا كثير جدا بالنسبة لمجرد ممرضة مثلك .

الممـرضـة : مجرد ممرضة ؟هل هذه هى فكرتك عنى حينما كنت تركّبنى على التريسيكل؟ أننى كنت مجرد ممرضة ؟

البروفيسور : مدام بونجو ، لقد فاض بى منك بسبب غيرتك وما تثيرينه من مشكلات . أنت مفصولة ! اخلعى الجاكيت ودعيه فى مكان خلع الملابس وعودى إلى بيتك .

الممرضة : وهل تظن أن الأمر سيمر هكذا ؟ إليك ما سأفعله بها ، مغنية الأوبرا التى تدافع عنها .

(تطلق عدة أعيرة نارية أحدها يصيب ريجينا - الصحفى يجردها من السلاح)

البروفيسور : نجمتنا العزيزة .

ريجينا : **Ancora una volta mi ritrovo dell altra parte del sipario della morte ! adieu, monde de mirages qu on appelle la vie! addio, notevoli signori, ci rivediammo presto!**

مرة أخرى أجد نفسى فى الجانب الآخر من ستارة الموت. وداعا يا عالم السراب والخداع الذى نسميه الحياة ! وداعًا أيها السادة الكرام ، إلى اللقاء قريبا .

البروفيسور : لقد حطمت عملى الرائع !

الممرضة : والآن ، اذهب واصنع قلبًا صناعيا لدميتك الميكانيكية ! خذها إلى أفريقيا ! يمكنك أن تبيعها بالكيلو !

هوبير : خذى يا صديقتى العزيزة ، اشربى واحد ديبونيه ، هذا شراب النساء القاتلات.

الصحفى : سيدى . هل تشعر بسوء ؟ سيدى ! لقد جرح !

البروفيسور : أستاذ ! طلقة خدشت رقبتك ! هل تسمعنى ؟

سيريى : هذه الخدوش إشارة من القدر. ورقة كلينيكس من فضلك! شكرًا ! يا ماريا ، أرجو أن تكون هذه آخر مرة تدخنين فيها الأفيون . هوبير ، أنا أتهيأ للموت الساعة الخامسة مساء. فى صندوق القبعات تحت سريرى ستجد الباروكة

التى كنت أرتديها فى دور هاملت . وفى الدولاب ، تجد البذلة . اهتم أيضا بإعداد ياقتى المنشاة وحذائى اللامع.

البروفيسور : ليس هذا المساء ، يا أستاذ ! أنا لا أستطيع أن أفقد إلا المخلوقين اللذين أبدعتهما فى يوم واحد .

سيريْ : العنصر البشرى يستبدل باعزيزى البروفيسور . فكر فى أفريقيا .

البروفيسور : ولكننى لن أجد فى حياتى ممثلا فى مثل قامتك . الأستاذ العزيز، تكرم وامنحنى يوما واحداً من حياتك. انتظر للغد.

سيريْ : يوم واحد هو خلود ، وأنت لا تستحق كل هذا ، منذ المشاهد الأخيرة ، كنت دائما انتظر بفارغ الصبر نهاية العرض ، كنت أريد أن أتخلص بأقصى سرعة من الشخصية التى أمثلها . حينما يسدل الستار، وقبل أن تنتقل إلى مقصورتك توجد لحظة لا تكون فيها أحداً . متعة لا يمكن تصورها . سأحاول أن أتسرب إلى العالم الآخر من أحد هذه الثقوب السوداء ! هوبير ، مرآتى والبودرة .

هوبير : الفاتحة أم القاتمة ؟

سيريْ : القاتمة، أظنك لا تريدنى أن أبدو فى الضريح كالبهلوان .

هوبير : ومن أجل الجفون ؟

سيريْ ليلا ، دائما ليلا .

هوبير : وقلم حواجب ؟

سـيـريـنْ : ستتولى أنت هذه التفصيلات فيما بعد . وأنت تعمل لى أظفارى كل صباح بعد الحمام . بالمناسبة ، هل يوجد بانيو فى الضريح ؟

هـوبـيـر : أكثر ، هناك ، حمامات معدنية رومانية

سـيـريـنْ : ذوقك الرفيع لم أوفِّه حقه من الثناء .

هـوبـيـر أنت تتملقنى . ولكنك لم تر الأروع ؛ قاعة التليفزيون محاطة بأعمدة لازردية ، والفوتويات من جلد الغزال .

سـيـريـنْ : لن يتاح لى الفرصة للاستمتاع بها كثيرا .

هـوبـيـر : هذا من أجل اللحظات التى أخلد فيها للاسترخاء ، أنا أحب التليفزيون كثيرا .

سـيـريـنْ : هكذا بسرعة تفكر فى نسيانى ؟

هـوبـيـر : ماذا تريد ، أنا أتقدم فى السن .

سـيـريـنْ : خذ ورقة الكلينكس هذه ، لقد كتبت عليها بعض العبارات تنشر بعد موتى . عزيزى هوبير أنت الشخص الوحيد فى العالم الذى أدين له ببعض الاعتذارات .

هـوبـيـر : أنا ؟ اعتذارات ؟

سـيـريـنْ فى إحدى ليالى ربيع من عام لم أعد أذكره . لطخت شرف أسرتك فى شخص أختك آدلين . ولقد ازدهرت صداقتنا على أطلال هذه الفضيحة ، ولكننى أعرف بأى ثمن دفعته أنت من أجل هذه الصداقة .

هوبيــــــر : تفاهات ! على أية حال أنت لطخت شرفى قبل أن تلطخ شرف أسرتى بزمن طويل . أما بالنسبة لأختى آدلين ، فلا تشغل بالك ، فقد لطخت شرفها أنا قبلك .

ســـيــريىْ : أنت متلبس بالشيطان إذن ، يا هوبير .

هوبيــــــر : كنت كذلك وأنا فى الخامسة عشرة من عمرى . ثم انصرف عنى الشيطان .

الممــرضـــة : فلأسافر فوراً ! أريد أن أحاكم ويقضى علىَّ بالإعدام شنقا ! وسأكتب مذكراتى. لأننى أنا ، أعرف معنى الموت. لقد شاهدت مئات الأشخاص يموتون أمامى ، وقد دفعت بكثير منهم إلى المقابر ، كنت أفصل الأنابيب التى تصلهم بالحياة وأحشوهم بالمورفين لكى أؤدى المهمة نفسها التى يؤديها الموت . إن الموت أخى الشقيق !

(البروفيسور يصفع الممرضة)

البروفيسور : من تظنين نفسك يا مدام بونجو ؟ إحدى بطلات " جان جينيه "؟ التأمين الصحى لا يطلب منك أن تروى لنا تفاصيل حياتك ، وإنما أن تقومى بعملك. جميع الحجرات ترن الأجراس ! أسرعى إليهم ! أريد درجة حرارة جميع من فى الطابق فوراً .

الصـحـفى : خذى .

الممــرضـــة : ما هذا ؟

الصـحـفى : المسدس . إنه فارغ .

الممــرضـــة : شكرا ، يجب أن أعيده إلى زوجة أخى .

البروفيسور : وانظرى ما صنعت بنجمتنا العزيزة ! سوف أجدنى مضطرا لفتح جمجمتها من جديد لكى أسترد المخ ! وعلى العموم شكرا لك لأنها لم تصب بعيار من عياراتك النارية!

الممرضة : وداعًا ! يا أستاذ ! سأترك التأمين الصحى وأعود إلى منزلى لأهتم بشئون زوجى وأنجب أطفالا كثيرين . لقد أدركت تماما أنه لن يكون لى مستقبل هنا. سأكون دائما إنسانة مجهولة ، لكننى أعدك بأن أبنائى سأجعلهم جميعا ممثلين مثلك لكى يصبحوا مشهورين .

سيريى إذا كنت تريدين الشهرة ، فالأولى أن تجعليهم أطباء .

الممرضة : ليس هذا فى مقدورى . وداعا، يا سيدى هوبير . سآتى لزيارتك فى ضريحك يوم الأحد مع أسرتى الصغيرة .

هوبير : أهلا بكم وسهلا يا ماريا .

الممرضة : وداعا يا سيدى الصحفى ، أكتب عنه مقالا جميلا فى جريدتك. صدقنى هو يستحق ذلك، كان رجلا غير عادى ، حتى لو كان متشددا . لقد قضيت سنة كاملة لا أفهم الفروق بين زجاجات الكولونيا التى يستعملها. أما الشباشب، فعنده منها زوج لكل يوم من أيام الأسبوع بلون مختلف. ولو أخطأت فى اللون كانت الطامة الكبرى. لكن كان له قلب كبير ، فقد ترك لى جميع مجوهراته وبيجاماته .

سيريى : ماريا ، قدِّمى لى خدمة أخيرة . هيئى لى النارجيلة . بللى قطعة الأفيون بقليل من السائل الموجود فى هذه القنينة قبل أن تشعلى النارجيلة .

الممرضة : ما هذا ؟

سيريىْ : سم هندى قديم .

الممرضة : أنت إذن لا تستطيع أن تفعل شيئا كالناس جميعا !

الصحفي : سيدى ، هل ينبغى أن أبقى؟

سيريىْ : طبعا ، ينبغى أن تبقى ، فأنا أعتمد عليك اعتمادا كليا . فأنت الوجه الجديد الوحيد فى كوميديا الموت هذه وآخر متفرجينا . هوبير ، ستقوم بزيارة تعزية لزوجة أخى، فأنت تعرف أنها تتمسك بالشكليات كثيرا، ولكننى لا أريد منها بأى حال أن تكون فى الصف الأول من المشاركين فى الجنازة . هيئ لى إضاءة مسرحية أكثر، وأسدل الستائر واحجب هذا المصباح الذى فوق الكومودينو . هل قلب هذه السيدة العظيمة كف عن الدق ، يا عزيزى البروفيسور ؟

البروفيسور : قلبها لم يعد يدق . والمخ الذى من اختراعى يقاوم كل شىء . ولكننى لا أستطيع أن أقرر ، يا أستاذ . يجب أن أعترف لك بأن إيمانى بالمعجزات يتزايد يوما بعد يوم .

سيريىْ : هوبير ، أنت تقرأ أفكارى .

هوبير : بطبيعة الحال ، فى الضريح يوجد مكان فسيح لها . لدينا قبو عازل للأصوات يمكن أن نهيئه لها .

سيريىْ : أنا مدين بشىء ما للنساء قبل أن أموت . وهذه بكل تأكيد آخر من كنت أختار من النساء ، لكنها هى التى رمانى بها القدر .

هوبير : الاعتراف العلنى بالذنب مهم ، وهو بادرة طيبة ولطيفة فى نهاية المطاف . أنا موافق .

سيريى : عزيزى البروفيسور، بقى لى أن أشكرك على هذه الخطيبة التى سأقترن بها بعد الموت . إنها أغرب هدية عيد ميلاد أتلقاها فى حياتى .

البروفيسور : يا أستاذ ، إنك تغمرنى بالفضل .

الممرضة : أنت رائع يا أستاذ .

البروفيسور : تحفتاى العظيمتان معروضتان فى مدافن القديس لاشيز. ستصبحان نجمىَّ القرن . سأقوم برئاسة مؤسسة خيرية تحمل اسمك يا أستاذ ! وبفضلك سأحصل على تبرعات من أجل بناء مستوصف فى أدغال أفريقيا . أنت ستكون صاحب الفضل الأكبر فى مشروعاتى .

سيريى : اصنع باسمى ما شئت، على أية حال فهو اسم مستعار . بوتيشيللى ، لى عندك رجاء .

الصحفى : مرنى ، يا سيدى .

سيريى : أن تغير مهنتك . أنت أسوأ صحفى قابلته فى حياتى . أنت حتى لم توجه لى أى سؤال .

الصحفى : أنا فى قمة الخجل منك يا سيدى .

سيريى : هذه فرصتك الأخيرة .

الصحفى : ليس عندى أى أسئلة أوجهها إليك يا سيدى .

سيريى : هل تخشى من الموت ؟

الصحفى : نعم يا سيدى .

هوبيــــر : أنت مزعج حقا يا سيريىْ. بعد اللفته الظريفة التى عملتها قبل قليل ! أنت تعرف إلى أى مدى تكون الانطباعات الأخيرة للشخصية حاسمة فى جمال العرض .

سـيـريىْ : لقد ارتكبت خطأ فى حياتى : كان من المفروض أن أتخذ منك مخرجا . هل الماكياج مايزال صالحا ؟

هوبيــــر : آخر تمام ، يا أستاذ .

سـيـريىْ : ولكن ماذا فعلت أيها الشقى بصورتى فى دور "هاملت" ؟

هوبيــــر : أنت لم تقم بدور " هاملت " أبداً .

سـيـريىْ : ماذا تقول ؟

هوبيــــر : أنت تحلم يا سيريىْ ، أنت ستقوم بدور " هاملت " هذا المساء ، لأول مرة . فاستعد للظهور على المسرح .

سـيـريىْ : أظهر على المسرح ؟ ولكننى بصدد الخروج منه .

هوبيــــر : هذه هى حياة المسرح ، تحل النهاية لكى نبدأ من جديد . باروكتك يا سيريىْ .

سـيـريىْ : أنا لم ألعب دور هاملت منذ عام كامل ، لم أعد أذكر الحوار ...

هوبيــــر : العب أى دور ، فكلها تتساوى .

سـيـريىْ : صحيح ، جميع الشخصيات تتساوى . بإمكاننا أن نلعب أى دور باستثناء حياتنا . ذلك محظور علينا .

هوبيــــر : أمامك الوقت الكافى لتلعب فيه دور حياتك .

سـيـريىْ : لم أعد أدرى أين أنا من الحوار . لقِّنى يا هوبير .

هوبيــــر : نم فى سلام ، يا ملاك شبابى .

سـيـريـى : ولكن ليس هذا الكلام فى شكسبير !

(يموت)

هـوبيـر : أسدل الستار !

البروفيسور : أستاذ ، يالها من نهاية رائعة !

الممـرضـة : يا إلهى ، ياله من ممثل ! حـينمـا يرى المرء ذلك ، يظن نفسه لا شىء .

هـوبيـر : هيا فتى ، أنت على ما يرام ؟

الصـحـفى : نعم ، يا سيدى ،

البروفيسور : عظيم ، عظيم جدا . عظيم جدا . نوعا ما ، كل شىء عاد إلى النظام .

الممـرضـة : عد إلى بيتك يا سيدى هوبير. أنت فى حاجة للنوم . سأهتم أنا بأمره ، سأعيده لك صباح غد جميلا لطيفا .

البروفيسور : أخرجى سيارتى من الجراج يا مدام بونجو . سأقضى الليل فى بوفيل . ألغى جميع مواعيدى غدا .

الممـرضـة : حسنا ، يا سيدى .

البروفيسور : أتركك يا صديقى العزيز ، وإذا صادفتك أية مشكلة صحية فأنت تعرف أين تجدنى تشجع (**شد حيلك**) !

الممـرضـة : هيا يا سيدى هوبير ، سنلتقى فى مدافن القديس لاشيز.

البروفيسور : تفضلى أنت أولا ، يا مدام بونجو .

الممـرضـة : شكرا ، يا بروفيسور .

البروفيسور : تفضلى ، تفضلى .

الممـرضـة : كلا ، أبدا ، لا يمكن يا بروفيسور .

البروفيسور : لو سمحت ، تفضلى يا مدام بونجو .

الممرضة : أنت لطيف ، يا بروفيسور !

(يخرجان)

المشهد الحادى والثلاثون

(سيريىْ - ريجينا مورتى - بلا روح - هوبير - الصحفى)

الصحفى : هل لى أن أصحبك يا سيدى ؟ معى سيارة .

هوبير : شكرا ، معى مركبة بحصان

الصحفى : حسنا . إذن أقول لك إلى اللقاء . أستودعك الله .

هوبير : لا تنس نارجيلتك .

الصحفى : أنا لا أريد أن أحرمك من هذه الذكرى ، يا سيدى .

هوبير : هذه نسخة للمسرح . الأصلية عندى .

الصحفى : إذن ، أشكرك ، يا سيدى . قبل أن أنصرف ، أعترف لك بأننى لست صحفيا ياسيدى .

هوبير : أنا كنت أشك فى ذلك .

الصحفى : أنا ابن أختك أدلين .

هوبير : كنت أشك فى ذلك أيضا . فلماذا أيها الشقى لم تخبرنا بذلك ؟

الصحفى : فى كل مرة كنت أنوى ، كان يحدث شىء ما يمنعنى . وكان عندى انطباع بأنه كان يعرف ذلك .

هوبيـــــر : ربما كان يعرف .

الصـحـفى : أنا سعيد لمعرفتك يا سيدى ، بالرغم من الظروف .إلى اللقاء يا سيدى . لقاؤه أثر فىَّ كثيرا .

هوبيـــــر : هذه ثانى مرة تعلن فيها عن انصرافك .

الصـحـفى : معذرة ، يا سيدى

(يخرج حاملا النارجيلة)

المشهد الثانى والثلاثون

(سيريىْ وريجينا مورتى بلا روح - هوبير)

هوبيـــــر : سيريىْ ، ما حكاية السم الهندى هذه ؟

سـيـريىْ : نقط للأنف، يا عزيزى واتسون، إن ابن أختك أبلد وأوضع وأغبى إنسان صادفته . إنه صورة من أختك آدلين .

هوبيـــــر : ماذا تريد ، إنه شاب من شبان اليوم . لعلك كنت تفضل أن يكون لوطيا ؟

سـيـريىْ : فى الحقيقة ، نعم .

هوبيـــــر : للأسف ، هذا لا ينتقل من الأب إلى الابن .

سـيـريىْ : لقد تحدثنا بما فيه الكفاية عن جنس الملائكة ؛ فلننتقل إلى الأمور العاجلة . هذا المساء ، سأؤدى لك أول أدوارى وأنا متنكر. أين معطف ريجينا مورتى ؟

هوبيـــــر : أنت ، يا أستاذ ؟ ولكنك أقسمت ألا تفعل ذلك أبدا ...

سـيـريـىْ : اليوم أنا أرجع عن كل ما قطعته على نفسى، بل والعكس أيضا. كيف ترانى ، يا هوبير ؟

هـوبيـر : مرعبا مخيفا ، يا أستاذ .

سـيـريـىْ : أنت دائما جمهورى المفضل. ولا تنس، من الآن فصاعدا، وبالنسبة للجميع فأنا مدام ريجينا مورتى .

هـوبيـر : أستاذ ، ياله من شرف عظيم ! ما كنت أبدا أحلم بمثل هذه النهاية .

سـيـريـىْ : فى الحياة ، كل شىء يحدث . لكننى سأكون مدام ريجينا لا تطاق ، فاستعد لكى تتحمل استبداداً نسويا لا يرحم .

هـوبيـر : أنا متعود على ذلك يا أستاذ !

سـيـريـىْ : قل لى " سيدتى ". هل يوجد بياضات سرير عندكم فى الضريح ؟

هـوبيـر : لدينا كل شىء يا سيدتى !

سـيـريـىْ : إذن ، هيا بنا إلى هناك .

هـوبيـر : سنجد شجرة الكرز ما تزال مزهرة .

سـيـريـىْ : شجرة كرز حقيقية ؟

هـوبيـر : يعنى شجرة صغيرة .

سـيـريـىْ : هذا المساء سنتناول العشاء على ضوء القمر . سألقى عليكم أشعار لوركا . ساعدنى يا هوبير . يجب أن أصل إلى مركبتك .

ريجـينا : آه يا لسوء حظى ! miserabile fortuna !

فى يوم عرسى بالذات ، زوجى الجديد القشيب يستولى

على مـعطفى ويتركنى أواجه الموت . الحرامى ! امسكوا

الحرامى ! Al ladro! Al ladro !

سـيـريىْ : فلنهرب يا هوبير ! أوه ! اللعنة !

هـوبـيـر : سيريىْ ! أختك ؟

ريجـينا : Questa umiliazione postuma non posso tolerarlo !

هذه الإهانة بعد الموت ، لا يمكن أن أسمح بها . كرامتى
لا تسمح لى بأن أهبط إلى هذا المستوى .

ملكة الموت تنتحر ! La regina dei morti si uccide !

أين سكين الروزبيف ؟ Addio umiliamte realta

وداعًا أيها الواقع المهين ! **(تطعن نفسها)**

وداعا أيها الجمهور العزيز ! Addio Care publico !

أنا فى انتظاركم فى العالم الآخر ! Per il grande finale

فى العرض النهائى !

(تموت)

سـيـريىْ : هوبير ، كم الساعة الآن ؟

هـوبـيـر : Las cinco en punto de la tarde senior.

الخامسة مساء يا سيدى .

سـيـريىْ : حان الوقت إذن .

(يموت)

هـوبـيـر : احتفظ بالمعطف ؛ فستشعر بالبرد هذا المساء .

(يخرج)

المشهد الثالث والثلاثون

(سيرى وريجينا مورتى وقد فارقا الحياة ، الممرضة)

الممرضة : **(تدخل حاملة تاجا من الزهور)** هدية أخرى من زوجة أخيك . هس ! نسيت أنك متَّ !

(ستار)

سبـــاق الملـــوك

تأليف : **تييرى مونييـه**

(الجائزة الكبرى فى الأدب ، وعضوية المجمع الفرنسى)

تييرى مونييه

اسمـه الحـقيـقى جاك لوى تالاجـران Jacques Louis Talagrand اشـتهر فى دنيـا الأدب باسم تييرى مونييه .

ولد عام ١٩٠٩ بمدينة أليس Alés بفرنسا. بدأ حياته الأدبية ناقداً، له أسلوبه الخـاص الذى يتـميـز بجـزالة اللفظ ودقـة التـعـبيـر وجـمـال التصوير. وهو يتخذ من الأدب المعاصر موقفًا أكثر مرونة ، وأكثر قبولا ، وأقل عاطفية ، وأكثر موضوعية من زميله روجيه كابوا Roger Callois، فهـو لا يكتب بيانات حماسـية وإنما دراسـات نقدية تحليلية ، ومع ذلك فإنه عندما يتحدث عن "راسين" وعن "روبير جارنييه" Robert Garnier و"هوجو" Hugo، وعندما يجمع مقتطفات من الشـعر الفرنسى فى كتابه "مدخل إلى الشعر الفرنسى"، فإنه يسير فى الطريق نفسه الذى سار فيه "بيندا" Benda أو "كابوا" ، أى ينحاز إلى الأدب الكلاسيكى لدرجة يجد مـعـهـا أن الأدب المعـاصـر ليس جـديرا بأن يقـارن بالأدب الكلاسـيكى ، ويدعو الكتاب المعاصرين إلى الرجوع إلى مصادر الأدب القديمة، وينادى بحـركة بعث أدبى تؤدى إلى كلاسيكية جديدة . ودعواه فى ذلك لا تقوم على تحبيذ عنصر العقل الذى يصبغ الأعمال الكلاسيكية ، وهو العنصر الذى يستند عليه "بيندا" فى انحيازه للأدب الكلاسيكى، كذلك فإن دعوى

"تييرى مونييه" لا تقوم على تحبيذ عنصر الأخلاق الذى تراعيه الأعمال الكلاسيكية ، وهو العنصر الذى يستند عليه " كابوا " فى تمجيده الأدب الكلاسيكى ، بل إن ما يشد " تييرى مونييه " إلى الكلاسيكية ويعطفه عليها هو ما يتمتع به الأدب الكلاسيكى من روعة الأسلوب وجمال التعبير والتصوير .

وكان من الطبيعى أن يؤثر " تييرى مونييه " الصنعة فى الأدب ، وإذا كانت الكلاسيكية تفتن " تييرى مونييه " كل هذه الفتنة حتى لا يجد لها صنوا ولا ندا ، فذلك لسبب آخر غير الأسباب الفنية . هذا السبب الآخر هو سببٌ سياسى . إن إعجاب " تييرى مونييه " بالقرن السابع عشر الفرنسى ، إنما هو إعجاب بالمجتمع السياسى فى ذلك العصر أكثر منه إعجابا بالأدب الكلاسيكى نفسه . فمنذ مطلع حياته ، بدأ "تييرى مونييه" يحمل على نظم الحكم الحديثة ، وذلك فى عدة أبحاث منها الأزمة داخل الإنسان و أساطير اشتراكية ، وفيما وراء القومية . وفيها نقد مستنير للمجتمعات الحديثة .

تييرى مونييه كاتبا :

من الجدير بالذكر أن " تييرى مونييه " تخرج فى كلية المعلمين العليا ، وحصل على الإجريجاسيون فى الأدب، وبدأ حياته الأدبية مبكرا . كما حصل على الجائزة الكبرى فى الأدب التى يمنحها المجمع الفرنسى وذلك عام ١٩٥٩ . كما أنه اختير عضوا للمجمع عام ١٩٦٤ .

وفى عــام ١٩٣٣ كتــب دراســة أدبيــة عن الفيلسوف "نيتشـه" كانت أقرب إلى الاحتداد منها إلى الدراسة التحليلية المتأنية . ولكنه فى عـام ١٩٣٦ كتب عن "راسين" دراسـات تجنب فيـهـا مـا يعيب دراسته لنيتشه ، فجاءت أقرب إلى الصدق .

وفى عام ١٩٣٩ وضع كتابه المعروف مدخل إلى الشعر الفرنسى الذى لا يزال من المراجع المهـمـة فى هذا الميـدان . وبعـد ذلك عـاد إلى "راسين" مرة أخرى فكتب قراءة فيدر .

ولقد استفاد " تييرى مونييه " من دراسته للشعر الفرنسى ومن دراسته لراسين الذى يعجب به أشد الإعجاب ، استفاد من ذلك كله فى تملك ناصية اللغة ، والتحكم فيها وتطويعها ، بحيث أصبح أسلوبه من أجمل ما كتب فى اللغة الفرنسية .

أما عن المسرح فبالإضافة إلى سباق الملوك كتب " تييرى مونييه " جان وقضاتها (عـام ١٩٤٩) ، ثم مدنس المقدســات (عـام ١٩٥٠) ، ثم منزل الليل (عام ١٩٥١) .

كما أنه قام بمسرحة رواية "أندريه مارلو" الشهيرة الوضع البشرى (عـام ١٩٥٢)، ثم كتب الجنس والعـدم (عـام ١٩٦٠) . وفى عـام ١٩٦٥ كتب " تييرى مونييه " مسرحيته بلاد الإغريق هذه التى ولدنا فيها .

ومنذ سباق الملوك حتى منزل الليل ظلت مسرحيات "تييرى مونييه" شاهدا على المجهود الضخم الذى يبذله المؤلف تحقيقا لدقة أكبر فى التعبير وصرامة فى الفن المسرحى وصدق فى التصوير .

وأخيراً يجب أن ننوه إلى المجهود الضخم الذى بذله "تييرى مونييه" عندما نقل إلى خشبة المسرح درة أندرية مارلو وروايته الشهيرة "الوضع البشرى" وذلك بنجاح عظيم . وعلى الرغم من الصعوبات التى صاحبت هـذا العمـل الضخـم ، فقد كانت التجـربة أكثر مـن رائعة . ومع ذلك فلا يمكن أن نقول إن المسرحية التى جاءت أقرب إلى الفيلم السينمائى قد أعجبت عشاق الرواية التى كتبها "مارلو" ؛ لأن المشاهد المسرحية العنيفة لم تستطع أن تحل محل التأملات والخواطر التى حفل بها الكتاب. أما بالنسبة للوحات الأخيرة والتى قام " مارلو " بنفسه بإعادة كتابة مشهدها الأخير ، فإنها جعلت شاعرية الرواية تنتقل إلى خشبة المسرح .

هذه المسرحية :

فى مـدينة "بيـز" ، إحـدى المدن الإغـريقـيـة القـديمـة ، يقـوم الملك "أونوماءوس" ، منذ سبع سنوات ، بتسخير العبيد والعمال والرعاة من أنحاء البلاد ، فى بناء سور للمدينة يحميها من الغزاة ، ولكن مدينة "بيز" ليس بها خـزائن يخشى عليها ، وليس لها أعـداء يخشى منهم . إن بها ما هو أثمن من خزائن الأرض ، وإن بها ما يؤرق ملكها ولا يجعله يهنأ بنوم ولا صحـو . إن بها ابنته "إيبودامى" أجمل بنات الأرض قاطبة ، وحلم الأجيال المتعاقبة . ولكن " أونوماءوس " لا يمنع ابنته من الزواج ، إنه يقـدم ابنتـه لمن يريد أن يأخـذها ، لمن يعرف كيف يأخـذها . وليس العسير هو الذهاب إليها ، وإنما العسير هو الذهاب بها ، وإن هذا حقا لأمر عسير .

عسير كل العسر هذا الأمر ، بل إنه مستحيل ، ولا طاقة به "لإنسان" من بنى البشر . إن " أونوماءوس " يضع شروطا لمن يريد أن يتزوج ابنته ، وهذه الشروط أهون من الإيفاء بها قهر الجيوش واقتحام الحصون .

إن " أونوماءوس " يشترط على الخطيب المتقدم أن يدخل معه فى سباق للعجلات الحربية. فإذا فاز بالسباق، فاز بالفتاة. وحتى هنا والأمر يبدو طبيعيا لا يثير الغرابة. ولكننا إذا علمنا أن عجلة "أونوماءوس" يقودها نصف إله هو " ميرتيلوس " ، وأن الجياد التى تجر العجلة جياد إلهية أيضا ولا يمكن اللحاق بها، عرفنا وجه المستحيل فى الفوز بالفتاة .

ليس ذلك فحسب ، بل إن الأمير الذى يخسر السباق ، لا يذهب لحال سبيله ، بل يخسر حياته أيضا ، فهذا هو معنى ألا يفوز بالسباق . فالسباق عملية مطاردة أكثر منها سباقًا : يركب الخطيب عجلته وبجانبه الفتاة ، ويتقدم عجلة الملك بوقت معين ، ثم ينطلق الملك فى إثره للحاق به حاملا حربته التى يصوبها نحو رأس الخطيب ، وما إن يصبح على مسافة مناسبة حتى يطلق هذه الحربة فيرديه قتيلا .

وبعد كل سباق ، وما أكثر السباقات ! ، يعود الملك بصحبة فتاته وهى لا تزال فتاة ، فى حين يسيل دم الخطيب ليصنع مع تراب المدينة ، فى مكان ما ، عجينة حقيرة .

وعلى الرغم من صعوبة السباق، وعلى الرغم من استحالة الفوز به، فلا يوجد فى بلاد الإغريق كلها ، ولا فى جزر الشرق السعيدة ، بنات

النور الغاليات ، التى يداعبها أبوها النور أول ما يداعب عند صحوه ، ولا فى تسالى البدائية ، ولا فى كريت المترفة ، ولا فى مصر القديمة ، لا يوجد فى هذه البلاد جميعها شاب واحد يمارس سباق الجياد ، دون أن يعلل نفسه بالأمل ، ويحدث نفسه قائلا : " أنا ، ربما أفوز " .

لقد قبل جميع أمراء الإغريق أن يموتوا من أجل " إيبودامى " ، حتى قبل أن يروها ، فإن هذا الجمال الذى يؤرقهم فى نومهم ، وينهش غطاء أسرتهم فى حنق ، إنما هو نفحة لها من قبل الموت. إنهم يتدافعون نحوها بشجاعتهم البلهاء ، وهم أكثر غباء من الحشرات التى تتدافع نحو اللهب لأنه يضىء ، فهم يتدافعون نحو اللهب لأنه يحرق . إن "إيبودامى" تمثل المستحيل ، والذين يحبونها كثيرون كعشاق المستحيل لا يحصى لهم عدد .

إن الرمز الذى تمثله " إيبودامى " له تفسيرات عدة ، وتأويلات كثيرة . فهى الأمل فى شتى صوره . وهى الفتاة الجميلة التى يعشقها كل شاب ويحلم بالوصول إليها ، ويجعل منها غايته فى الوجود . وهى المجد الذى يتفانى فى تحقيقه الطامحون إلى المجد . وهى المال الذى يسعى إليه كل راغب فى الجاه . وهى الحرية لكل من يتطلع إلى الحرية .

إنها باختصار تمثل الفكرة المسيطرة ، أو جنون الفكرة الواحدة . وهى الفكرة التى تملك على الفرد عقله وتشغل قلبه ، وتصرفه عما سواها من اهتمامات .

و"إيبودامى" ، بهذه المعانى كلها ، لا تأبه بمن يسعى إليها ، إلا إذا نالها . فهل يخطر ببالها أن الذين يلقون حتفهم ، إنما يلقونه من أجلها ،

إنها لا تبالى بذلك ، فهى لاهية عن أفراح عرسها ، لاهية عن ترملها ، مستسلمة للسلب والاسترداد ، تعود إلى القصر بعد كل سباق ، حتى دون أن تلقى نظرة واحدة على " ذلك الرفيق الذى صاحبها ساعة من الزمن والذى أوشك أن يصبح زوجًا لها ، والذى راحت دماؤه تنزف على الأرض كالثور المنحور . إنها لا تنظر إلى المغلوب أبدًا "

ويتوالى الأمراء على خطبة " إيبودامى " ، ويقبلون التحدى ، حتى بلغ عددهم أحد عشر أميرا ، هم زهرة الأرض . جاءوا جميعا يطلبون يد " إيبودامى " ، وكلهم يملكون جيادا رائعة ، ولكنهم يلقون حتفهم الواحد تلو الآخر ، حتى كف الناس عن المراهنات . ومع أن السكان لم يعودوا يريدون أن يقامروا بأموالهم فى السباق فهل سيستمر المجانين يراهنون بحياتهم ؟ لقد باتت السباقات نادرة ، وراحت بلاد الإغريق، شيئًا فشيئًا، تقفر من أمرائها الشبان ، فلقد مات أشجعهم وأمهرهم ، فهل يلزم الآخرون بيوتهم ؟

هذا ما يريده الملك ، وهو ما كان ليترك ابنته لمصير السباق لو كان يعتقد أن فى الإمكان قهره . إنه يقوم على حراسة " إيبودامى " كما يقوم الزوج الغيور على حراسة زوجته ، وكما يسهر البخيل على كنزه ، وكما يقوم الكلب الأمين الضارى على حراسة سيده النائم .

ولكن ما سر هذا كله، ما سر هذا الحرص الشديد على "إيبودامى"، ولماذا يجعل الملك من زواجها أمــر مستحيلا ، أليس من واجب الأب أن يسعى إلى تزويجها ممن يناسبها وترضى به زوجًا . هذا ما كان

يجب أن يكون ، لو لم يستسلم الملك لهاتف الآلهة الذى أنذره قائلا : "فى اليوم الذى تحصل فيه ابنته على زوج لها ، ستفقد حياتك ومملكتك".

وما إن سمع الملك ذلك حتى قرر أن يحوطها بحرس شديد ، ويكرس من أجلها نظرته، ويخصص لها عجلته وجياده ، و" ميرتيلوس " الحوذى . وألقى بتحديه فى وجه شباب الأرض جميعًا .

ولكن هل سيظل " أونوماءوس " - حتى بعون الآلهة ، يقاوم إلى الأبد ذلك الهجوم الذى تشنه عليه أقدار البشر وآمالهم ؟

ويأتى الخطيب الثانى عشر ، وهو أمير شاب ، جاء بجياد رائعة ، أربعة فى لون النحاس ، مزينة بصورة تثير حسد "أونوماءوس" ، تتحلى بقلائد من ذهب ، ويتم الاحتفال باستقباله ، ويعلن تحديه فى أسلوب مهذب ، ويتفق على جميع التفصيلات . ويتحدد موعد السباق ، فهل يفعل الثانى عشر ما لم يفعله الأحد عشر من قبله ؟

الشروط قاهرة ، والأمل مستحيل ؛ ولكن هناك الحب والحب يفعل الكثير ؛ ولكنه لا يفعل المستحيل . إن الذى يواجه المستحيل هو الحيلة . فليكن الحب وسيلة إلى الحيلة ، ولتكن الحيلة وسيلة إلى الفوز وتحقيق المستحيل .

* * *

شخصيات المسرحية

أونومـــاءوس : ملك " بيز "

إيبـــودامى : ابنة أونوماءوس

لوكـــونوئيـــه : إحدى نساء القصر

مـــيـــرتيلوس : حوذى أونوماءوس

بـــيـــلـــوبـــس : ملك فرجينى

المعـــمـــارى : مهندس معمارى

جلوكـــوس : جندى

بـــوكـــلـــيـــس : جندى

الأركـــادى : عامل

مـــيـــلون : عامل

أجاتو كراتيس : عامل

الـديـكـور

ديكور "ريمون فور" هو الديكور نفسه المستخدم فى الفصول الأربعة ، وهـو يمثل ربوة عالية تشرف على السهل . وإلى اليمين مدخل قصـر، طـراز قديم ، عمارة فخمـة . أعمال البناء التى فى المدينة والمبانى التى تبدو للعيان لم تتم بعد .

الفصل الأول

المشد الأول

[ميلون ، الأركادى ، المعمارى ، أجاتوكراتيس ...]

[الشمس ساطعة ، والعمال يستريحون ، وقد أرهقتهم حرارة الجو]

أجاتوكراتيس: لعمرى ، إننا لم نشهد فى حياتنا عاما أشد حرارة من هذا العام ، إن الشمس لم تدع على الأرض من برودة الصباح شيئا إلا وشربته .

الأركادى : وعندما تغيب تكون قد ألهبت سطح الماء فأحالته كسقف الأتون، حتى الليل لا يخفف من حدته، فيبدو أن شمسا أخرى تسكن الظلام، شمسًا سوداء تتلظّى، أشعتها تحرق ولا تضىء.

ميلون : إن شمسنا هذه تكفى وحدها للعمل، انظروا إليها . إنها غضبى، ثابتة لا تتحرك، إن الناظر إليها ليظن أنها لن تغيب أبدا، بل إنه يظن أنها ستظل ماثلة هناك، راسخة فى جوف السماء ، تلهب الأرض وتجفف البحر حتى أغواره ، إن الناظر إليها ليظن أنه لن يكون هناك ليل على الإطلاق .

المعماري : ليس ثمة ما يدعو لشكواكم اليوم، فإنني مضطر لإيقاف العمل في مناطق الشمال كلها، لأن عمال المحاجر متأخرون عنا ، وعلينا انتظار خامات جديدة ، وبينما تسعدون أنتم بالنوم، والشرب والضحك مع الفتيات، سيظل البكارة يتعبون ويسبون حتى يحل المساء.

أجاتوكراتيس: إن الحرارة كانت تهون لو لم يكن هذا التراب ، لو لم يكن هذا الضباب الحجري الذي نُرغَم على أكله بأفواهنا وعيوننا ، انظروا ، يبدو أن الشمس تذيب الأسوار ، ويبدو أن المدينة تتبخر .

الأركادي : ليس هناك من خطر ، إن بواكير رياح الربيع تكفي لتبديد قصور البَرد التي يشيدها الشتاء فوق جبال "أركادي" أما قمة " بيز " فثابتة ، إنها أجمل قمم بلاد الإغريق جميعا ، إنها لتستعصي على أنياب الصقيع ، وعلى ألسنة نيران الصيف الحرور ، وستظل هناك حيث أقمناها ماثلة إلى أبد الآبدين .

ميلون : إن الملك "أونوماءوس" لفخور بها ، ويحق له ذلك ؛ فها هي ذي سبع سنوات مضت منذ أن شرع يكدس هذه الكتل الحجرية التي تقف الطاقة البشرية عاجزة عن تحريكها ليقيم هذه الأسوار ، هاهي ذي سبع سنوات مضت منذ ذلك اليوم الذي أمر فيه بتعبئة جميع العبيد وتجنيد الصناع الأحرار ، وطالب فيه رؤساء القبائل بتقديم ضريبة من الأيدي العاملة ، وأمر فيه بإنزال الرعاة

وقطاع الطرق من فوق الجبال مقابل أجور ضخمة، ولقد ظنه الكثيرون معتوها ، والآن يأتى الناس لرؤية مدينتنا من أقصى " إيبر " ومن الساحل الشرقى .

المعمارى : ويبدو أنهم يريدون تقليدنا فى "ميسين" ولكننى أتحداهم، إن لديهم فى "أليز" وفى "أولمبيا" حصونا من الطوب والطفال الجاف ، بينما ستصبح " بيز " بعد عامين من الآن ، قد اكتملت من حولها بإحكام مشدها [1] من الأسوار وبدرعها الذى انتزعت كل حلقة فيه من سلاح أفعوان أرضى . ستصبح أجمل المدن وأقواها ، وأسعدها أيضًا . هل تعرف أيها الأركادى ، أنهم لكى يستجلبوا لها الحظ ، قد وضعوا فى قواعدها الأساسية ستة عشر أسيرا ؟

أجاتوكراتيس: أجل ، وستصبح الأميرة "إيبودامى" فى مأمن أكثر من ذى قبل ، وسيستطيع "أونوماءوس" أن يحتفظ بابنته العذراء فى مدينته العذراء وأن يتحدى جميع المغتصبين ، وسأقول لكم رأيى فى هذا الشأن : إذا كان الملك يرهق شعبه بهذه الطريقة منذ سبع سنوات ، فذلك لكى يحق له أن يستريح يوما ، يوم أن يحمى ابنته فى مكان آمن ، ضد الاغتصاب والخديعة والحب ، وحتى ذلك الحين لن يغمض له جفن .

(١) تشبيه أسوار المدينة بالمشد الذى يشد جسم المرأة .

ميلون : أنا أعتقد أنه ينام مفتوح العينين ، واقفا أمام باب الفتاة كحارس ليلى ، واقفا وعيناه مفتوحتان طوال الليل.

المعمارى : إنكم جميعًا مخطئون أيها الأصدقاء ، فإن "أونوماءوس" لم يضع فوق جبل " بيز " هذا الغطاء الحجرى الذى يأخذ بياضُة بالأبصار من أجل الدفاع عن "إيبودامى" . إن "أونوماءوس" رجل شهم وهو يقدم ابنته زوجة لمن يريد أن يأخذها ، لمن يعرف كيف يأخذها . وليس العسير هو الذهاب إليها ، وإنما العسير هو الذهاب بها ، وإن هذا حقًا لأمر عسير .

المشهد الثانى

[الأشخاص أنفسهم ، جلوكوس..]

[يدخل جلوكوس آتيا من القصر]

جلوكوس : إنك لمحق أيها المعمارى ، ويستطيع الشاب الغريب أن يدلى برأيه فى هذا الشأن .

المعمارى : هل لديك أخبار جديدة ؟

أجاتوكراتيس: إن " جلوكوس " يعرف كل شىء دائما ، فليس عليه حرج فى دخول القصر ، وذلك فى الغالب لمتعة الخادمات و ليس لنوبة الحراسة .

جلوكـــوس : لقد احتُفل أمس باستقبال الشاب الفرجينى ، وقد أعلن تحديه فى أسلوب مهذب ، واتفق على جميع التفصيلات ، وسيجرى السباق بعد ثلاثة أيام ، وستنطلق العربات من بوابة الجنوب ، وقد تلقينا التعليمات بذلك .

الأركـــادى : تقول الفرجينى ، أهذا اسمه ؟

جلوكـــوس : كلا ، هذا نسبة إلى وطنه الذى يقع فى مكان ما من آسيا، فيما وراء البحر الشرقى، أما اسمه فهو "بيلوبس".

أجاتوكراتيس: إن هذا الاسم ليس من أسمائنا .

جلوكـــوس : وجياده أيضا آتية من آسيا ، وقد ترك سفينته فى أحد موانئ الشرق ، وتابع رحلته بالطريق البرى .

الأركـــادى : هاهى ذى الجياد الآن تتنزه فى عرض البحر .

[يضحك الآخرون]

جلوكـــوس : جياد رائعة ، أربعة بلون النار ، أضأل من خيول بلادنا ، ولكنها أكثر منها رشاقة ، قوائمها نحيفة وهى مزينة بشكل يثير حسد "أونوماءوس" نفسه، وتتحلى بقلائد من ذهب صنعت بطريقة لا نعرفها عندنا ، لقد رأيت هذا عن كثب ؛ فقد كنت من بين حراس الإسطبلات .

أجاتوكراتيس: فلتأت من آسيا، وليغطها الذهب من نواصيها حتى حوافرها، فلن تنقذ الفرجينى. فبعد ثلاثة أيام سيعود "أونوماءوس" إلى القصر فى صحبة فتاته وهى لا تزال فتاة ، فى حين يسيل دم الخطيب الثانى عشر ليصنع مع تراب "إليد" الجاف فى مكان ما من المناطق المجاورة "عجينه حقيرة".

الأركـــادى : أهو الثانى عشر ؟

أجاتوكراتيس: الثانى عشر ، أيها الأركادى ، أليس هذا أمرا معروفا فى جبالكم ؟ فقد جاء قبله منذ سبع سنوات أحد عشر شابا، زهرة الأرض، جـاءوا يطلبـون يد "إيبـودامى" وكـانوا يملكون جيادا كذلك رائعة ، من آسيا ، فهل يصنع الثانى عشر أفضل مما صنع الأحد عشر ؟ ليس فى الدنيا أيها الأركادى جياد يمكن أن تنافس جياد ملكنا .

مــــيلون : ... وليس فى الدنيا مـن يقود الجيـاد ويعنـى بـها كـما يفعل " ميرتيلوس " فليأت الأجانب .

جلوكــوس : أنا لا أقـول إن الأسـيـوى يسـتطيع أن يفـر مـن "أونوماءوس" ، بل أقول إنه سيكون سباقا رائعا .

مــــيلون : حقا سباق رائع ، ولكننى سبق أن شـاهدت أحد عشر سباقا رائعا . إن السباقات لتتشابه جميعا .

المعـمـارى : ألا تحب مشاهدة الجياد وهى تعدو ؟

مــــيلون : إننى أحب مـشـاهدة الجـيـاد وهى تعـدو إذا كـان من الممكن أن نراهن عليـها ، هلا عدت بذاكـرتك إلى خطبـة "إيبودامى" الأولى ، لقد كان حفلا حقيقيا اشتركت فيه المدينة عن بكرة أبيها قبل السباق بأيام. وكان المتراهنون منقسمين ، فقد كان ثلثهم على الأقل يراهن لصالح جياد الخطيب ، ذلك الشاب الجميل الذى أتى من " لاكونى " . لقد رثيت له ، صدقنى ، فراهنت لصـالحه . أما اليوم ، فانزل إلى الشوارع تجدها خلوا من الحياة ، فليس هناك

مجنون واحد يقامر بأجر يوم واحد على حظ الخطيب ، وقد يذهب الناس معا لمشاهدة السباق ، ولكن لن يكون هناك تلهف أو حماسة .

جلوكوس : من الممكن أن نراهن على المسافة، إننى أراهنك بأجر يومين على أنه لن يلحق ببيلوبس قبل علامة حدود الطرق الأربعة.

ميلون : إنك لتسخر منى ، فمع التقدم الذى أعطى له ، يجب عليه أن يسمح لجياده بقضم العشب على حافة الطريق ، حتى يمكن اللحاق به قبل الطرق الأربعة ، كلا ، احتفظ بنقودك يا جلوكوس ، فقد نتقاتل .

الأركادى : إن الناس جميعا يعرفون الآن أن جياد " أونوماءوس " قد منحت هدية من الإله " إيكارلات " فهى جياد إلهية ، ومن الطبيعى أن تفوز فى جميع السباقات ، ولا يجب أن يُسمح باستخدام الجياد الإلهية فى سباقات العربات.

ميلون : إننا نرى بوضوح أنك لست من هذه البلاد أيها الأركادى ، وأنت تصدق القصص التى ترويها الفلاحات فى الأسواق ، إن جياد " أونوماءوس " هى أعظم جياد فى العالم ، " وميرتيلوس " هو أعظم حوذى فى العالم ، وليس ثمة سر وراء ذلك .

المعمارى : ولكن " ميرتيلوس " هذا الذى تتحدث عنه ، أتنكر أيضا أنه ابن الإله الطائر ؟

ميلون : كلا ، بالتأكيد ، فإن أمه ، و لابد أنها تعلم ذلك ، تفخر بقول ذلك لمن يريد أن يسمعه ، إن لم تكن تباهى به .

المعمارى : أنت تعرف إذن أن " ميرتيلوس " هو ابن إله ، فهل رأيت فى حياتك نصف إله حوذيا ؟

ميلون : إنه يقود عربة الملك .

المعمارى : فهو إذن حوذى الملك ، اعترف بذلك ، إن حوذى الملك ، نادرا ما يكون ابن إله .

ميلون : ماذا تقصد بذلك ؟

المعمارى : هل تظن أنه إذا كان الإله الطائر يوافق على أن يصبح ابنه حوذيا ؟ فهل ذلك يقود أية جياد كانت ؟

ميلون : إن جيادنا التى تربت فى " إليد " ليست كغيرها من الجياد .

المعمارى : إن الآلهة لا تكرس لياليها فى إنجاب حوذيين لجميع جياد " إليد" . فإذا كان ابن الإله الطائر قد تلقى من أبيه رسالة بالسهر على جياد " أونوماوس "، فذلك لأن الجياد أيضا إلهية .

أجاتوكراتيس: هذا أمر مؤكد .

ميلون : إلهية أولا – فهى تفوز بجميع السباقات ، ولا يوجد هنا مجال للمراهنات .

الأركادى : أما أنا فلم يسبق لى المجىء إلى هنا ، وسأرى المشهد لأول مرة ويبدو أنها ستكون مباراة رائعة – تلك التى يتحدث عنها الناس فى جميع أنحاء بلاد الإغريق . ذلك السباق بين الحياة والموت، حيث يكون الموت أكثر مبادرة. بقى أن يحسن المرء اختيار مكانه على حافة الطريق .

سنشهد فى بادئ الأمر مرور المتسابق ، وإلى جواره على العجلة أجمل فتيات الدنيا وأكثرهن تمتعا بالصفات الملكية، وهو يظن أنه قد أصبح مالكا لها إلى الأبد، ويحدث نفسه بأنه سيأخذها بين ذراعيه مجردة من ثيابها ، وهى مجردة فعلا ، ولكن كخنجر فى قلبه ، وعندئذ يلهب جياده بالسياط ، ويلهب ويلهب ، وإذا بعجلة "أونوماءوس" فى إثره تطير فوق الأرض كطيور المارتينيه[1] قبل العاصفة. يقال إن "ميرتيلوس" لا يقود العجلة إلا بصوته.

ميلون : حقا .

الأركادى : فإذا بالخطيب وقد قضى نحبه ، وإذا بالأميرة وقد استردتُ تعود إلى قصرها هادئة دون أن تلقى نظرة على ذلك الرفيق الذى صاحبها ساعة من الزمن ، والذى أوشك أن يصبح زوجا لها ، والذى راح ينزف دمه على الأرض كثور قد نُحر ، إنها لا تنظر إلى المغلوب أبدا .

أجاتوكراتيس: حقا .

المعمارى : ترى ، هل يخطر ببالها أن الحادث يقع بواسطتها ومن أجلها ؟ قاتلة ، لا تبالى ، سلبية ، لاهية عن أفراح عرسها وعن ترمُّلها ، مستسلمة للسلب والاسترداد بازدراء ، أسيرة غريبة ، ويبدو أن هذا كله لا يبعث فى نفسها مجرد السرور .

(١) طائر يشبه السنونو ولكن جناحيه أضيق وذيله أقصر .

الأركـــــادى : لا يمكنكم أن تنكروا أن المشهد سيكون رائعا .

مـــــيلون : أيها الساذج المسكين، إنك لا ترى شيئا على الإطلاق، ونحن كذلك لا نشهد إلا الرحيل والعودة . إن أجمل ما فى الاحتفال لم يشهده أحد منا ، باستثناء جلوكوس ، مرة واحدة .

جلوكـــوس : مرة واحدة. أجل ، كان الخامس، وقد مضى على ذلك أكثر من ثلاثة أعوام ، كان الخطيب شابا من "تسالى" ...

الأركـــادى : إنهم فى " تسالى " يملكون جيادا عظيمة .

جلوكـــوس : أجل ، كانت الجياد عظيمة ، ولكنها لم تكن عظيمة بما فيه الكفاية ، فقد لحقوا بها عند مفرق الطرق التى كنت من بين حراسها ، أقصد أننى رأيتها عن كثب ، كنت مسرورا .

الأركـــادى : كيف حدث ذلك ؟

جلوكـــوس : أسرع مما أستطيع وصفه ، لقد شاهدت العجلتين تندفعان نحوى تتنافسان على السرعة ، كانت العجلات التى يطوقها الحديد تغوص فى التراب الكثيف تارة ، وتارة تقفز فوق الأحجار وتنتزع منها نارا . وعندئذ كنت أسمع كراسى محاور العجلات تئن من الألم كما تفعل طيور النورس فى الشتاء والسفن عند رسوها .

المعـمــارى : إن " أونوماءوس " يريد أن يعدل بين الآثار .

جلوكـــوس : كان من العسير تمييز أشكال الجياد والعجلتين ، فقد كانت كل عجلة تطير وسط جو من الغبار ، حتى لقد بدأ

السباق وكأنه سباق بين سحابتين ، وفى وسط السحابة الأولى كان ثمة وهج يبرق ، كان ذلك هو شعر "إيبودامى" الذهبى ، وفى وسط السحابة الثانية أيضا كان ثمة وهج يبرق ، وكان ذلك هو رأس الحربة . وكان رأس الحربة يقترب من الشاب التسالى، يقترب، ويقترب ، وهو لا يراه إذ يقترب ، ومع ذلك فكلما اقترب رأس الحربة مال هو إلى الأمام على الزمام ، كما لو كان يشعر بثقله على رقبته . وبالقرب من هذا الرجل الذى كان يزيد من الميل فى كل خطوة كانت هناك "إيبودامى" منتصبة صلبة كالحربة ، وعندئذ لحقت عجلة " أونوماءوس " بعجلة التسالى . وفجأة ، إذا برأس التسالى يغوص بين كتفيه وكأنه ارتعد بفعل برودة مميتة ، وكان الموت هو الذى يحلِّق فوق رأسه وليست البرودة ، فقد انفرجت السحابة فجأة عن عود الرمح ، يقذف سلاحه إلى الأمام فتشعل فيه الشمس ضوءاً لم تستطع العين أن تتحمله ، ولاح أن الشمس هى التى حملها " أونوماءوس " على طرف حربته ليغرقها ويطفئها فى ظهر التسالى .

الأركـــادى : هل رأيت ذلك ؟

المعـمـــارى : لقد رآه مرة ، ولكننا نحن لم نره أبدا ، ولن نراه أبدا . إن جياد " أونوماءوس " لا تُقهر ، والجميع يعرف ذلك ، وإذا كان سكان "بيز " لا يريدون أن يقامروا بأموالهم فى

هذا السباق ، فهل تعتقد أن المجانين سيستمرون طويلا يراهنون بحياتهم ؟ لقد باتت السباقات نادرة ، وراحت بلاد الإغريق شيئا فشيئا تقفر من أمرائها الشبان ، لقد مات أشجعهم وأمهرهم ، وسيلزم الآخرون بيوتهم .

أجاتوكراتيس: هذا بالضبط ما يريده الملك . وهل تظن أنه كان يترك ابنته لمصير السباق لو كان يعتقد أن فى الإمكان قهره ؟ إن الملك يقوم على حراسة "إيبودامى" كما يقوم الزوج الغيور على حراسة زوجه ، وكما يسهر البخيل على كنزه، وكما يقوم الكلب الضارى الأمين على حراسة سيده النائم ، فلو سلبوه إياها لبذل فى سبيل استردادها خيوله ومدينته وقوته وكبرياءه . وأقولها لكم ، ما إن يلين قلب الرجل القوى القاسى مرة واحدة لنظرة امرأة ، حتى يحب جرحه ، ويدافع عنه بيدين متأهبتين للقتل ، إن "إيبودامى" هى نقطة الضعف فى " أونوماءوس " ؛ لذلك فهو يجد لذة فى القتل ، وإذا كان يدع ابنته على الطرق مع خطيب مؤقت ، فذلك لكى يجعل من كل رجل يجرؤ على التطلع إليها صيداً له ، إنه يفعل ذلك لكى يقتل .

[يدخل ميرتيلوس ، ولوكونوئيه]

المعمارى : إن أوضح ما فى الأمر هو أن " إيبودامى " ستهرم وهى لم تزل عذراء .

* * *

المشهد الثالث

[الأشخاص أنفسهم ، ميرتيلوس ، ولوكونوئيه] .

[ينتحى ميرتيلوس جانبا ، وسيتكلم كما لو كان يتحدث إلى نفسه ، ونادرا ما سيوجه حديثه للعمال إلاّ حينما يصل إلى قمة غضبه فى النهاية]

ميرتيلوس : من يستطيع أن يقول ذلك ؟

جلوكوس : **(يقترب من لوكونوئيه)** من يستطيع أن يقول ذلك ؟ أنت نفسك يا "ميرتيلوس " وأكثر من ذلك أيضا . أيتها البيضاء الجميلة العاشقة "لوكونوئيه " أليس "ميرتيلوس" هو أعظم حوذى فى العالم ؟

لوكونوئيه : أعظم حوذى فى العالم ، إنه حبيبى .

جلوكوس : أولا يقود أعظم خيول فى العالم ؟

لوكونوئيه : أعظمها بكل تأكيد . إنه حبيبى .

جلوكوس : فهل من الممكن أن ينهزم فى سباق العجلات ؟

لوكونوئيه : مستحيل ، إنه حبيبى .

جلوكوس : وعلى ذلك فأنا أعظم جندى فى العالم .

لوكونوئيه : لقد كنت كذلك .

جلوكوس : كنت كذلك ؟ أيتها الفتاة الشقية ، هل تعلمين أننى قد لا أستقبح أن تغازلينى فى يوم من الأيام ، بعد إذن "ميرتيلوس" طبعا .

لوكونوئيه : للأسف إنه يأذن لى .

ميلون : دعوا " ميرتيلوس " يتكلم ، " ميرتيلوس " ذلك المعصوم ، " ميرتيلوس " الذى يقوم بمهارته وخيوله على حراسة "إيبودامى" خير من المزالج والأسوار ، " ميرتيلوس " يشك فى أن " إيبودامى " ستهرم وهى عذراء ، "ميرتيلوس " ، قل لنا الأسباب التى تستند عليها .

ميرتيلوس : ماذا يهمكم من أمر " إيبودامى " وعذريتها ؟ دعوها فى سلام ، ودعونى فى سلام .

ميلون : ماذا يهمنا ؟ إنك لتمزح يا " ميرتيلوس " إذا كنت قد بدأت تشك فى نفسك، وإذا كنت قد بدأت تفقد إيمانك فى مقدرتك على النصر ، عندئذ يمكننا أن نتكلم .

ميرتيلوس : راهن إذن يا ميلون ، راهن ، قامر ببضعة دراهم ضد "أونوماءوس" . فإن ذلك الحظ له نهاية ككل حظ بشرى .

أجاتوكراتيس: ولكن حظك أنت يا " ميرتيلوس " ليس بشريا خالصا ، فالآلهة تجرى إلى جوارك .

ميرتيلوس : لا تنطق بكلمة الحظ وأنت تتحدث عنى يا "أجاتوكراتيس" ، فأنا نفسى أجهل إذا كان حظى انتصارا أو هزيمة ، وأجهل إذا كنت أحبه أو أبغضه .

ميلون : هيا يا " ميرتيلوس " لا تمثل دور الشاعر ، فالواقع هو الواقع . هل تعتقد أن عجلة الأجنبى يمكن أن تنافس عجلتك فى معمعة السباق ؟

ميرتيلوس : لا هى ولا أية عجلة فى العالم .

ميـلون : وهل تعتقد أنه سيظل فى بلاد الإغريق شبان مجانين يأتون إلى " بيز " ليتزوجوا الموت وفى اعتقادهم أنهم إنما يخطبون " إيبودامى " ؟

ميـرتيلوس : إننى أعتقد أنه لا يوجد فى بلاد الإغريق كلها ، ولا فى جزر الشرق السعيدة ، بنات النور الغاليات ، التى يداعبها أبوها النور أول ما يداعب عند صحوه ، ولا فى "تسالى" البدائية ، ولا فى " كريت " المترفة ، ولا فى مصر القديمة ، أعتقد أنه لايوجد فى هذه البلاد كلها شاب واحد يمارس سباق الجياد دون أن يحدث نفسه قائلا : "أنا ، ربما أفوز" .

المعـمـارى : إن الحصول على " إيبودامى " شىء جميل ، أوافق على ذلك ، وأوافق على أن المرء يتمنى لو يأخذها ، ولو لليلة واحدة ، وفى رأيى كذلك أن هذا لا يساوى الحياة ، بل ولا عاماً من الحياة ، إن المتعة التى يحصل عليها المرء بقيامه برحلة إلى جوارها تستغرق ساعة من الزمن وسط العرق والتراب ، دون أن يكون فى استطاعته مجرد النظر إليها ، لأنه يكون مشغولا بجياده التى يلهبها وبجسده الذى يحاول إنقاذه ، تراوده فكرة رأس الحربة اللعينة التى تقترب من رقبته ، فى رأيى ، هذه متعة مجانين يشترونها بالموت .

ميـرتيلوس : إنهم يأتون بسبب الموت ، أيها المعمارى ، حقا قلت ، إن على الأرض عشرين ابنة ملك ، جميلات كلهن كإيبودامى،

فإلام كانت تصير هذه الأميرة المغرورة؟ لو لم يقم حراس أبيها الضوارى بوضعها فوق قمة "بيز" بادية للناظر من أطراف الأرض فى سحابتها التى صيغت من الدم والمجد؟ ومهما نظر المرء إليها من بعيد ، فإنه يرى خلفها شبح العملاق والحربة ، فإن القاتل لا يسعى إلى الضحية وحدها ، ولكنه يسعى كذلك إلى الجلاد ، لقد قبل جميع أمراء الإغريق الشبان أن يموتوا من أجل "إيبودامى" حتى قبل أن يروها ، فإن هذا الجمال الذى يؤرقهم فى نومهم وينهش أغطية أسرتهم فى حنق، إنما هو نفحة لها من قبل الموت . إنهم يتدافعون نحوها بشجاعتهم البلهاء وهم أكثر غباء من الحشرات التى تتدافع إلى اللهب لأنه يضىء ، فهم يتدافعون إلى اللهب لأنه يحرق . إن "إيبودامى" تمثل المستحيل ، والذين يحبون "إيبودامى" كثيرون كعشاق المستحيل ، لا يحصى لهم عدد .

جلوكوس : هذا كلام ، فالناس لا يحبون أن يموتوا ، إننى أقول ما أعرف ، فأنا جندى.

لوكونوئيه : إن الناس جميعا يسيرون إلى الموت يا جلوكوس ، ولكنهم يسيرون القهقرى - إلى الوراء - ويحدث لبعضهم وهم فى نحو العشرين من عمرهم ، أن يسمعوا نداء من خلفهم ، فيتعرفوا هذا النداء ، وهم كذلك فخورون أن وقع عليهم الاختيار ليواجهوا الموت ، إذا بهم يلتفتون ويدخلون السباق.

ميرتيلوس : إنه لملك مجنون ، ملك أبله ، يستسلم حتى يقع فى شرك هاتف الآلهة . إن الهاتف طُعم تستخدمه الآلهة لتقودنا حيث تشاء ، إنه الغراء الذى تصطاد بواسطته أولئك الذين يعتقدون أنهم أحرار ، فماذا قال الهاتف لأونوماءوس؟ : " فى اليوم الذى تحصل فيه ابنتك على زوج لها ، ستفقد حياتك ومملكتك " . وما إن أنذر "أونوماءوس" بذلك حتى راح يضحك تهكما ، فلسوف يحوطها بحرس شديد ، ولسوف يكرس من أجلها نظرته وحربته وجياده التى حصل عليها من الآلهة، و"ميرتيلوس" وهو حوذى عظيم ، إذن فهو يفعل ما كان يجب ألا يفعله. إذ كان ينبغى عليه أن يبحث لابنته بنشاط وبلا ضجيج عن زوج طيب مسالم ، أمير مناسب ، وبعد ذلك يمكنه أن ينام هادئ البال ، ولكن هاهو ذا يلقى بتحديه فى وجه شباب الأرض جميعا . أخبرنى إذن عما يمكن أن يحلم به أى شاب عنيد ، أينما كان ، إن لم يكن بالاستيلاء على "إيبودامى" ، هل تعتقدون أن ملككم – حتى بعون الآلهة – سيظل يقاوم إلى الأبد ذلك الهجوم الذى تشنه عليه أقدار البشر وآمالهم ؟ ففى يوم ما سيجد فى مجابهته المصادفة أو الحيلة : التراب الذى يدخل فى عين حوذيه : الحجر الذى يحطم عجلته : جزىء الحظ الذى يأتى بكل هؤلاء الشبان المتهورين ليجربوه هنا ، وبسبب هذا الجزىء من الحظ يكون ضياع " أونوماءوس " .

مـــــيلون : إنك لتتظاهر بالتواضع يا"ميرتيلوس " ولكننى أعرف أننى لن أقامر بدرهم واحد ضدك ، فمادمت موجودا أنت وجيادك فإن ابنة " أونوماءوس " فى مأمن عظيم .

مـيـرتيلوس : إن " أونوماءوس " هالك ، أقولها لكم ، ففى يوم من الأيام على الرغم منه وعلى الرغم منى ، ستُنتزع منه ابنته ، وإذا ما سألتمونى إذا كان ذلك اليوم سيكون بالنسبة لى يوم هوان وقنوط ، أو يوم خلاص ونجاة ، فإننى أقول لكم إننى لا أدرى من ذلك شيئا ، سأقول لكم إننى أجاهد بكل ما لدى من قوة وبكل ما فى نفسى من حنق حتى لا يحل ذلك اليوم، وإننى مع ذلك أنتظره ، هل فهمتم؟ ... هل فهمتم ؟ ... إذا لم تكونوا قد فهمتم فلا أهمية لذلك .

جلوكـــوس : هاهو ذا قد بدأ يغضب .

مـيـرتيلوس : دعونى الآن ، انصرفوا وتدبروا بعيدا عنى أمرَ "إيبودامى" وعثورها على زوج ، وما تكلفكم أو تجلب لكم عذريتها ، انصرفوا عنى ، اذهبوا لتراهنوا على الحياة والموت ، على الأمل وعلى الحب ، انصرفوا انصرفوا .

مـــــيلون : هيا بنا ، فهاهو ذا قد ملكته نوبة من نوبات الغضب التى لا يدرك معها شيئًا .

[يخرجون]

* * *

المشهد الرابع

[ميرتيلوس - لوكونوئيه]

ميرتيلوس : فلتفاخر بنفسك يا ميرتيلوس ، وليملأك الغرور ، إنك تثير إعجاب القوم وتحظى بمديحهم ، أيها الخادم الأمين ، أيها السجان العظيم ، يا من باع مهارته وشجاعته لشخص آخر ، يا ابن الإله وتعيش عبدا ، حاميا نظير أجر ، لسلطان ليس سلطانك ، ولسعادة ليست سعادتك ، ولحب ليس حبك .

لوكونوئيه : حب هو حبك يا ميرتيلوس .

ميرتيلوس : بالله عليك ، إلا أمسكت يا لوكونوئيه ، فإننى لم أصرف أولئك القوم لكى تأتى أنت فتضايقينى، وأنت تعرفين ذلك، فلقد أخبرتك به ، فإذا كان هذا الحب يثير سخطك أو قنوطك ، فإننى لا أملك شيئا ، وإذا كنت تشعرين بالانتصار فى قرارة نفسك؛ إذ علمت أننى لا ألقى فى حبى غير الازدراء ، فلا تأتى للزراية بى ، وإذا كنت ترثين لحالى ، فأنت تعلمين أن العزاء الوحيد الذى أنتظره منك إنما تمنحينه لى فى الليل ، وفى الصمت .

لوكونوئيه : لقد حان دورى لكى أوقفك عن الكلام يا ميرتيلوس ، إننى لم آت اليوم لكى أقدم لك العزاء ولكى أظهر لك الزراية ، ولا لكى أعرض عليك مشهد بكاء أو عتاب ، إنما جئت

لكى أساعدك ، هل تريد أن تحصل على "إيبودامى"؟
استمع إلىَّ إذن .

ميرتيلوس : تريدين مساعدتى فى الحصول على " إيبودامى " ؟
تريدين مساعدتى فى هجرك ؟ تريدين الإسهام فى متعة
تبغضينها ؟ تريدين مساعدتى ضد غريمتك ؟ ... كلا يا
لوكونوئيه ، هذا كثير ، كفى ! كفى ! إننى لا أعرف أى
شرك تعدِّين ، غير أننى أعرف أنك تبحثين لى عن نقطة
ضعف .

لوكونوئيه : لقد قلتها أنت ، سأساعدك ضد نفسى ، وضد
نفسك أيضا ، ضد هذه العاطفة التى تسكنك فتمزقك ،
سأساعدك .

ميرتيلوس : ولماذا تفعلين ذلك ؟

لوكونوئيه : لا تسألنى .

ميرتيلوس : لا أريد أن أستمع إليك .

لوكونوئيه : ستستمع إلىَّ ، فسأخبرك بأن " إيبودامى " يمكن أن
تحبك ، وأن احتمال حبها لك شىء يتعلق بك أنت .
استمع إلى .

ميرتيلوس : وأية مساعدة يمكنك تقديمها ؟

لوكونوئيه : ميرتيلوس ... هاهى ذى ثمانى سنوات مضت وأنت تحب
"إيبودامى " ، وحدها ، ومن حقى أن أتألم لذلك ، أنا
لا ألومك ، مادمت حتى قبل اللحظة التى وافقت فيها على
أن أهب نفسى لك ، كنت أعرف أنك لست لى ، وإنما لها ،

ومنذ ثمانى سنوات وأنت لا تجرؤ مرة واحدة على رفع عينيك إلى عينيها ، وقد كنت سعيدة بحيائك هذا ، أجل كنت سعيدة أنا التى أتمنى أن أموت من أجلك ، كنت سعيدة إذ أراك مغلوبا ، ولست أدرى أى جنون جعلنى اليوم أنحاز إلى جانب مصلحتك أنت ضد مصلحتى أنا ، فإذا كنت لا أفكر إلا فى نفسى لقدمتها قربانا حتى تستمر فى صمتك ، ولكننى أفكر فيك وأقول لك ، لقد حان الوقت فتشجع وتكلم ، فإذا أعلنت اليوم حبك لإيبودامى ، فقد تنالها ، أما إذا لزمت الصمت ، فقد ضاعت منك إلى الأبد.

ميرتيلوس : إذن ، فماذا حدث لكى يصبح هذا اليوم أهم من الأيام الأخرى ؟

لوكونوئيه : لم تقع بعد أحداث ، ولكننى أكاد أرى " إيبودامى " فى كل ساعة ألاحظها ، فأجد أنها لا تتأثر بشىء ، هادئة كعهدنا بها دائما ، حتى إننى لا أستطيع أن أتعرف عليها ، ولكننى أعرف أن تغييرا مريعا يكتمل فى ليل قلبها ، أعرف أنها وصلت إلى غاية انتظارها وصبرها . لم تقع أحداث بعد ، ولكن مهما سيكون ذلك الحدث الذى يوشك أن يقع ، فإنه سيقع وشيكا ، وإن " إيبودامى " لمتأهبة لاستقباله .

ميرتيلوس : إذن فسأنتظره أنا أيضا فى صمت .

لوكونوئيه : لا شىء يأتى بالصمت .

ميرتيلوس : ألا ترين مقدما أن فشلى حقيقة دامغة تبهر الأبصار ، كهذه الشمس التى لا تطاق ؟ أمن العقل أن تسمع "إيبودامى" يوما من الأيام كلاما فى الحب يخرج من فمى، وأن تتقبل فى وقت من الأوقات فكرة ترك جسدها الأنوف فى عناق نتن مع سائس الخيل ؟ إن قولى بأنها تحتقرنى شىء كثير يا لوكونوئيه . إنها تجهلنى ، إننى لست فى نظرها إلا أقل خدم أبيها قذارة وغباء . إننى فى نظرها غير موجود .

لوكونوئيه : إن وجودك شىء يرجع إليك أنت .

ميرتيلوس : ألا تدركين إذن أنه لا تصل بينى وبينها طرق ولا أبواب للحب أو للكراهية ، فكرى يا " لوكونوئيه " فى وضعى بالنسبة لها ، فبسببى أنا ، ظل جمالها معطلا ، وجسدها وحيدا كجسد عانس يزدريها الرجال ، أنا الذى أحمل مفتاح سجنها . إننى أحول بينها وبين الحياة ، أنا الذى أتمنى أن أكون لها الحياة وأحول بينها وبين الأمل ، أنا الذى أتمنى أن أصبح لها الأمل. وأحول بينها وبين الحب، وأحول بينها وبين العالم ، ومع ذلك فإنها حتى ... لا تبغضنى ، أواه ! لشد ما أتمنى أن أرغمها على بغضى .

لوكونوئيه : اعترف أن هذا ليس ما تتمناه فى قرارة نفسك .

ميرتيلوس : اسكتى ، اسكتى ، فيكفى أن تخرج كلمة الأمل بالقرب منى من فم حى ، ولو كان ذلك بنغمة كاذبة ، حتى يقتل

ذلك فى نفسى كل أمل ، ويعيد إلىَّ الرغبة فى اليأس ، إذا كنت قد فقدتها إلى الأبد .

لوكونوئيه : ألا أستطيع يا " ميرتيلوس " أن أصبح بالنسبة لك أكثر قليلا من ذلك الجسد الذى لم تعد تشتهيه مع ذلك ، ألا أستطيع أن أكون أكثر قليلا من تلك الرفيقة الصامتة التى تطلب إليها أن تروِّح عنك دون أن تنقذك أو تفهم أغوار نفسك؟ إننى لا أزعم أن "إيبودامى" على استعداد لأن تحبك ، بل إننى أوافق على أنها تحتقرك ، ولكننى أعرف مقدار حبك لها ، صدقنى ، إننى أعرف أنك الرجل الوحيد الذى يستطيع أن يقترب منها ويتحدث إليها دون أن يعرِّض نفسه للموت ، وأعرف أنه قد حان اليوم الذى تستطيع فيه أن تصبح بالنسبة لإيبوادمى ما يمكن أن يكون أغلى شىء فى الدنيا بالنسبة لأميرة شبه أرملة عذراء ، رجلا يفيض حيوية .

ميرتيلوس : ألا تعرفين " أونوماءوس " ؟ ألا تعرفين أنه قد أعلن الحرب على كل رجل يتجاسر على التطلع إلى "إيبودامى" بعينى رجل ؟ وإذا استطعت يوما ما أن أستميل "إيبودامى" فمن يستطيع أن يستميله هو ؟

لوكونوئيه : "إيبودامى" – إنه لم يصفح فى حياته عن أحد من أولئك الذين طمعوا فيها ، لكنها لم تطلب فى حياتها الصفح عن أحدهم ، وهو لم يرفض فى حياته طلبا لها ، إن حبه لها هو نقطة الضعف عنده .

ميرتيلوس : إن حبه لها لا يرحم ، إنه سيقتلها هى لو سولت لها نفسها ، أن تفر منه يوما ما ، إنها نزوته ، إنها نفسه ، فلتطلب أن تعيش حياتها ، إذن فلن يبقى لها أثر فى الوجود . هل قرأت النظرة التى يصوبها إليها عندما تسير إلى جواره ؟ وهى قد تبدو غريبة لا يمكن سبر أغوارها ، ولكنها وديعة ، إن هذه النظرة مطلقة كالموت .

لوكونوئيه : ولكن نظرة " إيبودامى " يا " ميرتيلوس " ... هل تجرؤ أن تحدثنى عنها؟ أنا التى أراها فى كل يوم .

ميرتيلوس : إنها نظرة خاوية ، خالية من الإحساس .

لوكونوئيه : إنها نظرة نائمة ، تفيض وعدا حلوا ، ووعيدا مريعا ، كنعاس الطفل ونوم القاتل .

ميرتيلوس : إن مياه نظراتها التى تصوبها نحوى لشبيهة بمياه تلك المستنقعات السحرية التى لا تستطيع نسمة أن تحرك ، سطحها ، والتى تطبق على الحجر الذى تلقيه فيها دون تموج أو اضطراب . لقد شاهدت بهذه النظرة أجمل شباب الأرض وأشجعهم يموتون عند قدميها من أجلها ، دون أن ينتفض لها هدب .

لوكونوئيه : إنها لم تكن تراهم ، لقد كانت ترى وراء المغلوبين من يمكن أن يكون غالبا ، ووراء أولئك الذين عجزت أصابعهم فراحت تخدش الأرض فى تشنج الموت ، كانت تتطلع إلى ذلك الواقف الذى يضمها إلى صدره ، إنها عمياء حيال كل ما فى الدنيا إلا ذلك الذى لم يتخذ بعد

اسما ولم تتحدد معالم وجهه بعد ، والذى سيحطم
سلاسل العبودية الطاغية التى تقيد حريتها ، ليحل محلها
أساور أذرع تفيض حياة، وهى لا تدرى بعد أنها تختنق ،
لا تنس ذلك ، لا تنس يا "ميرتيلوس" أن الساعات تمضى
وأن الأمور تتحول فى الخفاء تحت ستار الظلمات الجامد،
وأن الشياطين تستيقظ يوما فى قلب الحنان الأبوى
والخضوع البنوى ، وأنه فى هذه اللحظة التى أتحدث
إليك فيها الآن ربما استحق هذان الشعوران أن نطلق
عليهما اسمين آخرين .

ميرتيلوس : كانت قد بلغت سن الحب وسن التمرد ، عندما سقط أول
خطابها فى تراب الطريق ، ومنذ ذلك الحين مضت سبع
سنوات وسرعان ما سيفوت الأوان.

لوكونوئيه : ولذلك فقد أتى اليوم الذى ستبلغ فيه " إيبودامى " غاية
انعزالها وصبرها ، أتى اليوم الذى ستضع فيه قناع
ثورتها على وجه رجل من الرجال ، وعندئذ سيصبح ذلك
الوجه بالنسبة لها أجمل وجه على الأرض . وعندئذ
سيتكشَّف لها فى أبيها أنه وحش ضار ، وسيتكشف لها
فى أول رجل يتقدم لها أنه حبيب خصتها به الأقدار ،
لا يمكن استبدال سواه به ، وستكون هذه هى الصحوة
التى تتغير معها ألوان الأرض والسماء فى عينيها ،
الصحوة التى تفيق معها ، وتنتبه إلى قيودها ، فليحذر
"أونوماءوس" من الحقد النائم .

ميرتيلوس : إنك تحلمين ، وأنا لا أريد أن أحلم .

لوكونوئيه : قد لا أستطيع إقناعك يا ميرتيلوس ، ولكننى سأنذرك . إننى أعرف ذلك. أعرفه دون أن أدرى لهذه المعرفة سببا ، إن الصاعقة توشك أن تقع فوق بيت " أونوماءوس " وسيكون محرك هذه الصاعقة وجه رجل ، وهذا الوجه - وجهك - عجل بكشفه لتلك التى تراه كل يوم ولم تره بعد، أظهر نفسك " لإيبودامى " يا ميرتيلوس ، أظهر نفسك الآن ، لقد حانت اللحظة ، ولقد أعددتها لك .

ميرتيلوس : ماذا تعنين ؟

لوكونوئيه : لقد قلت لإيبودامى بالأمس إن " ميرتيلوس " يريد أن يتحدث إليها صباح اليوم ، قبل الجولة التى تقوم بها كل يوم مع والدها لزيارة العمال فى أماكن عملهم ، ولذلك جئت بك اليوم إلى هنا ، وستراها الآن . وقد لا تصدقنى حين أقول لك إننى فعلت ذلك من أجلك وأنا أشعر بنوع من الفرحة التى تمزقنى .

ميرتيلوس : أنت فعلت ذلك ؟ وبماذا أجابت ؟

لوكونوئيه : بأنها ستأتى .

ميرتيلوس : ألم تفاجأ لذلك ؟

لوكونوئيه : كلا ، لم تفاجأ بالضبط ، ولكنها بدت كالمهتمة بحدث لم يكن فى الحسبان يتصل من ناحية ما بذلك الحدث الذى يشغل بالها - أواه ! لا تستنتج من هذا أية نتيجة عاجلة، ولكن " إيبودامى " تبدو لى منذ بضعة أيام مختلفة عن

ذى قبل، وأكثر شروداً مما اعتدنا أن نراها فى الماضى ، وأكثر بعداً عن عاديّات حياتها . ونظرتها الآن تلمع بفعل انتعاش غريب لا أدرى كنهه .

ميرتيلوس : وهل تعتقدين ؟ ... ولكن هأنذا أقع ضحية لمؤامرتك البلهاء ، مؤامرات المرأة ، ستظهر الآن فى هذا المكان ، أمامى ، كما تقولين ، فى انتظار أن أتحدث إليها ، ولكننى لن أستطيع إلا أن أتحصن فى صمت مهين ، أو أن أقول فى الحب كلاما يثير السخرية ، فأكون بذلك هدفًا لسخريتها ، وهذه هى النتيجة التى تنتظرينها من وراء خدماتك ، تريدين رؤية "ميرتيلوس" مطرودا إلى حظائره كنذل وقح ، إننى أعرف يا لوكونوئيه ، أعرف أننى لست جديرا إلا بحب الخادمات ، أعرف أننى جدير بك وأننى لا أساوى أكثر من ذلك .

لوكونوئيه : ما كان أجدرنى بالبكاء أمام إهاناتك لنفسك لو لم أكن أدرى أنك لا تفكر قط فى إهانة نفسك ! " ميرتيلوس " يا ابن الإله ، أنت لست عبدا ، إن هذا الحق الذى يتملكك فيدفعك إلى إهانة نفسك إنما ينبع من الكبرياء ، وهو فى هذه اللحظة يضفى على نظرتك بريق نار سامية ، فليسطع بريق تلك النار فهى نفسها ، التى يشعلها الكبرياء نفسها فى هاتين العينين اللتين سترفعهما فى تلك التى تحبها ، إن ابنة " أونوماوس " نفسها ستعجب بهذا البريق .

ميرتيلوس : هل تريدين ذلك ؟ ليكن ، لقد دفعتني إلى " إيبودامى " وأنا فى طريقى إليها ، ولكن حذار ، فسواء قبلتنى أو رفضتنى ، فلا أمل لك يمكن رجاؤه منى .

لوكونوئيه : وهل تعتقد أننى لا أعرف ذلك ؟ إنك إن نجحت ، فإن الجرح الذى سيسببه لى هناؤك سيكون شديدا ، غير أننى قد أجد فيه لذة ، ولتذكر ذلك لو استطعت ، كان من العسير على أن أفعل ما فعلت يا " ميرتيلوس " ، كان من العسير على أن أقول ما قلته ، وما أقوله لك مرة أخرى من أعمق أعماق قلبى . انتهز الفرصة التى هيأتها لك ، انتهزها بجرأة ، فقد لا يكون هناك وقت آخر لذلك . هاهى ذى " إيبودامى " .
إلى اللقاء يا ميرتيلوس ، لقد فعلت من أجلك ما استطعت أن أفعل .

* * *

المشهد الخامس

[ميرتيلوس - إيبودامى]

[يتردد ميرتيلوس ثم يتهيأ للهروب ، تبدو " إيبودامى " على درجات سلم القصر وتوقفه]

إيبودامى : أتريد أن تتحدث إلىَّ يا ميرتيلوس ؟

مـيـرتيلوس : ربما .

إيبـــودامى : ترى ، أدون أن تدرى بعد ، أرسلت فى طلبى ؟

مـيـرتيلوس : إذا كنت قـد حضـرت وفى اعتقـادك أنـك ستستمعين إلى شكوى أو التماس يتقدم به أحد الخدم ، فليس لدى ما أقوله لك .

إيبـــودامى : يبدو لى أن أبى لا يعاملك معاملة الخدم .

مـيـرتيلوس : لا تعنينى كثيراً الطريقة التى يعاملنى بها والدك ، فالأمر هنا لا يتعلق به ، وإنما بك أنت .

إيبـــودامى : إنك لغامض يا ميرتيلوس ، خبرنى إذن بذلك الأمر الذى لا هـو بالشكوى ولا هـو بالالتماس ، فلابد أن لوكونوئيه قد أخبرتك بأننى لن أستطيع أن أنفق معك وقتا طويلا ، وأن أكثر مـن شاغل يتعجلنى ، غـير أننى سأستمع لك بود صادق.

مـيـرتيلوس : آه .. إننى لأبغض ودك هذا .

إيبـــودامى : وهو مع ذلك صـادق، حتى إننى لن أتأثر بالكلمـات التى سمعتـهـا الآن، وأعلم جيدا أن هذا الود الذى تحتقره ، يجمل بى فى هذه اللحظة أن أحتفظ به لك.

مـيـرتيلوس : فى هذه اللحظة؟ ماذا تعنين ؟ يشهد قلبى أننى لم أقصد إهانتك ، فعندما يرفض رجل ود امرأة فاعلمى جيداً أن هـذا لا يكون أبداً بغـرض الإهـانة ، أترانى أنا المخطئ إذ حدثتنى امرأتان فى لحظة واحدة عن ودهما، وإذا بدا لى لأسباب تختلف بواعثها، أن هذين الودين لا طاقة لى بهما ؟

إيبـــودامى : أتقول امـرأتين ؟ لم أكن أظن أننى أبدو لعينيك غير ابنة مليكك .

مـيـرتيلوس : إنك لست ابنة مليكى الآن يا " إيبودامى" ، ولتعلمى ذلك جيدا ، ربما أسىء فهمى . إنك ابنة ملك ، حقا ، ولذلك فإن ما سأقوله لك لا أستطيع أن أقوله إلا إذا كانت نظرة كل منا فى مستوى نظرة الآخر .

إيبـــودامى : إننى أمنحك هذه المساواة .

مـيـرتيلوس : ليـس لديك ما تمنحينه لى ، إننى ندٌّ لك ، فـأنا ابن إله ، ألقى بى وسط البشر لأشغل وظيفة تكاد تكون وضيعة ، أدنى منك منزلة. فلدى أكثر منك أسباب تدعونى للخجل ، ولدى أكـثر منك أسبـاب تدعـونى للفـخـر ، فـمن اليـسيـر بالنسبة لك أن تستسلمى للطاعة والشيخوخة .

إيبـــودامى : كلا ، ليس بالقدر الذى تعتقد .

مـيـرتيلوس : على الأقـل ، فإن الشقاء والظلم اللذين تعانون منهما هما فى مسـتـواكم ، فـإن من حـقكم أن تتـألموا مـعًـا ، وأن تجابهوا معًـا ، أمـا أن يلقـى بى بعيـدًا عن الآلهة ، فـهل تعتقدين أننى أشعر بأننى أقرب إلى البشر ؟ إننى لست من هذا الجنس أو ذاك، إننى منفى فى كوكب غير مفهوم، وحيد ، وحيد ، وحيد ، إن زواج الآلهة غـير المناسب قد لا يكون له هدف إلا إلقـاء أبنائهم الغـربـاء عنكم بينكم ليـقـدروا عـارهم ، وليـدخلوا دون تنازل أو تعـود ، فى حياتكم وموتكم .

إيبـــودامى : إن عنفك ليدهشنى ، وأعترف أننى لم أكن أظن أن مثل هذه الكبرياء يمكن أن يصدر عن " ميرتيلوس " المخلص، وأن مثل هذه المهانة يمكن أن يشعر بها " ميرتيلوس " المجيد ، أمهر إغريقى يقود الجياد فى السباق ، والمفوض لدى " أونوماءوس " من قبل حماية قادرة ، وأبعد حراسى جميعا عن الملامة .

ميـرتيلوس : أبعدهم عن الملامة ، فعلا ! وهذا هو السبب الذى من أجله يقدِّرون "ميرتيلوس " ، فبفضله يكتسب بيت الملك فى " بيز " عاما بعد عام ، بهاء جديدا ، وبفضله تفقد بلاد الإغريق خيرة أبنائها ، أو أغباهم . وبفضله تظل " إيبودامى " فى سلطان أبيها المحبوب كما هى طاهرة لا تمس .

إيبـــودامى : وأخيرا ، ماذا تريد منى ؟ إننى لا أظن أن فى إمكانى أن أسوى خلافاتك مع الآلهة أو مع البشر ، ولا أدرى بعد ما الذى جعلك تعرض على مظالمك بهذه الحرارة الغريبة ، بهذه الخشونة التى تقترب من الإهانة ؟ إننى لست مسئولة عن الحراسة التى تساعد أبى على القيام بها نحوى . أليس من الغريب أن يأتى سجَّانى فيحدثنى عن سجنه هو ؟

ميـرتيلوس : أيمكن أن أتصور أنك تعتبرين نفسك أسيرة هنا ؟

إيبـــودامى : لست أدرى ، ولكنه يبدو لى أننى قد بدأت أعتقد ذلك أنا نفسى ، إنك أول من أقول له هذا ، قبل أن أقوله

لنفسى بطريقة واضحة ، ولقد سمعته . فإذا كانت علاقتك بأبى تحتم عليك أن تطلعه على ذلك ، فلتطلعه عليه .

ميـرتيلوس : ألم تعد سباقات العجلات تحظى بإعجابك ؟

إيبـــودامى : إننى لا أطيقها ، أترانى فريسة ، أو غنيمة يتنازعوننى ؟ إحدى عشرة مرة يا " ميرتيلوس " حملونى بعيدا عن "بيز" دون أن يسألونى ما إذا كنت أريد ذلك ؟ وأنت الذى تشكو عبوديتك ، إنك على الأقل فى هذه الجولات تكون الصياد لا الفريسة ، اللاعب لا الرهان .

ميـرتيلوس : فلتنطقى بالكلام الذى أنتظره يا" إيبـودامى" ولن يكون السباق المقبل، ولن يكون أى سباق آخر ، وتكونين هنا حرة .

إيبـــودامى : ميرتيلوس ... أحقا تقول ؟

ميـرتيلوس : فلنتحد ، إننا مقيدان بالسلسلة نفسها ، فلنحطمها معًا .

إيبـــودامى : ماذا تريد أن أفعل ؟

ميـرتيلوس : إن جياد " أونوماءوس " لا تطيع أحدا غيرى ، إننى أهبها لك ، وبذلك تستطيعين الرحيل .

إيبـــودامى : الرحيل، تعرض علىَّ الرحيل ، تعرض على الرحيل اليوم؟ ترى أيمكن للصرخة الوحيدة ، التى يطلقها أملى الصامت أن تجذب نحوى منقذا ؟ أيمكننى الرحيل ؟؟

ميـرتيلوس : آه يا عزيزتى البصيرة " لوكونوئيه " أكان حدسك صحيحا ؟ ترى أكانت اللحظة التى دفعتنى فيها نحوها ، هى اللحظة الوحيدة فى عمرينا ؟

اللحظة الوحيدة فى أبد الأزمان التى يمكن أن يتحد فيها مصيرانا ؟
إننى أفتح ذلك الباب الذى أملك وحدى مفتاحه ، وها هى ذى " إيبودامى " تنتظر حريتها ، وربما كان ذلك منذ زمن بعيد .

إيبودامى : كلا ، ليس منذ زمن بعيد .

ميرتيلوس : إيبودامى ، سنهرب غدا .

إيبودامى : سنهرب غدا ، يا عزيزى ، يا عزيزى " ميرتيلوس " .

ميرتيلوس : انظرى ، انظرى إلى ذلك السهل الذى لا يحده غير السماء . انظرى فى هذه الناحية إلى الروابى الجافة التى تمتد الأرض وراءها بلا حدود . انظرى إلى الطريق الممتدة فى استقامة نحونا من الأفق كنداء يدعونا . انظرى إلى الفضاء الهائل ، إنه ملكك ، فأنا أهبه لك .

إيبودامى : وأنا قبلته .

ميرتيلوس : غدا ، غدا لن يستطيع إنسان أن ينازعنا العالم ، غداً سنكون إلهين .

إيبودامى : سأحل شعرى ، سأغسل وجهى فى رياح الحرية .

ميرتيلوس : إن عجلتنا ستشق المدى كنجم مذنَّب معصوم ، فمن ذا يلحق بالنجم المذنَّب؟ وسأكون إلى جوارك .

إيبودامى : إنك لا تستطيع أن تدرك ، لا تستطيع أن تدرك يا "ميرتيلوس" عظمة هذه الهدية التى تقدمها لى ، ولكننى سأخبرك بذلك فى يوم من الأيام .

ميرتيلوس : الحياة إذن ليست كلها حقودة ، سخيفة ، مادام في استطاعة قلبين أن يتلاقيا في حلم واحد ، مادامت الأيدى الأربعة التى تتلاقى قرب النبع ، تستطيع أن تعب الماء من فيض سعادة واحدة ؟

إيبودامى : وسنكون طاهرين ، سنكون شابين ، إننى غدا سأكون فى السادسة عشرة من عمرى .

ميرتيلوس : ترى ، ألم تكن مستحيلة تلك السعادة ؟ تلك السعادة التى كنت أرتعد عند عتبتها ، ألم تكن مستحيلة ؟ هل توجد فى الدهر لحظة ، وهل يوجد على الأرض مكان يستطيع الإنسان فيها ألا يحب وحده ، وألا يكون وحيدا؟

إيبودامى : سأنطلق غدا إلى الزمان والمكان اللذين ستنتهى عندهما وحدتى . آه ! بالسرعة نفسها التى تنطلق بها العجلة ، كم سيكون الطريق طويلا ؟

ميرتيلوس : ما أهمية طول الطريق ؟ ما أهمية نهاية السباق بالنسبة لمن وصلا ، وأحدهما بجوار الآخر ؟

إيبودامى : وصلا وأحدهما بجوار الآخر ؟

ميرتيلوس : لمن ليسا فى حاجة للعالم ؟

إيبودامى : ولكن ... سأكون بمفردى معك يا ميرتيلوس .

ميرتيلوس : بمفردك معى ؟ دون أدنى شك ، سنكون بمفردنا .

إيبودامى : سأكون بمفردى .

ميرتيلوس : ترانى أخطأت فهمك ؟ ولكن كلا ، فلا يمكن أن أنخدع ، لقد قبلت محالفتى فوعدتنى خيرا ..

إيبــــودامى : لقد وعدتك بالعرفان ، أليس ذلك ما ترجوه ؟ آه .. ترانى أنا التى خدعت . هأنذا أذعر بدورى ، ماذا تنتظر ؟

مـيـرتيلوس : أواه .. ألن تساعدينى ؟ ألن تسبقينى على ذلك الطريق الوعر الذى لابد من تسلقه بكلمات عسيرة ؟ إيبودامى ، إذا لم تكونى قد عرفت طلبى منذ الآن ، فذلك أنك ترفضينه .

إيبــــودامى : إننى فى الواقع أخشى أن أعرفه يا ميرتيلوس . أكان ذلك إذن ؟ لا تتكلم ، لا تتكلم أسرع مما يجب ، فربما لم أكن قد فهمتك ، وربما لم تكن قد فهمتنى ، وربما أملك وأملى ليسا أملا واحدا ، وربما مُحى هذا وذاك فى لحظة واحدة ، إذا نطقت بكلمة واحدة ، كلمة واحدة ، لا تقل هذه الكلمة ، لا تقلها الآن .

مـيـرتيلوس : ومع ذلك فيجب أن أسمعك إياها .

إيبــــودامى : لا أريد ذلك ، لا أستطيع ذلك .

مـيـرتيلوس : لقد فات الأوان لكتمها . فلتتفجر ، ولتمح كل شىء .. أحبك .. هل سمعتها؟ أحبك .

إيبــــودامى : قيلت الكلمة ، وأوصد الباب المنفرج .

مـيـرتيلوس : أحبك .. أحبك .. أحبك .. "ميرتيلوس" ، أجل "ميرتيلوس" يتطلع إلى الشرف الذى من أجله يأتى إلى هنا أمراء الأرض جميعا لكى يموتوا... تبتعدين عنى .. أليس ذلك مضحكا؟ فلتضحكى كما أضحك أنا نفسى ، منذ ثمانى سنوات يا "إيبودامى" لم أنم يوما واحدا إلا على هدْهدة ذلك الحلم

الذى صدقته لحظة ، قبل قليل ، كالأبله، ذلك الحلم الذى تناثرت عند قدمى، وعند قدمك، بقاياه التى تثير السخرية ، لقد أحببتك كما لن يحبك إنسان من الجنس البشرى الخالص، لأن سر كساء وجوه البشر بطلاء المجد الإلهى، لايعرفه إلا أولئك الذين يحلمون مثلى، ليس بالأمل الغبى، وإنما بذكرى السماء، لقد حلمت باللحظة اللامعقولة ، اللحظة المستحيلة ، التى يزكّى فيها حبك جسدى وينقذه ويغسله، جسدى البشرى، جسدى الذى كتب عليه التعفن، جسدى المحنط، جسدى الذى أبغضه. لقد حلمت باللحظة التى أستطيع فيها فى نهاية الأمر أن أرضى بجسدى مادمت قد رضيته أنت . هل أدركت إذن لماذا اضطربت قبل برهة عندما أعمانى احتمال الحصول على سعادة من السطوع بحيث إن الشمس الآن - وقد عاد كل شىء إلى ما كان عليه - تبدو لى وقد ارتدت الحداد؟ هذا هو ما كنت أريد أن أقوله لك، ألم أحسن قوله ؟ أليس هذا اعترافا لبقا بالحب ؟ وإذا كانت قد أتيحت لى فى حياتى فرصة لكى أثير إعجابك ، أترانى لم أضيعها هدرا ؟ وداعا ... لقد تكلمت ، وكان يجب على أن ألزم الصمت .

[يخرج]

إيبودامى : **(بمفردها)** كان يجب عليك أن تلزم الصمت فعلا ، بل أكثر مما تستطيع أن تتصور، كان يجب عليك أن تلزم الصمت.

* * *

الفصل الثانى

المشهد الأول

[ميرتيلوس . الأركادى . المعمارى . جلوكوس . أجاتوكراتيس . ميلون . لوكونوئيه . بروكليس]

[يتحدثون بحماسة ، تنتحى لوكونوئيه جانبا]

ميلون : أما هذه المرة فالأمر أكيد أيها الأصدقاء ، إن بروكليس يأتى فى إثرى وسيؤكد لكم ذلك بنفسه، إن فتاتنا الباردة قد بدأت تتأثر ، فلقد تبادلت فى الليلة السابقة حديثا رقيقا مع الأجنبى ، فى هذا المكان الذى نوجد فيه الآن .

ميرتيلوس : ميلون ، إنك لتكذب .

بروكليس : **(مواصلا)** ، بل إنه يقول الصدق يا "ميرتيلوس". فبالأمس راح الناس فى المدينة يتهامسون بأنهم رأوا عاشقين فوق المرتفعات بعد هبوط الليل .

جلوكوس : أهذا كل ما فى الأمر؟ ما إن يلتقى جندى بخادمة بعد خدمة اليوم فوق المرتفعات التى لا يقوم أحد على حراستها، حتى تضطرب المدينة وتتهامس النسوة. فمن صورة تخيلها مخمور ينسج الناس فضيحة ملكية. ومن

الممكن أيضا أن تكون تلك المرأة هى لوكونوئيه فى صحبة واحد من العشاق.

لوكـونوئيــه : إنها أنا .

بـروكـلـيـس : دعينى أتحدث ...

جلوكـــوس : تحدث .

بـروكـلـيـس : فـأردت أن أسـتـوضـح الأمـر ، فـعندمـا حـانت نوبـة النوم وراحت الأنوار تخبو فوق الأرض وشرعت السماء تضىء أنوارها ، صعدت إلى هنا متخفيا وجثمت فوق الأحجار وكانت لا تزال دافئة كبشرة المرأة ، بتأثير حرارة النهار ، ولم يطل انتظارى حتى رأيت المرأة والرجل يتوجـهان كل إلى صاحبه ، وكانت هى آتية من القصر ، أما هو فقد كان آتيا من المدينة ، ثم تشابكت الأيدى كيدىَّ هاتين .

مـيـرتيلوس : لوكـونوئيـه ، كنت تعـرفـين ذلك ، فـدفـعـتنى فى الشـرك وخنتنى.

لوكـونوئيــه : بروكليس ، كـيـف تسـنى لك أن تطـلـق على الخـيـالات أسـمـاء ، إن القمر لم يكن قد طلع بعد .

بـروكـلـيـس : طفل صغير يا لوكونوئيه؟ نحن، معشر العامة، إذا خرجنا للنزهة مع فتاة فى وقت الغروب لا يكون لنا فى الظلمة إلا بقعة صغيرة تكون أكثر إظلاما . ولكن غرام الملوك والملكات يضىء حتى الليل الذى يتوارون فيه، إن قذارة العالم كلها تتماسك وتتجمد فوق أيدينا وجباهنا ومآزرنا فى وضح النهار الصافى . إن ... ما تسكبه النجوم على الأرض

من ضياء خفى وسط الليل المظلم يجمعه شعر "إيبودامى"
كعيون النمس ، كالفسفور . والأجنبى ، ما اسمه إذن ؟

أجاتوكراتيس: بيلوبس ...

بـروكـلـيـس : " بيلوبس " ، هــل رأيتــه يــوم أن وصــل إلى المدينــة ؟ هـل رأيت عباءته وأسلحته ؟ كـان يتلألأ فى مـجوهرات الشرق ومزركشاته وكل أحجاره الكريمة ، فكيف يمكن أن تخطئ التـعـرف إليـه مع هذا الصـدر الذهبى ؟ إن ملابس هذا الرجل لا تكون فى الليل خيالا ، وإنما وهجا. إننى أقول لكم إننى قد رأيتهما يسيران جنبا إلى جنب فوق هذه الربوة ، وأقسم لكم أن الكتف كان يبحث عن سند ومداعبة فى الكتف الآخر ، وأن الذراع كانت تضغط على القوام ، وأن الخطوات كانت مرتبكة حيرى .

لوكـونوئيـه : إذا كنت قد رأيتهما من مثل هذا القرب فلا بد أنك عرفت ما كانا يقولان .

بـروكـلـيـس : أجــل لقــد سمـعـت ما كانا يقـولانه ، كانا يتحـــدثان عن قباقيب نساء طروادة ويقولان إنها أعلى من قباقيب نسائنا .

جلوكــــوس : أجمل بها من محادثة عاشقين .

الأركـــــادى : يالك من جندى ساذج ... إن الحديث الحق فى مثـل تلك اللحظات ، إنما تتبادله الأيدى أيها الجندى ، إن الألسنة لا تتحدث إلا حياء حتى لا يصرخ ذلك الصمت عاليا .

لوكـونوئيـه : إذن ، فقد عرفت الأصوات أيضا يا بروكليس .

بـروكـلـيـس : لوكونوئيه .. إننى لا ألغو بالحديث ، أقسم لك على ذلك ، إن العاشقين اللذين تواعدا مساء أمس على اللقاء فوق هذه الربوة هما الأمير الشرقى وفتاتنا الجميلة "إيبودامى" .

لوكـونوئيـه : وهكذا ، وهكذا يستيقظ اليوم جسد " إيبودامى" الراقد تحت سمع ميرتيلوس وبصره ، " ميرتيلوس " لقد ساعدتك بعد فوات الأوان .

مـــيلون : حسنا يا بروكليس ، إننا نصدقك . ولكن يجب أن تعترف بأن هذا لم يكن فى الحسبان . لعمرى ، ما كان ليخطر لى على بال يوما من الأيام ، أن هذا يمكن أن يقع .

لوكـونوئيـه : كانت لا تعبأ بحب الرجال كوثن لا يعبأ بالقرابين ، وكان الشقاء يحل بواسطتها دون أن يبدو عليها أنها تهتم لذلك ، لقد تبدَّل كل شىء . ماذا عسى أن يقع الآن ؟

المعـمـارى : لا تهاترى يا لوكونوئيه ، أتظنين أن شعور "إيبودامى" يمكن أن يهب خيول الفرجينى أجنحة تطير بها ، وأن خيول " ميرتيلوس " وقد أثارها مشهد غرام متبادل ، يمكن أن تثور على سيدها وتتحول عن المطاردة ؟ فسواء كان " بيلوبس " محبوبا أو لم يكن ، فسيموت بعد ثلاثة أيام ، وسيعود كل شىء إلى سابق عهده .

مـــيلون : إن يقينى فى ذلك أقل من يقينك ، فما دمنا قد رأينا "إيبودامى" عاشقة ، فلسوف نرى أيضا " أونوماءوس " مقهوراً ، ليس ثمة ما يمكن أن يثير دهشتى .

لوكـونوئيـه : إن قـواعـد اللعب ثابتـة ، ونهـاية كل دور معـروفـة ، قـوة "أونومـاءوس" بلا منازع وسلطان بيتـه بلا تزعزع ، ولكن غرام " إيبودامى " لم يكن من المتوقع حدوثه فى ظل هذا النظام الفظيع ، ولم يخـصص له فيه أى مكان ، وها هو ذا يعلن عن نفسه ، فمن يستطيع أن يخبرنا بما يحمل معه من حيلة وثبات ومن خيانة وعناد ؟ هاكم أول فرجـة فى درع " أونومـاءوس " الصلب ، أول صـدع فى مـدينة "أونومـاءوس" ، تدبروا هذا الأمـر ، ما إن يتـراءى للفتـاة أنهـا يمكن أن تحب ، حـتى تخـور قـوة الأب . ومن الآن فصاعدا ما من أمر يمكن ضمانه .

مـيـرتيلوس : لقـد فـزت بالـدور يا لوكـونوئيـه ، أردت رؤيتى مـهـانا ، محقَّرا أتوارى فى ركن ما حـاملا ذلك العار الذى أعددته لى . لقـد طبت الآن نفـسـا ، ولكن إذا كنت تأملين أن تحـوِّلى فشلى لصـالحك ، وأن تجـدينى فـريسـة مـثـخنة تستسلم مقدما لمواساتك الرقيقة ، فقد خاب ظنك ، فليس لدىَّ مـا أقـولـه لك ، ولن يكون لدىَّ مـا أقـولـه لك فى المستقبل .

جلوكـــوس : مـا مـن شىء يمكـن ضـمـانـه ، والآن يمكن أن نراهن ، كل ما فى حافظتى لصالح "أونوما ءوس" مساواة ، طبعا .

مـــــيلون : إننى لن أراهن الآن ... كلا .

أجاتوكراتيس: إننى لا أدرك قيمـة جيـاد الفرجينى ، ولكننى أعرف أن ميرتيلوس سيفوز بالسباق .

لوكونوئيه : لقد ساعدتك ، لقد أردت أن أساعدك ، فقد أحببتك أكثر من حبى نفسه . فلست أدرى من أين تأتت لى تلك القوة الخارقة التى جعلتنى أدفعك إلى امرأة أخرى معتقدة أننى قد أستطيع أن أرى من خلال ستار دموعى صورة "ميرتيلوس" السعيد . وإذا الوقت قد فات ، ولكننى لم أكن أدرى ذلك ، لم أكن أدرى ذلك . لقد كلفنى ذلك غاليا ، يا " ميرتيلوس " ، أليس من العدل أن يقابل ذلك بنظرة حنان ؟ إننى لا أنتظر حبك ، لا أنتظره منذ زمن بعيد ، ولكن ألا يمكننى أن أحصل على نصيبى ؟ ألا يحق لى أن أتوجه بدموعى إلى دموعك ؟ ولكن العالم يفتقر للحب ... العالم يفتقر للحب .

[يخرج ميرتيلوس دون أن يجيب]

آه .. إنه يحقد على .. إنه يحقد على .. أترانى أملك مجرد الشكوى من ذلك؟ إن هذا الجرح الذى أصابه إصابة قد أولول أنا منها ، ترى هل تمنيته له ؟ هل أرادته له لوكونوئيه ؟ كلا ، إن تضحيتى ليست مراءاة . إننى لم أسْعَ إلى فشلة ، لا ولم أبغ لنفسى ثأرا . لقد حاولت أن أضحى بنفسى فى سبيل إنقاذه . إننى لا أريد أن يشوب عذابى أى ابتهاج أبدا ، ولا أى شىء يشبه الابتهاج .

* * *

المشهد الثانى

[الأشخاص أنفسهم - أونوماءوس . إيبودامى]

[يظهر أونوماءوس وإيبودمى ، عند باب القصر]

أونوماءوس : ماذا يعنى هذا السكون فى أماكن العمل ، وهذه الثرثرة أمام بابى ، أيها المعمارى ؟

المعمارى : **(يتقدم)** هأنذا طوع أوامرك أيها الملك .

أونوماءوس : أوامرى ، أنت تعرفها ، هل أنت الذى أمرت بإيقاف العمل قبل منتصف النهار ؟

المعمارى : إن مناطق العمل فى الشمال خالية اليوم كلها ، ولكن لاضرر فى ذلك . فإن الفرق المعاونة التى قمت بتوزيعها على الأسوار قد تقدمت عربات النقل فى عملها ، فعلينا انتظار الأحجار .

أونوماءوس : ألم تقم بإبلاغ مهندس المحاجر بأنه يجب عليه أن يضاعف فرق العمال ؟

المعمارى : بلى، لقد أبلغته، ولقد حاول إرضاءكم، بيد أن دواب الحمل تعوزنا فى عمليات النقل . إن الحيوانات تنفق ، فإن المطلع مسرف فى وعورته ، والحرارة مفرطة فى شدتها ، ولم يعد فى " إليد " ثور واحد يمكن شراؤه .

أونوماءوس : إذا كانت الثيران تنقصكم ، فهناك الرجال ، فعليك بطلب خمسمائة عبد من المدينة . فما جدوى تقدم العمل فى

الأسوار ما دمنا بعد ذلك – لعدم وجود مواد البناء – نفقد الساعات التى انتزعتها من الزمن . فلتعاقب مهندس المحاجر !

المعماري : إنه لمهندس عظيم أيها الملك ، وليس فى مقدوره أن يعمل بسلطته منفردة على حل مشكلة النقل .

أونوماءوس : يجب أن يفعل ذلك ، إن الوسائل من اختصاصك أنت ، فليس عليَّ أن أبين كيف تنفذ أوامرى ؟ إننى آمر فقط .

المعماري : لقد استطعنا أن نتقدم عشرين يوما عن خطة العمل ، منذ نهاية الشتاء .

أونوماءوس : يجب أن تتقدموا أكثر من ذلك ، فيجب استغلال كل دقيقة وكل ذراع حتى ينتهى العمل . وعندما نفرغ من إحاطة " بيز " بحزام من الحجارة يفوق حجمه وروعته ومنعته ما عداه من الحصون ، عندئذ يمكننا أن نستريح. ابعث برجالك إلى مناطق العمل فى الجنوب ، فإن إمكانيات البناء متوفرة هناك ، وليستأنف العمل هنا صباح الغد ، بل الفجر ، ولا يتوقف أبدا .

المعماري : أمرك مطاع أيها الملك . تعالوا أنتم .

[يخرجون]

* * *

المشهد الثالث

إيبـــودامى : ما أشد ما يخشونك !

أونومـاءوس : إنهـم يخشـوننى ويشكرون لى هذه الخشية ويحبوننى .. إن الطغـاة الأغـبيـاء يقـولون إنه لا يعنيـهم أن يكونوا مكروهين مادام يخشى جانبهم . أما أنا فأرى أن الناس يحبـون الخشية وأنهم فقط عندما يكفون عـن الخشية يبدءون فى كره أولئك الذين كانوا يخشونهم .

إيبـــودامى : أمن الممكن إذن ألا يخشى جانبك ؟

أونومـاءوس : إن ولاء الشـعب لملكه ليس بالنسبـة للملك إلا دليل حظه ، فإن العطف الذى توليه الآلهة للملوك، إنما يستطيع الملوك أن يتـعـرفـوا فى نظرات شـعـوبهم أفـضل من قـراءته فى تنبؤات منجم مجامل أو فى أحشاء حيوان ميت . فعندما تتـحـول عنا حظوة الآلهـة ، يكفـينا لمعـرفـة ذلك أن نسـأل عينى أحد الجنود ، أو أحد العبيد ، كما يكفينا أن نثبت نظـرنا على سطـح مـستنقـع لكى نعـرف دون أن نرفع رءوسنا ، أن الشـمـس قـد أفلـت . إن حـب الشـعـوب يا "إيبودامى" لا يتـيسـر للملوك الطيبين ، وإنما للملوك السعداء، ولسوف أقرأ فى عيون شعبى أول تجعيدة تُخط فى سعادتى وفى قوتى كما تقرأ المرأة على سطح مرآتها أول تجعيدة تخط فى جمالها .. إن المرأة تدرك جيدا أن التجعيدة ، لا تنشأ فى المرآة ، وأنا أدرك ذلك أيضا .

إيبـــودامي : وماذا قرأت إذن فى عيونهم اليوم ؟

أونومـــاءوس : قـرأت فيهـا أن إرادتى هى أقـوى إرادة ، وأن ابنتى هى أجمل فتاة . وأن يدى لا تزال تقبض على الحربة فى ثبات بحيث إن الفرجينى سيموت بعد ثلاثة أيام .

إيبـــودامي : بعد ثلاثة أيام، يبدو لى أن عيون رعاياك تتعجل فتقول لك ما تعرف، وتتملق أمانيك، ترى هل عيناى أنا أيضا وديعتان؟

أونومـــاءوس : إننى لا أبحث فى عـينيك عن نفـسى ، وإنما أبحث عنك أنت . فهما يحفظان سرك جيدا . وربما كان هذا السر هو ما أحبه .

إيبـــودامي : ألا تقولان الآن شيئا ؟

أونومـــاءوس : لا شىء ، على ما يبدو لى مما ليس فى لغتهما المعتادة .

إيبـــودامي : لا شىء ؟ لا شىء حقـا ؟ أمن الممكن أن تكون عيناى اليوم هما عينا كل يوم ؟

أونومـــاءوس : ما هذه الحمَّى يا ابنتى العزيزة ؟ إننى لا أرى فيهما أية صورة .

إيبـــودامي : ربما كان ظلك يملؤهما ، ظلك الذى يحجب الشمس عنى؟

أونومـــاءوس : فلتحفظى لى هذا الجميل ، فهى قاسية حقود .

إيبـــودامي : أوليس ظلك كذلك ؟

أونومـــاءوس : إننى أريد أن تجديه رقيقا ، وأن يبلغ فيه وجهك منتهى تألقه . "إيبودامى"، هل أخبرك أحد الشبان الذين أتوا إلى " بيز " محاولين سلبك منى أنك جميلة ؟

إيبـــودامي : إنك لم تدع لهم وقتا ، ولكن ربما كانوا يفكرون فى ذلك .

أونومــاءوس : إننى أكره حتى أفكارهم ، وأود لو أقتل أفكارهم .

إيبــودامى : إذا صدقنا هاتف الآلهة، فإن أفكارهم هذه لا تطمع فقط فى ابنتك ، بل تطمع كذلك فى مملكتك ، وفى حياتك .

أونومــاءوس : أنت حياتى ومملكتى .

إيبــودامى : هاهى ذى جُملة رائعــة يا أبى ، جملة كان يروق لى أن أسمعها من رجل أحبه .

أونومــاءوس : ألا يروقك أن أقولها ؟

إيبــودامى : إننى أعلم جيدا إلى أى حد أنا ملك لك .

أونومــاءوس : أنت ثروتى ، أنت عقلى ، أنت ملكى .

إيبــودامى : هـذه الحـرارة لا طاقة لى بها ، فهـل تتكرم علىَّ بشىء لم أطلبه منك حتى الآن ؟

أونومــاءوس : تكلمى ، وسترضين نفسا .

إيبــودامى : إن قسوة الشمـس ترهقنــى ، وأتمنى لو لم أصحبك اليوم إلى مناطق العمل وأعود إلى حجرتى ، ائذن لى بهذه الراحة .

أونومــاءوس : هذا طلب لم أكن أتوقعه ، إن جولتنـا فى مناطـق العمل تستغرق ساعة بالكاد ، وأنت تضربين للعمال مثلا سيئا إذ ترفضين أن تقاسى للحظة واحدة ما يقاسونه طوال اليوم وهم يبذلون مجهودا مضنيا .

إيبــودامى : فلتمنحهم قسطا أوفر من الراحة .

أونومــاءوس : إن هذه المدينة مـدينتك يا "إيبـودامى" . ويسـوءنى أنك تنسينها .

إيبـــودامى : ما أمهر أونوماءوس فى فرض ما يهب ...

أونومـاءوس : إننى أحب أن تأتى معى .

إيبـــودامى : إننى أدرك ثقل أوْهَى رغباتـك ؟ ومـع ذلك فإنـه يحدث أن تصادف من يقاومها ، انظر ، إن حجارة المحاجر قد رفضت بالأمس أن تستجيب لها .

أونومـاءوس : إنك تخطئين فهم ما أقول ، فأنا لست الآن ملكا يصدر أوامره لأحد رعاياه، ولا أبا يطلب إلى ابنته تنفيذ أمر من الأوامر ، وإنما عطفى هو الذى يناجى عطفك .

إيبـــودامى : وهـو لا يتحـدث بلا جدوى ، سـأذهب معك إذن ، ولكن ألم يكن أولى بك ، بدل أن تتمنى أن أصاحبك أن تتمنى أن أجد فى مصاحبتك شيئًا من المتعة ؟ وفى هذا الأمر فإن الاستجابة إلى طلبك هذا الصباح أمر خارج عن إرادتى .

أونومـاءوس : ترانى أهنتك فى شىء ؟

إيبـــودامى : لقد عهدتك مستجيبا لأقل رغباتى شأنا ، وإن المعاملة التى ألقاها لهى أقرب إلى معاملة ملكة من معاملة ابنة ، تحمينى يدك القوية ، من جميع الأخطار، ولكن كيف يتسنى لى أن أكافئ عطفك الزائد بكل ما يستحق من حب ؟ إذا كان علىَّ أن ألمح وراء هذا العطف قوة لا تفتأ متأهبة للإكراه ، ومن جانبك أنت ، أية قيمة تعلقها على مبادرتى بإرضائك فى كل أمر ؟ إذا كان علىَّ أن أضع دائما قناعا باسما فوق وجه الطاعة المستسلم ؟ ولكن

ربما كان غاية ما تهوى هو أن تتصرف فيَّ وكأنني كنز تمتلكه ، وفي هذه الحال ، فيم تهمك أفكاري ؟ فحسبك أنني ملك لك ، وهذا أمر لا ترتاب فيه ، وإذا كان لابد فوق ذلك، إرضاء لك أن أصرخ لأقل إشارة منك، فأقول.. " إنني سعيدة ، سعيدة ، سعيدة " فلْتطب خاطرا ، فقد نفذت ما تريد .

أونوماءوس : لست أدري في أي أمر آذيتك يا " إيبودامي " ؟ ومع ذلك فتنبهي إليَّ أنني لم أغضب بدوري ، إن عطفي عليك يفوق كل حدود المعقول ، ولكنني لم أتعود هذه اللهجة الجديدة منك ولا من سواك .

إيبودامي : أرجوك يا والدي العزيز أن تغفر لي ما قلته الآن، فهو ليس إلا مهاترة فتاة عصبية أرهقتها الحرارة وأهاجتها ، وهي لا يمكن أن تعني شيئا إلا أنني في حاجة إلى لحظة من الراحة ، وشيء من الظل ومن السكون . اسمح لي بعدم مرافقتك هذا الصباح ، إنني أسأل حبك هذا الفضل ، حبك الذي أتجاوب معه بكل كياني .

أونوماءوس : كان يجب عليَّ ألا أسمح لك ، ولكنني لا أقبل أن أسيل دموعك بسبب كعنادك ، في موضوع بمثل هذه التفاهة ، سأنزل وحدي إلى مناطق العمل، لقد تغلبت عليَّ.

* * *

المشهد الرابع

[إيبودامى ثم بيلوبس]

[بعد لحظة انتظار ، تظهر إيبودامى لبيلوبس الذى يبدو للعيان من أعلى الربوة ، ويدخل بيلوبس]

إيبودامى : ظننت أننى لن أستطيع أن أفى بوعدى ، ظننت أننى لن أستطيع أن أتخلص منه ، ظننت أننى لن أراك أبدا .

بيلوبس : إيبودامى ، إننى لم أفز منك بغير لحظات خاطفة فى الظلام ، دقائق مسترقة من نومك ، قبلات عاجلة عمياء أطبعها على وجه لا أراه ، كلمات هامسة نتبادلها كلعينين يتآمران عند ركن حائط . لأول مرة ، هاأنت ذى أمامى فى النور ، إننى أحبك ، ولأول مرة أرى تلك التى أحبها .

إيبودامى : اسكت .. يا للآلهة .. هل خطر لى ببال أنه فى اللحظة التى سيقول لى فيها إنسان هذه الكلمة لأول مرة ، سأجد من الواجب أن أطلب إليه الصمت. إننى ما رجوتك أن تأتى هذا الصباح لكى تحدثنى عن حبك ، لا أريد أن تحدثنى عنه . إن عزيمتك يجب أن تؤازر عزيمتى ، لأنها لو قاومتها فلن يتسنى لى أن أدافع عن نفسى . إن الدقائق التى تمضى لا يمكن تعويضها ، فقد اشتريتها نظير جهد كبير ، لقد منحنى أبى إياها فى غضب

وارتيـاب وربما لا أستطيع أن أنتـزع منه غيـرها ، قـبل اليوم المـهول . بل لعلى لن أراك قبل ذلك اليـوم المهول .
إن الأمـر هذا الصـبـاح لا يتـعلق بحـبك ، وإنما يتـعلق بحياتك أو مماتك .

بـيـلـويـس : لا حياتى ولا مماتى أهم ما يشغلنى اليوم .

إيبـــودامى : أتوسـل إليك يا عزيـزى بيلويس .. أمن الممكـن أن تكون شـفـتـاى قـد مـست شـفـتـيك ولم أقل لك بعـد .. عـزيزى بيلويس ؟ لا تفرط فى وقتك ، إن هذه الكلمات التى قلتها لى الآن ربما تكون قد قلتها لنساء أخريات . وربما قيلت مجاملة لا خطر لها . وربما كانت جزءا من قاعدة اللعبة بين الرجل والمرأة ، أمـا أنا يا " بيلويس " ، فـأننى أسمعها لأول مرة ، ولم أسمع مثلها فى حياتى على الأقل صادرة عن رجل .

بـيـلـويـس : عن رجل ... ...

إيبـــودامى : عن رجل أجد لكلماته معنى ، إننى فى السادسة عشرة من عـمـرى يا بيلويس ، ولكن الغـسـالات اللائى يبلغن الخامسة عشرة واللاتى يعاكسهن الشبان فى قصب النهر ، أكثر منى إدراكا وأشد متعة . إننى أجمل بنات الإغريق ، ومع ذلك لم يقل لى إنسـان ، أحبك . لم يقلها لى أحد مثلك . إننى لا أعرف حتى ما إذا كنت أصدقك ، أو لا أصـدقك ، فـإن هذه الكلمـات تنسـاب فى كـيـانى كسـائل من نار ، آه .. كيف أرفض هذه النشـوة ؟ ولكن

لابد من ذلك ، لابد من ذلك ، فسيظهر أبى هنا قبل مضى ساعة من الزمن ، فنحن لا نملك ساعة من أجل إنقاذك .

بيلويس : إن التحديات التى أواجهها فى سبيلك يا " إيبودامى " تجعلنى أقبل على الموت مختارا ، لأننى لا أطيق الحياة دونك ، ولأننى إذا عشت فقد فقدتك.

إيبودامى : وإذا مت فقدتنى أيضا .

بيلويس : إذا مت فقدتك أيضا ، ولكننى لن أفقد حقى فى دموعك ، آه أيها الحبيب المجهول ، يا من أحبه قبل أن أراه ، أمن الممكن أنك لم تذرفى دمعة واحدة على أى ممن ماتوا قبلى ؟

إيبودامى : أعتقد أننى حيال تلك الجماهير البلهاء التى كانت تتدافع من حولنا ، فى هذه الاحتفالات الشنيعة ، تلك الجماهير التى كانت تتجمع حول المتصارعين الأبطال، حول حفلات العرس والعذاب ، أعتقد أننى لم أكن أبدى إلا وجه اللامبالاة ، إن شعورى الحقيقى قد لا أستطيع وصفه ، قد يكون غضبا مزدوجا ضد هاتين القوتين المتناضلتين اللتين تتنازعان شخصى دون رضائى ، فى لذة مزدوجة لضحية وجلاد ، لذة مزدوجة لامرأة تحمل معها حيثما حلت ثأرها وخضوعها .

بيلويس : حبيبتى ... انظرى إلى .

إيبودامى : إننى انظر إليك .

بيلوبس : لو أن الحظ خانني بعد ثلاثة أيام ، لو كانت جياد "أونوماءوس" أسرع من جيادي ، عندئذ ، في تلك اللحظة التي سأكون فيها مجرد هدف قريب أمام رأس الحرية ، سأبحث بالقرب مني عن هذه النظرة ، فإذا وجدتها فسيكون فيها عوض لحياتي .

إيبودامي : بيلوبس ، بيلوبس أيها العزيز القاسي ، ألم تفكر إذن فيما سأجدني مضطرة لرؤيته في اللحظة نفسها ؟ ألا تفكر إذن إلا في موتك ؟ ألا تفكر إلا في نفسك ؟ من أجلي أنا ، ألا تقبل الحياة ؟ ...

بيلوبس : كلا ، ليس دونك .

إيبودامي : بيلوبس ... أواه ... أمام عنادك القريب ، لم يعد هناك ما أستطيع أن أخفيه عنك يا بيلوبس، لماذا يكون ذلك دوني؟

بيلوبس : لماذا يكون ذلك دونك ؟ إن ما سمعته الآن ، ترى ، هل قلته فعلا ، هل حلمت به ؟

إيبودامي : إذا أخبرتك بأنني سأهرب أيضاً ، فهل تهرب ؟

بيلوس : إنك لا تستطيعين الهروب ، إنك تعرفين أن شبح "أونوماءوس" القوي وهو أقوى من الحراس ، ومن الأسوار ، يحتفظ بك أسيرة هنا .

إيبودامي : حتى الأمس ، حتى الليلة السابقة ، كنت يائسة ، ولكن هذا الصباح طلب مني " ميرتيلوس " أن يتحدث إليَّ .

بيلوبس : " ميرتيلوس " ، حوذي الملك " أونوماءوس " ؟

إيبـــودامى : ومن عليه أن يقود ضدك جياد " أونوماءوس" . إن الجياد لا تطيع سواه ، وهو يحبنى ، لقد أخبرنى بذلك ، فأنا أستطيع أن أستغل حبه لى . عليك بالرحيل . ولتلجأ إلى أى مكان يمكن أن تكون فيه آمنا ، ولسوف أغادر "بيز" فى صحبة " ميرتيلوس " فأكون قد تخلصت من هذه الجياد نفسها التى يعتمد عليها " أونوماءوس " فى حراستى ، سأفعل ذلك يا بيلوبس ، هذا عهد منى ، وأنا أعرف أنك تثق بى .

بيلـوبـس : أجل إننى أثق بك ، لماذا يتحتم علىَّ فى اللحظة نفسها التى أثق بك فيها ، وأدرك فيها أننى جدير فى نظرك باتخاذ أكثر القرارات شططا وأقلها عقلا ، وأجدنى فيها مبهورا أمام المصير الذى تصنعينه لى ، لماذا يتحتم على أن أقول لا ؟

إيبـــودامى : تقول إنك تحبنى ولا تضعنى على قدم المساواة مع مجدك البغيض ؟ ألم أكن لا أزال بعيدة عما أجسر عليه ؟ لقد قلتُ إننى سأهرب أنا أيضاً ، فهل إذا قلتُ إننى لن أهرب إلا للحاق بك ، فهل ترحل ؟

بيلـوبـس : لن أرحل .

إيبـــودامى : وإذا نطقتُ بهذه الكلمات التى لا يزال معناها غير محقق بالنسبة لى ، تلك الكلمات التى ربما كان لا يزال يُشك فى تمام صحتها منذ لحظة قصيرة ، والتى ستصبح الآن ، حالما أسمعها تخرج من فمى ، حقيقتى

الوحيدة ، حقيقتى الناهشة ... إذا قلتُ إن حياتك هى حياتى ، وإننى أموت إذا مت ، إذا قلت لك إننى أحبك ؟

بيلوبس : لا ينبغى فقط أن تخبرينى بذلك ، بل ينبغى أيضا أن أعرفه .

إيبودامى : فلتعرفه .

[يتناولها بين ذراعيه]

بيلوبس : إذن ، فأنا المنتصر ، حيا كنت أو ميتا ، فأنا المنتصر ، " إيبودامى " ... إننى أستطيع بعد ثلاثة أيام أن أواجه المعركة بقلب مطمئن، ما دمت قد فزت بها مقدما، مادمت قد اختطفتك مقدما ، كلانا لن يلحقه أذى . وحيث نكون معا ، معا ، معا ، حتى ولو كانت قوة إلهية تسرى فى أعضاء جياد "أونوماءوس" ، فلن يُلحق بنا أبدا . أيها الوجه الجميل ، كيف تغفر لى أننى رفضت أن ألبى ما تطلبه منى وأنت منى قريب؟ ومع ذلك، فاعلم أننى وأنت، حتى بالقرب منك ، وبخاصة بالقرب منك ، لا أستطيع أن أنشر فى الدنيا سمعة شائنة ، مجداً مهينا ، لا أستطيع أن أدثر " إيبودامى " فى عارى ، فى ثوب العرس الحزين ، لا أستطيع أن أصحبها إلى حجرة الزواج فى موكب تحفه صيحات الاستنكار ، أيتها الذراعان المحبوبتان ، أطلاقانى الآن ، فإننى لا أعرف كيف أدافع عن نفسى أمامكما .

إيبـــودامى : اطمـئن ، فستدعـك ذراعاى ، لقـد أدركتا الآن أنهمـا لن تقنعاك، مادام شيء لا يمكن أن يقنعك، وهأنذا أضعف أمامك وتقسو، وستفعل ما تريد ، ولو فعلت ما أريد أنا ، فـقـد ينقص حـبى لك ، فـانطلق إذن إلى هلاكك أيها الحبيب ، ولكن حذار ! إذا كان هذا طريقك ، فهو ليس طريقى ، إن مـا يفرضـه علىَّ وضعى كامرأة أن أمنعه ، يفرضه عليك وضعك كرجل أن تقدم عليه . إننى لا أسألك شيئا إلا أن تقبل الحياة إذا كانت " إيبودامى " هى التى تمنحها لك .

* * *

المشهد الخامس

[إيبودامى - بيلوبس - أونوماءوس - الجنود وبينهم جلوكوس]

[يدخل أونومـاءوس دون أن يُرى ، وإيبـودامى تنطق آخر كلامها]

أونومـاءوس : أيها الجنود ... كلا ... انتظروا أوامرى .

[يذهب نحو " إيبودامى " ، وينتظر أمامها فى صمت]

إيبـــودامى : مما لاشك فيه أنه يجب على أن أبرر موقفى. لا أتصور أنك تستقبح حديث ابنتك ، مع أمير طلبها للزواج ، علناً

ومنك أنت بالذات. فإذا كان من الممكن أن أصبح له زوجة بعد ثلاثة أيام ، أفليس من الممكن أن أتحدث معه الآن ؟

أونوماءوس : حتى صباح يوم السباق ، فهو بالنسبة لك غريب لا يحق لك أن تعرفيه ، إننى لا أمنح أى رجل حق الاقتراب منك ، طالما لم يفز منى بهذا الحق فى مباراة ملكية ، تبعًا للقواعد .

بيلوبس : أيها الملك أونوماءوس ، لا أحب أن أنسى هنا أننى ضيف عليك ، ولا أن ابنتك ملك لك . ومع ذلك فينبغى أن أخبرك بأنه إذا كان قد ارتكب خطأ ما . فإن شطره الأكبر يقع على عاتقى ، لأننى أنا الذى لمحت عند عبورى فوق هذه الربوة ، خطيبتى أثناء عودتها ، فأوقفتها لأتبادل معها حديثا عارضا .

أونوماءوس : إن القوانين المتبعة فى " بيز " تنص على أن أى مواطن فى المملكة ، وأى غريب عنها ، مهما كانت صفته ، يجب عليه عندما يستقبله الملك ، أن ينتظر ريثما يدعى للكلام .

بيلوبس : إننى أعتذر عن هذا الخطأ الجديد ، غير أنه لا يعزى إلا إلى نفاد صبرى. فقد نفد صبرى إذ رأيت وجه غضبك.

إيبودامى : بيلوبس ، لا تزد من غضبه ..

أونوماءوس : إنها لرغبة متهورة ، و لا يستطيع أن يكسب لصالحه أصول الكرم والضيافة من يسىء استغلالهما ، فيتحدى مضيفه . لقد حظيت هنا باستقبال رقيق ، وعوملتَ معاملة كريمة ، ولكننى أنا وحدى الذى أقرر ما تُولى من

رعاية ، وليس حقك . وأنت لا تعيش في هذه المدينة إلا إذا أردت أنا ذلك .

بيلوبس : لكي تحدثني بهذه اللهجة ، يجب أن أكون قد خالفت تعليماتك ، وهذا في الواقع أمر جائز ، ولكن لم يصلني منك مرسوم عند دخول "بيز" يخبرني بأن السلطة الأبوية تحجز على الفتيات أكثر مما يحبس النساء شكُّ أزواجهن الغُيرُ . إنني أعترف بأنني تحدثت مع ابنتك ، ولكن ليس بطريقة تمس شرفها ، وإنما في ساحة عامة ، وفي وضح النهار . فما هو القانون الذي يمنعني من ذلك ؟

أونوماءوس : إن إرادتي هي التي تسن القانون وتلغيه ، فكل أمر لا يروقني يعتبر جريمة ، وإن ما أتيته ليس محظورا لأنه لا ضرورة هناك لحظره ، فإن حدود الاحترام التي وضعتها حول بيتي لا تحتاج لحمايتها إلى حراس أو حواجز، وإن تحديها لعمل لا تريث فيه ، وكان عليك أن تدرك ذلك .

بيلوبس : كان عليَّ أن أدرك ذلك ، خصوصا وأنني حتى قبل أن أغادر وطني إليك كنت أعرف سمعتك .

أونوماءوس : أفأنت هنا لكي تشينها ؟؟

بيلوبس : إنني هنا لكي أقضي عليها .

أونوماءوس : حذار .. ففي استطاعتي ، لو شئت ذلك ، أن أسلبك حتى مجرد الفرصة لمحاولة ذلك ، إن المباراة القادمة بين خيولك وخيولي والتي تعطي لنفسك باسمها حقوقا ،

ليست إلا مِنَّة أتفضل بها عليك وأستطيع أن أستردها ، إنك تبدو واثقا من حظك . إنك بتهجمك عليَّ يمكن أن تجد نفسك محروما من مجرد الأمل فى الاشتراك فى هذه المباراة ، ما من شيء يفصل بين حياتك ومماتك فى هذه اللحظة إلا إشارة منى .

بيلوبس : فلتعط هذه الإشارة ، وبذلك يتأكد شعبك والشعوب الأخرى مما كانوا يرتابون فيه ، ويصرخون عاليا بما كانوا قد بدءوا يتهامسون به، من أن الأمراء الذين يأتون إلى " بيز " لا يتوافر لهم من جانبك أى ضمان من الضمانات التى تتوافر فى المباريات الملكية ، وأنك بدلا مما تدعيه من أنك تحتفظ بابنتك لأمهر وأجدر خطيب ، فإنك إنما تريد أن تصرف عنها إلى الأبد أى فرصة للزواج ، وأن تحول بينها وبين آمال الشباب من أجل إرضاء عطف مسرفٍ فى استبداده ، ويعلمون كذلك أنك قد بدأت ترتاب فى نتيجة مصارعة أنت الذى وضعت قواعدها مع ذلك لصالحك ، مادام قد بلغ بك الأمر أن تفضل عليها الاغتيال .

أونوماءوس : أخطأت يا بيلوبس ، لأنك ستموت قبل حلول الليل ، ودون أن ينال ذلك من مجدى ، فسيقام السباق الآن ، أيها الجنود .. أدركوا " ميرتيلوس " ، وانقلوا إليه مشيئتى ، لينزل إلى الحظائر وليتفقد حال الجياد ، وليسرجْ أسرع عجلاتى ، وليقدْها إلى بوابة الجنوب . وأبلغوا ضباط

الحرس بأن يقوموا بتعيين رجال يصرفون الناس عن نقطة بدء السباق ، وأن يُنزلوا فرسانا كافية إلى الطريق الشرقى لحراسة المفارق ، حتى إلى ما وراء أولمبيا . وليعلن المنادون فى المدينة وفى مناطق العمال توقف العمل حتى المساء ، وليكن الجميع على أهبة الاستعداد لحفل الغداء الذى سأتوجه إليه الآن ، ولتزين المدينة بأعلام آلهتها .

إيبودامى : (**بعد لحظة**) . ماذا تصنع ؟ ماذا يقول شعب " بيز " عن هذه السرعة التى لا تليق بالملوك ؟ إنك تنساق للغضب ، لا تتعجل .

أونوماءوس : إيبودامى ، إنما ينبغى أن أخشى بسببك أنت ، فإذا تراءى لك فى هذا الأمر ألا تقرِّى أوامرى بغير الصمت ، وإذا كان غضبى لا يروق لك ، فاعلمى أنك سببه ، وأن هذه الوجهة التى يتخذها هذا الغضب ، إنما هى آخر ورقة فى الحب الذى أكنه لك . بيلوبس ، لقد سمعت ما قلت ، فاعمل ما يلزم لكى تكون عجلتك بعد ساعة عند بوابة الجنوب مستعدة للسباق ، وإن القانون يجيز لك أن تنطلق على الطريق فى اللحظة التى تسمع فيها طبول الاحتفال . أما عملية المطاردة فإنها تبدأ حينما ينتهى الاحتفال ، ولسوف تجد إيبودامى فى مكان اللقاء . وعندئذ ستكون تحت سلطانك ، بعيدا عن أعين أبيها وسلطته . ستكون لك قدر ما تستطيع أن تحتفظ بها .

بـيـلـوبـس : قبلت يا أونوماءوس . وهكذا سنعرف هذا المساء أيهما
يحظى بعطف الآلهة : استبدادك أم حقى ، إننى ذاهب
وعلى الطريق الذى ستحاول أن تلحقنى فيه ، لا تنس أنه
ليس عليك أن تستردَّ منى " إيبودامى " فحسب ، فأنا
أيضا طالب مملكتك وخطيبها . وداعا . ولو حدث أن تلاقينا
وجها لوجه ، فإن أحد وجهينا لن يكون وجهَ حيٍّ .

* * *

الفصل الثالث

المشهد الأول
[إيبودامى - لوكونوئيه]

[تبدو " إيبودامى " فى ثياب فخمة استعدادا للحفل]

إيبـــودامى : لم يدع لى غير لحظة تهرب وتفرُّ منى لكى أخترع الشرك الذى أوقع فيه هذه القوة الغاشمة ، لكى أرجئ للحظة واحدة بأية وسيلة - نتيجة هذه الأوامر التى لا رادَّ لها ، والتى تدور الآن فى أركان المدينة الأربعة ولن تلبث أن تتوقف ، مقدمة علامات الموت إلى السماء ، لحظة واحدة لكى ألبى ذلك القدر الأعمى الذى استيقظ وبدأ مسيرته .. إننى ألوى بين هذه الأسوار ، لا أجدى فتيلا ، بلا حلول وبلا فكرة ، وكل لحظة تمضى من الزمن إنما تنزف من شرايين حبيبى ، آه .. أيتها القدرة البغيضة ، هل تدرين أنت نفسك قيمة هذه الأيام الثلاثة التى تحرمينى منها ؟
كانت هذه الأيام أمامى رحبة فسيحة كالسنين خصيبة بالحيل والمفاجآت ، وكنت أزينها بالأمل . ماذا عساى أن أصنع بمفردى فى لحظة واحدة ضد أبى ، وضد القانون

والدولة ، وضد عزيزى "بيلوبس" نفسه ؟ لقد وضع الموت أمامى العالم فى معسكره . حتى أفكارى ، وهى ملَجئى الوحيد ، ترتعد وتفلت من قبضتى ولا يمكن الإمساك بها. من يستطيع أن يعاوننى؟ من يستطيع أن يعاوننى؟ آه .. أيتها الصلوات .. يا شراب العشق ، يا أعشاب السحر.. آه .. يا حكمة الأصدقاء الناصحين ، آه أيتها الحظوظ التى تمنحها النجوم .. آه أيتها القوة التى حرمتها النساء .. آه يا يدىَّ الضعيفتين ، يدىَّ المسكينتين !

لوكونوئيه : لا يوجد هنا لمساعدتك إلاّ ضعف أوهى من ضعفك . فاستعينى على الأمل ، وإذا كان هناك أمل لك فلن تكشفى علامته إلا فى الهدوء ، فاهدئى، أتوسل إليك ، وأخبرينى بما أستطيع أن أصنع من أجلك .

إيبودامى : ما تستطيعين أن تصنعى من أجلى ؟ انتظرى .. أى حبى، أيها الإله الواحد الذى أتضرع إليه، إذا لم تمنحنى القدرة لكى أسيطر على أفكارى ، فسيلقى بيلوبس فى القبر الذى يبتلعه كما تبتلع الدوامة القارب . انتظرى .. إننى لا أستطيع أن أبتعد عن هذا المكان ، فلن يلبث أبى أن يخرج ، فيجب أن أحتجزه هنا، يجب أن أتوسل إليه ، يجب أن أوقظ الحنان فى قلب هذه الصخرة ، فى قلب هذه الشجرة العتيقة التى صيغت من الغرور والقسوة . سيكون الفشل نصيبى ، فبينما أنا أتضرع إلى إله الموت ليمنح الحياة لحبيبى ، فإن ميرتيلوس فى هذه اللحظة

يتنقل بين الحظائر ليعد ضد "بيلوبس" جيادا مريعة وعجلة لا تخيب ، "ميرتيلوس" الذى تحدث إلى صباح اليوم .. إنه يحبنى يا لوكونوئيه ، لقد أخبرنى بذلك ، سأخاطب حبه، فقد أستطيع أن أثنيه عن مقصده ، سأسرع إلى "ميرتيلوس" . ولكن ماذا أدرى عن "ميرتيلوس" إننى أعرفه منذ هذا الصباح ، وأعرف حب أبى منذ مولدى ، وفوق ذلك فلى مأخذ عليه هو أيضًا ، من الممكن أن تكون ثائرته قد هدأت ، وقد يلين إذا رأى وجهى . كلا ، إنه لن يلين ، فمن الحماقة أن نحاول المستحيل، ويجب مع ذلك أن نحاوله، يجب أن أبقى هنا ، يجب أن أذهب إلى "ميرتيلوس" ولكن إذا كان "ميرتيلوس" يحبنى فإنه يبغى موت "بيلوبس" أيضًا، فعلى أى النردين أقامر بهذه الحياة التى هى حياتى ، بهذا الدم الذى هو دمى ؟ آه .. إننى مقيدة إلى هذا الباب ، وأتمنى لو مزقت نصفين من نفسى ، لوكونوئيه أنقذينى .

لوكونوئيه : ماذا أفعل ؟

إيبودامى : إننى أنتظر أبى هنا ، سأحاول أن أثنيه عن قصده، أو على الأقل أن أؤخره، أما أنت فاذهبى إلى "ميرتيلوس"، واطلبى منه أن يتعجل أمره، وأن يأتينى فوق هذه الربوة قبل أن يذهب إلى ساحة السباق . أخبريه بأن "إيبودامى" تنتظره بمفردها ، أخبريه بأن "إيبودامى" يجب أن تتحدث إليه قبل المباراة، وأخبريه بأن حياة "إيبودامى" معلقة

بهذا الحديث . كلا ، فليس هذا كافيا ، أخبريه .. أخبريه بأنه لم يجرح إحساسى بسبب الشعور الذى أبداه لى صباح اليوم ، وبأنه إذا هرع إلى هنا لكى يعيد علىّ ما قاله لى ، فسيلقانى أقل استهجانا وأكثر قبولا .

لوكونوئيه : سأخبره فقط بأن "إيبودامى" تطلب منه المجىء ، فلا يلزم أكثر من ذلك .

إيبودامى : إننى أقدِّر ما تفعلينه من أجلى حق قدره يا لوكونوئيه .

لوكونوئيه : لست أدرى إذا أنا فعلت ذلك ، هل أخدم غرام "ميرتيلوس" أم غرامك ، أو إذا كنت بذلك آمل على الرغم منى ، أن أخدم غرامى ، ترانى أعمل من أجل بيلوبس ؟ أم من أجلى أنا ؟ إننى لا أريد أن أنزل إلى أعماق قلبى .

[يظهر أونوماءوس]

إيبودامى : انطلقى إلى " ميرتيلوس " وائتينى بجوابه .

المشهد الثانى

[يبدو أونوماءوس حاملا رمحه متهيئا للسباق]

أونوماءوس : إن موعد سعادتى يقترب ، لقد انطلقت الدابة ، فلتسرع ولتكسب مسافة ، إن هذا التقدم من الحياة الذى ستناله ، سيلذ لى أن ألتهمه بعد ذلك ، دورة عجلة بدورة

عجلة ، ثانية بثانية ، سيلذ لى أن أطويه فأجعله فى طول هذا الرمح ، إن الصيد لم يكن بهذه الروعة أبدا . ماذا تصنعين هنا أيتها الخطيبة الصغيرة ؟ إن الزوج الذى يبدو أنه يروق لك ينتظرك وهو يتحرق شوقا عند باب المدينة ، عند باب الموت .

إيبـــودامى : إن الوقت الذى قدرته له وأنت مسرف فى تقديرك ، لم ينقض تماما . ثم إننى فى حاجة إلى لحظة أخرى .

أونومـاءوس : إلى لحظة أخرى ؟ لا تعتقدى أنك عندما تؤخرين بداية المغامرة سوف تؤخرين نهايتها ، إنك إذا لم تكونى فوق عجلة " بيلوبس " عندما أعطى الإشارة ببدء الاحتفال أمام المعبد ، فأعلمى جيدا ، أن كل جُزَىء تضيعينه من الزمن سوف يخصم من رصيدك ، إن كل جُزَىء من الزمن سيمثل بالنسبة لسابيك العزيز نبضة قلب على الأقل ، هل تعتقدين أن أمامه حياة أطول من اللازم ؟

إيبـــودامى : إننى إذا كنت قد زدت من الخطر الذى يتهددها ، فذلك لانتظار مجيئك . وعندما أريد أن أزيده أكثر ، فلأن من الضرورى أن أتحدث إليك .

أونومـاءوس : ليس لدى وقت ولا رغبة للاستماع إليك .

إيبـــودامى : ربما كُنت استحق غضبك صباح اليوم ، فأخشى أن أستحقه أكثر إذا لم تستمع إلىَّ . أى مليكى ، أى أبى ، إن هذه الثورة العمياء لا تليق بمن هو واثق من انتصاره وحقه ، فإذا كنت لا تخشانى ، فهل تخشى نفسك ؟

أونومـــاءوس : مـا فى نفسى مكان لفكـرة أخـرى غير هذه . إن الرجل الذى تجاسر وطمع فيك ، وحاول خيانتى ، واستطاع أن يقترب منك بالإغراء وبالخدع ، هذا الرجل سيفر الآن أمامى كما يفر الوعل أمام كلاب الصيد ، إنه نصيبى وأنا قابض عليه لا محالة .

إيبـــودامى : إذن فـأنا لا أعد شيئـا فى نظرك ، وأتحمل العواقب فحسب .

أونومـــاءوس : إنك تسعين دون تبصر إلى استغلال عطفى عليك ، بعد أن أهنته إهانة شنيعة ، فدعينى أنصرف إلى مهمتى ، وسأستمع إليك هذا المساء .

إيبـــودامى : (دون أدنى انفعال ، وإنما بتصميم يائس) انتظر ! إذا كنت لا تبغضنى ، فانتظر . إنك لن تستمع إلى هذا المساء ، لأننى سأصبح أمامك خرساء إلى الأبد ، إذا لم أستطع أن أتحدث معك الآن .

أونومـــاءوس : خرساء إلى الأبد ... إيبودامى ...

إيبـــودامى : أقسم لك على ذلك .

أونومـــاءوس : ليكن .. تكلمى مادمت تريدين ، ولكننى أنذرك بألا يكون ذلك عن " بيلوبس " .

إيبـــودامى : ومع ذلك فإن الأمر يتصل به، أو بالأحرى يتصل بى أنا ، وبك أنت أيضا ، ليس لأننى أهتم به اهتماما يزعجك ، إننى أعترف بأننى نظرت إليه دون ضيق ، وأعترف بأننى سمحت له بأن يتحدث معى ، بل وأعترف بأنه

تبادل معى حديثا فى الحب ، وأعترف بأننا بذلك قد تعدينا على محرماتك ، ولكن ، هل تعتقد بأنه كان أول من حصل منى على مثل هذه الحظوة التافهة ، التافهة حقا بالمقارنة بحياته التى سيفقدها ، هل تعتقد بأنه كان أول من عصيتك من أجله ؟

أونوماءوس : هل استطعت ... أهكذا تجرؤين على تحدى أوامرى وخيانة ثقتى ؟؟ ألم تخافى إذ تعرضين شرفك لمؤامرات سيئة ، وتتبادلين أحاديث فى الخفاء وتمنحين الوعود ، وربما القبل أيضا ؟ هل استطعت بلا خوف ولا حياء أن تنحدرى إلى هذه الدرجة من السفاهة؟ كلا، إنك لم تفعلى ذلك ، إن ابنتى " إيبودامى " الشريفة الطاهرة ، التى ظلت عفيفة طيلة هذه السنوات السعيدة ، ليست اختراعا يرضى سذاجتى، أو وهما يصوره غبائى ، إن "إيبودامى" إنما هى حقيقة واقعة ، لا تحاولى تحويل غضبى عن هدفه الحقيقى إلى أطياف خيالية . فلا جدوى من أن تسفهى نفسك أو تسفهينى .

إيبودامى : أى والدى ، يا ذا الحذر الأعمى ! ويا ذا العطف الذى يغمض العينين أمام بسط الحقائق .. أمن الممكن أن تكون غير عالم بقلب الفتاة ؟ ألا تتصور ماذا يعنى بالنسبة لفتاة وجه رجل يقترب منها لكى يعبدها ويقهرها . إن كل أولئك الشبان الذين كنت تذهب لتقتلهم ، والذين قتلتهم ، إنما جاءوا إلى هنا من أجلى . ومن أجلى كانوا

يهبون حياتهم ، كانوا يهبوننى حياتهم ، كانوا يحبوننى . ولم ينالوا منى إلا ازدراء وسخرية. لم ينالوا منى إلا عدم اكتراث ؟ كانوا يحبوننى ولم أكن أبتسم لحبهم ، ولم أكن أخاطب حبهم ؟

أونوماءوس : لا تنطقى بلفظة الحب يا " إيبودامى" . فماذا تعلمين أنت عما تسمينه الحب ؟ هل ترين ؟ إننى أستمع لك . وأبذل مجهودا لكى أفهمك . لقد كانوا يتمنونك ، وكانوا يساعدونك على أن تدركى أنك جميلة . وكانوا بخاصة يقتربون من الموت ، أجل ، كانوا يقتربون من الموت . اعترفى بأنك إنما كنت تشفقين عليهم . اعترفى بأنك فقط إنما كنت تشفقين عليهم .

إيبودامى : إننى لم أشفق عليهم ، وإنما كنت أحبهم .

أونوماءوس : إنك لم تكونى تحبينهم .

إيبودامى : لقد حاولت أنا أيضا أن أطلق على ذلك شفقة ، ولكننى كنت أعلم فى قرارة نفسى أنها لم تكن التسمية الصحيحة . لقد أحببت الرغبة التى كانوا يسعون بها نحوى ، والشجاعة التى كانت لديهم من أجلى ، والعيون التى كانوا يتطلعون بها نحوى . لقد أحببتهم .

أونوماءوس : إنك لم تحبيهم ... إنك لا تحبين بيلوبس ...

إيبودامى : لقد أحببتهم ، وإننى أحب بيلوبس . ولسوف أحب من يأتى بعد بيلوبس . إن كل انتصار لك إنما هو ضربة فى صميم أملى الذى يتشبث بالحياة . وفى كل مرة أرى

فيها نصيبى ، نصيب المرأة ، هنائى ، هناء المرأة ، وقد صرعته حربتك ، يحتضر عند قدمى . فإذا كنت لا أقوى على الصراخ ، وإذا كنت لا أموت ، فإنما ذلك لأننى أعلم أنهم سوف يُبعثون . هل من الممكن ، هل من الممكن أنك لم تفكر فى ذلك أبداً ؟

أونومـاءوس : لم يكن من السهل كما تتصورين ألا أفكر فى ذلك .

إيبـــودامى : إن كل من يأتون إلى هنا لكى ينتزعونى منك ، أجد لهم الوجه نفسه ، وجه الرجل الذى أنتظره .

أونومـاءوس : وهـل تعتقدين إذن بأننى كنت أضربهم بمثل هذا الفرح وهذا الغضب إذا لم أكن أخشى ذلك ؟ آه ... لقد فعلت كل شىء لكى أطرد هذا الخوف من تفكيرى ، فلم يكن يبدو إلا فى حمية مطاردتى وحنق ضرباتى . كان خوفا صامتا ، وهأنت ذى تنزعين عنه الكمامة ، وها هو ذا يصرخ الآن .

إيبـــودامى : كانت هذه الكمامة كمامتى. وإن هذا الصراخ صراخى ، ولقد سمعته فى النهاية .

أونومـاءوس : وهكذا ينهار كل شىء . "إيبودامى" مليكتى البريئة ، التى كانت تشع فى سمائى أنقى ضياء وأبهى سنا ، لم تكن سوى أنثى فائرة ، تطلب المتعة ، وتتنسم متعة الرجال الكريهة . لقد كنت أكسوها بالأمجاد وأزينها بالممالك. كنت أمد من حولها يوما بعد يوم، رويدا رويدا ، أطراف مدينة أرويها بعرق عشرة آلاف من الرجال ، مدينة تنمو

كحصاد من الحجارة . كنت أصوغ لها بيدى مصيرا لا يقارن . أما هى ، عديمة الشعور ، العمياء ، فلم تكن تنتظر إلا معانقة حمقاء من رجل ، لم تكن تنتظر إلا أول قادم غبى .

إيبودامى : كنت أنتظر ذلك الذى سيمنحنى العالم . لقد منحتنى أنت كل شىء ، ما عدا العالم .

أونوماءوس : إنك لا تدركين أن هذا الذى تضعينه فوق كل شىء سيبدو لك فى يوم من الأيام شيئا تافها . إنك لا تدركين أن معانقة الرجل التى تحتفى بها الفتيات ويزينّها بذهب أحلامهن ، ليست إلا وهما وخداعا .

إيبودامى : إننى أدرك ثمن هباتك . وإننى لأرثى لك حتى البكاء إذ تراها تقابل بالازدراء. ولكن هذا الحب الكبير الذى أراد أن يهبنى حتى المستحيل ، لماذا كان يمنع عنى دائما ما هو ليس بفريد ولا بمنقطع النظير ؟؟ إننى لم أخلق من لحم يختلف عن لحم النساء جميعا . أى والدى المريع ... أى والدى العزيز ... إننى امرأة كغيرى من النساء .

لا تسقط من حسابك ما أحفظ لك من ود وعرفان ، وآلاف الساعات التى أمضيتها بالقرب منك . إننى لك بمقدار ما تكون الفتاة لأبيها . ولكن ليس أكثر من ذلك . فكما يطيب لى أن أكون ملكا لك ووثنك المعبود ، يجب أن تتصور أن هناك شخصا آخر يمكن أن يكون لى أنا ، يجب أن تتصور أنى أعيش . يجب أن تتصور أننى أرى

الأيام التى لا يمكن تعويضـها تنقضى يوما فى إثر يوم منذ سبع سنوات ، وأن كل فترة تنقضى من شبابى إنما يمهرها خطيب ميت ، وأن الأمل الذى لا يزال يلازمنى ، لن يلبث أن يبلغ حـدوده التى لا يتـجـاوزها ، ويدعنى وحدى أتابع الطريق . ترى أهذا ما أراده حبك لى ؟؟

أونومـاءوس : إن أملى ينهار، وكنزى يتناثر... كل شىء يكذبنى ويديننى، اسكتى ... اسكتى لحظة يا "إيبـودامى" . تفـضلى علىَّ بلحظة صمت ، إن فكرى يهرب منى . لقد فقد العالم ضـيـاءه ، ولن يكون للأيام الآتيـة من مـعنى إذا كنت تضيقين بى صدرا ، حتى الماضى يفقد بهاءه ، ويسقط ترابا من يدى. أواه !! ... مـــاذا تريدين إذن منى ؟ أن أسلمك ، أن أنمحى من حياتك ، أن أموت ؟

إيبـــودامى : ألا يمكنك دون أن تمـوت أن تعـدل عن إبقـائى سجينة حبك ، وعن خنقى تحت وطأة حبك ؟

أونومـاءوس : إنك تعرفين ما نبـِّئت به ، إنك تعرفـين أننى لا أستطيع أن أقبل حريتك إلا إذا قبلت نهاية سلطانى ونهاية حياتى. فإن الرجل الذى سينالك سينال منى كل شىء .

إيبـــودامى : آه ... لا تخش ذلك الهاتف الذى يكذب..! ولكنك لا تخشاه مطلقا . إنك تستشهد به لأنه الشىء الوحيد الذى يبرر مسلكك. إن ابنتك سجينة وتستغيث بك ، أفلا تخلصها ؟؟

أونومـاءوس : ماذا تريدين ؟

إيبـــودامي : إننى أسـألك ، أنت يا من غـمـرتنى بأثمن الهدايا وأندر العطايا ، أسـألك أحقـر وأردأ شىء فى الوجود ، أسـألك أن تضـع نهـاية لهـذه السنة البـربرية التى تقـضـى على بوحدة يغمرها الموت ، بشيخوخة يائسة . فلأكن لك ابنة كما تكون الفتيات الأخريات لآبائهن ، وليقدمنى حنانك يوما من الأيام ، ليس اليوم ، وإنما يوما من الأيام ، بين ذراعى حنان آخر ، فى زواج سعيد .

أونومـاءوس : هـاهو ذا إذن مـــا تطلبـه منى تلك التى لا أرفـض لهـا طلبا.. إنها تنتظر منى الحياة ، فعلى أنا أن أراها تبتعد عنى إلى الأبد يحـملهـا سـابٍ منتـصـر ، وهى نفـسـهـا منتصرة ، وأن أبقى وحيدا ، أو أن أستبقيها بالقرب منى مرغمة ، متمردة ، متجمدة ، تكرس حذقها وعنادها فى نسج مشاريع لا تنتهى بغية الهروب . ومع ذلك ، فلتبق ، فلتبق ... ليس بغضـها أفضل من غيابها ؟ هذا أو ذاك ، هذا هو الاختيار الذى تعرضـه علىّ، أن أفقدها أو أفقدها أيضا إن السـعادة الوحـيدة التى آمل أن أحصل عليـها منها هى أن أرى ، إذا أردت ذلك ، زهرة ابتسامة سعيدة تتفتح مرة على شفتيها .

إيبـــودامي : إننى أعـرف ، أعرف . إننى لسـت خـلوا من الإحسـاس والرحمـــة . فبأى حق أتهمك ؟ كيف كان يتسنى لك أن تدرك شقائى طالما كان يبدو علىَّ الرضا ، طالما كنت فى أغلـب الأحـيان راضيــة ؟ أما اليـــوم ، فقـد تكلمـت ،

ولا يمكنك أن تنسى أننى تكلمت ، فكيف وقد علمت ما علمت، يُمكن أن تستمر فى إقامة هذه الحراسة المميتة من حولى ؟؟ كيف يلذ لك أن تعذبنى؟ تخل عن هذا الصراع الذى لا رويَّة فيه مادمت قد تأكدت الآن أنك تشنه ضدى ، وأننى أنا التى أتلقى الضربات .

أونوماءوس : حسن ... علىَّ إذن أن أسعى إلى الهزيمة ، وأن أرضيك .

إيبودامى : وهل تريد رضائى ؟

أونوماءوس : وهل أردت فى حياتى شيئًا آخر ؟

إيبودامى : **(تسقط بين ذراعيه)** آه .. فليحببك الحظ إلى الأبد كما سأحب .

أونوماءوس : تريدين العفو عن " بيلوبس " ... تريدين أن تذهبى مع " بيلوبس " وتهجرينى ؟

إيبودامى : لا تعتقد يا والدى الحبيب أن "بيلوبس" يهمنى إلى هذا القدر . فاليوم ، لكى أضع حدا لصبرى الذى كان من الممكن أن يظل صامتا ، كان لابد من انفجار غضبك . فقد كدت أدعه يموت كما مات غيره ، ولكنك أرغمتنى على قطع هذا الصمت . ولقد تكلمتُ من أجلى وحدى ، فلتأمر فقط بالتنازل عن السباق ودع "بيلوبس" يعد إلى وطنه .

أونوماءوس : لا تكذبى ... إن "بيلوبس" يثير إعجابك ، وتريدينه زوجا .

إيبودامى : يثير إعجابى ...! إن رجلا جرح إحساسك ، ولو كان ذلك عفوا، لا يمكن أن يثير إعجابى تماما، أى والدى، لا شىء

الآن يتعجل فراقى لك ، دع هذا للزمن . فسيمكننى أن أنتظر إلى جوارك .
سيمكننى أن أنتظر فى سعادة . فلقد انتهى جزعى الطويل . وقد لا تكفينى حياتى كلها لكى أكافئك على الفرحة التى وهبتها لى اليوم .

أونومـاءوس : إيبودامى ، إن رقتك نفسها ليست إلا فيض هذه الفرحة، شطط هذه الفرحة . إننى لا أقبل أن تكافئينى على سعادتك بالشفقة . لا تترفقى بى لا تكذبى إنك تريدين "بيلوبس" ، إنك تريدين هذا الرجل .

إيبـودامى : آه ... أيمكن أن يكون كرمك قاسيا . لا تمنحنى ما يفوق دعواتى رحماك ... فأنا ضعيفة أمام عطاياك ...

أونومـاءوس : غاية الضعف ، أليس كذلك ؟ حتى إنك تقولين مرة أخرى : لا . وهكذا يتضح الآن كل شىء ، إنك تحبينه ، تحبينه كما لم تحبى فى حياتك . سعادة غير رحيمة ، نظرة تنبثق من الدموع ، ذراع ذهبية يرعشها الخوف مع الأمل . جسد يزدهر بالسعادة كما تزدهر الأرض بعد العاصفة، هذا هو كل ما يُقدم لبيلوبس، كل ما يوهب له ، إنك منعطفة تماما على بيلوبس يا إيبودامى ، ومداعبتك لا تداعب على وجهه إلا الثقة التى يمنحها لك وجهه ، وأن انفراج شفتيك عن وعدهما ، وارتفاع صدرك وانتشار شعرك ، كل هذا ليس لمصارحة بنوية ، وإنما لطقوس أخرى لا تعلمينها ، تلتهمك مقدما .

إيبــــودامى : مـاذا تقول ؟ مـاذا تريد أن تقـول ؟ فلتـهدأ أتوسل إليك . فإن صوتك يخيفنى ويديك تؤلماننى .

أونومــاءوس : آواه !! ... أيتها المجنونة ، مجنونة، مجنونة، لعمرى مجنونة، يا من جئت تلقين بين ذراعى من قبلات العرفان الخاطفة ، من قبلات الوداع، كل ما يفلت منهما الآن ، كل ما تسلبينهما الآن ، يا من تريدين أن أفكهمـا من حـولك ، لماذا دنوت منى هكذا مـادمت لا تريدين أن تكونى لى . مـادمت قـد أصبحت له ؟ أنك له ، أليس هذا صحيحا ؟ تُرى هذا الجسد الذى خرج منى ، هذا الشعر الذى فى لون النور والذى لا يزال يحتفظ على وجنتيك برقة شعرك إذ كنت طفلة ، ورقة هذا الجيد تحت الأنامل ، وكل هذا الجمال ، ترى أيُسلب منى كل هذا ليُعطى لشخصٍ آخر ؟ ترى ، هذه الصورة الجديرة بالخلود التى تبدو فى صورة فانية ، أيمكن أن تُجرد من حليتها السامية ، أيمكن أن تعرى وتترك نهبا للسلب ، لضمة دنسة من شخص لا تعرفينه ؟ ألا يجب منع ذلك ؟ ألا يجب عقاب ذلك ؟

إيبــــودامى : أى شيطان ركبك ، وأى هذيان هذا ؟ فمنذ لحظة وجيزة كنت طيبا ، ومصيبا ، كنت تحبنى .

أونومــاءوس : كنت غـبـيـا ، كـنت جـبـانا . كـنت أجـرد نفسى مـن سعادتى ومجدى بتأثير بضعة دموع تافهة لن تلبثى أن تنسيها غدا ، كنت واثقة أنك ستهجريننى ، كنت تريدين أن تهجرينى ، كنت تنتشين من السعادة لفكرة هجرى .

كنت أحس سعادتك تسرى فى جسدك الذى راح يتجمد
الآن ويحاول الخلاص من يدى ، كما يحاول الصيد أن
يتخلص من الشباك . لقد فرحت مبكرا أكثر مما ينبغى .
فإن كان "بيلوبس" يريدك ، فليأت لكى يأخذك . إنك لى .
إنك لى .

[تدخل لوكونوئيه] .

إيبــــودامى : لقد سخرت منى . أوقعتنى فى الشرك وتعتقد أنك
ستحتفظ بصيدك . آه ... دعنى ، دعنى ، فإن يديك
ترعباننى .

[يرخى يديه اللتين تضمانها وتنتزع نفسها منه]

أونومـــاءوس : إنك أنت التى أردت أن تقيدى ذراعى ، ولم يكن حنانك
إلا تدبيرا. ولكننى استعدت بصيرتى وقوتى. لن تنتصرى
طويلا. سأختبر قوتى بقوة "بيلوبس"، ولكى أضاعف قوتى
عند تحطيم قوته، سأتذكر جسدك ووجهك، عندما كنت ،
وأنت بين ذراعى ، تعتقدين أنك تحت ضغط ذراعيه .
أجل ، لقد خسرتُ الدور وقضى علىّ بالسجن الأبدى ،

إيبــــودامى : وستقتل الرجل الذى أحبه ، ولكن على الأقل ، فسيكون
كل شىء بينى وبينك واضحا منذ الآن . ولقد أجبرتك على
خلع القناع، فلا تحاول بعد ذلك أن تضعه من جديد.

أونومـــاءوس : ماذا تقصدين ؟

إيبــــودامى : أقصد أنك فقدت الآن قدرتك على إخفاء رغبتك المنحرفة.
لحظة واحدة بصرّتْنى . حسنا .. هاأنذا أمامك ، فانقض

عليَّ، فأنت تستطيع ذلك واضربني ولكن ليس الضرب هو ما تبغي، أليس كذلك؟ لتكشف أخيرا عن حقيقة نفسك .

أونومـاءوس : لقد فقدت صوابك ...

إيبـــودامي : إنني لا أشعر نحوك باحترام ولا بخشية. وتستطيع أن تقتلني بكل نظرتك، بهذه النظرة الطويلة الثقيلة التي تنبعث منها حرارة لا يمكن الإقرار بها ، تلك النظرة التي أحس فيها بخطر مهول ، يتربص بي، إن جسدي نفسه يعرف معناه ويقشعر أمامه. إنني أراك على حقيقتك. فلتجرؤ وانظر إلى نفسك. تجرأ وسمِّ حبك باسمه، تجرأ وانطق به...

أونومـاءوس : سأعرف كيف ألزمك الصمت .

إيبـــودامي : أجل ، إنما هو الصمت ما تبغيه عاطفتك . ولكن لن يكون هناك صمت في " بيز " إلى الأبد . لا لها ولا لك . فهذه الحقيقة التي ترتعد أمامها أيها الملك المتكبر ، أيها الملك الذي لا يقهر ، سأصرخ بها في وجهك حتى يحين أجلي. ولسوف تدوِّي في أركان المملكة الأربعة ، وسترجعها إليك كل الأصداء . ولن تسمع غيرها .

أونومـاءوس : إيبودامي ... إنك تعتقدين بتحديك لغضبي أنك تحولينه عمن تريدين إنقاذه، ولكنني أعرف كيف أعاقبك ، وإنما إلى عقابك أسعى الآن .

إيبـــودامي : ستلحق بعجلة " بيلوبس " . وستقتل " بيلوبس " ، ولكن الحقيقة قد أفلتت . ولا تستطيع جياد " ميرتيلوس " أن تلحق بالحقيقة ، وأنت لا تستطيع أن تقتل الحقيقة .

ستجد نفسك مكرها لأن تعيش بصحبتها ، وستجد نفسك مكرها لأن تعيش فيها ، لأننى سأعرف كيف أجعلك تعيش فيها . وداعا ... انطلق لتأخذ بثأرك ، ولتطلع علىَّ بعد ذلك بغيضا إلىَّ ، بغضا مضاعفا بسبب انتصارك وغرامك . وأنت تعرف ماذا ينتظرك ، فإذا أردت أن تحب البغضاء فأحبنى .

[ينطلق أونوماءوس قبل أن تتمم حديثها]

* * *

المشهد الثالث

إيبـــودامى : سيقتَل . شد ما يلذ له القتل .. لوكونوئيه . هل استجاب لك " ميرتيلوس "؟ هل سيأتى ؟

لوكـونوئيـه : إنه آت يا " إيبـودامى " . لم أجـد صعـوبة فى إقناعـه بالمجىء . لقـد حملت إليه نداء منك .

إيبـــودامى : إنه آت ، يحمل لى آخر قبس فى نصيبى . أفترانى أحتـفظ بنَفَسٍ كافٍ لإذكـائه ؟ آه ! ... أى ذلك الأمل الضعيف العنيد ، هل ستجد القوة لإلهاب ذلك الجسد الذى يفنى؟ أى ذلك الإغراء الحلو باليأس والبكاء، والنوم، يجب أن أستمر فى مقاومتك واقفة، يجب أن أظل واقفة . هل رأيت أبى يا " لوكونوئيه " هل أدركت موقفه ؟ سنوات كاملة من ورائى تتضح معالمها الآن ، سنوات كاملة

مسمومة . "ميرتيلوس" هل أنت متأكدة من أنه سيأتى ؟
هل أقسم لك على ذلك ؟

لوكونوئيه : إنه آت لأنك تنادينه. إنه آت لأنه عرف أن الساعة قد حلت، الساعة التى لا يُرجأ فيها شيء ولا يؤخَّر ، لقد نطقت الآن بكلمة الحقيقة يا "إيبودامى" إن الحقيقة تحرق العالم من حولنا. ولقد اكتملت حلقاتها ولم يعد ثمة مكان للشك، ولا للهرب ، ولا للتردد . إنه آت . لأن كل شيء يجب أن يتقرر الآن . لقد اعترفوا لك جميعا : فجزع "إيبودامى" وثورتها ، كانا وراء حجاب تمزق باسم "بيلوبس" . وحب " ميرتيلوس " كان وراء حجاب فأصبح يبهر أبصارنا ، وغرام " أونوماءوس " كان خافيا على "أونوماءوس " نفسه ، فأصبح من المحتم أن ينظر إليه بعينين مفتوحتين . كنتم جميعا تسيرون فى ظل أسراركم بخطى مسترقة ، وهأنتم أولاء فى الذهول . وقد تجردتم من كل شيء ، وأُنْفِذتُم فى ضوء الصاعقة ، ولا تزالون أنتم الأربعة واقفين ، ومع ذلك فقد انفجرت الصاعقة ، وخلال هذه اللحظة التى يستغرقها الضوء فقط ، فإن الموتى ، الذين لم يجدوا وقتا كافيا للرقود ، يحتفظون بمظهر الأحياء ... إنه آت . هاهو ذا .

إيبودامى : دعينا .

* * *

المشهد الرابع

[إيبودامى - ميرتيلوس]

إيبـــودامى : ميرتيلوس ، لقد جئت إذن .

مـيـرتيلوس : وهكـذا ترسل إيبودامى فى طلب "ميرتيلوس" ، وتنتظره ، وتندفع نحـوه فى شوق العاشقة . ألستُ أهلاً للصدِّ إذن؟ ألستُ محتقرا ؟ وهذه النظرة التى كانت تنفذ من خلالى دون أن ترانى أدركت أن جسدى كثيف غير شفاف ، وهذا العجب الجليدى يذوب لمجرد القرب منى ، وهاتان اليدان تمسكان بيدى ، ينبغى لى أن أسعد لشقائك يا "إيبودامى" ، مادام شقاؤك وحده يمكن أن يجعلك فى حاجة إلىَّ ، فما حاجتك ؟ فإن الوقت يمضى حثيثا بالنسبة لك أكثر منه بالنسبة لى .

إيبـــودامى : إن الوقت يمضى حثيثا أكثر مما تتصور يا " ميرتيلوس " إن جيادك وجياد " بيلوبس " لم تتحرك بعد . ولكن جياد القدر قد بدأت شوطها ، إنها تنقض علينا ، إنها مائلة .

مـيـرتيلوس : لم هذا الشرود ، وهاتان اليدان المرتعدتان ؟ تكلمى فإن إشارة الطبول لن تلبث بعد لحظة أن تعطى "بيلوبس" الحق فى الاستيلاء عليك والفرار بك . وكان يجب أن تكونى إلى جواره الآن .

إيبـــودامى : مـاذا أقول ؟ أوه . مـاذا أقول ؟ إننى على وشك أن أنهار من الضنى والحمى ، يلاحـقنى عـدو الزمن . يجب أن أبحث عندك يا "ميرتيلوس" عن أعجب وأغرب عون .

مـيـرتيلوس : ماذا تطلبين منى بعد أن رفضت أن تهبينى الحياة ؟

إيبـــودامى : إننى لم أصد "ميرتيلوس" ، ولكننى صددت رجلا من بين الرجال ، والآن أنا فى حاجة إلى إخلاص " ميرتيلوس " ، وربما ...

مـيـرتيلوس : وربمـا ؟

إيبـــودامى : وربما إلى حبه .

مـيـرتيلوس : إلى حبى ؟ ما هـذه السـعادة ؟ ما هذا الشـرك ؟ ما هذا الأمل الذى تمنحـينه لى أغلى من كنوز الأرض . ومع كل فإننى أنصت لك .

إيبـــودامى : ميرتيلوس . هل أنت مسـتعد لأن تعيـد علىَّ ما قلتـه لى صباح اليوم . ميرتيلوس ، هل تحبنى ؟؟

مـيـرتيلوس : لقد شاهدتْ صبرى الطويل ونفـاد صبرى ، وارتعدت لهوسى وجنـونى ، وتقـرأ الآن عـذابى فـوق وجـهى ، ثم تسألنى إذا كنت أحبها .

إيبـــودامى : انظر إلام صبرت ، إننى فى حاجة إلى سماعك تبوح لى بحبك .

مـيـرتيلوس : إننى أحبك . وأبغض ما عداك ، وأسير من أجلك فى دغل من الأشواك .

إيبـــودامى : إذا كنت تحبنى ، فأنقذنى .

مـيـرتيلوس : أنقذك ؟ ممن أنقذك ؟؟

[الطبول تدق]

إيبـــودامى : ممن إذن، إن لم يكن من ذلك الذى يجور علىَّ؟ إن لم يكن من ذلك الذى تحجب كتفاه الثقيلتان عنى نور الدنيا؟ من ذلك الذى لا أستطيع حتى أن أدعوه أبى... من أونوماءوس . لقد بدأ الحفل . فكل لحظة أنفقها معك منذ الآن ، فإننى آخذها من آخر فرصة لى فى الحرية . "ميرتيلوس" ... باسم الحب، تصرف بحيث لا تلحق بى جياد أونوماءوس.

مـيـرتيلوس : آه ... هاهو ذا ما تنتظرينـه منى ... ما أغبانى من طفل لم أدرك لعبـتك مبكرا . إن " بيلوبس " هو من تريدين إنقاذه ، إنه بيلوبس الذى تطلبين منى إنقاذه .

إيبـــودامى : إنه ليس " بيلوبس " ...

مـيـرتيلوس : أتظنين إذن أننى غبى أعمى ؟ إن الإشاعة التى تملأ المدينة قد بلغتنى . يقولون إن " بيلوبس " قد استطاع أن يثير إعجابك . وأنك تريدين أن تفرى معه ، وتريدين أن أساعدك على ذلك . كلا يا " إيبودامى " لن تجعلى منى شريكا فى مؤامرة تحاك ضدى ، " بيلوبس " يطمع فيك ؟ إذن فأنا أبغى موته . و " بيلوبس " يثير إعجابك ؟ إذن فأنا أبغى موته مضاعفا . إننى حليف " أونوماءوس " ضد كل من يحاولون انتزاعك من " بيز " ، والذهاب بك بعيدا عنى . و" أونوماءوس " يحرسك . فأنا أحرسك .

إيبـــودامى : وماذا عساك أن تأمل ، مادمت تحت سلطانه ؟

مـيـرتيلوس : لا شىء منـه ، ولا منك ، هذا أمر أكيد . ولكنك وأنت تحت سلطانه ، على الأقل تكونين قريبة منى . إن وجودك هو الهواء الذى أتنفسه ، فإذا رحلت اختنقت . فطالما أننى هنا ، فإنك تعينينى على العذاب ، مادمت هنا ، ومادمت فى شقاء . إننى لا أريد بعدك . إننى لا أريد سعادتك .

إيبـــودامى : إن الأمل يفلت من بين أصـابعى كـرمـال الزمن . إن الإرهاق يحطمنى ولم يعد جسدى يطيعنى ، وراح عقلى يتحسس الكلمات الواضحة كما يفعل الأعمى فى وضح النهار. الإدراك، لحظة أخرى أواه ... لو أن إلهًا فى مكان ما ، ألقى نظرة عطف على كرب الناس ، أفلا يعيننى على اجتلاء الحقيقة ؟ ... اسمع يا "ميرتيلوس" .

مـيـرتيلوس : إننى أستمع .

إيبـــودامى : إننى لا أطلب منك أن تقدمنى "لبيلوبس" . إن هروبى من "أونوماءوس" يتوقف عليك دون أن أسلّم لشخص آخر .

مـيـرتيلوس : وضحى ما تقولين .

إيبـــودامى : سأقول لك إذن ما لا تريد أن تفهمه، إننى بهروبى مع بيلوبس، بهروبى من "بيز"، إنما أهرب من طغيان أونوماءوس.

مـيـرتيلوس : أتطلبين منى ... أتطلبين منى أن أقتله ؟

إيبـــودامى : سواء انتصر " بيلوبس " أو انهزم ، فلن أعود هذا المساء إلى " بيز " إلا إذا كان " أونوماءوس " لا يحكمها، إلا إذا كان " أونوماءوس " لا يعيش فيها .

ميرتيلوس : أتجندينني ضد أبيك ، ضد سيدى ؟ أما من حدود للجرائم التى يمكن أن يتفتق عنها ذهن الإنسان ؟

إيبودامى : لا يا " ميرتيلوس " ، لقد حدثنى أبى منذ قليل ، لأول مرة بصراحة غير معقولة ، إن أبى يحبنى ، ليس كابنته . هل فهمت الآن ؟

ميرتيلوس : أبوك ... إننى لا أستطيع أن أصدقك ؟

إيبودامى : إن الذى أدفعك لنزاله ليس أبى ... إنما هو غريمك – إنه أخطر غريم لك.

ميرتيلوس : إذا كنت تقولين الحق ... ولكن كلا ، إنك تسخرين من "ميرتيلوس" الساذج. إنك تريدين التغرير بى واستغلالى ، إنك تتهمين ولا تقدمين البراهين .

إيبودامى : أى برهان أقدم ؟ بأى إله أقسم ؟ ... ولكن اسمع . لقد عجبت لدى وصولك لاضطرابى وارتباكى ... فأعلم إذن سبب ذلك . لقد جُن جنونه فانقض على وراحت يداه تمزقان جسدى ، يداه اللتان لا تطاقان ، ولا تزال أظفاره فوق كتفى . انظر ... أجل ، انظر ... **(تكشف له عن كتفها)**

جلوكوس : (مواصلا) ... أيتها الأميرة ، إن الشاب الأجنبى يرسلنى إليك . إنه قلق للغاية بسبب تأخرك . وهو قد أمرنى أن أقول لك إن هذا التأخر يعرض حظه لخطر فادح . وهو الآن فوق عجلته ممسك بالزمام ، ويرجوك أن تلحقى به بأقصى سرعة عند بوابة الجنوب .

إيبـــودامى : إننى راحلة أيها الجندى .. إننى راحلة . اذهب وقل له إننى سأكون إلى جواره بعد لحظة ، اذهب وقل له ... اذهب (**يبتعد جلوكوس ولكنه يبقى مختفيا فى ركن من أركان المسرح**) . أى ميرتيلوس ... " ميرتيلوس " .. لن يستطيع أى شىء أن ينتزعنى من هذا المكان قبل أن أتمكن من فتح عينيك . هل عرفت الآن أننى أنا التى يجب أن تُنقذ ؟

مـيـرتيلوس : أقتله... أقتله فى سعادة... آه... إذا لم تكونى تكذبين علىَّ... ولكن كيف أطيعك ، وإذا أطلعتك ، فإنما أقدمك لبيلوبس.

إيبـــودامى : إن أبى هو الذى ارتبط بالعهد مع بيلوبس ، ولست أنا . فإذا أطعتنى ، فلن يستطيع أحد أن يكرهنى هذا المساء. فسأكون ملكة ، سأكون حرة .

مـيـرتيلوس : حرة فى اختيار من تحبين ، وهو لست أنا .

إيبـــودامى : لا تحط من قدر حظك . فأنت هنا لكى تنازعه . أنت أيها الرجل الذى سينقذنى من عار يفوق كل الحدود . ستكون بالنسبة لى متدثرا فى عباءة أبهى من عباءة أى ملك . ستكون متدثرا فى عظمة حبك .

مـيـرتيلوس : إنك تقولين ذلك ، وقد تكونين الآن مؤمنة به . ولكن لن تكونى مؤمنة به فى هذا المساء ، بل ستضحكين منى وأنت بين ذراعى " بيلوبس "

إيبـــودامى : إنك إنما تشك فى نفسك أنت يا ميرتيلوس . حذار . لا تنتظر منى أن أفضلك على غريمك إذا كنت أنت

لا تفضل نفسك عليه ، أيها الجبان ... أيتها النفس الوضيعة ... لقد اتضح لى جيدا أننى كنت مخطئة عندما اعتقدت ، ربما عندما أملت أن رجلا ظلوا طويلا يستخدمونه فى أعمال العبيد، يمكن أن يصبح جديرا بى.

ميرتيلوس : أملت ، هل قلت ذلك ؟ هل يمكن أن تأملى ؟

إيبودامى : ما أهمية ما قلت ، مادامت ليست لديك الجرأة الكافية على نيلى ولا على استحقاقى؟ وبينما أتفانى فى الحصول من هذا على برهان حبه، ذلك البرهان الذى قد يسمح لى بأن أحبه ، يضحى رجل آخر فى سبيلى بآخر أمل له فى الحياة . غفرانك " بيلوبس " ، وأنت يا ميرتيلوس وداعا .

ميرتيلوس : انتظرى ، يا " إيبودامى " ، إننى أعتقد ... أعتقد أن باستطاعتى أن أنقذك دون جريمة ، فدعى السباق يتم ، ودعى أونوماءوس ينتصر . فغدا سأهرب معك .

إيبودامى : غدا لن يكون هناك وقت ... فلقد شعرت بقوة "أونوماءوس" تحطم صدرى . لقد اعتصرتنى رغبته عن كثب كما لم تعتصرنى رغبة أى رجل آخر . إذا كان هذا هو كل ما تستطيع أن تقدمه لى ، فإننى راحلة .

ميرتيلوس : يجب علىَّ إذن ... ولكن ماذا يجب أن أفعل ؟

إيبودامى : لم يكن يحبنى ... فلماذا اعتقد بأنه يحبنى ؟ لماذا طاب لى أن أعتقد ذلك ، لم يكن يحبنى ؟ **(تبكى)**

ميرتيلوس : أتبكين ؟ ... أمن الممكن أن تبكى ؟ كلا ، إننى لا أستطيع أن أضيف إلى شقائى شقاء آخر ، وهو شكك فى حبى .

إذا حميتك من "أونوماءوس" بعد السباق يا "إيبودامى" ،
إذا جابهته هذا المساء ، فهل تصدقيننى ؟

إيبـــودامى : كلا ، يا " ميرتيلوس " .

مـيـرتيلوس : فإذا مت ، تصدقيننى ؟

إيبـــودامى : كلا ، أصدقك ، إذا أنقذتنى . وإذا أنقذتنى ، أستطيع أن أحبك .

مـيـرتيلوس : أتقولين تستطيعين أن تحبينى ؟ وتطلبين منى ، لكى يكون لى فقط حق الأمل ، تطلبين منى أشنع برهان . ولكن أى برهان تقدمين أنت لى ؟ ماذا يجعلنى أثق فى قولك ؟

لوكـونوئيـة : (**مواصلة**) ماذا تصنعين يا إيبودامى ، لقد أريقت دماء الفدية ، ولن يلبث الاحتفال أن ينفض ، ولقد خسرت الآن نصف المسافة التى تتقدمين بها . فلترحلى .

إيبـــودامى : أوه أيتها الدقائق ، أيتها الدقائق اللحوح ... دعينى يا لوكونوئيه ... دعينى . هل تسمح يا ميرتيلوس؟ إن كهنة أونوماءوس يطلبون إجابة السماء . وعلينا أن نقدمها لهم . تسألنى برهانا . وأنا لا أملك لك غير برهان واحد. إذا أردته ، حصلت عليه . إننى لا أستطيع أن أقسم لك على حبى، لأن الشك يكتنفه ، وهو لا يطيعنى ، ولكن جسدى يطيعنى . فهو لك هذا المساء إذا فعلت ما أريد . لقد أردت أن أقول ذلك ، وكنت ، وكنت أفضل لو أنك

أدركت وعدى فى صمت .

ميـرتيلوس : توافقين على أن تكونى لى ، دون أن تعرفى ...

إيبــودامى : دون أن أعرف ما إذا كنت أحبك ، فإذا أقبلت نحوك هذا المسـاء دون أن أنطق بالكلمـة التى تنتظرها فـلا تسلنى بالقـول . فـإن جسدى وحده هو الذى سيـجـيبك ، أجل سيجيبك . والآن هل أنت راض ؟

ميـرتيلوس : إننى راضٍ إذا حصلت منك على اليمين .

إيبــودامى : لك منى اليمين يا ميرتيلوس .

ميـرتيلوس : هذا المساء ستنالين خلاصك .

إيبــودامى : هذا المساء سأكون لك يا ميرتيلوس .

ميـرتيلوس : ولقد قبلت الصفقة .

إيبــودامى : ماذا تنوى أن تفعل ؟

ميـرتيلوس : لا تقلقـى . كل شـىء بسـيط . انتـصـرى أيتـهـا الأمـيـرة "إيبودامى" . إن شجرة الملك العتيقة سوف تسقط ، وفى هذا المسـاء سـترقـدين بغـيا وقـاتلة أبيـها ، فـى مـضـجـع الخائن ميرتيلوس ، لكى تمنحيه مكافأة . كـان يجب علىَّ أن ألعن الآلهـة التى تسـتـجـيب لى ، ومـع ذلك ، فـإننى أشكرها ، وإذا شـعـرت فى جـسـدك هذا المسـاء ببـرودة وثورة فلن يكون ذلك بلا متعة .

* * *

المشهد الخامس

[ميرتيلوس - إيبودامى - بيلوبس]

[يتجه بيلوبس إلى إيبودامى مهرولا]

بيلوبس : إنك تضيعيننا يا " إيبودامى " ، إن الحفل يوشك أن ينفض ، وأنت تبددين فى الكلام ذلك الوقت الذى منح لنا لنحاول أن ننتصر ونستميل الآلهة إلى جانبنا . كنا نستطيع أن نكون الآن أبعد من مدى البصر . كنا نستطيع أن نلجأ إلى الغابات ونمحو آثارنا ونطمسها . ولكننا سنهرب الآن وأنفاس جياد " أونوماءوس " على رقابنا كوعول قد أحدق بها ، تعالى ولنسرع .

إيبودامى : لا شىء يتعجلنا يا "بيلوبس". إن الموت يطارد اليوم صيدا آخر . لا تلمنى على تأخرى ، ولا تخش شيئا على حظك . لأن جياد الشمس نفسها، التى تقطع العالم من أقصاه إلى أقصاه فى يوم واحد، لو أن الشمس أعارتها أونوماءوس فلن تمكنه من اللحاق بنا ، سنرحل يا "بيلوبس" ، سنرحل ونحن متأكدان من أننا سنفلت من الطاغية أكثر مما لو كنا نمتطى الريح نفسها أو الصاعقة. إن ما قيل هنا قد باعد بين والدى وبين حياتك، بين والدى وبين حريتى إلى الأبد . سنرحل ، ولكن أنفق لحظة أخرى فى الاستماع إلى "ميرتيلوس" ، فلن تندم على ذلك .

ميرتيلوس : (بازدراء ، دون أن ينظر إلى بيلوبس) ليس عندي ما أقوله لك أيها الأجنبي، ليس عندي غير هذا: أسرع مع الأميرة إلى خط الانطلاق. وهناك انتظر اللحظة التي يبدو لك فيها " أونوماءوس " آتيا من المعبد . عندئذ فقط ألهب جيادك ، ودُرْ حول المدينة في اتجاه الشمال ، ثم في اتجاه الشرق دون أن تبتعد عن الحصون . وعندما تصل إلى سفح الربوة حيث تضيق حلبة السباق ، لا تنخدع بالفضاء الشاسع أمامك ، كما هو شأنكم جميعا ، فإن الخطر يكمن من ورائك . انظر خلفك سنكون على أهبة اللحاق بك ، وسيوجهني " أونوماءوس " إلى يسارك لكي تكون في متناول يده اليمنى ، عندئذ تذكر أن حياتك في زمامك الأيسر ، فانحرف بجيادك أمامنا واقطع طريقنا . في تلك اللحظة سترى حظك . وداعًا ، يمكنك أن ترحل .

بيلوبس : إنني راحل . ولكن لماذا ؟ ...

ميرتيلوس : أدركت سؤالك . تسألني لماذا أخون من أخدم ، ولماذا أخدم من أكره ؟ ... ليس هناك وقت للرد عليك .

ولكن إذا كان هناك قسم يعدل قسمي ، فلن تلبث أن تدرك. فقبل أن تقبل هذه الليلة التي أنتظرها فتداري جثة ملك ، ومدينة في الحداد ، وأميرة تبيع نفسها ، ومتعة يذكيها العار ، ستكون هذه قد أجابتك .

[في أثناء هذا الكلام ، تحوَّل إيبودامي " بيلوبس " عن " ميرتيلوس " ، وتجذبه]

الفصل الرابع

المشهد الأول

[المعماري - جلوكوس - ميلون - أجاتوكراتيس - الأركادي- بروكليس ثم لوكونوئيه]

[جلوكوس منهمك جدا ، ينتقل من هذا إلى ذاك]

جلوكوس : إنني أراهن بخمسة دراهم في مقابل عشرة لصالح الأجنبي . هل يعجبك ذلك ؟

الأركادي : يعجبني .. ولكن إذا خسرت ؟

جلوكوس : أوه .. إذا كنت تعتقد أن " أونوماوس " يمكن أن يقهر ، فلا تراهن .

الأركادي : أراهن بثمانية دراهم في مقابل خمسة .

جلوكوس : لتكن ثمانية دراهم .

الأركادي : إننا، من هذا المكان أيها الأصدقاء، سيمكننا أن نطل على المشهد من منصة ملكية حقا. ألسنا بوضعنا هنا، وساحة السباق تحت أقدامنا، أكثر راحة مما لو كنا وسط الجموع عند بوابة الجنوب، وراء ستة صفوف من الرءوس؟

بروكليس : ولكن هل أنت واثق من أنهم سيدورون حول المدينة من الشمال ؟

المعمــــارى : لقد أعلن المنادون ذلك . ألم تسمعهم؟ إنظر ، ها هم أولاء الجنود يحرسون ساحة السباق .

جلوكـــوس : هل تريد أن تلاعبنى على نصيب " أونوماءوس " ، أيها المعمارى ؟ ليس بمبلغين متساويين طبعا .. أجر شهرين منى لك إذا فاز " أونوماءوس " ، وثلاث قطع ذهبية منك لى إذا فاز " بيلوبس " .

المعمــــارى : إنك معتقد أنك بذلك إنما تغرر بى ، ولكنك تغرر بنفسك ، ففى رأيى أن الأجنبى قد مات . وإذا شئت ضاعفنا الرهان .

جلوكـــوس : سأحاسبك على كلامك أيها المعمارى .

أجاتوكراتيس: إنك لمجنون يا جلوكوس .

المعمــــارى : دعه يفعل . فلقد أصبح منذ الآن مدينا بأكثر مما يملك . وهو الآن يتعهد بدفع أجور الشهور القادمة . وقد يراهن ببيته . وقد يراهن بزوجته .

جلوكـــوس : إننى على استعداد للمراهنة ببيتى أيها المعمارى ، وللأسف ، ليس لى زوجة .

بروكليس : قد لا يكون مجنونا بقدر ما يظهر . ففى رأيى أن هذا السباق لا يدل على خير، لا يدل على خير لـ "أونوماءوس". فإيبودامى عاشقة ، والملك غضبان ، أجل ، هناك جديد.

المعمــــارى : جديد ؟ ليس هناك جديد . لا يمكن أن يكون هناك جديد ما دامت جياد " أونوماءوس " لم يُدسَّ لها سم . إن جياد " أونوماءوس " لا يمكن أن تُقهر ، هذا كل ما فى الأمر .

وأنت يا " ميلون " ، أنت الذى كنت لا تتحدث إلا عن المراهنة ، أتتهاون فى نصيبك ؟ إننى لا أقرك على ذلك .

ميلون : لقد سبق لى أن راهنت . كنت أول من يراهن . ولكن على مبلغين متساويين . إننى لا أعرف السبب الذى جعل صديقنا " جلوكوس " يراهن لصالح " بيلوبس " بهذه الطريقة . ولكن لابد أن لديه أسبابا لا يصرح لنا بها . اعترف بأنك قد عرفت شيئا يا " جلوكوس " .

جلوكوس : هو ذاك . فلقد عهد " بيلوبس " إلىّ بسره .

الأركادى : لا تسخر منا يا "جلوكوس" . إذا أردت أن تلعب ، فلنلعب بنزاهة وشرف . أما إذا كانت هناك خدعة ، فالرهان باطل . ماذا تعرف ؟

جلوكوس : فلتفترضوا أننى استشرت منجما .

ميلون : قل ذلك لقوم سذج . فليس فى " بيز " منجمون سئموا حياتهم إلى درجة أن يتنبئوا بهزيمة "أونوماءوس" ثم يخبروا بذلك واحدا من حراسه .

المعمارى : جلوكوس ، إذا كنت تخدعنا ، فخذ حذرك .

جلوكوس : (مضطربا) ليكن .. سأخبركم بكل شىء . كنت هنا خلف هذه الحجارة ، عندما قال " بيلوبس " لإيبودامى ...

بروكليس : ماذا قال لها ؟

جلوكوس : إنه واثق من الفوز بالسباق. إن جياد "أونوماءوس" إلهية كما تعلمون، وكذلك جياد "بيلوبس". فقد وهبها له الإله "أوسيان" على ما يبدو، فإن الإله "أوسيان" هو حاميه وناصره.

الأركـــادى : هـذا مــن الممكن أن يـكون صـحـيـحـا ، مـادام قـد استطاع أن يعبر البحر .

[ضحك ...]

المعــمــارى : لا تهاتــر أيـها الأركادى ، فكـل النــاس يستطيعون أن يعبروا البحر . لقد اطمأننت الآن ، فإذا كان " جلوكوس " يقامر بعشرة أمثال ما يملك معتمداً على تفاخر الأجنبى، فيمكننا أن نطمئن . وإننى أنصح لكم أن تأخذوا أماكنكم استعداداً للعرض ، فلقد أزف الوقت .

أجاتوكراتيس: المكان لا يعاب أيها الأصدقاء ، ولكن ينقصه الظل .

[تدخل لوكونوئيه]

المعــمــارى : لقد مضت ذروة الحرارة . وهاهى ذى الشمس قد مالت نحو الغرب، ثم إن انتظارنا لن يطول . انظر ، إن الطريق يمتد مستقيما حتى الهضاب ، يتجاوز الفرسخ ، لن تفوتنا مشاهدة النهاية هذه المرة .

الأركـــادى : أتعتقد ذلك ؟

[يصعدون نحو الداخل]

بـروكـلـيـس : (**ناظراً إلى بعيد**) يبدو لى ...

المعــمــارى : هاهى ذى ... هاهى ذى عجلة الأجنبى ... إنـها تنعطف عند زاوية الحصن ؟

الأركـــادى : إنها تقبل نحونا . إنها تطير فوق ساحة السباق كما تأكل النار الهشيم .

بروكليس : سواء كانت عطاء من الآلهة أو لم تكن ، فلنعترف بأن هذه الجياد عظيمة السرعة تضرب حوافرها الأرض فى إيقاع موحد . كأنها دابة واحدة من دواب الأعاجيب . دابة واحدة صهباء ، ذات ست عشرة قدما .

ميلون : ولقد شدت عليها عدة مسرفة فى الثقل . فلقد رأيتها عند بوابة الجنوب . فما عسى تفيد هذه الفخفخة فى السباق ، يجب الاهتمام بالخفة فقط . إنها خيول رائعة تصلح لعرس ، أوافق على ذلك ، ولكنها لا تصلح للعرس الذى يقام اليوم .

لوكونوئيه : **(طوال المنظر، تنتحى لوكونوئيه جانبا دون أن تتفرج على المشهد)** إنهم يقبلون نحونا، مساحات سوداء أمام الشمس ، تسبقهم ظلالهم الكبيرة ، ومع ذلك فإن الركب يلمع من كل جهة . فالعنان من ذهب ، ومساند العجلات من ذهب . والعريش من ذهب ، إن العجلة كلها تتلألأ بالذهب . وعباءة بيلوبس من الذهب . وشعور أميرتنا وقد انتثرت تحت الإزار ، حلتها رياح السباق ، وراحت تلهب وجهها بالذهب. وهى تطوحها إلى الخلف، والشمس تشارك فى حفل العرس ... فجعلت من الغبار سحابة من الذهب. تراهما سيختفيان أمام أونوماءوس فى سحابة من ذهب؟

جلوكوس : إن هذا الذهب كله فى رأيى فأل حسن .

أجاتوكراتيس: " أونومـاءوس " ... " أونومـاءوس " ... هاهى ذى عجلة "أونوماءوس" .

ميلون : لم يكن " أونوماءوس " بعيدا .

لوكونوئيه : هاهى ذى جياد " أونوماءوس" الأربعة منطلقة ، إنها تجرى خلف بيلوبس، وإنما تنقض عليه كالموت ، إنها جياد الموت .

المعمارى : انظروا ، لقد أبطأ بيلوبس .

ميلون : خطأ . إن بيلوبس لم يبطئ ، ولكنه يكفى أن تظهر جياد أونوماءوس حتى تبدو جياد بيلوبس ، فجأة ، وكأنها تجر وراءها عجلة من الرصاص .

أجاتوكراتيس: إن المسافة بينهما تضيق فى كل ثانية .

ميلون : انظروا إلى الأقدام السوداء ، كيف تقرع الأرض . إنها ترقص هى الأخرى رقصة الحرب ، غير أن معلمها يدق لها إيقاعا آخر .

لوكونوئيه : ما أروع جياد الآلهة ! إنها بيننا ، وفوق أرضنا ، ومع ذلك فهى تغترف قوتها من هواء ليس بهوائنا ، وتقيس حركاتها بغير مقاييسنا . إنها تجرى فى زمن آخر . آه أيتها الثوانى المتهورة ... إنها تجرى فى زمن إلهى .

ميلون : هل تسمع الآن حوافرها ؟ إنها تقرع الأرض كما تقرع طبول الحرب ، وترقص ، وترقص . أما جياد "بيلوبس" فإنها تقرع الأرض وكأنها مطارق ثقيلة . إنها تغوص فى الرمال وتحت الحجارة . وإن الرمال والحجارة عند وقع كل حافر يصطدم ، لتدفع بجياد "أونوماءوس" إلى الأمام.

المعمارى : لقد قلت لك يا جلوكوس إن ميرتيلوس وجياده لا يمكن قهرهم ، لقد خسرت رهانك . ويمكنك من الآن أن تذهب فتبيع ثيابك وتبيع نفسك معها أيضا .

جلوكوس : إن السباق لم ينته بعد أيها المعمارى .

بروكليس : جلوكوس ، إنك لتهذى .

جلوكوس : إننى أراهن بخمسة دراهم فى مقابل عشرة فى جانب بيلوبس ، فهل توافق يا بروكليس ؟

بروكليس : خمسة فى مقابل عشرين لو شئت .

جلوكوس : ليكن .

المعمارى : هل ملأ غبار العجلتين عينيك يا " جلوكوس " ؟ انظر إلى حلبة السباق ، ولا تنظر إلى أحلامك . إن العجلة التى تحمل حظ " بيلوبس " وحظك تجرجر أذيالها كعربة نقل غاصت فى الأرض ، إن "أونوماءوس" يجرى فوقه كالطيور التى تعبر البحار فى الخريف .

أجاتوكراتيس: سيفوز " أونوماءوس " ، سيفوز ... فلم يعد هناك إلا مائتان من الأمتار ، مائتان من الأمتار بالكاد .

المعمارى : أتراهن مرة أخرى يا جلوكوس ؟ إننى أضيف إلى الرهان قطعتين من الذهب إذا أضفت أنت أجر شهر .

ميلون : إذا ضاعفت رهانك ، فسأضاعف رهانى ثلاثا .

الأركادى : وأنا أيضا .

جلوكوس : إننى أوافق على جميع الرهانات ، إننى أوافق على جميع الرهانات .

أجاتوكراتيس: إنهم يقتربون . انظروا إلى وجه "بيلوبس" ، إن العرق يغطيه ويطمسه غبار أبيض .

لوكونوئيه : لقد جمد وجهه فى تصميم يائس . حتى لتظنه قناعا من الحجر ...

الأركادى : هو ذاك . ألهب جيادك ما استطعت يا " بيلوبس " ، فمهما ألهبتها ، فإنك قاب قوسين أو أدنى من نهايتك .

المعمارى : ما أشد قلق الأميرة " إيبودامى " . لقد كنا نشاهدها فى السباقات الأخرى باردة ، ثابتة ، لا تكترث . أما هذه المرة فهى لا تفتأ تلتفت ناحية المطاردين ، إنها تميل على خطيبها .

بروكليس : إنها وسط ضوضاء العجلة . تصرخ فى أذنه ببعض العبارات .

جلوكوس : هاهم أولاء قد اقتربوا منا كثيرا ؟ تشجع يا " بيلوبس " .

المعمارى : هيا يا " ميرتيلوس " ، هيا ... هيا ... فإنك ممسك بهما .

الأركادى : ما أروع ذلك !

ميلون : " ميرتيلوس " ، لقد فزت بالسباق .

أجاتوكراتيس: عاش " أونوماءوس " ... عاش " ميرتيلوس "... الموت للأجنبى .

المعمارى : انظروا ... لقد ضبط " أونوماءوس " حربته ... وانتفخت عضلة ذراعه وهو يمسكها بجانبه ، لقد وضع قدمه اليمنى على حافة العجلة . ومال بقامته الطويلة إلى الأمام كما يفعل المصارع لحظة الانقضاض .

لوكونوئيه : إنه لم يعد فوق هذه العجلة ، فقدمه فقط تستبقيه عليها وتؤمنه . إنه كائن بكليته داخل المعين اللامع الذى يبرق عند طرف عود الحربة الثقيلة .
إنه كائن بكليته داخل الرأس المميتة . فقوته وفكره وحقده قد تجمعت فى رأس الحربة . إن مليكنا لم يعد إلا رأس حربة .

جلوكوس : ولكن انظروا إذن ... لقد ضاعف "بيلوبس" من صيحاته ومن ضرباته وإن جياده تنقاد له . إنه يحتفظ بالمسافة الفاصلة . آه ... حقا ما أروع جياده .

بروكليس : إنه يتقدم من جديد ... إنه يتقدم من جديد ...

جلوكوس : إن السباق لم ينته بعد . "بيلوبس" أيها الجسور ... لتنتزع الفتاة والملكة. لقد استرد أكثر من ثلاثين قدما .

ميلون : لقد صاح "ميرتيلوس" فى جياده يقول شيئا . إنه لا يضربها أبدا . فهى تهيج تحت السياط .

المعمارى : هاهى ذى النهاية ، إنها تنطلق كالصاعقة . إن الناظر ليظن أنها كانت متوقفة منذ لحظة .

ميلون : المجد "لميرتيلوس" ... المجد "لأونوماءوس" .

الأركادى : المجد "لأونوماءوس" ...

المعمارى : بيتى فى مقابل بيتك يا جلوكوس ...

جلوكوس : ليكن أيها المعمارى !

ميلون : إن "ميرتيلوس" ينحرف إلى اليسار . سيصبح "أونوماءوس" على مسافة مواتية ، سيضرب ضربته ...

بـروكـلـيمس : إن ظلها ليجرى أمامها، على الساحة البيضاء مع ظل الحربة الرفيع المستقيم . إنظروا لقد بلغ الظل عجلة "أونوماءوس" ...

لوكـونوئيـه : إنه ظل الموت . إنه يلحق بهم . إنه يغطيهم ، لقد غطاهم إن ظل " أونوماءوس " أقوى من الشمس . إن ظلاما مميتا قد ابتلع فى لحظة واحدة كل بريق عجلة "بيلوبس" ، لقد أطفئ ذهب آسيا كله، ذهب الشباب كله ، فى لحظة واحدة كما تطفئ الريح المصباح . وجياد "بيلوبس" لا تزال تجرى فى الشمس ولكنها تجرجر وراءها عجلة قدت من الليل .

مــــيلون : إن ظل الحربة يركض الآن متقدمًا "بيلوبس" فهو يرى موته يركض أمامه .

جلوكــوس : انظروا ... انظروا ...

المعـمــارى : ماذا جرى ؟

الأركــادى : إنه لمجنون .

جلوكــوس : لقد دفع بيلوبس بجياده ناحية اليسار .

مــــيلون : إنه يقطع طريق ميرتيلوس .

جلوكــوس : ما أروعها من مناورة ... إنه لم يعد فى متناول يد "أونوماءوس " .

المعـمــارى : إنه عمل غير شريف ...

أجاتوكراتيس: لا مناص من اصطدام العجلتين .

بـروكـلـيس : هل سمعتهما؟ إن عجلات "ميرتيلوس" تئن تحت الفرملة .

ميلون : إن الجياد لا تستطيع أن توقف اندفاعها... فهي تجر وراءها العربة وعجلاتها مشدودة... ولن تلبث أن تحطمها تحطيما .

المعماري : كلا ، لقد عاد كل شيء . فقد وجد " ميرتيلوس " فضاء رحبا فتفادي الاصطدام . ولكن ماذا يجري ؟

الجميع : آه ... ...

جلوكوس : لقد قفز " ميرتيلوس " على الأرض .

الأركادي : لقد انفصلت عجلة العربة عن محورها ...

لوكونونيه : لقد أفلتت العجلة ، وراحت تدور وحدها أمام العربة كطوق الأطفال .

جلوكوس : إن عربة "أونوماءوس" تميل إلى اليمين وتغرق كالسفينة... وتنقلب ...

الجميع : آه ... ...

[صمت طويل]

المعماري : لقد سقط الملك فوق الأرض على أم رأسه .

ميلون : إنه يتدحرج إلى قاع الخندق .

لوكونونيه : لقد انقلب كالشجرة الضخمة وسط الغابة التي تتحطم .

جلوكوس : لقد فاز " بيلوبس " ... فإليّ بجميع الرهانات ...

المعماري : إنها حادثة وليست مباراة .

ميلون : ليست مباراة . لقد كنت تعرف شيئا .

بروكليس : توجد وراء ذلك خيانة .

جلوكوس : يوجد ما تريدون . ألم تصبح الفتاة من حق " بيلوبس "؟ إذن فكل الرهانات من حقي .

المعمــارى : لقد قفزت الأميرة من عربة "بيلوبس". إنها تهرب ، إنها تصعد السلم على عجل، ولم يعد الملك أكثر من ميت .

الأركــادى : هيا بنا نتفرج .

أجاتوكراتيس: أسنكون أول المتفرجين ؟

جلوكــوس : لقد كسبت كل شيء ... لقد أصبحت غنيا .

[ينزلون بسرعة ناحية السهل]

* * *

المشهد الثانى

[إيبودامى]

إيبــودامى : **(تقبل بمفردها ، وتطيل النظر إلى السهل عند سفح الربوة)** وهكذا نجوت يا " بيلوبس " ، وأصبحت ملكا ، وأصبحت لك . إننى لا أكلفك أية مشقة، اللهم إلا أن تنحنى على الأرض لتتناول من فوقها ذلك التاج الذى ألقيت به عند قدميك ، ولكن هأنت ذا غائب . أكان يمكننى أن أنتظر معك جلبة وصخب هذه الجماهير التى كانت تبغضك صباح اليوم ، وتعبدك الآن ، والتى تحوطك ؟ وكم هى تحوطك ! ... لكى أذكرك أنك قبل أن تخصنى، فإنك تخص هذه المملكة التى وهبتها لك ، إنهم يأخذونك ، يأخذونك شطر المعبد حيث يقدسونك ، شطر المدينة التى

هى مدينتك . يجب أن تتأكد من هذه المدينة اليتيمة ، التى اضطربت لتغيير مفاجئ ، وذهلت لقيام سلطة غريبة عنها . جنون ، جنون ، جنون النساء . فقبل أن ينال الحبيب بين أذرعهن تلك اللعنة التى يسألهن إياها ، يكفى أن يقلن : نعم ، حتى يصبح بعيداً عنهن ، وحتى تخترقهن نظرته ، إذ يكون مجذوبا بما هو بعيد .

أوه يا "بيلوبس" ، ما كدت أقتل من أجلك الماضى حتى أصبحت أخشى هذا المستقبل الذى يتحزَّب ضدى . أتراني قريبة منك جدا ؟ وإذا كانت المرأة أصغر من الرجل حجما ، فهل ذلك لكى يتمكن وهى بين ذراعيه من أن ينظر وراء شعورها المتناثرة فوق خدها وصدرها إلى برجه الذى يرتفع ، أو سفينته التى ترفع مرساتها ، أو المرأة الأخرى التى ستأتى ؟ لماذا لم تتبعنى ؟ إننى وحيدة . وحيدة أمام هذا الفضاء الذى سببه سقوط العرش الملكى الذى رأيته الآن صريعا فى التراب ، صريعا بيدى ، إننى وحيدة أمام "ميرتيلوس" الذى ينتظر الآن أجره ، والذى يبحث وتخطو أقدامه نحوى ، وحيدة أمام أبى المسجَّى ... وحيدة أمام " ميرتيلوس " الحى . ألا يوجد فى العالم ملجأ لا يبلغه الأحياء ولا الأموات ، يدلنى الحب على طريقه ؟

* * *

المشهد الثالث

[إيبودامى - ميرتيلوس]

[يظهر ميرتيلوس فى اللحظة التى تهم فيها إيبودامى بالخروج]

ميرتيلوس : إلى أين تجرين إذن يا إيبودامى ؟ يمكنك أن تحولى عينيك ، ويمكنك أن تولى ظهرك للقاتل . ولكننا حبيسان لهذه اللحظة ، لحظة انتظارك الرهيب ، لا مناص من تجرع كأس الندم وتذوقها ، بطيئا ، بطيئا . آه ... ما أبطأ الزمن ، اشكرينى والعنينى .

إيبودامى : أنت يا " ميرتيلوس " ، بهذه السرعة ؟ ...

ميرتيلوس : لقد طعنت الثقة. وما أعجب سهولة ذلك... لقد تخليت بكتفى عمن كان يعتمد على، وضربت، وضربت فى صميم القلب. ما أغرب نظرة الصديق لحظة يضربه الصديق فى صميم القلب ... إنها نظرة لا تحقد ، فليس لديها وقت للحقد ، إنها تتعجب ، إنها تتساءل فى الليل حتى يأكلها العفن ، هاأنت ذى تتحصنين بالصمت . كانت الجريمة محكمة ، هكذا تعتقدين ، وأنا الجزاء ، لماذا لا يسعد "ميرتيلوس" ؟ إننى سعيد يا "إيبودامى" وإن سعادتى لاتنبع من العدل ولا من الجزاء، وإنما من القتل. ترى هل السعادة التى يمنحها القتل للقاتل هى عقابه الحقيقى ؟

إيبـــودامى : ما هذا الصوت الجديد ؟ ما هذه النظرة الجديدة ؟ إننى لا أعرفك .

مـيـرتيلوس : لا تعرفيننى ، مع أننى كما أردت لى أن أكون ، لقد قتلت. وأنت قتلت كذلك. قتلت "ميرتيلوس" الأمين ، "ميرتيلوس" الخجول الذى كنت فى نظره تشعين فى الضوء المنيع ، قتلت "ميرتيلوس" الذى لا يشان . إننى شخص آخر ، أنا الخائن . أنا القاتل . أنا من ضاع :.. ضمير متقد ، شمس متأججة ، إننى واضح أمام نفسى حتى أغوار أعماقى . شكرا يا "إيبودامى " ، شكرا . فأنا جدير بك ، ولست جديرة . لقد شريتك ... شريتك ، كنت بالنسبة لى صنمًا معبودا حيا ، وقد جعلت لى عليك ذلك الحق الذى نبتاعه من بنات الضاحية بدراهم معدودة . ما أشد دنسها من متعة ، وما أروعها من متعة ، أن نمتلك باحتقار وازدراء تلك التى كنا نضعها فوق النجوم ...

إيبـــودامى : ولماذا لا تجرؤ ؟

مـيـرتيلوس : إن جثته الضخمة لا تزال هنا حيث توقفت عن التدحرج على أثر سقوطها، ووجهه متجه صوب السماء ، ومتجه نحونا . إن الدماء لم تجف تماما فوق الأرض . انظرى ، لقد زلج الدم فوق جبينه من صدغ إلى صدغ . الملك "أونوماءوس" متوج بالدماء . انظرى إلى فمه المفتوح ، المستدير ، الفم الصامت الذى يصرخ ، والذى سيظل يصرخ إلى الأبد .

إيبـــودامى : هاأنت ذى أيتها الأبهة الملكية. كنت تتعاظمين وترعبين،
وحسب يد أن تنزع من قاعدتك المتحركة مسمارا واحدا،
فإذا بك تنقلبين وسط التراب كلعب الصبيان . أكنت تريد
أن تلقى الرعب فى قلبى يا "ميرتيلوس"؟ لسوف ترتعد وحدك..
ولكن ماذا يجرى؟ ماذا يصنع هؤلاء القوم حول العجلات؟

مـيـرتيلوس : إنهم خدم الإسطبل . فقد تحطمت عجلة "أونوماءوس" .
وهم يشدون جيادى إلى عجلة "بيلوبس" تنفيذا لأوامرى .
فإننا سنرحل على عجلة "بيلوبس" أنت وأنا ، وبعد لحظة.

إيبـــودامى : هل جننت يا " ميرتيلوس " ؟ إننى لن أرافقك .

مـيـرتيلوس : ستـرافـقـينني . فلقـد عـقدنا اتفـاقـا . وإننا لمرتبطان
بمشيئتك ، بل بما يفوق مشيئتك ، إننى أملك قسمك .

إيبـــودامى : إننى لم أقسم لك على الرحيل .

مـيـرتيلوس : هل تعتقدين بأننى سأدع "لبيلوبس" الوقت والوسيلة لكى
يضع يده على ما يخصنى؟ لقد سمعتك تصدرين الأوامر.
وقد بدءوا يعدون الحفل ...

إيبـــودامى : حفل الجنازة ...

مـيـرتيلوس : حفل العرس . الحفل الذى يمنحك "لبيلوبس" ، وينتزعك
منى إلى الأبد . إننى أرى ألا تحضرى هذا الاحتفال ،
فلقد أعددت لك عرسا آخر . ليس عرسا ملكيا مجيدا ،
وإنما عرس أسود ، عرس معزول، عرس لص، عرسنا ...
إننى أترك لبيلوبس المملكة التى لا يستحقها . أما أنت ،
فنصيبى . وسآخذك ، وستأتين معى .

إيبـــودامى : كلا ...

مـيـرتيلوس : وهل تظنين أن مـوافـقـتك شىء أهتم به ؟ هل سـألتُ "أونوماءوس" ما إذا كان يريد أن يموت؟ لقد خنتُ سيدى، ولقـد أردت أنت ذلك لقـد فـتـحت باب عـالمٍ لا تعنى فـيـه الحيرة كثيرا ، يسير فيه الحب الضارى نحو هدفه ، فوق خرائب العالم، فحيث أنا الآن ، حيث نحن الآن ، لا الأناة ولا الرقـة تروجان . فـمقـابل القصـاص الجـهنمى ، فزت على الأقل ، بحق إنكار كل حق . فزت بحق القاتل . وهذا الحق هو ما أطالب به .

إيبـــودامى : " مـيرتيلوس " ... " ميرتيلوس " ... دعنـى لحظة . ولسوف أتجـاوز وعـدى . سـأهرب مـعك ، مـادمت تريد ذلك . سـألحق بعـجلتك الليلة تحت ظلام الأسـوار . أجل ... هذه الليلة ، إننى لا أسـألك إلا وقـتـا أرتاح فـيـه ، أجمع فـيـه حواسى وأفكارى ، أتعود فيه على مصيرنا الجديد ، على وجـهينا الجديدين انظر إلى نفسك . انظر إلى أن التراب الذى تدحـرج فـيـه أبى لا يزال يعـفـر شـعـورنا ويغطى وجـهينا . هذا التراب ، لا يمكنك أن تطلب منى أن أقـبِّله فوق شفتيك ، يجب أن نغتسل يا ميرتيلوس .

مـيـرتيلوس : كلا . بل يجب أن تتبعينى الآن ... كيف أثق فى وعدك ؟

إيبـــودامى : لقد وثقت فى وعدى قبل أن ...

مـيـرتيلوس : قبل أن أقتل . كلا ، إننى لم أثق فيك . لم أثق فيك أبدا . لم أستطع أن أثق فيك . إنك لم تكونى ترين وجهك عندما

كنت تستسلمين لى مقدما. كان يتوهج ، كان يشع بالحب
" لبيلوبس " . كنت تتضرعين إلىَّ ليس من أجل نفسك ،
وإنما من أجله هو . من أجله ، أليس كذلك ؟ من أجله ،
كنت تخدعيننى ، ولكن ما أهمية ذلك مادمت كنت توقعين
التحالف معى ، مادمت كنت تدفعين معى على طريق
العنف ، طريق الخديعة ، طريق النكبة . حيث لا يوجد
رجوع إلى الوراء ، مادمت قد وافقت على التعاون معى
لإنجاز الموت . ولماذا أحدثك عن العرس ؟ لقد أقيم
عرسنا ، وهاهى ذى ثمرته تحت الأسوار . لقد تزوجنا
يا إيبودامى .

إيبـــودامى : كلا... كلا ... إننى لم أقسم لك على شىء. إننى "لبيلوبس" فقط . فلست زوجتك ، وإنما أنا زوجته ، زوجته .

مـيـرتيلوس : أأنت زوجة بيلوبس ؟ ليكن ... إنها زوجة " بيلوبس " التى أريدها .

إيبـــودامى : لا تقربنى . إننى أصدك بكل روحى ... من ذا جعلنى أتحدث فقط عن روحى ... حتى جسدى لا يريدك .

[يجذبها]

مـيـرتيلوس : سأتمكن من إقناعه .

إيبـــودامى : لن تتمكن إلا من إرغامه .

مـيـرتيلوس : ما أدراك فهذا كل ما أريد ؟ إننى لا أستطيع أن أصيب سعادتك . فعلى الأقل سأعرف كيف أهينها ، سيحلو لى

أن أثار مــن " بيلوبس " ولكن غضبــه لن يهمنى بقـــدر ما تـهمنى ثورتك ، أيهـا الحب الـبغـيض الذى أطأ فـيـه بقـدمى ، حبى الذليل ... دافـعى عن نفسك ، دافـعى عن نفسك أيتـهـا الفتـاة ، دافـعى عن نفسك أيتـهـا الملكة ، دافعى عن نفسك أيتها العاشقة ، لكى أدنسك ثلاثا .

إيبـــودامى : لن أخضع ، سيساعدنى " بيلوبس " .

مـيـرتيلوس : إن " بيلوبس " يتخلى عنك . فافتحى عينيك .

إيبـــودامى : إننى لا أرى غير " بيلوبس " .

مـيـرتيلوس : إن جسدك لا يراه . إن جسدك أعمى .

إنه يتحدث باسم شىء آخر غير إرادتك، يتحدث به عاليًا، رويدا رويدا .

إيبـــودامى : إذا استسلمت لك ، لأبغضته ، لحطمته .

مـيـرتيلوس : سيستسلم لى ، إنه يستسلم لى ، إنه يستســلم لى . إنه على أهبــة أن يصيح مناديا باسمى فى المتعة والبغضـاء والصمت .

إيبـــودامى : " بيلوبس " ... ...

مـيـرتيلوس : نــادى بيلوبس إذن ... وليــأت ويخبرنـا القدر باختـيـاره . ناديه مرة أخرى قبل أن يختم فمى على فمك .

إيبـــودامى : " بيلوبس " ... ...

* * *

المشهد الرابع

[ميرتيلوس - إيبودامى - بيلوبس]

بيلوبس : إيبودامى !

ميرتيلوس : هاهى ذى بين ذراعى ، يا " بيلوبس " . فلتعجب بها ، والغضب فى عينيها وقد فكت أزرار ثوبها، ونكش شعرها كخادمة فوجئت فى الجرن مع أحد شبان المزرعة. كفتاة ألقوا بها إلى الجند ، كبغى نشوى ... لا تزال بها غضون من آثار يدى " ميرتيلوس " . إنها مستعدة حقا لحفل الزفاف . هاهى ذى ملكتى . هاهى ذى زوجتك .

إيبودامى : " بيلوبس " ...

بيلوبس : وهكذا يطالب الحوذى بأجره ، إن لم يكن الخائن .

ميرتيلوس : إنه الحوذى الذى جعل منك ملكا يا "بيلوبس" ، إن لم يكن الخائن .

بيلوبس : إليك عنها يا من تجرؤ فتضع يدك على الزوجة التى تخصنى ...

ميرتيلوس : وهكذا يفاخر " بيلوبس" منذ الآن ، وقد تدثر بعظمة فى مملكته الحديثة ... فى عباءة الملك التى ألقيت بها إليه كما ألقى بالخرقة إلى الشحاذ . يقول : المرأة التى تخصه ، فلعله يظن أنه قد فاز بها .

بيلويس : فلتدع بأنك الذى فزت بها . لماذا لم تتحدَّ "أونوماءوس"؟ فيكون لك اليوم المجد والجزاء .

ميرتيلوس : إننى أعرف أننى لست من طبقة الأمراء ، ولكنك يا ملك الصدفة تسخر من دمٍ يفضل دمك وأصل أنبل من أصلك.

بيلويس : إنك لتفاخر بدورك إذن ، وقد تزينت بالجلالة السماوية . ولكن لا ضرورة لتذكيره بأنه ابن سفاح أحد الآلهة ، ذلك الذى تصرف منذ قليل كما يتصرف ابن سائس الخيل .

ميرتيلوس : إننى أفهم غضبك ، أيها الرجل المتهور ، الذى يقبل مساعدتى ساعة الخطر ويرفضها ساعة المتعة ... إننى أرى أننى مادمت قد قمت بدورك فى مجابهة الأب ، فإننى أستطيع أن أقوم به قبل الفتاة .

بيلويس : "ميرتيلوس"... إن مثل هذه الأقوال إنما تحط من قدرك أنت أكثر مما تشيننى . فهى إما صادرة عن رجل يريد أن يرهق عرفانى ويدفعنى إلى الغضب، أو صادرة عن مجنون. كلمة أخرى ولن تصبح أكثر من مواطن ثائر أمام ملكه .

ميرتيلوس : إن قاهر "أونوماءوس" الجميل يغضب، ويهدد ، لم يستطع أن ينتصر وحده فى معركة كان الفضل الحقيقى فيها يرجع إلى جياده مادام كان فى مركز الهارب . ولكن هاهو ذا يظهر بطلا شجاعا ، مسلحًا ضد رجل مجرد من السلاح . فسر حتى النهاية ، وإياك أن تعفو عنى . لأنك لو تركتنى أغادر هذا المكان ، فستعلم المدينة كلها لأية خيانة تدين بالملك ، وبأى وعد اشتريت الخيانة .

بيلوبس : أتقول بأى وعد ؟ إنك تفقد صوابك . إننى لم أعدك بشىء ، وأنت لم تطلب منى شيئا .

ميرتيلوس : سل إذن صمت هذه التى تخصك بحكم قانون السباق ، ولكنها تخصنى بحكم القسم ، والقسم يعلو على القانون ، لأن القانون قد هزئت به الخديعة . فقبل السباق ، كما تعلم ، وكما رأيت ، استدعتنى إليها فهل تعرف السبب ؟ لكى تهب لى نفسها . فقبل السباق – لكى تهب بيلوبس السباق ومملكة "إليد" – راحت خطيبته تبيع نفسها مقسمة على ذلك للحوذى "ميرتيلوس" .

إيبودامى : **(مرتاعة)** إنه يكذب يا " بيلوبس " .

ميرتيلوس : أكذب ... تقول إننى أكذب... إذا كنت أكذب فكيف أقنعتنى إذن بأن أخون سيدى ، وأعمل لحسابها وأعمل لحسابك .

إيبودامى : إنه يكذب... أقسم لك بأنه يكذب. فأينا تصدق، أنا أم هو؟

ميرتيلوس : أقسمى ، يا "إيبودامى" ، أقسمى مرة أخرى ، فإذا كانت الأيمان التى مثل أيمانك لا تمزق السماء ، فذلك لأن كل شىء مباح الآن . إنها ساعة نوم العقاب ، إن الصاعقة نفسها نائمة ، وإذا لم تكن الآلهة صماء ، فلابد أنها سجينة إله آخر أقوى منها لا يفقه لغة البشر ، وينبغى أن نرثى لها .

بيلوبس : أنت الذى كذبت يا "ميرتيلوس" ، وحتى لو كنت صادقًا ، فإنك ستعود فتكذب . لقد صفحت عنك طويلا ، فاخرج من هذه المدينة إذا أردت الحياة.

إيبـــودامى : إنه يكرهك يا "بيلوبس" . فاقتله . إنه يحبنى فاقتله حالا .

مـيـرتيلوس : استـمع إليـهـا يا "بيلوبس". فـهـذه هى صـرخـة الحب الوحيدة التى أستطيع أن أسمعها منها . إنها تريد منك أن تقتلنى ، تريد منك أن تقتلنى فى الحال لأنها فى هذا المساء ، لأنها بعد لحظة، لن تكون واثقة من هذه الرغبة . آه ... يا بيلوبس لو كنت تسـتطيع أن تدرك كـيف كـان جسدها ، على الرغم منها ، قد بدأ يستسلم بين ذراعى ، تحـت الإهانة وتحـت العنف ، لما ترددت فى الضـرب . لا تتردد ، فإننى أريد أن أموت .

إيبـــودامى : إنك تريد أن تموت لأنك مـــغلوب ، تريد أن تموت لأننى أحب " بيلوبس " .

مـيـرتيلوس : أتراها كانت تصرخ بذلك عاليا لو كانت على يقين منه ؟ أجل إننى أريد أن أفر بعيدا عن هذه التى خنق فيـهـا صوت الحق، وسط ضجة الانتصارات. إننى غريب عليها، وقد يكون لى وطن فى مكان آخر ، الحب السـامى ليس فيه محقرا ، والمعشوقات فيه لسن بكاذبات ، واللغة التى تتخاطب بها الوحشية والضعف الدنس ليست هى اللغة الوحيدة المفهومة على أرضه . إذا تركتنى أعيش فلن تنام مطمئنا ما حييت . إن حمـرة يدى القاتل أبدع فى نظر المرأة من حـمـرة عبـاءة الملك . اقـتلنى . وإذا أردت أن تحبك ، كما تريد أن تحبـك ، فلا تعْبـدها واحتقـرها ، ما أشد اضطرابك ، وكم تحس بأنك مجرد أعزل ... ضد

رجل أعـزل من السـلاح ، لأننى أنا الذى أسـعى إليك ، إننى أسعى إلى الرجل الذى سيقتلنى ، وأننى لأشد منه وأقــوى ... ... غــريب أن أثبت نظرى على الرجل الذى سيقتلنى ، وأن أقــرأ الخـوف عـلى وجهـه . تشجـع يا بيلوبس ... أرق دم الآلهة .

[ينقض على بيلوبس]

بـيـلـوبـس : وأخيرا ، هأنت قد رضيت **(يطعنه)**

مـيـرتيلوس : وأخيرا ها أنا ذا قد أجبت (يسـقط) " بيلوبس" ، لقد غررت بك . وسقطت فى شركى ، لقد كبوت فى الجرم . فأيقظت الآلهة ، فشكرا .

إيبــودامى : " بيلوبس " ، هاهى ذى زوجتك .

مـيـرتيلوس : الزواج ... الزواج ...فيا تاج العالم ويا موكب السماء أضئ مشـاعلك ، وأنت أيتـها الأرض ، أزهرى لمخـدع الزواج . المخدع الذى سيضع فيه "بيلوبس" فوق جسد إيبودامى الأبيض يده ، يد القاهر ، يد الملك . أضئ للمخـدع الذى سيلتقى فيه بيلوبس وإيبودامى ، ويصنع معها سلالته ، فلتكن هذه السلالة ثأرى .

بـيـلـوبـس : لقد نال ضربة قاضية ، ومع ذلك فلا يزال يسب ويلعن .

إيبــودامى : (تجذب " بيلوبس " ناحية سلم القصر) - لماذا تفكر فيه ؟ لقد حُلت يداه، ولم يعد ليديه حول ولا قوة ، وقد حلت مكانهما يدا زوجتك . إنك لست له يا بيلوبس . إنك لى .

* * *

المشهد الخامس

[نفس الأشخاص - لوكونوئيه]

لوكونوئيه : " ميرتيلوس " ...

ميرتيلوس : كلا، يا "لوكونوئيه"... بل ما بقى من "ميرتيلوس"، ما صنعه من "ميرتيلوس " " بيلوبس " و " إيبودامى " . رفات ميت نفاية قبيحة ملطخة بالقطران الأحمر، فضلة مآلها للعفن. انظرى إليهما أيتها الخادمة الأمينة ... إنهما جميلان ، سعيدان ، واقفان يتعانقان بخيلاء فى المجد العرسى . لقد جئت فى حينك يا لوكونوئيه . فأنشدى معى ...

لوكونوئيه : أى حبى ... حبى ينزف دمه ، وحياتى ونورى يدعاننى ويختلطان به فى التراب. أواه ... فليجنبونى هذه الشناعة، وأية شناعة أخرى ستحلو لى ... " ميرتيلوس " ، يجب إيقاف هذا الدم . إننى أعرف كيف أضمد الجراح . الأمر بسيط ، الأمر يكاد يكون بسيطا .

ميرتيلوس : آه .. لا تظنى أنك ستسلبيننى موتى. إذا كنت قد أتيتنى بالعناية والنحيب والدموع والحب ، فلا حاجة لى بك . فيهما يجب أن يكون التفكير ، فيهما وحدهما . أيها اليأس ، أيها اليأس العزيز ، أى صديقى ، أهذه رسولك؟ هل أنت مستعدة للسب معى ، للعويل معى ؟ هل أنت حقيقة غضبى ؟ إن كنت غير ذلك فاغربى عن وجهى ...

لوكونوئيه : أنا ما تحب يا ميرتيلوس .

إيبودامى : (**مخاطبة " بيلوبس "**) أى حبيبى ، هأنذا ملتصقة بك ، مقترنة بك فى الصدر إلى الركبتين لا يوجد بينى وبينك إلا جسدانا . " بيلوبس " ، ما أبعدك عنى .

ميرتيلوس : آه .. يا لوكونوئيه ، انظرى إليهما . ألن نفرقهما ؟ كلا ، أيها الحب ، أيتها الغيرة ، دعا ذلك ... يجب أن يتزوجا . يجب أن يخلطا أعضاءهما وأنفاسهما ، وأن يولد عقابهما من متعتهما .

بيلوبس : آه ... ألا يمكن أن يسكت ؟ .

إيبودامى : لن يلبث أن يموت ، وليمت العالم معه إذا لم أكن أنا العالم بالنسبة لك . ولتمت معه الآلهة إذا أرادت أن تسلبنى فكرة منك ... ... "بيلوبس" استمع إلىَّ ، لا تستمع إلى أحد غيرى ، لا تر أحدا غيرى .

ميرتيلوس : أيتها العدالة ... ... أيتها العدالة ... ... كلا ليست هناك عدالة ... إن فمى لشديد الجفاف، حتى إن العدالة لا يمكن أن تنقع غلته . أيتها القوى التى لا اسم لها ، أيتها المحن التى لا وجه لها ، أيتها الألوان من العقاب التى لا حدود لها ، إنما حاجتى إليك أنت ، وليست إلى الآلهة .

بيلوبس : هل تسمعينه ؟؟

إيبودامى : إننى لا أسمع فى سكينة العالم إلا قلبك قريبا من أذنى ، والنَّفَس الرقيق الذى يصعِّده صدرك . إننى حرة ، حرة ، حرة بين ذراعيك .

بـيـلـويـس : آه ... فلنرفع عن كاهلنا عبء هؤلاء الموتى !

إيبـــودامي : ليس هناك جرم ، وليس هناك مذنبون ، فإن يدى التى تداعب كتفك بريئة ، وفمك تحت أناملى برىء ، وحبنا برىء . ونومنا برىء . وأول نظرة تلقيها علىّ عند صحوك ستكون نظرة البراءة . وأبناؤنا سيكونون أبرياء .

بـيـلـويـس : إننى خائف يا " إيبودامى " . إننى خائف ليس من خطئنا ، وإنما من سعادتنا . فإن سعادة كهذه إنما هى تحدٍ هائل لقوانين العالم المحزنة ، ولو أنها – مذنبة كانت أو لا – من شأنها أن تغفر .

مـيـرتيلوس : أيتها الأرض ، أيتها الأرض ، أى خطيبتى ، إنك البطن الوحيد الذى سأخصبه . فها هى ذى البذرة الحمراء قد باتت فيك ، وأنت تنتفضين فى أعماقك . فلتنم ولتنضج بذور ثأرى . وليكن الحصاد وفيرا ، آه يا لوكونوئيه ... لوكونوئيه ... لقد زال عنى صوتى وانقطعت منى الأنفاس. ليتنى أعيش حتى أقول كل شىء ... لوكونوئيه ... ساعدينى، تكلمى بدلا منى . العنى بدلا منى .

لوكـونوئيــه : لست أدرى كيف ألعن ؟

مـيـرتيلوس : إنك تحبيننى ، ولقد قتلانى. أليس هذا كافيا لكى تحقدى؟

لوكـونوئيــه : وا أسفاه ... إننى لا أحقد . وإنما أبكى .

مـيـرتيلوس : ليكن . تكلمى بلا غضب . تكلمى باسم الوداعة . تكلمى باسم الألم الأعزل ، تكلمى باسم الضحايا . أسرعى ، أسرعى ، يا لوكونوئيه .

لوكـونوئيـه : سمعا وطاعة . ولكن خبرنى بما يجب أن أقول .

مـيـرتيلوس : ليكن وفيراً حصاد قاتل أبيه وحانث قسمه .

لوكـونوئيـه : ليكن وفيرا حصاد قاتل أبيه وحانث قسمه .

مـيـرتيلوس : ليأت أبناء " بيلوبس " و " إيبـودامى " إلى الدنيـا وأيديهم ممتدة إلى السكين ورقابهم ممتدة إلى السكين .

لوكـونوئيـه : أيديهم ممتدة إلى السكين ، ورقابهم ممتدة إلى السكين

مـيـرتيلوس : وليلعنوا آباءهم ... إننى لا أقـوى يا لوكـونوئيـه ، يجب أن ننتهى ... لابد أن تـُكملى وحدك .

لوكـونوئيـه : لابد من ذلك حقا ؟

مـيـرتيلوس : لابد ...

لوكـونوئيـه : ليلعنوا آباءهم ، وليلعنـهم أبناؤهم ، وليلعن أبنـاء أبنائـهم أبناءهم .

مـيـرتيلوس : أجل .

لوكـونوئيـه : ولتضرب الزوجة زوجـها الذى ينام مطمئنا . وليبتر الأب ابنته فى زهـرة حياتها ، وليهن الابن أمه ويسبها .

مـيـرتيلوس : أجل .

لوكـونوئيـه : ولا يكـونن لهـذه السـلالة ، لهـذا الأخطبـوط ، من عمل ولا تفكير إلا إبادة جنسه .

مـيـرتيلوس : أجل

إيبـــودامى : لقد نجوت يا " بيلوبس". ونجوت معك ، ولم يعد من خطر يهددنا فوق هذه الأرض الحبيبة حيث سيهلك عما قريب أولئك الذين يعـادوننا . إن السـلام يفيض على العـالم ،

انظر ... إن الشمس تميل . وعما قريب ستهبنا الليل ... ليلنا ..

بيلويس : ألم يخلف هذا اليوم فى نفسك شيئا من الرعب ؟

إيبودامى : حتى شبح الموتى مات . وذكرى الموتى ماتت ، إننى ولدت منذ قليل .

ميرتيلوكس : استمرى يا لوكونوئيه .

لوكونوئيه : لتحمل الحرب والغيرة مشاعلهما ، ليأت السأم والمقت بسمومهما... وحيث يسقط الخنجر من يد الجريمة المنهكة، فليرفع الخنجر ... وليطالب الثأر بالثأر ... وليقتل القضاة وعندئذ فليعاقب القضاة ... ... انهضوا يا أبناء بيلوبس وإيبودامى وتعالوا إلى ميرتيلوس .

بيلويس : أنت زوجتى ، أنت ثروتى ، أنت غنيمتى ، يقينى الضعيف ، حليفتى فى الموت ...

إيبودامى : أنت سيدى ، أنت طفلى ، أنت ... ...

ميرتيلوس : عيناى تضطربان . كل شىء يصبح بخارا وسحابا . هل يأتى أولئك الذين تنادينهم ؟ هل يأتون ؟؟

لوكونوئيه : إنهم يأتون يا حبيبى . فإن كتل الظلام هذه التى تقترب ، إنما هى أشباح أولئك الذين لم يولدوا بعد . إنهم يأتون ، إنهم يستجيبون لك. انظر ... انظر إلى هذين : إنهما توءم منفصل مجتمع على حقد لا يخمد. إنهما ولدا "إيبودامى" و"بيلوبس" ، إن شفاههما مخضبة بالدم . لقد أوعز أحدهما إلى أخيه أن يلتهم أبناءه فى وليمة لا اسم لها .

مـيـرتيلوس : من هما ؟

لوكـونوئيـه : الأول هو " أتريه " ، والآخر هو " تييست " .

مـيـرتيلوس : " أتريه " ، " تييست " . قولى ، من ترين غيرهما ؟

لوكـونوئيـه : إننى أرى خلفهما ملكا عظيما مقبلا ، تفيض نظرته رعبا . يحمل بين ذراعيه فتاة قتيلة .

مـيـرتيلوس : من تكون هذه الفتاة ؟

لوكـونوئيـه : إنها ابنته . إنه قاتل ابنته – فلتطلب نفسًا ...

مـيـرتيلوس : لوكونوئيه ، لقد عميت عيناى . فمن ترين ؟

لوكـونوئيـه : إننى أرى ملكة فاجرة – إنها بالقرب من عشيقها يترصدان ، ينتظران الزوج الواثق عند عتبة القصر . يجذبانه . انتظر ، لقد ذُبحا بدورهما أيضا .

مـيـرتيلوس : ومن غيرهم ؟ من ؟ الأسماء فقط ، فليس لدى وقت .

لوكـونوئيـه : إننى أرى إليكترا . وأرى أوريست .

مـيـرتيلوس : وهكذا طابت نفسى .

[يموت]

لوكـونوئيـه : ميرتيلوس ... آه ... لم أستطع إذن أن أقول لك غير هذه الاستدعاءات لخوارق القديسات ، غير هذه الخرافة الشنيعة التى أردت أن أهدهدك بها وأنت مقبل على الموت كما يريد الطفل أن يُهدهد قبيل نومه ، كنت أتمنى ألا أحدثك إلا بلغة حنانى ، ولكنها لم تكن تثير اهتمامك . إن حبى لم يختلق كلمات الحقد إلا لكى يرسم شيئا من الابتهاج على نظرة ميرتيلوس الأخيرة . لقد كذبت . لقد

اختلقت خرافة ، خرافة لطفل يموت . وهاهى ذى آلهة الشتاء قد شرعت فى مسيرة تستغرق القرون . قفن ! فلقد مات للأسف ! ... وليس به حاجة إلى الانتقام . إن ألمى والوحشة فوق هذه الأرض سيكونان شاهدين له ، وفيهما الكفاية . قفن ! ولكن الوقت قد فات . ولم يعد العالم إلا صمتا .

إيبودامى : لقد صمتا . فلم يعد العالم إلا صمتا .

* * *

المشهد الأخير

[إيبودامى - بيلوبس - لوكونوئيه - المعمارى - جلوكوس - ميلون - الأركادى - أجاتو كراتيس - بروكليس - جمهور]

[من بعيد تسمع أصوات تقترب لموسيقى حفل وابتهالات]

المعمارى : المجد لبيلوبس . محررنا ...

جلوكوس : المجد لبيلوبس ، مليكنا ...

الجمهور : المجد لبيلوبس ، وإيبودامى ...

أجاتوكراتيس: وهذه قصة أخرى ... لقد قتل " بيلوبس " ميرتيلوس .

الأركادى : لا شأن لنا بذلك .

ميلون : المجد لبيلوبس ! المجد لبيلوبس ولأميرتنا ! .

الجمهور : عاش ... عاش ... بيلوبس عمراً مديدا ...

المعماري : يجب على الملك الجديد أن يظهر سلطته ، ثم إن "ميرتيلوس" هذا لا بد أنه لم يَرُق لبيلوبس ، لقد كان يحوم حول "إيبودامى" فى الأيام الأخيرة ، حياة مديدة ! حياة سعيدة لبيلوبس !

بروكليس : إن هذه الميتة فى نظرى لا تبشر بخير . فالملوك عادة ما يكونون صالحين فى بداية حكمهم . فإذا كان حكم هذا الملك يبدأ على هذا النحو . فكيف ستكون نهايته ؟ ثم إن " ميرتيلوس " كان حوذيا وابناً لأحد الآلهة ... عهداً سعيداً " لبيلوبس " و " إيبودامى " ! ... ...

ميلون : حوذى ممتاز ... يقال إنه ربما خان أونوماءوس فى السباق .

المعماري : أجل ! وسَمَّن هذا الجلوكوس على حسابنا . المجد لبيلوبس ملكنا الجديد ...

جلوكوس : أما أنا فإننى أرثى له . وستقولون لأنه أثرانى . الحق أنه كان رجلا يفضلنا جميعا . ربما كان مخطئا . هاهو ذا الذى عاقبه مخطئ بدوره . ولا تزال القضية مفتوحة ، ولا يزال هناك دين واجب . إن الآلهة ماهرة ، تعرف كيف تأخذ جميع الناس بأخطائهم .

الجمهور : فلتبارك الآلهة زواج بيلوبس و إيبودامى... ولتكن سلالتهما سلالة ظافرة، وليشرفهما أبناؤهما .

بـيـلـويـس : إننى أشكر لكم ابتهالكم . وأود أن يُدفن "ميرتيلوس" فى جنـازة عظيمة تليق بمكانة الملوك، فأنا أحب للذى أهاننى وعاقبته أن يدفن بطريقة كريمة ، ولكننى لا أريد حدادا . إن الأعمال ستتوقف غدا فى مناطق العمل ، لتستأنف فى فجر اليوم التالى ، وإننى أرد على تمنيات شعبى الطيبة بتمنياتى له بالنجاح والفلاح . وأرى أن بقية هذا اليوم ، وهو أول أيام حكمى ، ويوم انتصارى وزواجى ، أرى أن تنفق بقية هذا اليوم كلها فى الأفراح .

لوكـونوئيـه : الأفـراح ... ...

سـتار

ثرثرة بعد جنازة

تأليف : ياسمينة رضا

(جائزة موليير لأحسن كاتب درامى ١٩٨٧ ، ١٩٩٥)

ياسمينه رضا

إذا كان المسرح الحالى ، بشكل عام ، يوحى بنوع من التشابه فى الإنتاج، إلا أنه يبدو فى صورة من التباين أو التنافر الذى يثير الحيرة. ففى إنتاج هذا المسرح تتعايش نصوص فى غاية التماسك ودقة الحبكة ، إلى جانب نصوص أخرى متهرئة ممزقة . ونصوص فى غاية اليسر والسهولة ، إلى جانب نصوص فى غاية التعقد والغموض . كما نجد نصوصا أحادية الدلالة ، مع أخرى متعددة الدلالات ، ونصوصا فى قمة الشاعرية إلى جانب نصوص مرتجلة إلى أقصى درجات الارتجال على حد قول سيجيلد بوجوميل .

ومع ذلك فبالرغم من نقاط الاختلاف والتباين ، فهناك بعض نقاط التشابه أو على الأقل بعض الخطوط العريضة التى تجمع هذه الأشتات وهذه الأصوات الفردية .

هذه الحقيقة تنسحب أيضا على حالات الكتابة النسوية . فالكاتبات أيضا ، شأنهن شأن الرجال الكتّاب ، فإذا كن يجتمعن حول صفات معينة ، فهذا لا يلغى الفوارق بينهن . وإذا كانت أعمال ياسمينة رضا تعد نموذجا واضحا للكتابة النسوية فإنها لا تنحصر فى قضايا

الجنس الآخر ، بل ولا تميز بين الجنسين فى أعمالها ، بل ولا نشعر عندها بهيمنة الشخصيات النسائية أو القضايا التى تهم المرأة بنوع خاص .

كتبت ياسمينة رضا أولى مسرحياتها عام ١٩٨٧ بعنوان " ثرثرة بعد جنازة " حصلت بها على جائزة (موليير لأحسن عمل درامى) وفى عام ١٩٨٩ كتبت مسرحية " اجتياز الشتاء " وفى عام ١٩٩٤ كتبت ياسمينة رضا مسرحيتها الثالثة بعنوان " فن " محققة نجاحا تجاوز حدود فرنسا . وفى عام ١٩٩٥ ، عرضت لها مسرحية "رجل المصادفة" . ومن الجدير بالذكر أن ياسمينة رضا حصلت مرة أخرى على جائزة موليير وذلك فى عام ١٩٩٥ .

الحدوته عند ياسمينة رضا تأتى فى المستوى الثانى من الاهتمام . إن مسرحية مثل "ثرثرة بعد جنازة " تقدم لنا أفراد أسرة يجمعهم دفن الوالد . تتألف المجموعة من الأخوين (ناتان) و (أليكس) والأخت (إيديت) وخالهم (بيير) وزوجته (جوليين) و (إيليزا) العشيقة السابقة للأخ (أليكس) . وتجرى الأحداث فى ضيعة الأسرة . والحقيقة أنه ليس ثمة أحداث حقيقية . فبمجرد دفن الميت تنخرط الشخصيات فى سلسلة من الأحاديث والمناقشات التى لا علاقة لها بالجنازة ولا بالفقيد ، وإنما تنصب على العلاقات الأسرية بين الإخوة والخال والخالة ومغامراتهم العاطفية الفاشلة . وتتنوع الأحاديث على هوى اللقاءات ومداخلات الشخصيات . فلا قضية أساسية ولا موضوع حقيقى .

الجوهر فى مثل هذه المسرحيات ليس ما يجرى على المنصة ، وهذا ما يشير إليه الشخصيات . (فنحن نمر بجوار كل شىء) على حد تعبير (إيما) فى مسرحية " اجتياز الشتاء " والشخصيات تشعر بالحنين (لما لا يقع) . وهذا ما تعبر عنه ياسمينة رضا فى "ثرثرة بعد جنازة " .

* * *

عرضت هذه المسرحية فى ١٥ يناير ١٩٨٧ على مسرح باريس فيليت بإدارة هنرى دى مينتون .

إخراج : **باتريس كيربرات**

ديكور : **جاك لى ماركيه**

توزيع الأدوار

ناتان بول بارج فى الثامنة والأربعين
إيديت جوزيان ستوليرو فى الخامسة والأربعين
أليكس جان ميشيل دوبوى فى الثالثة والأربعين ، شقيق ناتان وإيديت
بيير جان بول روسّيّيون فى الخامسة والستين ، خالهم
جوليين لوسيان هامون فى الرابعة والخمسين ، زوجته
إيليزا كارولين سيهول فى الخامسة والثلاثين، صديقة أليكس السابقة

المكان

- ضيعة للأسرة فى لواريه
- فضاء مفتوح ووحيد
- عناصر متتالية توحى بالغابة والمنزل

بحيث إن لحظات " الإظلام " تكون أقصر ما يمكن .

(١)

[الظهيرة. فى سكون عشب الغابة، رجل يهيل التراب على نعش الأب ، ثم يبتعد . ناتان وإيديت وأليكس يقفون جامدين. على مسافة منهم ، بيير وجوليين. بمعزل قليلا ، إيليزا . ناتان يخرج من جيبه ورقة ويقرأ بصوت مرتفع]

نـــاتـــان : "حينما ماتت أمى ، كان عمرى ست سنوات. كانت تصعد السلم بحقيبة سفرها وأنا أتذكر الحقيبة التى سقطت من الجنب فوق البلاط الحجرى . وحينما توفى والدى ، كنت فى الحادية عشرة من عمرى، وكانت الحرب دائرة ... لقد وجدتنى وحيدا فى العالم. وحيدا نشطا فعَّالا ، لدرجة أن الشيطان زارنى ... وقد استقبلته كعون إستراتيجى ، حصن حصين كنت أختفى فيه من مرمى القذائف . منذ ذلك اليوم وحتى الأبد ، خرجت إلى الحياة مغطى بالأشواك من رأسى إلى قدمىَّ، منزها من الخطأ وباردًا. أطلقت على ابنى المتخيل اسم ناتان. سيمون وينبيرج ١٩٢٨"

كان والدى فى العشرين من عمره .

[إظـــلام]

(٢)

[شرفة . مستوى المنزل . منضدة . كراسى حديقة]
[أليكس وناتان واقفان]

نـــاتـــان : من أين جئت ؟

ألـيـكـس : من غرفتى .

نـــاتـــان : ناديتك ، ولم تجبنى .

ألـيـكـس : هل سافرتْ ؟

نـــاتـــان : لا أعرف .

ألـيـكـس : من أبلغها ؟

نـــاتـــان : لا أعرف .

ألـيـكـس : أنت .

نـــاتـــان : كلا .

[تظهر إيديت]

إيـــديـــت : أنا ... أنا التى أبلغتها .

ألـيـكـس : هل طلبتِ منها الحضور ؟

إيـــديـــت : لا . **[لحظة]** وما أهمية ذلك ؟

ألـيـكـس : هل سافرتْ ؟

إيـــديـــت : لا .

ألـيـكـس : قولى لها أن تذهب .

إيـــديـــت : كف عن ذلك ...

ألــيكــس : قولى لها أن تذهب ، لو سمحت .

[صمت]

إيــديــت : هل تحبان أن أعد قهوة ؟

ألــيكــس : يوجد بالداخل مسخرة !

إيــديــت : اسمع يا أليكس ، ألا ترى أن هذا ليس وقته ...

نــاتــان : دعيه ...

إيــديــت : كانا يتقابلان ، ولقد جاءت هنا دون أن تعلم أنت .

ألــيكــس : إذن ؟

إيــديــت : أقصد أنه ليس من المستغرب وجودها هنا .

ألــيكــس : لأنك بمجرد أن تترددى على شخص تحضرين جنازته بالضرورة ! عليك أن تمضى حياتك فى الجنازات يا مسكينة !

نــاتــان : ممكن تعدين لنا قهوة يا إيديت ؟

إيــديــت : طيب ...

ألــيكــس : خل عنك . سأذهب أنا **[وهو ينصرف]** الحقيقة أنا الذى أبدو مستغربا .

نــاتــان : سلوكك هو المستغرب .

[أليكس ينظر إلى ناتان ثم ينصرف . إيديت تجلس]

[صمت]

[تظهر إيليزا]

إيــديــت : اجلسى ... تعالى ، اجلسى ...

إليــــزا : كلا ، لن أبقى ، شكرا ... أنا جئت لأودعكم ... إلى اللقاء يا إيديت ... **[تتعانقان]** إلى اللقاء يا ناتان ... تقبل عليه وتبسط له يدها بعد تردد . تستدير نصف دائرة .

نــــاتــــان إيليزا ...

إيليــــزا : نعم ؟

نــــاتــــان : ابقى قليلا ...

إيــــديــــت : ابقى قليلا ...

إيــــديــــت : أليكس ذهب ليعد قهوة ، ابقى قليلا ...

إيليــــزا : سيعود .

[لحظة]

نــــاتــــان : أين خالى ؟

إيليــــزا : ذهب ليقوم بجولة على الطريق مع زوجته .

نــــاتــــان : هل كنت تعرفينها ؟

إيليــــزا كلا .

نــــاتــــان اجلس .

إيليــــزا : كلا .

نــــاتــــان : إذا جلست أنا ، هل تجلسين ؟

إيليــــزا : كلا .

صوت **[أليكس من الخارج]** : إيديت أين الفناجين ؟

إيــــديــــت : فوق الحوض ...

[تنهض وتخرج . صمت]

نــــاتــــان : أنتِ قصصتِ شعرك .

إيليــــــزا : نعم ... منذ فترة طويلة .

نــــاتـــان : هذا أفضل .

إيليــــــزا : تظن ذلك ؟

نــــاتـــان : نعم .

إيليــــــزا : يجب أن أسافر ...

[صمت]

نــــاتـــان : إلى اللقاء .

إيليــــــزا : إلى اللقاء ...

[تستدير نصف دائرة ثم تعود إليه]

إيليــــــزا : **[بسرعة فائقة]** ناتان، أعتقد أننا لن نلتقى بعد ذلك أبدا؛ وهناك شىء يجب أن أقوله لك ... فى خلال هذه السنوات، لم أفكر إلا فى شىء واحد فقط، هو أن ألقاك، لم يكن عندى سوى هاجس واحد، هو أن ألقاك. أن أراك، أن أسمع صوتك ... لقد عشت أفكر فيك ، لا أستطيع أن أحب أحداً غيرك ...

[تستدير وتنصرف بسرعة . يبقى ناتان وحده]

[إظــلام]

[المشهد نفسه، الإضاءة نفسها. ناتان وحده]

[تظهر إيديت حاملة فناجين القهوة]

إيــــديـــت : هل سافرت ؟

نــــاتـــان : نعم .

[تضع الفناجين فوق المنضدة]

إيـــديـــت : جان اتصل بالهاتف قبل قليل . كنت على وشك أن أدعوه على الغداء غدا، ثم قلت فى نفسى... الواقع أننى لا أرغب كثيرا فى رؤيته ، ليس هو بالذات ، ولكن ... لقد أرسلوه إلى لندن .

نـــاتـــان : راضيا ؟

إيـــديـــت : نعم ، أعتقد ذلك **[تبتسم]** أخبرنى بذلك بنبرة صادقة ...

[ناتان يبتسم]

إيـــديـــت : ألا تشعر بالحر ؟ لست أدرى لماذا أشعر بالحر ... **[تخلع الصدرية]** كأننا فى شهر سبتمبر ... أحسنت صنعا برحيلها .

[يظهر أليكس حاملا وعاء القهوة]

ألـــيـــكـــس : ستكون خفيفة . فلم أجد سوى القليل من البن .

نـــاتـــان : فى البلاكار ؟

ألـــيـــكـــس لم أبحث فيه .

إيـــديـــت : هذه أول مرة أراك تعد فيها قهوة .

ألـــيـــكـــس : كيف تظنين أننى أعيش ؟

إيـــديـــت : لم أقل أنك لا تعرف . أنت تأخذ كل شىء على الوجه السيئ .

ألـــيـــكـــس : لا آخذه على الوجه السيئ . ماذا قلت أنا ؟ كل ما هناك أنك تتصورين أن معرفتى إعداد القهوة يعتبر معجزة ،

أى إنسان تافه يستطيع أن يعد القهوة، ليس فى ذلك عمل خارق ... حتى فى المطبخ ، سألتنى إذا كنت أعرف .

إيـــديــت : **[متأثرة]** أنا لم أسألك إذا كنت تعرف ، وإنما سألتك إذا كنت تريد أن أساعدك .

ألــيـكــس : سيان .

نـــاتـــان : **[بينما أليكس يفرغ من صب القهوة فى الفناجين]** قهوتك هذه بول أطفال .

[أليكس يذوق ويضع فنجانه بادى القرف]

ألــيـكــس : ماذا يفعل ثلاثتهم ؟

نـــاتـــان : بيير وزوجته يتنزهان . وإيليزا سافرت .

ألــيـكــس : هل رأيتها ؟

نـــاتـــان : جاءت لتودعنا .

ألــيـكــس : هل طلبت منها أن تسافر ؟

نـــاتـــان : كلا .

[صمت . أليكس يسير خطوات]

ألــيـكــس : يجب قص هذا البستان . إنه ملىء بالحشائش . **[إلى إيديت]** هل يوجد مقص ؟

إيـــديــت : تريد أن تقص البستان بالمقص ؟

ألــيـكــس : لا أستطيع أن أنظر إلى هذه الغابة دون أن أتذكر أبى وهو يختنق تحت... من الجنون أن ندفنه هنا... ألا تشعران أنتما بهذا الشعور ؟ أرى رأسه ومنخريه مليئة بالتراب ،

مع ضوضاء الطيور العالية ...

إيـــديـــت : كف عن ذلك ...

نـــاتـــان : المقص فى المخزن فوق المنضدة .

ألـــيـكــس : [ملتفتا نحو إيديت] – عندى رغبة فى قطف بعض العوسج ، تصور . سأحضر المقص .

[ينصرف . لحظة]

أيـــديـــت : هل تتذكر باقات العوسج .

نـــاتـــان : هو يتذكر .

إيـــديـــت : ماذا أعد للعشاء ؟ لا يوجد شىء . يوجد علبة سردين ، وأرز ...

نـــاتـــان : عظيم جدا .

إيـــديـــت : هل تظن أنهم سيبقون هذا المساء ؟

نـــاتـــان : ليس عندى أى فكرة .

إيـــديـــت : هى متعبة جدا ...

نـــاتـــان : هى غريبة جدا ، مليئة بالحيوية ...

إيـــديـــت : هل تظن ذلك ؟

نـــاتـــان : نعم ... أنا أحبها .

[صمت]

إيـــديـــت : ساعدنى يا ناتان .

[إظـــلام]

(٣)

[طريق ريفى . بيير وجوليين يسيران . خلعت معطفها الذى تحمله فوق ذراعها]

جوليين : لو كنت أعرف أن الحرارة ستكون بهذه الصورة، لارتديت المعطف الجابردين... اعترف أن هذا الجو غير متوقع على الأقل فى نوفمبر. على أية حال، لا أدرى لماذا ارتديت الحداد، شىء يثير السخرية ، أنا الوحيدة التى ارتدى السواد. ماذا نعمل هذا المساء ؟ هل سنبقى للعشاء فى رأيك ؟

بيير : لا أعتقد أنه من الذوق أن نفرض أنفسنا .

جوليين : هل ترى بوسعك أن تواصل الطريق الليلة ؟ بصراحة يمكننا على الأقل أن نبقى للنوم .

بيير : سنرى .

جوليين : هذا المنظر رتيب ! لا وجه للمقارنة مع نورماندیا . جميلة إيليزا ، أليس كذلك ؟

بيير : متسيبة قليلا .

جوليين : متسيبة قليلا ، صحيح . هذه هى الموضة . توقف . فظيع أننى بمجرد أن أمشى خمسين مترا . ألهث وأختنق .

بيير : شىء طبيعى ، لأنك لا تمارسين أى تمرينات .

جوليين : كلا ، كلا ، الأمر أخطر من ذلك ، عندى شىء فى القلب ، أنا متأكدة من ذلك . هات ، ضع يدك ... ليس هكذا ! ... **[ضحكة قصيرة]** بيير يتصنت على الطريق .

بيـــــيــــر : **[يدخل يده تحت القميص]** كم شيئا تريدين ؟

جــوليــين : ثلاثة ، بالإضـافـة إلى المعطف . ارتديت سـتـرة مـن الصـوف قـبل السـفر بالضبط .

بيـــــيــــر : أنت تختنقين تحت كل هذه الملابس .

جــوليــين : أختنق . إنها السترة الصوفية التى تخنقنى .

بيـــــيــــر : اخلعيها .

جــوليــين : أين ؟ هنا ! ؟

بيـــــيــــر : ستجد شجرة ...

جــوليــين : هل ترى شجرة ؟

بيـــــيــــر : إذا كانت لديك الشجاعة ، انزعيها فى حقل الذرة ، وفى أثناء ذلك أقوم أنا بمراقبة الطريق .

جــوليــين : وإذا رآنى المزارع .

بيـــــيــــر : لا يوجد أحد .

جــوليــين : أنت لا تعرف المزارعين ، فى ذات يوم ، عبر نيقولا حقلا لا أدرى حقل ماذا ، وقد تبعه المزارع فوق جرّاره ! على العموم . لا تزعج نفسك ، لن تكون هناك مشكلة .

بيـــــيــــر : نعود إذا شئت، فتخلعين هناك الصدرية الصوفية على الأقل.

جــوليــين : تظن ؟... آه ، كلا ، أنا أشعر بالبرد فى الذراعين . كلا ، كلا ، إنها الفانلة.

[يستديران]

جــوليــين : هل كان متزوجا بهذه الفتاة ؟

بيـــــيــــر : من ؟

جـوليـين : أليكس .

بيـيـر : كلا .

جـوليـين : غريب أن ثلاثتهم غير متزوجين .

بيـيـر : نعم .

جـوليـين : بالذات من هذا الجيل . شيء غير عادى .

ألـيـكـس : أنا تزوجتك وأنا فى الثالثة والستين .

جـوليـين : أنت لست مثالا ، انظر ، أليست هى التى هناك ؟

[بيير يلبس النظارة]

بيـيـر : أوه ، أوه !

جـوليـين : ماذا تفعل هناك ؟

بيـيـر : ربما تعطلت السيارة .

[يتوجهان تلقاء إيليزا]

(٤)

[المكان الذى دفن فيه الأب]

[يظهر أليكس. يمسك فى إحدى يديه المقص وفى الأخرى ثلاث سيقان من العوسج الجاف الكستنائى اللون. ينظر إلى الأرض ، لحظة طويلة . وأخيرا يركع . لحظة]

ألـيـكـس : اسمع يا أبى . أنت مضطر لأن تستمع إلىَّ، فمنخراك الآن مليئان بالتراب، ولا تستطيع أن تصيح . الآن ، أنا

الذى أصيح وحدى ، ولن أكف عن الصياح . حينما أنظر إلى نفسى ، أشعر أننى عجوز صغير . أنا أصيح وأضطرب كالكلب الدوج ، شيء ما يقرصنى فى شفتى . وأنا فى سن الثانية عشرة صفعتنى لأننى كنت آكل فخذ دجاجة بيد واحدة . ودون سابق إنذار ، حتى لم تقل لى "كل بيديك الاثنتين" ، صفعتنى دون سابق إنذار . ولم يفتح أحد فمه، وصعدت أنا إلى حجرتى وبكيت طويلا. وجاء ناتان – لكنه كان قد فرغ من الآكل حينما جاء – وقال لى " هكذا هو ، لأن ماما ماتت " ، فأجبته قائلا : "دعنى وحدى ، فليمت هو الآخر ... "

[ظهر بيير . توقف على بعد أمتار ، فى صمت]

أليكس : أنت هنا ؟

بيير : آسف ...

أليكس : جئت أنت أيضا للزيارة ؟

بيير : أنا أطيع ساقىَّ العتيقتين . دفعتانى ، فاستسلمت لهما .

[صمت]

بيير : هل هذه الزهور من أجله ؟

أليكس : كلا .

بيير : هذا يذكرنى بأمك . كانت دائما تعمل باقات جميلة من العوسج ، فى الصيف .

أليكس : نعم .

بيير : يؤسفنى أنهما لم يدفنا جنبا إلى جنب .

ألـيـكـس : أراد أن يكون هنا .

بيـيـر : أعرف .

ألـيـكـس : أنانية كبيرة .

بيـيـر : الضيعة كبيرة ، لست مضطرا للمجيء إلى هنا .

[بيير يجلس فوق جذع شجرة]

بيـيـر : ممكن أبقى ، أم أنك تفضل أن أذهب ؟

ألـيـكـس : كلا ، ابق .

[لحظة]

بيـيـر : كم عمرك الآن ؟

ألـيـكـس : ثلاثة وأربعون عاما .

بيـيـر : ثلاثة وأربعون ... أنا شاهدت مولدك ، وأنت الآن فى الثالثة والأربعين... وأنا فى مثل عمرك ، كان كل شىء يبدو لى قد انتهى ، وولى ... نوع من الفردوس المستهلك .

ألـيـكـس : والآن لا ؟

بيـيـر : كلا ! ... كلا ، كلا ، الآن لا ...

ألـيـكـس : كم كان عمرى أنا ؟

بيـيـر : حينما كنت فى مثل عمرك ، كنت أنت فى العشرين .

ألـيـكـس : كنت تعيش فى نيويورك ...

بيـيـر : في بوسطون ... كنت مغرما إلى درجة الجنون بإحدى الأمريكيات **[يضحك]** كان صدغاى منتفخين مثل سلطانيتى القهوة .

[أليكس يبتسم]

ألــيــكــس : أنا أذكر الأمريكية .

بيـــيــــر : هل رأيتها ؟

ألــيــكــس : كلا ، لكن " أمريكية " ، أو " أمريكانية " بيير ، كانت أسطورة فى العائلة.

بيـــيــــر : تظن ؟ استمر ذلك ستة أشهر . وفى نهاية الستة أشهر سافرت إلى فلوريدا مع صاحب مصنع معجون أسنان .

ألــيــكــس : ولكنك بقيت طويلا فى الولايات المتحدة .

بيـــيــــر : ثلاثة سنوات ... ولكن دون الأمريكية. كانت هناك أخريات، ولكن تلك كانت مختلفة ...

[لحظة قصيرة]

ألــيــكــس : كيف تفسر أن أبى لم يتزوج مرة أخرى ؟

بيـــيــــر : كان عنده ثلاثة أبناء . فلماذا كنت تريد أن يتزوج مرة أخرى ؟

ألــيــكــس : هل كانت له مغامرات ؟

بيـــيــــر : لم يصل إلى علمى . ممكن . **[لحظة]** مع مدام ناتِّى ، ربما .

ألــيــكــس : مدام ناتِّى ؟ مهذبة الأظفار ؟

بيـــيــــر : ليس عندى أى دليل ...

ألــيــكــس : مدام ناتّى !

بيـــيــــر : كانت جميلة جدا ، وجه مثلث لطيف . كان ناتان أيضا يشك فى الأمر .

ألــيــكــس : حقا ؟

بيـــــيـــــر : من المؤكد أننا نخون بعضنا .

ألـــيـكـــس : مدام ناتِّى ...

بيـــــيـــــر : لعلمك ، أبوك لم يكن كثيرا الـ... لم يكن ذلك يمثل اهتماما أساسيا بالنسبة له . حينما ماتت " ليلا " ، كان فى مثل سنك . أنا لم أشاهده فى شبابه ، لكنه بعد ذلك كان يعطينى دائما الانطباع بنوع من الزهد .

ألـــيـكـــس : الذى يستأثر بمهذبة الأظفار .

بيـــــيـــــر : كلا !... يعنى ، ربما . أرجو ذلك !

[الاثنان ينظران فى صمت إلى الأرض المغطاة حديثا]

[لحظة]

بيـــــيـــــر : لعلمك ، فى مثل لحظات الحزن هذه - ستقول إنى أثير السخرية - ترد على شفتىَّ كلمات شاعرية ... بلاهة ، هه؟

ألـــيـكـــس : كلا ...

بيـــــيـــــر : بلى ، بلاهة ...

[صمت]

ألـــيـكـــس : تصور أغرب شىء ؟ ... أريد أن أطلب منه الغفران ... حينما كان مريضا ، كنت آتى وأجلس على فراشه ، لا أستطيع أن أجد الكلام ، وأردت مرة أن أمسك يده ، فحركها ليسوِّى الغطاء ... فلم ألح ... وقال لى " ماشى الحال فى النقد ؟... . " نعم ... " " تقرأ كتبا جيدة " " ... كان ثمة مرارة فى صوته ! ...

[صمت]

ألـيكـس : هل تعتقد أننى سألقاه ؟... هل هذا يضحكك ؟

بيـيـر : ماذا إذن ؟

بيـيـر : أبدا... هى طريقة فى تعبير وجهك ذكرتنى بشىء.. ببعض تعبيرات وجهك وأنت صغير ... هذا كل ما فى الأمر .

ألـيكـس : تقصد أن فى مثل سنى لا توجه مثل هذه الأسئلة ، هو ذاك ؟

بيـيـر : كلا ، كلا ، أبدا .

ألـيكـس : بلى . أنت تبتسم بطريقة فيها شفقة ، كأنما ...

بيـيـر : أبدا ، أبدا . مطلقا ، أنا لا أبتسم بطريقة فيها ... أو لا ، أنا لم أبتسم ، أنا " تنهدت " ، كما يقال فى الأدب ... تنهدت وأنا أبتسم ... ثم إنك تغيظنى !

ألـيكـس : ماذا قلت أنا ؟ أنا لم أقل شيئا .

بيـيـر : وأنا أقول أى حاجة . سامحنى .

[صمت]

ألـيكـس : أنت لم تجب عن سؤالى ...

بيـيـر : هل تعتقد حقا أننى أستطيع أن أجيبك ؟

ألـيكـس : أنت لديك فكرة . كل إنسان لديه فكرة .

بيـيـر : فكرة ... نعم .

ألـيكـس : إذن ؟

بيـيـر : أعتقد أن السؤال عن لقائه لن يطرح بعد فترة ... هذه فكرة ...

ألـيكـس : حينما أموت ؟

بيـــيـــر : أوه كلا ! قبل ذلك بكثير !

ألــيــكــس : ولكننى أريد أن تقول إننى سـألقاه قريبا ! حاجة بسيطة، وواضحة ، أنا أريد أن تقولى لى : "نعم . ستلقاه قريبا ." أنا أحتاج لهذا ! من الغريب أنك لا تفهمنى ! أنا أحتاج لهذا . قد يكون سخيفا ، لكننى أريد أن أسمع ، أريد أن يقال لى : " نعم ! ستلقاه ! "

[صمت]

بيـــيـــر : إننى أصرح لك بأننى فهمت تمام الفهم ...

ألــيــكــس : هل تعرف ماذا كان يقول لى دائمـا ، وأبداً ! بالإضافة إلى الفكرة التى كانت مسيطرة عليه بأن أعمل فى وزارة الخارجية ، كان يقول لى : "يجب أن تستقر ! " تلك كانت كلمته المفضلة : " تستقر " ... كيف يمكن مواجهة حياة تشبه هذه الكلمة ؟

بيـــيـــر : حينما تراه ، اسأله عن ذلك .

ألــيــكــس : نعم ... **[يحاول أن يبتسم]** لعلمـك ، هذه الأمور كلها هى التى ينبغى توضيحها ، وإلا ...

بيـــيـــر : نعم .

ألــيــكــس : وإلا ... لم أكن أستطيع أن أقـاومـه . لم يكن يسـمـعنى ... أبدا ... لا أذكره مرة واحدة وهو يستمع لى دون ضيق ، دون تبرم ... بهدوء .

بيـــيـــر : نعم .

ألــيــكــس : إذا لم ألقه ... **[يصمت ، عاجزا عن المواصلة]** .

بيـــيـــر : أنت لست فى حاجة لأن تتكلم ...

ألـــيـكـــس : لا أستطيع أن أقنع نفسى بهذه الفكرة ، فمهما ظننت بى ، هذه الفكرة مستحيلة اليوم ...

بيـــيـــر : نعم ... مؤكد .

[صمت]

ألـــيـكـــس : أنت تتمتع بصبر أيوب ...

بيـــيـــر : صحيح ؟

ألـــيـكـــس : نعم . أنت تتمتع بصبر أيوب .

بيـــيـــر : حسنا .

[صمت]

بيـــيـــر : قبل قليل ، قابلنا إيليزا على الطريق ... سيارتها تعطلت . كانت المسكينة كالمجنونة . وقد عدنا إلى القرية على الأقدام . واتصلنا هاتفيا بكل مكان ، لا يوجد أى ميكانيكى يريد أن ينتقل يوم السبت من توسان .

ألـــيـكـــس : هل هى هنا ؟

بيـــيـــر : وأين تريد أن تكون ؟ لقد أعدناها معنا ، كانت تريد أن تجلس على كرسى فى محل البقالة فى انتظار سيارة إصلاح من " جيان " لن تأتى أبدا .

ألـــيـكـــس : أنا لم أرها منذ ثلاث سنوات ...

بيـــيـــر : ثلاث سنوات ... كل هذه المدة ؟

ألـــيـكـــس : نعم .

بيـــيـــر : إيه نعم .

ألـيكـس : لم أكن أتوقع أن ألقاها اليوم ...

بيـيـر : ربما ...

ألـيكـس : كلا .

بيـيـر : أنت حتى لا تعرف ماذا كنت سأقول !

ألـيكـس : بلى .

بيـيـر : إذن ، ماذا ؟

ألـيكـس : هى لم تأت لمواساتى ، اطمئن . لم تأت من أجلى ... لقد جاءت احتراما للأعراف . احتراما للتقاليد البرجوازية .

بيـيـر : شىء سخيف .

ألـيكـس : أليس كذلك ؟

بيـيـر : أنت السخيف !

[صمت]

ألـيكـس : كيف يمكن أن تكون على هذه الدرجة من ...

بيـيـر : من ماذا ؟

ألـيكـس : من التفاؤل .

بيـيـر : التفاؤل ... لا أعتقد أنك اخترت الكلمة المناسبة .

ألـيكـس : أنت فهمت مقصدى . ترجم .

بيـيـر : أنت تريد أن تقول ، إننى أظهر فى الحياة نوعا من المزاج المعتدل ... نعم ... نعم ... ولكن حينما أموت ، لن يبكى أحد على قبرى البتّة .

[أليكس ينتحب]

[إظـلام]

(٥)

[فى مكان ما من الحديقة ، إيليزا و إيديت و جوليين تتنزهن]

جـوليين : من الذى يقوم برعاية الضيعة ؟ بستانى ؟

إيـديت : لا أحد الآن . فيما مضى كان هناك بستانى . أما الآن ...

إيليزا : أنا أحب هذه الناحية ، بعيدة عن الأنظار .

إيـديت : أنا أيضا . هذا هو الريف .

جـوليين : عندكم بستان فاكهة وخضراوات كبير ، خسارة ألا تستفيدوا منه .

إيـديت : كنا دائما نستفيد منه . كان بابا يهتم به جدا .

جـوليين : رائع أن يأكل المرء من ثمار بستانه الذى يرعاه بنفسه . أو من خضراواته. على أية حال الخضاروات هى الغالبة .

إيـديت : كان عندنا كرز وفراولة . لكن الفراولة لم تنجح كثيرا ، كانت مرة .

جـوليين : أنا لا أحب الفراولة كثيرا إلا إذا كانت بالسكر مع سلطة الفواكه . إيديت : نعم .

[لحظة]

جـوليين : كأننا فى الصيف حقا ! ارتديت صباح اليوم سترة من الصوف من باب الاحتياط ، ثم خلعتها عند عودتى ، فلم أستطع أن أتحملها .

إيـــديــت : العـشب جـاف جـدا ، فـالمطـر لـم ينـزل منـذ أيـام..
يمكن أن نجلس فوق العشب ، إذا أردت ؟

إيليـــــزا : فلنجلس .

جـــولـيـين : فلنجلس .

[تجلسان . لحظة]

إيـــديــت : الشعر القصير لائق عليك جدا .

أيليـــــزا : صحيح ؟

إيـــديــت : يجعل لك رقبة جميلة ، رقيقة جدا ...

إيليـــــزا : أنت لطيفة .

جـــولـيـين : هل كان شعرك طويلا ؟

إيليـــــزا : نعم .

إيـــديــت : كانت لها ضفيرة تزحف خلفها .

إيليـــــزا : حينما قصصتها ، كنت كالصلعاء ، كنت أشبه ابن السـيدة فاشية . لم يكن مثل الآن .

إيـــديــت : الآن جميل .

إيليـــــرا : نعم ، الآن معقول .

[صمت]

جـــولـيـين : بينمـا أنـا أفـكر فى ... **[تفـتش فى حقيبتهـا]** هـذه هى الصدرية الصوفية . دسستها فى حقيبتى وإلا كنت سأنساها ... لا أظن أنك رأيتها ، لقد أحضرت لك صورة لوالـدك التقطـت فى سـان جـان فى أثـنـاء الـزواج ...

ولكن أين هى؟ ... آه ، هاهى ذى ! **[تقدم الصورة لإيديت]** هى لك طبعـا . **[بصوت ملؤه الشجن]** أنا أجدها رائعة .

إيليـــــزا : جميلة جدا .

جـــولين : أليس كذلك ؟ أجدها "حارَّة" . "حـارَّة" هذه هى الكلمـة ، أجدها مناسبة .

[إيديت تتأمل الصورة]

إيـــديـــت : ممكن أحتفظ بها ؟

جـــولين : هى لك . لقد أحضرتها خصيصا .

إيـــديـــت : كأنه ناتان . التعبير .

إيليـــــزا : الابتسامة ، نعم ...

[لحظة]

إيليـــــزا : كان ذلك خلال زواجكما ؟

جـــولين : نعم . قبل عامين . التـاريخ خلف الصـورة ... أنا دائمـا أسجل التاريخ على الصور ، وإلا لما عرفنا متى ولا أين .

إيليـــــزا : على العموم ، لا يمكن أن تنسى تاريخ زواجك .

جـــولين : من يدرى ؟ لا طبعا . لكنها عادة عندى ، أسجل التاريخ على جـميع أوراقى . المستندات ، الصـور ، الإيصالات ، حتى البطاقات البريدية !

إيليـــــزا : هل عندك ألبوم ؟

جـــولين : للبطاقات البريدية ؟ كلا !

إيليـــــزا : للصور .

جـــولين : نعم ، طبعا . وأنت أليس عندك ؟

إيليـــزا : كلا .

جـــولـيـن : ولا أنت ؟

إيـــديـــت : بلى ...

جـــولـيـن : أنا عندى خمسة ألبومات أو ستة. الأبناء ، والأحفاد ... هذه عقليتى ، عقلية النملة المحافظة .

[يبتسم . لحظة]

إيـــديـــت : أما زلت تقابلين زوجك الأول ، يا جوليين ؟

جـــولـيـن : الأول مات ، المسكين ، بسكتة قلبية وهو فى الخامسة والثلاثين .

إيـــديـــت : سامحينى ، لم أكن أعرف ذلك على الإطلاق .

جـــولـيـن : لا تعتذرى ، فأنت لم يكن من الممكن أن تعرفى ذلك . ثم تزوجت من طبيب أسنان وتطلقنا قبل ثمانى سنوات . لكننا ظللنا على علاقة طيبة ، ونتقابل من آن لآخر . بل وحينما تزوجت من بيير ، أرسل لى برقية تهنئة!

إيليـــزا : ثلاثة أزواج . لقد تعبت من أجلنا ، لو جاز لى التعبير !

جـــولـيـن : فى يوم عيد ميلادى الثامن عشر ، تنبأت لى منجمة بارعة بأننى سأدخل الدير . لم أكن جميلة جدا . ولكن على أية حال ! وحينئذ ألقيت بنفسى فى معركة التحدى والمقاومة .

إيليـــزا : وانتصرت ...

جـــولـيـن : **[متواضعة]** فى النهاية ، نعم .

[صمت]

[إيديت تتطلع بعيدا ، يغشاها ألم دفين . إيليزا وجوليين ترقبانها خلسة دون أن تجرؤا على الكلام]

إيـــديـــت : حينما كنت صغيرة ، كنت أعمل عقوداً من الزهور . وتيجانا من الزهور فوق رأسي ... في الربيع ، كانت الأرض هنا تغطى بالعقود والتيجان .

إيليـــــزا : أما زلت تقابلين جان ؟

إيـــديـــت : يعني ... أنا أتحدث عن الزهور وأنت تفكرين في جان ؟

إيليـــــزا : **[مبتسمة]** كلا ...

إيـــديـــت : حبيبي الخالد ...

[لحظة]

إيـــديـــت : تعرفين ماذا كان بابا يقول لي : " الشيء الذي نجحت فيه فعلا في حياتك ، العمل الوحيد الذي يحق لك أن تفخري به ، هو أنك لم تتزوجي جان ! "... كان يسميه السيد تسي تسي ... **[تبتسم]** ! كان غباءً ! كان غباءً بحيث كنت بعد لحظة أضحك رغماً عني ... **[تضحك رغما عنها]** ! "ادعى السيد تسي تسي ، فسيسلينا ! "

[تضحك . جوليبت وإيليزا وجولين تقلدانها]

إيـــديـــت : مات بابا ، وبقى لي جان . وجان سافر إلى لندن ... وأنا صرت تفاحة قديمة جفت .

[صمت]

جـــوليـين : إذا كنت أنت تفاحة قديمة جفت ، فماذا أقول أنا ! ...

إيـــديـــت : أنت عنـدك أبنـاء ، وعندك أحفاد ، وعندك زوج ، وأسرة ... وتتزينين وترتدين الثياب ...

جـــولـيـن : لا شيء يمنعك من أن تتزيني وترتدى الثياب !

إيـــديـــت : لمن ؟

جـــولـيـن : ليس لأحد . لجميع الناس ... لنفسك .

إيـــديـــت : وددت لو كان ذلك لشخص معين ، أتجمل لشخص معين ... وأرتدى الثياب ، وهذا الشخص سيظهر بعد ذلك !... **[لإيليزا]** هل أنا أقول كلاما فارغا ، يا آنسة ؟

إيليـــزا : كلا ...

إيـــديـــت : عرفت رجلا . ذات يوم ... رئيسى فى العمل . رجل عادى جدا ... وذات مساء ، انتظرته بجوار سيارته ، وقلت له "أريد أن أبقى معك هذه الليلة"... فقال: "هذه الليلة كلها ؟" فقلت " نعم " ... **[لحظة]** لم أكن متزينة ولا أى شيء ... كنت كما أنا الآن ...

[صمت]

إيليـــزا : وبعد ؟

إيـــديـــت : لا أعرف لماذا أحكى لكم هذا .

إيليـــزا : ومع ذلك احكى ...

إيـــديـــت : ذهبنا إلى شقته . وقدم لى كأسا وانتهى كل شيء .

[صمت]

إيليـــزا : هل قابلته بعد ذلك ؟

إيـــديـــت : فى المكتب . لا أكثر . بعد ذلك سافر .

[صمت]

إيـــديـــت : فى التاسعة والثلاثين ... كنت فى التاسعة والثلاثين من عمـرى ، ولم أكن أعرف شيئا ... لو كان هذا الرجل نظر إلىَّ ، كان من الممكن أن أكون أكثر رقة وأنوثة ...

[صمت]

إيـــديـــت : فى أثناء الجنازة، صباح اليوم – هذه الذكرى تسيطر على اليوم – تصورت أنه ظهر خلف شجرة ... وظل قليلا على حدة وهو لا يحوِّل نظره عنى... النساء جميعهن يروين الحكايات نفسها. لا توجد أية ميتافيزيقيا فى هذا الموضوع ...

إيليـــــزا : هل أنت متأكدة ؟ ...

[لحظة قصيرة]

إيـــديـــت : لماذا جئت أنت ؟

إيليـــــزا : أنت تعرفين .

إيـــديـــت : كلا .

إيليـــــزا : ليكن ...

إيـــديـــت : حينما رأيتك تحضرين ، تصورت أنك مجنونة ...

إيليـــــزا : هل ما زلت تتصورين ذلك ؟

إيـــديـــت : نعم ...

إيليـــــزا : إذن ، لماذا تسألينني ؟

إيـــديـــت : **[مخاطبة جوليين التى تحاول أن تبدو طبيعية بالرغم من ضيقها وعدم فهمها المتزايد]** هذه المرأة ، يا عزيزتى جوليين ، أصابت أخوىَّ بالجنون.

إيليـــــزا : لا تبالغى .

إيــــديـــت : مولعين بالحب ، إذا شئت ! ... دعك من هذا الأسلوب .
أنا لست عمياء ، كما تعرفين ...

إيليـــــزا : أنت مخطئة. وددت لو أنك على صواب، لكنك على خطأ...
[مخاطبة جوليين] . لو سمحت يا سيدتى ، سأوضح
الأمر لك : كل ما هناك أننى عشت مع أليكس ، فى حين
أننى "متيَّمة بحب" ناتان . هذا هو الموضوع ... ستعرفين
أن الأمر مختلف .

[جوليين تبتسم بأدب]

إيــــديـــت : هل كنت عشيقته ؟

إيليـــــزا : ليلة ...

إيــــديـــت : وهل أليكس يعرف ؟

إيليـــــزا : كلا ، لا أعتقد ... ليلة حب وفراق ... **[تبتسم]** كما حدث
بينك وبين رئيس المكتب ... وأنت ، أليس لديك ليال تروينها
لنا يا جوليين ؟ هل أستطيع أن أدعوك جوليين ؟

جــــوليـين : كلا... نعم ، تستطيعين طبعا أن تدعونى جوليين... ولكن
ليس عندى ليال ... يعنى ليس عندى ليال أو ... عندى ليالٍ
بطبيعة الحال ، لكن ليس عندى ليالٍ من هذا النوع ... أنا
أعبر بطريقة سيئة للغاية .

[تخرج منديلا وهى مضطربة للغاية]

إيــــديـــت : نحن فى منتهى السفالة معك .

جــــوليـين : أوه كلا . مطلقا .

إيليـــــزا : هى على حق . سامحينى .

جـــــولين : عفوا ، ليس هناك ما يدعو لذلك . أنا لست بعد فى موقف السيارات العتيقة، حتى لو كان ذلك يبدو على مظهرى .

إيليـــــزا : ليس هذا مـا قـصـدت إليـه ! ثم إنك لا تتـركـين هذا الانطباع مطلقا .

جـــــولين : كنت أفـرح . **[لحظة قـصـيـرة]** وددت يا إيديت أن أقـول تعليقا بسيطا ، مع أن موقفى كمستمعة غير متعمدة قد لا يسـمـح لى بهـذا الخـاطر، لكننى أجـد أنه من الطبيـعـى جدا ، فى يوم كهذا ، أن نتعلق بذكريات معينة . "نتعلّق" كلمـة سيئـة ، ليست هى الكلمـة التى أردت أن أقـولها ... ماذا نقول حينما يصطدم شخص ... يرتطم ؟

إيــــديـــت : لقد ارتحت لأنك أثرت هذا الموضـوع . والآن لم أعد أفكر فيه بالمرة .

[صمت]

[يظهر ناتان ، يحمل فى يده سلة مشتريات يظهر منها جزر وسيقان بعض الخضروات . يتوقف ويسجل لحظة قصيرة مندهشا]

نــــاتـــــان : أنت رجعت ؟

إيليـــــزا : سيارتى أصابها عطل . المفروض أن يأتى من سيصلحها الساعة السادسة. ألم ترها ؟

نــــاتـــــان : لم أتخذ هذا الطريق، فأنا قادم من "دامبيير". ماذا بها ؟

إيليـــــزا : تسألنى أنا ؟

نـــاتـــان : هل تحبين أن ألقى عليها نظرة ؟

إيليـــزا : تفهم فى الموضوع ؟

نـــاتـــان : كلا . مطلقا .

إيليـــزا : البقال يقول علبة الأوتوماتيك

نـــاتـــان : [بابتسامة] السيد فاشية خبير !... لقد أحضرت ما يكفى لإعداد حساء خضار باللحم، تفضلن معى أيتها النسوة .

[ينصرف خلف ناتان]

[إظـلام]

(٦)

[الشـرفـة]

[يظهر ناتان ومن ورائه مباشرة إيديت وجولين وإيليزا . يضع السلة ويفرغ ما فيها فوق المنضدة]

نـــاتـــان : جزر ولحم وعظم بالنخاع وبقدونس وطماطم ...

إيـــديـــت : لا يوضع الطماطم فى حساء الخضار .

نـــاتـــان : نضعـه مرة ... ومخلل وبطاطس ولفت ! هـذا يكفى ؟ أرجو أن تبقوا للعشاء ؟

جـــولـيـن : بكل سرور ، إذا لم يكن ببير يرى عكس ذلك .

نـــاتـــان : أين هو ؟

جـــوليين : ذهب إلى مكان ما مع أخيك على ما أظن . يمكننى أن أقشرِّ الخضار إذا أردتم ؟

نـــاتـــان : يمكننا أن نقشره هنا معا ، أليس كذلك ؟ فلنستغل وجود الشمس .

إيـــديـــت : وأنا سأقطع اللحم . سأحضر السكاكين .

[تخرج حاملة اللحم والبقدونس ووعاء المخلل]

نـــاتـــان : **[مخاطبا إيليزا]** هل ستبقين ؟

إيليـــزا : كلا .

نـــاتـــان : لا تكونى حمقاء ، كيف تسافرين ؟

إيليـــزا : لا أعرف . إذا كانت السيارة معطلة فعلا . فسآخذ القطار . لابد أن يكون هناك قطار فى " جيان " .

جـــوليين : أبقى ، وسنوصلك .

إيليـــزا : لا أعتقد ، متشكرة .

نـــاتـــان : على أية حال ستساعديننا فى التقشير ؟

إيليـــزا : **[تبتسم]** . طبعا ... لقد اشتريت ما يكفى فرقة بأكملها .

نـــاتـــان : ليست عندى أية فكرة عن الكميات ... لقد طلبت من المرأة البائعة أن تعطينى كل ما يجب من أجل إعداد الحساء ، وهى التى وضعت الطماطم . ألا يوضع الطماطم فى الحساء ؟

إيليـــزا : من حيث المبدأ ، لا .

جـــوليين : ممكن نعمل كمية صغيرة من السلاطة ، تكون لطيفة .

نـــاتـــان : هكذا .

[تصل إيديت حاملة أوراق صحف ، وسكاكين ومصفاة .
تضع الكل فوق المنضدة بجوار الخضار]

إيديت : سأضع الماء ليغلى ، ثم أعود .

[تنصرف]

[إيليزا وناتان وجوليين يفرشون الأوراق فوق المنضدة ويجلسون ويبدءون فى التقشير]

جوليين : أليس عندكم مقشرة ؟ على العموم سكين عادى ممكن يؤدى الغرض ، وبسرعة أيضا .

ناتان : هل تحبين أن أذهب لأرى ؟

جوليين : كلا . كلا . لا تزعج نفسك . هذه عملية بسيطة . أنا سأتصرف .

[يظهر بيير يتبعه أليكس]

بيير : ماذا أرى ! ماذا أرى !

جوليين : هل تساعدنا يا عزيزى ؟

بيير : معقول ؟

أليكس : ما هذا ؟

ناتان : حساء .

[بيير يجلس إلى المنضدة . أليكس يظل واقفا ، جامدا]

بيير : **[مخاطبا إيليزا]** أنا رهيب فى مثل هذه الأعمال .

أليكس : **[مخاطبا إيليزا]** سيارتك معطلة ؟

إيليزا : نعم .

أليكس : هل استدعيت ميكانيكيا ؟

إيليــــزا : نعم ... سيأتى حوالى الساعة السادسة .

ألــيكــس : ماذا بها ؟

نــــاتــــان : السيد فاشيه يقول علبة الأوتوماتيك .

ألــيكــس : آه ، حسنا ... أنت عندك أوتوماتيك ؟

إيليــــزا : **[تبتسم]** - نعم ...

ألــيكــس : حسنا ، هذا يكون عمليا فى المدينة ، هه ؟

إيليــــزا : نعم ...

ألــيكــس : عملى . جيد ... **[لحظة]** وأين إيديت ؟

نــــاتــــان : فى المطبخ . ستأتى الآن .

ألــيكــس : طيب ... فلنقشر !...

[يجلس إلى المنضدة ويمسك لفتة]

[صمت . تصل إيديت]

إيـــديـــت : آه ، كلكم هنا ؟

بيـــيـــر : أنا شخصيا أراقب فقط .

إيـــديـــت : ممكن تعطينى مكانا بجوارك فى الشمس ؟

بيـــيـــر : تعالى ، تعالى ، تعالى !

جـــوليـين : أنا أردِّد منذ الصباح ، لم أر مثل هذا الجو فى نوفمبر .

ألــيكــس : هذه اللفتة عفنة .

جـــوليـين : يجب أن أعترف بأن اللفت ليس ممتازا **[إلى ناتان]** أنت لست مسئولا عن ذلك !

نــــاتــــان : مؤكد أننى لا أشعر بأننى مسئول فعلا .

جـــوليـين : على أية حال أنت تقوم بهذا العمل كمحترف حقيقى .

نـــاتـــــان : تعتقدين ذلك ؟

ألـــيـكـــس : أخي محترف كبير ، يا جوليين ، في كل شيء ، وفي كل مادة . إنه ما يمكن أن أطلق عليه النموذج الكامل للمحترف .

نـــاتـــــان : طبعا هذا ليس مديحا كما تفهمون .

ألـــيـكـــس : لماذا ؟ هذا مديح ... **[يأخذ لفتة أخرى]** الكلمات وحدها هي التي تتغير مع الزمن... حينما كنت طفلا ، كان جميع أبطالي يشبهون ناتان : سندباد، دارتانيان ، توم سوير ، أفضلهم عندي كان ناتان ... ناتان الساطع، الذى لا يقهر، المثالى بين جميع النماذج ... عفنة هذه الأخرى . **[يلقى باللفتة ويأخذ حبة بطاطس]** فى سن العاشرة كان يعزف كونشيرتو بيانو فى حجرة الاستقبال . كانت الأسرة كلها تنصت إليه فى خشوع دينى .

جـــولـيـين : هل ما زلت تعزف ؟

نـــاتـــــان : مازلت أعزف . لكننى لا أعزف فى حفلات .

ألـــيـكـــس : نعم... هذه خسارة. أنا كنت فى وقت ما أعزف على الناى... **[ضحكات]**

ألـــيـكـــس : كلا ، كلا ، هذا صحيح ! على " ألكينا " ، وهو نوع من البامبو المجوف له فتحات ، اشتريته فى المترو .

إيـــديـــت : لا أذكر أننى سمعتك تعزف .

ألـــيـكـــس : صحيح ؟ ولا حتى أنا ، تصورى . لم أستطع أن أخرج صوتا واحدا .

بيـــيـــر : أهذا هو الذى تسميه عزفًا على الناى ؟

ألـــيـكـــس : بلا مشكلة . تضع إسطوانة من نوع ماشو كامبوس وتعزف معهم أمام المرآة .

نـــاتـــان : بالبنش الأحمر ...

ألـــيـكـــس : نعم وبغطاء الرأس ذى الثقبين الذى كان يليق علىَّ جدا ... بابا قاد أكبر أوركسترات العالم بهذه الطريقة .

إيليـــزا : بالبنش ؟

ألـــيـكـــس : كلا . بالمنامة ... أخبرونى ، هل الخضراوات تتقلص فى الغليان ؟ عندنا هنا ما يكفى لستة أشهر !

إيـــديـــت : ليس من الضرورى أن نضع كل شىء .

ألـــيـكـــس : ستبقى على العشاء ؟ أقصد ستبقى هذه الليلة ؟

بيـــيـــر : إذا وافق الجميع ، أفضل أن أسافر صباح الغد .

إيـــديـــت : غرفتك جاهزة ، يمكنك حتى أن تبقى إلى يوم الاثنين .

بيـــيـــر : لا ، لا ...

جـــوليـين : لم أحضر معى فرشاة أسنان ولا قميصاً للنوم .

بيـــيـــر : حاجة شيك ؟

جـــوليـين : اسمع !...

نـــاتـــان : ستجدين كل ما تريدين هنا .

جـــوليـين : شكرا جزيلا .

إيليـــزا : يجب أن أتصل هاتفيا بمحطة السكك الحديدية .

إيـــديـــت : اليوم السبت ... هناك قطار الساعة الثامنة .

نـــاتـــان : سأرافقك .

إيليــــــزا : شكرا ...

إيـــديـــت : ستوب ! هذا يكفى . لا داعى لتقشير الباقى ، فلا أعرف ماذا سأصنع به لو قشر .

[تنهض وتشرع فى رفع الأشياء . إيليزا وجوليين وبيير يقلدونها . ناتان يغادر المنضدة ويبتعد ليدخن سيجارة . أليكس وحده يبقى جالسا]

جـــــوليـين : **[مخاطبا ناتان]** هل تعرف ماذا نسيت ؟ ولكن لا أهمية لذلك : بصلة !

نــــاتـــــان : آه فعلا . آسف .

جـــــوليـين : أنا أمزح معك . ولكنها تعطى نكهة لطيفة .

نــــاتـــــان : نعم ، نعم .

[ذهاب وإياب . يختفون حاملين الخضراوات والمقشرة إلى الداخل . يظل أليكس وناتان . لحظة]

ألــيـكـــس : " تعطى نكهة لطيفة ! "

[تظهر إيديت من جديد لتأخذ ما تبقى من الأوعية]

نــــاتـــــان : ألم تعودوا بحاجة لى ؟

إيـــديـــت : كلا ، كلا ، ليس هناك ما يجب عمله ...

[تأخذ السكين وحبة البطاطس وكان أليكس ما يزال ممسكا بهما ، ثم تخرج . ناتان يبتعد فى الحديقة . أليكس وحده .

[إظــلام]

(٧)

[المكان المدفون فيه الأب. ناتان واقف جامد يداه فى جيبه. على الأرض توجد سيقان العوسج ، وعلى مقربة المقص]

[دون ضوضاء تظهر إيليزا كأنها لا تجرؤ على الاقتراب. لحظة طويلة قبل أن يتكلم]

نـــاتـــان : قبل أسبوعين ، ذهبت إلى غرفته ، لم يكن يستطيع أن ينهض.. طلب منى أن أحضر له الإلكتروفون **[جهاز الشحنات الكهربية]** ومكبرات الصوت، هكذا كان تعبيره... وقد وصَّلت كل شيء بجوار فراشه . كان يريد الاستماع إلى السوناتا قبل الأخيرة لبيتهوفن ، جزءاً منها بالذات ... وقد استمعنا إليها فى صمت. كان قد وضع إصبعه حتى لا أتكلم . كنت جالسا فوق الفراش . وحينما توقفت الأسطوانة ، قال لى : " وأنا مقتنع أننا سوف نلتقى "فسألته" من ؟ "فقال بيتهوفن، العبقرية المثالية ، الرجل الذى يهدى إليك هذا الإيحاء، لا تتصور مع ذلك أنه مات!" على العكس من أليكس ، أنا سعيد جدا لأنه دفن هنا .
[صمت]

إيليـــــزا : من الذى أخذ هذا القرار ؟

نـــاتـــان : هو نفسه . كان لا يريد المدفن ، ولا الجنازة ... ومنذ خرج إلى المعاش كان يسكن هنا .

إيليـــــزا : وحتى وهو مريض ؟

نـــاتـــان : نعم ، كانت معه ممرضة طول الوقت .

[لحظة]

إيليـــــزا : وأليكس ؟

نـــاتـــان : كان معه ؟

نـــاتـــان : كان يأتى فى المساء ... على مضض فى أغلب الأحـيان ، المسكين كان يحضر كتباً حينما أصبح بابا عاجزا عن القراءة ، واستقر هنا فى الأيام الأخيرة ، حينما أصبح بابا لا يتعرف على أحد ... أنت تغيرت .

إيليـــــزا : تقدمت فى السن .

نـــاتـــان : كلا ، نعم ، ربما .

[صمت]

إيليـــــزا : أ ما تزال فى " نانتر " ؟

نـــاتـــان : كلا . لقد سجلت فى مكتب باريس .

إيليـــــزا : حسنا .

[لحظة]

نـــاتـــان : وأنت ؟

إيليـــــزا : لا جديد .

نـــاتـــان : يعنى ؟

إيليـــــزا : لا شىء ... حياتى لم تتغير .

[لحظة]

نـــاتـــان : ما تزالين تسكنين فى آخر الدنيا ؟

إيليــــزا : نعم .

نــــاتـــان : شارع سان بيرنار .

إيليــــزا : نعم .

نــــاتـــان : سكن مناسب ...

[تبتسم]

نــــاتـــان : لطيف منك ما قلته لى قبل قليل

إيليــــزا : شكرا للكلمة ...

نــــاتـــان : ماذا تريدين أن أقول ؟

إيليــــزا : لا شىء ...

نــــاتـــان : سيارتك تعطلت كما يحدث فى الروايات .

إيليــــزا : أقسم لك أن هذا صحيح .

نــــاتـــان : ولكننى أصدقك . فى رأيى ، أنه هو من فوق السماوات السبع . الذى دبَّر هذا الأمر فى المحرك .

إيليــــزا : دعك من هذا الكلام الفارغ .

نــــاتـــان : أبدا . لقد صنع ذلك ليلقى السرور فى نفسى .

[لحظة]

إيليــــزا : هل يسرك أن أكون هنا ؟

نــــاتـــان : ما رأيك أنت ؟ ... أليكس نسى المقص ...

[صمت . ناتان يرفع المقص ويضعه فى جيبه]

نــــاتـــان : لماذا جئت ؟

إيليــــزا : الآن ؟

نــــاتـــان : اليوم .

إيليـــــزا : بل سلني كيف تمكنت مـن المجيء . لم أعمل في حياتي شيئا ضـد العقل مثل هذا .

[صمت]

إيليـــــزا : هل تريد أن أتركك ؟

نـــاتـــان : كلا. لا أريد أن تتركيني ... **[لحظة]** . أنت أصبحت محرَّمة أكثر من أي وقت مضى ، يا إيليزا . لكن اليوم لا أريد أن تتركيني ... **[لحظة]** أنت تعرفين فيما أفكر ؟ عمل ضدّ العقل ... إنني أريدك هنا فوق القبر ... أطرد ألما بألم آخر.

[تقترب منه كثيرا]

إيليـــــزا : وددت أن أكون ألمك ، يا ناتان .

[يعانقها بعاطفة ويبدأ في نزع ملابسها]

[إظـلام]

(٨)

[الشـرفة]

[أليكس ما يزال جالسا إلى المائدة . تظهر جوليين ، على عجل]

جـــوليـين : أين إيليزا ؟

ألـيـكـس : تلاطف أخي .

جـــوليـين : عفوا ؟ !

ألــيـكــس : تلاطف أخى .

جـــوليـين : لا أفهم .

ألــيـكــس : بل أنت فهمت جيدا يا جوليين . أنت لست صماء .

جـــوليـين : ولكن أين ؟

ألــيـكــس : آه ! آه ! آه !... أنا أعشق هـذا السـؤال ! آه ! آه !... ومـع ذلك فأنـت متعجلة جدا .

جـــوليـين : ليس هذا ما قصدت إلى قوله !... أردت أن أقول إنك هنا ... وبما أنك هنـا وأننى أخرج من المنزل ... أوه أسكت !

[تنصرف منفعلة جدا . تصل إيديت]

إيــديــت : أين إيليزا ؟

ألــيـكــس : ليس هندى فكرة .

إيــديــت : ألم ترها تخرج ؟

ألــيـكــس : بلى ، لقد مضت من هنا ...

إيــديــت : بيير على الهاتف مع الميكانيكى . يقول إنه لا يستطيع أن يأتى قبل صباح الاثنين .

[أليكس يهز كتفيه]

إيــديــت : ماذا نفعل ؟

ألــيـكــس : استدعوا آخر ...

إيــديــت : هذا هو الوحيد الذى يستطيع . على أية حـال ، لا أحـد يقـوم بأى إصلاح يوم الأحـد ! ... مـاذا نفعـل ؟ هل نوافق على يوم الاثنين ؟ وإذا سـافرت مـسـاء غـد ، فلمن تتـرك المفاتيح ؟

ألـــيــكـــس : افعلى ما تريدين ، أنا خارج عن الموضوع تماما .

إيـــديـــت : يمكن أن نتركها مع فاشيه ، فهو يعرف مكان السيارة .
ألا يقفل صباح الاثنين ؟

ألـــيــكـــس : لا أعرف شيئا . ولا يهمنى ذلك .

إيـــديـــت : شكرا لمساعدتك .

[تنصرف]

ألـــيــكـــس : بإمكانها أن تدبِّر حالها بمفردها ؟ !... تزعجنا بسيارتها القديمة العفنة !!!

[يبقى لحظة جالسا وحده . ثم ينهض ، يدور حول نفسه ثم يتقدم عدة خطوات فى اتجاه الغابة]

[يظهر بيير]

بيـــيـــر : إلى أين ؟

ألـــيــكـــس : هيم ؟!

بيـــيـــر : ستمطر .

ألـــيــكـــس : هل تعتقد ؟ نعم ...

بيـــيـــر : الجو صاعق . لذلك كانت هذه الحرارة الشديدة .

ألـــيــكـــس : نعم ...

[لحظة]

بيـــيـــر : هل تريد سيجاريللو ؟

ألــيــكــس : أنت تدخن السيجاريللو ؟

بيـــيـــر : مرة كل ستة أشهر ... **[يقدم العلبة إلى أليكس الذى يأخذ منها واحدة]** هدية من بوابة بيتى . سيجاريللو إسبانى ، هل تحب هذا ؟ **[أليكس يسعل]** قوية ، أليس كذلك ؟

ألــيــكــس : **[يسعل ويضحك]** مقرفة !

بيـــيـــر : نعم .

ألــيــكــس : مثل الـ ...

بيـــيـــر : جبن البون ديفيك ... نتعوّد عليها ...

ألــيــكــس : متى ستسافر ؟

بيـــيـــر : صباح غد . هل هذا يضايقك ؟

ألــيــكــس : كلا ، كلا ... هل تعرف شيئا أكثر حزنا من الريف فى الخريف؟... السكون... لا شىء يتحرك ... أنا أكره الريف ... لو كان الأمر يقتصر علىَّ ، لبعت كل شىء ... غدا .

[يتمشى وهو يدخن . بيير يبقى جامدا]

ألــيــكــس : ناتان يعشق الريف .

بيـــيـــر : أنت تظلم ناتان كثيرا .

ألــيــكــس : لماذا ؟ لأننى أقول إنه يحب الريف ؟

بيـــيـــر : ليس هذا فقط ...

ألــيــكــس : هل هذا عيب فى رأيك ؟

بيـــيـــر : فى رأيى ، لا .

ألــيــكــس : ناتان يتنزه ، يمشى وحده ساعات وساعات ... **[لحظة]** يتأمل بين الأشجار ...

بيـــــيـــــر : بينما أنت تختنق فى اضطرابات دوامة الحياة ...

[اليكس يبتسم . لحظة قصيرة]

بيـــــيـــــر : كل ما تسىء أنت عمله، هو يحسن عمله... كل ما لا تحبه، هو يرضى به ... من يسمعك ، يجد أنه أفضل إنسان فى الوجود ، وأقل الناس إنسانية ...

ألـــيـكـــس : أقل إنسانية ؛ كلا ...

بيـــــيـــــر : نعم . موهوب ، عميق ، ثابت لا يتزعزع ... إن مديحك ، مديـح الأفعى السامة ذات الجرس ... لا أحد يقاوم ذلك ، صدقنى ...

ألـــيـكـــس : **[بعـد لحظـة وكأنه يسترد أنفاسه]** أنت عنيـف جـدا يا بييرو . ولكنك لا تدرك معنى ما تقول ...

بيـــــيـــــر : كالعادة ، أنت تعرف جيدا ... هل تشعر بالبرد ؟

ألـــيـكـــس : أكاد أتجمد من البرد .

بيـــــيـــــر : هل تحب أن نرجع ؟

ألـــيـكـــس : كلا .

[صمت]

ألـــيـكـــس : قبل ثلاث سنوات . تركتنى إيليزا . الجميـع اعتقـدوا فى ذلك الوقت أننى أبله . أبله ، أعمى . أما هو فقد فعل كل شىء حتى لا يراها . حبا لى ، على ما أعتقد ... ابتعد ... كما عزف عن الموسيقى وكما عزف عن الشهرة ، والجنون الذى كان به ، وبطولته ... أنا لم أحب فى حياتى أحداً مثله . لو مات ناتان ، لا يمكن أن تتصور كيف ستكون

وحدتى ... ربما وجدته اليوم ... مرة أخرى هو لا يقول شيئا . خرج ليتسوَّق للعشاء ... وعاد حاملا طنًا من الخضراوات وبدأ الجميع يقشرون فى الشمس بسببه ، بسببه هو فقط ...

[تظهر إيديت . صمت]

ألـيكـس : ماشى الحال ؟

أيـديـت : نعم ... **[لحظة]** عمَّن كنتما تتحادثان ؟

بيـيـر : عن ناتان .

إيـديـت : ماذا كنتما تقولان ؟

ألـيكـس : أنت أيضا تحبين الريف ؟

إيـديـت : سؤال غريب !

ألـيكـس : ألا ترين أنه حزين ؟

إيـديـت : اليوم ، ربما .

بيـيـر : مع هذا النور المفاجئ ...

إيـديـت : سينزل المطر بعد قليل .

بيـيـر : هذا بالضبط ما كنا نقوله .

إيـديـت : كن لطيفا ، لا تحاول أن تعاملنى على أننى بلهاء .

بيـيـر : لماذا ؟ هذا صحيح . هذا بالضبط ما كنا نقوله .

[لحظة]

ألـيكـس : هل سوَّيتم موضوع السيارة هذا ؟

بيـيـر : نعم.. قلت للرجل أن يأتى يوم الاثنين. ماذا تصنع زوجتى؟

إيـديـت : تشاهد التلفزيون .

بيـــيــــر : وماذا يعرضون ؟

إيــــديـــت : لست أدرى . منوعات . لست أدرى .

بيـــيــــر : حسنا ... لم أكن أعرف أن عندكم تليفزيونًا هنا أيضا ، هل هو جديد ؟

إيــــديـــت : من سنة ونصف تقريبا . أحضرناه من أجل بابا .

بيـــيــــر : آه ! نعم ، طبعا ...

[صمت]

إيــــديـــت : وضعت كل شىء على النار . وضعت كل شىء فى ثلاثة قدور . سنأكل الباقى غدا ... ممكن سيجارة ؟

ألــيـكــس : لا أنصحك .

إيــــديـــت : لماذا ؟

بيـــيــــر : لا تسمعى له . **[يقدم العلبة إلى إيديت]** خذى .

إيــــديـــت : ليست جيدة ؟

ألــيـكــس : هى " غير عادية " .

إيــــديـــت : **[تدخن]** – لا بأس بها .

[ينظران إليها وهى تدخن]

إيــــديـــت : لا تنظران إلىَّ هكذا . **[تضحك]** أشعر كأنكما أعطيتمانى سما وتنتظران أن أموت !

ألــيـكــس : أنت لست بعيدة جدا ...

[يظهر ناتان ومن ورائه إيليزا . يمسك المقص وسيقان العوسج التى قطعها أليكس]

[صمت]

ألـيـكـس : نزهة جميلة ؟

نــاتــان : أنت الذى قصصت هذه السيقان ؟

ألـيـكـس : كان بإمكانى أن أتركها عامداً ...

نــاتــان : والمقص أيضا ؟ ... فى غمرة الشك ، أخذت كل شىء .

[لحظة قصيرة]

ألـيـكـس : **[مخاطبا إيليزا]** كنتما معا ؟

نــاتــان : نعم . لماذا ؟

ألـيـكـس : يمكن للمرء أن يسأل سؤالا . لماذا " لماذا " ؟

بيـيـر : **[مخاطبا إيليزا]** تكلمت مع الميكانيكى فى الهاتف .

إيليــزا : كم الساعة الآن ؟

بيـيـر : اطمئنى ، اطمئنى ! لا يستطيع أن يأتى مساء اليوم . اتفقنا أن يأتى صباح الاثنين .

إيـديـت : بما أنه لن يكون هناك أحد هنا ، فقد رأيت أن نترك المفاتيح عند البقال ... هل عندك حل آخر ؟

إيليــزا : أنا آسفة لإزعاجكم بهذه القصة .

بيـيـر : الإزعاج لك أنت؛ ولا تنسى أنك ستضطرين للعودة لأخذها .

إيليــزا : نعم .

بيـيـر : نرجو ألا يكون الأمر خطيرا .

إيليــزا : نعم .

ألـيـكـس : هى ليست هنا ...

إيليــزا : ماذا ؟

ألـيـكـس : أنت لست هنا ، يا إيليزا . هل أنا مخطئ ؟

نــــاتـــــان : نحن جميعا لسنا هنا اليوم . أليس كذلك ؟

ألــيــكــس : أكيد .

نــــاتـــــان : هناك أوقات لا نعبأ فيها بموضوع سيارة...

ألــيــكــس : آه ، أنا شخصيا ، لا أعبأ إطلاقا .

نــــاتـــــان : حسنا ، وهى كذلك ..

ألــيــكــس : أحسن ! **[لحظة]** هذا لطيف جدا من بيير وإيديت !

إيـــديـــت : **[مخاطبة إيليزا]** لا تسمعى له .

إيليــــــزا : هما يتحدثان بالنيابة عنى . أنا لم أقل شيئا .

نــــاتـــــان : كيف حال حسائى ؟

إيـــديـــت : ينضج على النار .

نــــاتـــــان : المطر سينزل بعد قليل .

إيليــــــزا : **[مخاطبة بيير]** أين زوجتك ؟

بيـــيـــــر : فى الداخل . تشاهد التلفزيون .

نــــاتـــــان : لماذا لا ننضم إليها ؟

بيـــيـــــر : فكرة ممتازة ، بشرط أن نغلق الجهاز ... **[إلى إيليزا]** هل تصاحبيننى ؟

[إيليزا تتقدم نحو بيير الذى يقودها نحو البيت . ناتان يتأهب ليتبعهما حينما أوقفته إيديت]

إيـــديـــت : ممكن تنتظر لحظة ؟ عندى شىء أقوله لك .

ألــيــكــس : هل أضايقكما بوجودى ؟

إيـــديـــت : نعم ، لو سمحت ، لن أطيل .

[أليكس يتردد . يتقدم عدة خطوات ثم يعود]

ألـيكـس : **[مخاطبا إيديت]** بالمناسبة ... عرفت شيئا عن بابا قبل قليل . وأعتقد أنه سيسركما معرفته أنتما أيضا .

إيـديـت : ماذا ؟

ألـيكـس : سليه هو .

[يقترب من ناتان ويهمس فى أذنه . ناتان يبتسم]

ألـيكـس : **[مخاطبا إيديت]** كل شخص لديه أسراره ... **[يتراجع]** أنا فى غرفتى . إذا كان أحد يريدنى .

نـاتـان : **[مشيرا إلى العوسج]** ماذا أصنع بهذه ؟

ألـيكـس : ألقها .

[يختفى . إيديت وناتان يبقيان وحدهما]

إيـديـت : قل لى .

نـاتـان : أنت أولا .

إيـديـت : تمطر ...

نـاتـان : كلا ...

إيـديـت : نعم، أحسست بنقطة... هل تساعدنى فى تنظيم الكراسى؟

نـاتـان : ماذا هناك ؟

[لحظة]

إيـديـت : هل كنت مع إيليزا ؟

نـاتـان : نعم .

إيـديـت : هل لحقت بك ؟

نـاتـان : نعم .

إيـديـت : أليكس قال لجوليين إنك كنت تلاطف إيليزا . أنا أنقل حرفيا .

نــــاتـــان : هل هذا ما كنت تريدين أن تقوليه لى ؟

إيـــديـــت : نعم .

نــــاتـــان : وبعد ؟

إيـــديـــت : كيف وبعد ؟

نــــاتـــان : وبعد ؟

إيـــديـــت : وبعد ، ترى هذا مناسبا !

نــــاتـــان : مناسبا كيف؟ هل الجملة هى التى تضايقك، أم مضمونها؟

إيـــديـــت : أنت رهيب ...

نــــاتـــان : اسمعينى يا إيديت ، حتى الآن هذا اليوم يسير دون مشاكل ، إذا جاز لى التعبير ... دعى هذه الكراسى !... نحن قوم متحضرون، نقاسى من القواعد ، كل منا يمسك أنفاسه ، ليس هناك مأساة ... لماذا فى الواقع ؟ لست أدرى ، ولكن هذه هى الحقيقة . أنا وأنت نشارك فى عبء الكرامة هذا ... نحن رزينون ، " وجهاء " ، نحن كاملون ... أليكس ليس أقل تحضرا ، لكن كبرياءه بعيد ... بعيد .

إيـــديـــت : لماذا تدافع عنه ؟

نــــاتـــان : أنا لا أدافع عنه..فليذهب ويخبر جوليين المسكينه أننى ألاطف إيليزا ، هذا جزء من طبيعته ، ولكن أن ترددى أنت ذلك على مسامعى ، وعلى حدة ، كأننا فى مدرسة ، كطفلة ، وأن يشغلك هذا ، اليوم ، لست أفهم .

[صمت]

إيـــديـــت : لقد رددت لك ذلك لكى تعرف عقلية أليكس ... كانت مجنونة بحضورها اليوم .

نـــاتـــان : كلا .

إيـــديـــت : نعم .

نـــاتـــان : كلا ، كلا . أنت ردَّدت لى ذلك من باب الفضول. لأنه كان عندك شك ... **[يقترب منها ويأخذها بين ذراعيه]** أين ؟ **[يقبلها ويداعب شعرها برقة]**

إيـــديـــت : هل ما زلت تحبها ؟

نـــاتـــان : هذا هو ما أردت أن تقوليه لى .

[إيديت تبتعد . تنظر حولها ، مضطربة . الجو تغير . أصبح مكفهرا]

نـــاتـــان : هل ندخل ؟

إيـــديـــت : تريد أن تخبرنى شيئا عن بابا ؟

نـــاتـــان : **[يتردد قبل أن يتكلم]** هل تذكرين مدام ناتِّى ؟

إيـــديـــت : مهذبة الأظفار ؟

نـــاتـــان : نعم .

إيـــديـــت : وبعد ؟

نـــاتـــان : الحقيقة أن جلسات تهذيب الأظفار التى كانت تعقد لبابا، ربما لم تكن.. هذا مجرد فرض، لم تكن مجرد جلسات تهذيب أظفار.. ومع ذلك، فأنت ترين أننا لم نغيِّر الموضوع كثيرا .

إيـــديـــت : بابا ... ؟

نـــاتـــان : بابا .

إيـــديـــت : مع تلك المرأة .

نـــاتـــان : الصغيرة ...

إيـــديـــت : كانت تصغره بثلاثين عاما ...

نـــاتـــان : كان يدبِّر حاله بطريقة لا بأس بها .

إيـــديـــت : هل كنت تعرف ذلك ؟

نـــاتـــان : تقريبا .

إيـــديـــت : هل أخبرك بذلك ؟

نـــاتـــان : كلا ... ولكن ، ذات يوم كنت عنده، في شارع "بيير ديمور" ووصلت مدام ناتِّي ، وجهِّزت طستها ومقصاتها ... وخرجت أنا . وكنت قد نسيت نظارتي ؛ فرجعت بعد عشر دقائق ... وضغطت على الجرس ، وأخيرا ، جاء أبي يفتح على استحياء ، أشعث متدثرا في معطف المطر ، معطف المطر المعلق في المدخل منذ مائة عام ، فوجدت ذلك غريبا بعض الشيء كرداء ... وأعاد لي النظارة من خلال الباب ، دون أن يسمح لي بالدخول.

إيـــديـــت : هل سألته عن شيء ؟

نـــاتـــان : نعم ، نظارتي .

إيـــديـــت : لماذا لم تخبرنا .

[حركة تملص من جانب ناتان . لحظة]

إيـــديـــت : المسكين ...

نـــاتـــان : المسكين ؟ ... لماذا ؟

إيـــديـــت : لأن ...

[يظلان جامدين لحظة]

[إظـــلام]

(٩)

[داخل المنزل . كراسى موسدة (فوتويات) ، منضدة منخفضة . بوفيه صغير . إيليزا وجوليين وبيير جالسون]

بيـــيـــر : كنت أسكن فى شقة صغيرة بشارع لوبيك . وكنت مفلسا فى ذلك الوقـت ، لكن كانت لى صديقة غنية ، زوجة موثق عـقـود من " دييب " كـان له أيضـا مكتب فى باريس . باختـصـار . كـان دائم السـفـر . وفى عام من الأعـوام وجدت نفسها وحيدة فى فترة رأس السنة . وأنا لم يكن عندى ما أعمله ، فاقترحت علىَّ أن نسافر إلى " ميجيف " لمدة أسبـوع . رحلة غرام ، فـوافقت . فقـالت لى : " هذه هى النقـود ، ادفع كل شىء : التـذاكـر والفندق، إلخ . " فـأخذت النقود وذهبت إلى إحدى وكالات السفر بميدان الأوبرا . فـحـجـزت الفندق ، وحـجـزت فى عـربة النوم ، ودفعت الحساب ، وخرجت ...

[يظهر أليكس]

أليـكـس : أكمل .

بيـــيـــر : أنا أحكى حكاية " بايو " ، أنت تعرفها .

أليـكـس : استمر ، استمر .

[أليكس يبقى واقفا بينما بيير يكمل قصته]

بيـــيـــر : إذن ، أين وصلت ؟... أجل ، خرجت ، وسـرت فى الطريق لآخذ حـافلة من مـيدان الأوبرا . انتظرت . وفى اللحظة

التى وصلت فيها الحافلة ، تصوروا من الذى رأيته ينزل من الحافلة ؟ " بايو " ، صديق قديم من أيام الدراسة ، كنت أراه من آن لآخر، لطيف جدا . وبعد السلامات والأحضان، سألنى عن أخبارى ، فقلت له إنى سأسافر غدا إلى " ميجيف " . لم يكن هو أيضا لديه ما يعمله ، فقال لى : " ميجيف رائعة " وعلى الفور أخرجت المظروف الذى أخذته من وكالة السفر ، وقلت له : هنا كل شىء يلزم لشخصين ، السفر ، والفندق ، إذا لم يكن عندك مانع نسافر غدا ، أنا وأنت . فنظر إلىّ وقال : والفتاة ؟ "فأجبته قائلا : " لا تشغل بالك ، "أحلق لها " . على أية حال ، فقد مللتها . وسافرنا .

ألـيكس : والبقية ؟

بيـيـر : خلاص . البقيَّة ، " ميجيف " والجليد الرائع ...

ألـيكس : أظن أنها لاحقتك بعد ذلك لتعيد لها النقود .

بيـيـر : نعم ، تقريبا ، لكننى لم أعد شيئا كما تعرف .

جـولين : شىء فظيع ! إذا كنت تتصور أنك تضحكنا بهذه القصة!

ألـيكس : ما هو الفظيع !

جـولين : لست أدرى ، على الأقل كنت ترد النقود .

بيـيـر : من أين ؟

جـولين : حينما أتخيل هذه المرأة المسكينة التى بقيت وحدها فى باريس ! **[تضحك]**

بيـيـر : أرأيت ، أنت أيضا تضحكين .

جـــــولين : أنا مخطئة .

بيــــيـــــر : هل صُدمت يا إيليزا ؟

إيليــــــزا : أنا ، أبدا . أنا أجد هذه القصة غريبة جدا . وجولين أيضا ، وهو الدليل .

جـــــولين : الذى صدمنى هو أنه لم يرد النقود . كان بوسعه أن يقدم هدية ... أو يرسل بعض الزهور على الأقل . باقة كبيرة!

بيــــيـــــر : كنت على وشك أن أرسل إليها بطاقة صغيرة من هناك . كان ينبغى أن أفعل ذلك .

جـــــولين : لا تكن أكثر فظاعة مما أنت ... **[إلى إيليزا]** يتصور أنه يسرك ، المسكين.

ألــيكـــس : إيليزا حساسة جدا لهذا النوع من الفكاهة . إيليزا تحب الرجال الفسقة ، عديمى الأخلاق .

بيــــيـــــر : دعونا من المبالغات .

ألــيكـــس : ليس أنت يا عزيزى بييرو ، أنت طفل برىء . **[يقترب من النافذة الخيالية]** السماء تمطر .

بيــــيـــــر : أ ما يزالون فى الخارج ؟

[لحظة]

جـــــولين : نعم ...

ألــيكـــس : هل رأيتم خريطة العالم التى رسمها السوفييت ؟ روسيا فى وسط العالم ، ونحن فوق فى بوغاز ، كأننا فى سجن تحت الأرض ... حاجة لطيفة !

بيـــيـــر : هل يمكن أن تعرف لماذا تحدثنا عن ذلك ، هكذا فجأة ؟

ألــيـكــس : لأننى أنظر إلى الريف .

[يصل ناتان مبللا]

جـــولـيـين : يا إلهى ! لقد أغرقك المطر .

نـــاتـــان : بسيطة ، بسيطة ، هذا مفيد .

بيـــيـــر : وأختك ؟

نـــاتـــان : صعدت لتغير ملابسها .

بيـــيـــر : أنت فاجأتنا ونحن فى محاضرة فى الجغرافيا .

ألــيـكــس : فى الفلسفة .

بيـــيـــر : فى الفلسفة !

نـــاتـــان : ممكن أشارك ؟

[أليكس يبتسم . لحظة]

نـــاتـــان : حسنا . لا بأس .

إيليـــــزا : يجب أن تغير ملابسك ، ستصاب بالبرد .

نـــاتـــان : كلا ، كلا ، سيجف هذا حالا .

بيـــيـــر : حكيت لهم حكاية " بايو " !...

نـــاتـــان : **[مخاطبا جوليين]** ألم تكونى تعرفينها .

جـــولـيـين : كلا .

بيـــيـــر : لقد أرعبتها الحكاية .

جـــولـيـين : أبدا ، مطلقا . لا أرى سببا للرعب ، على أية حال .

نـــاتـــان : الليل بدأ ... الجو حزين هنا . ألا تشربون شيئا ؟ ولا حتى منقوعًا ساخنًا ؟

[تظهر إيديت]

إيـــديـــت : غيرت ملابسى ، كنت مبللة ...

ألــيـكــس : ما رأيكم لو نلعب لعبة لإضفاء البهجة على الجو ؟ مونوبولى ، سكرابل ، يوجد هنا كل شىء .

نـــاتـــان : والضامة والشطرنج ...

إيـــديـــت : ألن تلعبوا ؟ لا أحد يرغب فى اللعب هنا !

نـــاتـــان : كلويدو ...

ألــيـكــس : آه ! آه ! أجمل لعبة فى العالم. كيف تذكرت هذه اللعبة ؟

نـــاتـــان : أخشى أن تكون جوليين لا تعرفها .

ألــيـكــس : نعم ، الكولونيل موتارد ...

نـــاتـــان : دكتور أوليف ...

جـــولـيـين : مادموازيل بير فينش ...

ألــيـكــس : عظيم !

بـيـــيـــر : تعرفين هذه اللعبة ؟

جـــولـيـين : طبعا . هل تظنون أننى بلهاء . أنا جدَّة مرتين .

نـــاتـــان : وتلعبين الكلويدو مع أحفادك ؟

جـــولـيـين : الكلويدو ، والميل بورن ، والكرابيت .

إيـــديـــت : كم عمريهما ؟

جـــولـيـين : ثلاث سنوات وسبع سنوات . طبعا أنا لا ألعب إلا مع الكبير . الصغير بدأ يتكلم بالكاد . يقول " بابا " ، ويقول أشياء بسيطة ، لأن الأطفال ... أقصد أن الأطفال الذين يتأخرون فى الكلام يكونون بعد ذلك ذلقى اللسان .

ألـــيــكــس : إذن أنت تأخرت فى الكلام .

إيليـــــزا : أليكس !

ألـــيــكــس : ماذا ؟ ... ماذا هناك يا إيليزا ؟

إيليـــــزا : لا شيء ...

ألـــيــكــس : بلا ! " أليكس ! " ... ماذا هناك ؟

[صمت]

إيليـــــزا : اهدأ ...

ألـــيــكــس : أنا هادئ جدا . هل أبدو عصبيا ؟

إيـــديـــت : حسنا . يكفى هذا الآن !...

ألـــيــكــس : ما معنى " يكفى هذا ! " ماذا هناك ! إنكم تدهشوننى !

نـــاتـــان : أنت أيضا تكلمت متأخرا جدا . لكن النتيجة ليست أكيدة.

ألـــيــكــس : على أية حال !... أوه ، جوليين ، لابد أن تشرحى معنى هذه العبارة ! أنت تستخدمينها كثيرا لكننى لم أفهم جيدا ، كيف أقول ، لم أفهم " الأصل اللغوى "

بيـــيـــر : شيء مؤسف بالنسبة لناقد أدبى .

ألـــيــكــس : لذلك لابد أن أعرف .

إيليـــــزا : كفى ، يا أليكس ...

ألـــيــكــس : تريدين أن أكف ؟

إيليـــــزا : نعم .

ألـــيــكــس : إذن ، أكف .

[لحظة]

إيـــديـــت : اذهب وأعدد لنا قهوة ما دمت تجيد إعدادها .

نـــاتـــان : ليته يعد لنا منقوعًا ساخنا .

ألـــيـكــس : منقوعًا ؟ منقوعًا يا جوليين ؟ أنا أمزح . أنا أمزح . منقوع للجميع .

إيـــديـــت : اذهب .

ألـــيـكــس : أنا ذاهب **[ينصرف]** ، أنا ذاهب .

[صمت]

نـــاتـــان : كان يمزح يا جوليين ... لا تأخذى كلامه مأخذ الجد .

جـــوليـين : أنت لطيف ، لكننى أعتقد أن أخاك لا يستلطفنى بالمرة .

الجـــمـــيع : كلا ، كلا .

جـــوليـين : **[وهى تكاد تجهش بالبكاء]** نعم ، نعم . لا أهميـة لذلك ، لا أهمية لذلك .

إيـــديـــت : جوليين ، إنه ليس فى حالته العادية اليوم .

جـــوليـين : عارفة ، عارفة . ومن الطبيعى أنهم جميعا اليوم متأثرون، وأنا هنا مثل ... [تبكى] لقد ألح بيير لكى آتى لكننى كالغريبة . لست فردا من الأسرة حقا .

إيليـــــزا : إذا كان هنا شخص ليس فردا فى الأسرة فهو أنا يا جوليين وليس أنت. أنت زوجة خالهم ، أنت من الأسرة تماما .

جـــوليـين : **[وهى تبكى]** قال لى قبل قليل أشياء ... كأننى حيوانة .

نـــاتـــان : ماذا قال لك .

جـــوليـين : لا شىء ... ليسخر منى فقط... لا تقولى يا إيديت، أرجوك.

إيـــديـــت : سأذهب لإحضاره .

جـــــوليـين : كلا ! لماذا تذهبين لإحضاره ، دعيه فى حاله المسكين .

بيــــيـــــر : يا له من يوم يا أبنائى !

جـــــوليـين : أنا آسفة ... أنا آسفة . أنا أثير السخرية .

نـــاتـــان : ليس هناك أى سبب لكى تتأسفى .

جـــــوليـين : كلكـم تبذلـون مجـهـودا لكى ... وأنا أنخـرط فى البكاء !... كالبلهاء ... [تنتحب] كل ما أستطيع عمله !

[إيديت تعـود ووراءهـا أليكس . أليكس يتـوقف دون أن يقول شيئا أمام جوليين]

جـــــوليـين : **[مخاطبة أليكس]** أنت لا ذنب لك ... انتهى الأمر . وأطلب منكم جميعا أن تسامحونى .

[أليكس يجـذب ذراع جوليين لكى تنهض . حـينمـا وقفت يأخذها بين ذراعيه ويقبلها ، ويظل محتفظا بها لحظة بين ذراعيه حينما يتركها ، نرى وجهها مبللا بالدموع]

[لحظة]

بيــــيـــــر : **[مخاطبا أليكس]** أليس عندك شىء من الكحول ، بدلا من منقوعك هذا ؟

ألـــيـكـــس : بلى ... سمعا وطاعة !...

إيليــــزا : هل أذهب معك ؟

ألـــيـكـــس : لن نذهب إلى أى مكان . كل شىء هنا .

[بمسـاعدة ناتان ، يفتح باب البوفيـه ويخـرج زجاجات يضعها فوق المنضدة المنخفضة]

نـــاتـــان : ما عليكم إلا مشقة الاختيار يا أصدقائى ... ولو أننى أنصحكم بوجه خاص بالزجاجة الخضراء . مشروب خرشوف مجرى ...

بيـــيـــر : إنه مهِّضم !

نـــاتـــان : هنا كل ما تريد . يمكنك أن تضيف ماءً بالثلج ، ويمكنك أيضا أن تسمَّ زوجتك .

بيـــيـــر : دعها تتنفس .

نـــاتـــان : ذق ، وسترى .

بيـــيـــر : هل هو ردىء ؟

نـــاتـــان : أحد الزبائن هو الذى أعطانى هذه الزجاجة . وهى هنا منذ خمس عشرة سنة .

بيـــيـــر : أعطنى كأسًا من الويسكى !

نـــاتـــان : جوليين ؟

جـــوليـين : نقطة من بورتو .

[أليكس يقدم لها]

جـــوليـين : شكرا . ستوب ! أنت لطيف .

نـــاتـــان : إيليزا ؟

إيليـــزا : أنا أذوق هذا المشروب المجرى .

بيـــيـــر : آه، كنت متأكدا من ذلك! كنت متأكدا أن شخصا سيأخذ منه ، وكنت متأكدا من أن هذا الشخص هو أنت !

إيليـــزا : لماذا ، هل رأسى مكتوب عليه أننى أشرب الخرشوف ؟

بيـــيــــر : رأسك رأس رائدة مقدامة . بالذات العينان ... حدقة عينيك حدقة مغامرة جسورة .

إيــديــت : ماذا تقول ؟

بيـــيــــر : كلا . هذا صحيح . أنت تحبين المخاطرة . لا تحبين أن يفرض عليك أسلوب حياة معين . هل أنا مخطئ ؟

إيليـــزا : **[تبتسم]** فى هذه الحالة ، لا أشعر بأننى أخاطر مخاطرة كبيرة .

نــاتـــان : **[يقدم لها كأسها]** لا تتكلمى بأسرع مما يجب ...

إيليـــزا : **[ترفع كأسها]** سنرى ...

إيــديــت : وأنا ، ألا أشرب شيئا ؟

ألـيـكـس : ماذا تريدين ؟

إيــديــت : بورتو أبيض **[مخاطبا بيير]** تشرب هكذا ؟ ألا تريد بعض الثلج ؟

بيـــيــــر : كلا ، كلا ، لا تزعج نفسك . هكذا رائع .

[أليكس وناتان يملآن كأسيهما . إيليزا تذوق الخرشوف]

نــاتـــان : كيف الحال ؟

إيليـــزا : حلو ، كله حنين وفلفل **[تكمل شرب كأسها]**

نــاتـــان : المزيد ؟

إيليـــزا : نعم ... أنت أعطيتنى قليلا فى قعر الكأس .

[يقدم لها مرة أخرى . إيليزا تبتسم لبيير]

[لحظة]

[صوت المطر فى الخارج]

بيـــــيــــر : " لا أعذبَ على قلب مفعم بالأشجان الجنائزية
" نزل عليه الجليد منذ زمن بعيد ،
" من المشهد الدائم لظلماتك الشاحبة ،
" إن لم يقم ، فى مساء غاب قمره ، مثنى مثنى ،
" بتنويم آلامه فوق فراشٍ جسور . "

نـــاتـــان : لمن هذا الشعر ؟

بيـــــيــــر : من ديوان " غيوم وأمطار " خمِّنوا من يكون الشاعر .

إيـــديـــت : أنت .

بيـــــيــــر : " يا أواخر الخريف ، أيها الشتاء ، أيها الربيع الملوث بالأوحال . " أيتها الفصول التى تـُغرى بالنعاس !... " هذا شرف عظيم لى يا حبيبتى، لكن هذا الشعر للأستاذ شارل بودلير :

نـــاتـــان : أخبرينى يا جوليين ، هل ينظم لك بعض القصائد عندما يأتى المساء ؟

جـــوليين : أحيانا . يحدث له ذلك . ولكن هذا يحدث بالأحرى فى الصباح .

بيـــــيــــر : الصباح .فيكتور هوجو !المساء ، بودلير ، أبو الينيير .سيفوتك القطار يا إيليزا .

نـــاتـــان : لا يزال أمامنا متسع من الوقت ، القطار فى الثامنة .

ألـيـكـس : [إلى إيليزا] – لماذا تعودين ؟

إيليــــزا : لأننى لن أنام هنا .

ألـيـكـس : لماذا ؟

إيليـــــزا : لأن ...

ألــيـكــس : لأن ماذا ؟

إيليـــــزا : لأنه يجب أن أعود .

ألــيـكــس : هل هناك من ينتظرك ؟

إيليـــــزا : كلا ...

ألــيـكــس : إذن ؟

[لحظة قصيرة]

إيليـــــزا : [تبتسم] إذا أسرفت في شرب الخرشوف فسينتهى بى الأمر إلى البقاء .

ألــيـكــس : هل تريدين البقاء ؟

إيليـــــزا : اسمع يا أليكس . لقد قررت السفر ، وسآخذ قطار الثامنة .

ألــيـكــس : ولكننى لا أدرى لماذا تريدين السفر ، هل ذلك بسببى أنا؟

إيليـــــزا : كلا .

ألــيـكــس : [مخاطبا بيير] هل يمكن أن تصحبها معك صباح غد .

بيـــيـــر : بالتأكيد !

ألــيـكــس : ستعودين معهما صباح غد ، فما المشكلة ؟

إيليـــــزا : لا أفهم معنى لإلحاحك ...

ألــيـكــس : وإذا طلبت منك البقاء ؟

إيليـــــزا : لماذا ؟

ألــيـكــس : هل لا بد من سبب ؟

إيـــديـــث : دعها تفعل ما تريد يا أخى ، ما أثقلك !

إيليـــزا : شكرا ، يا إيديت .

ألـيكـس : وأنا الذى يجب أن تشكرونى . لا تخلطى الأمور .

بيـــيــر : ماذا لو تركتموها تفكر ، هذه الصغيرة ؟ **[إلى إيليزا]** تأخذين قرارك فى آخر لحظة . كما توجب الحكمة .

إيليـــزا : سأعمل باقتراحك ...

بيـــيــر : مالك تلزم الصمت يا ناتان !

نـــاتـــان : النقاش انتهى ، أليس كذلك ؟

بيـــيــر : لم أكن أعرف أن أباكم كان يكتب. أنا أنتقل من موضوع إلى موضوع آخر تماما ، لكننى لم أكن أعرف أن "سيمون" كان يكتب . كان ذلك كشفا بالنسبة لى حينما سمعتك تقرأ هذا النص ...

نـــاتـــان : كان يكتب فى شبابه ... لا أعتقد أنه واظب على ذلك ...

بيـــيــر : لو كان هناك رجل ...

نـــاتـــان : لم تكن تتصور أنه يكتب ...

بيـــيــر : نعم ! يكاد يكون التناقض بعينه ... كيف يمكن أن نتصور عقلية فى أساسها تجريدية مثل عقليته ، مكرسة للرياضيات والموسيقى ، ثم تهتم بالأدب !

ألـيكـس : أنا لا أرى فى ذلك أى تناقض .

بيـــيــر : إذا لم يكن الفعل ... الالتزام الجسدى، الالتزام العاطفى... **[يملأ كأسه]** آه ، الشيخوخة ! حينما يدخل المرء فى الشيخوخة ، يقول كلاما فارغا .

جـــوليـين : ألا ترين أنه من الواجـب أن نلقى نظـرة على الحسـاء ، يا إيديت ؟

إيــديــت : كل شىء على ما يرام . تأكدت من ذلك حينما رجعت .

بيـــــر : [إلى أليكس] - لذلك كان يشعر بالأسى لأنك لا تكتب .

ألـــيـكـــس : حسنا ، تصور أننى كنت أنتظر هذه الخاتمة منذ البداية، ومع ذلك كنت أرجو ألا تكون ...

بيـــيـــر : كاتب فاشل !

ألـــيـكـــس : فاشل ، نعم .

بيـــيـــر : عفوا ! كل ذلك لا أهمية له . إنها الريح فى الخارج .

ألـــيـكـــس : ليس عندى ما أقوله . لم يكن عندى ما أقوله فى يوم من الأيام. كيف يكتب المرء حينما لا يكون لديه ما يقوله بالمرة؟

بيـــيـــر : لا أظن أنه ليس لديك ما تقوله ...

ألـــيـكـــس : حـقـا ؟ هل تظن أن لدى مـا أقـوله ؟ إذن مـاذا ؟ قل لى ماذا ، فنكسب وقتا .

بيـــيـــر : أنا متعب يا عزيزى . لم أعد أقوى على مثل هذا الهراء .

ألـــيـكـــس : أنت تقـول لى إن لدى مـا أقـوله ، وأنا أسـألك مـاذا ؟ هل تعرف خيرا منى ؟

إيــديــت : إذا لم يكن لديك ما تقوله ، فقفّل ! لا أعرف لماذا تقرفنا !

ألـــيـكـــس : آه !... أيتها الرقيقة إيديت لم أعرف عنك هذه اللغة ...

إيــديــت : حسنا ، الآن عرفتها .

ألـــيـكـــس : عرفتها نعم ... هل أخذت قرارا يا إيليزا ؟ لا داعى للنظر إلى ناتان ، هو يريد أن تبقى بالتأكيد .

إيــــديـــت : إذا قـررت البقـاء ، لابـد من إشعـال المدفـأة فى الغـرفة السفلية ، فهى مرتع للرطوبة .

نـــاتـــان : لا داعى ، صراحة .

[لحظة]

نـــاتـــان : إذا بقيت إيليزا فلن تبيت فى هذه الغرفة .

إيــــديـــت : أين تبيت ، إذن ؟

نـــاتـــان : فى غرفتى .

إيــــديـــت : وأنت ؟

نـــاتـــان : فى غـرفـتـى أيضـا ، أيـن تريديـن أن أذهـب ؛ بمعنى آخـر ، إذا بقيت إيليزا فسنقضى الليلة معا .

[صمت]

إيــــديـــت : أشعر كأننى أحلم ... **[إلى إيليزا]** ماذا ستصنعين ؟ قولى شيئا !

[صمت]

إيــــديـــت : ولكن قـولى شيئـا . الجمـيع يقـررون لك ، وأنت صـامـتـة كالتمثال ، تكلمى !

نـــاتـــان : لست أدرى سببا لهذه الحالة التى أنت فيها ...

إيــــديـــت : لم أعـد أفهـم شيئا . أشـعـر كـأننى أعيش فـى عـالم من المجانين !... يوم جنازة بابا ! **[تبكى]**

نـــاتـــان : بالضبط .

إيــــديـــت : بالضبط ، ماذا ؟

نـــاتـــان : يوم جنازة بابا .

إيـــديـــت : يجب أن تنام مع هذه الـ ؟!... ولكن، قولى شيئا يا إيليزا ! أرجوك ، قولى شيئا ... بابا ... بابا ... تعال !... أريد أن أموت ...

جـــولـيـن : **[تحوطها بذراعها]** اهدئى يا إيديت ، اهدئى .

إيليـــزا : أليكس ، اصحبنى إلى المحطة لو سمحت .

ألـيـكـس : أنت مخطئة ...

إيليـــزا : لو سمحت ...

نـاتـــان : سأصحبك أنا .

إيليـــزا : هيا بنا .

[تنهض]

ألـيـكـس : انتظرى **[صمت]** دقيقة ؟ عندى كلمة أقولها لك . كلمة واحدة ... يعنى، ربما أكثر قليلا من كلمة ... **[لحظة]** فى يوم الحداد هذا ... كان ينقص حادث ... فعل ، كلمة ... فى هذه الحجرة ، يوجد شخص كنت أعتقد أنه غاب نهائيا ... لكنه جاء ليثبت العكس تماما . هذا كل شىء . **[إلى إيليزا]** والآن ، افعلى ما تريدين .

إيليـــزا : هل أنت متأكد أن هذا كل شىء ؟

ألـيـكـس : هى تبكى ... وأنت تسافرين ... **[يلتفت إلى ناتان ويرمقه بنظرة]** أما أنا، فبالعكس ، أشعر بامتنان كبير ... هذا كل شىء حقا **[إلى بيير]** هل تعطينى سيجارة .

[بيير يقدم إليه العلبة . أليكس يأخذ سيجارة]

إيـــديـــت : وأنا أيضا ، لو سمحت ...

ألــيكــس : أرأيت سجائرك فى النهاية ...

[يشعل سيجارة إيديت ، ويقدم العلبة لبيير]

[لحظة]

نــاتـــان : **[إلى إيليزا]** – أنا ما زلت تحت أمرك .

إيليـــزا : هيا بنا .

[تتوجه إلى بيير وتبسط له يدها]

إيليـــزا : إلى اللقاء ...

بيـــيـــر : خذى مظلة !

إيليـــزا : نعم ... إلى اللقاء يا جوليين .

جـــوليين : إلى اللقاء يا إيليزا .

إيليـــزا : كان معى معطف ؟

إيـــديـــت : معلق فى دولاب الممر ...

[إيليزا تميل على إيديت وتقبلها بسرعة وتستدير لتخرج]

ألــيكــس : وأنا ، لا يقال لى إلى اللقاء ؟

إيليـــزا : إلى اللقاء ...

[إيديت تمسك بذراع إيليزا]

إيـــديـــت : لا تذهبى ...

[لحظة قصيرة]

ألــيكــس : هل سنصل إلى قمة السخرية ؟ **[إلى إيليزا]** خروجان زائفان فى يوم واحد ، هذا كثير .

إيـــديـــت : لا تذهبى ، أرجوك ... أنا لا أقوى على الكلام ...

إيليـــزا : مرتين ، هذا كثير فعلا يا إيديت ، هو على حق ...

بيـــيـــر : أنت لم تخرجى بعد من الحجرة ...
ألــيـكــس : وأنت أيضا تدلى بدلوك .
بيـــيـــر : أنا لا أتدخل . أنا أعلق .
إيليـــزا : **[إلى أليكس]** ساعدنى ...
ألــيـكــس : أنا لن أكف ... لقد لاحظتك منذ الصباح ، أنا أعرف كل شىء عنك ، حركاتك ، وجهك ، طريقتك فى التحرك ، طريقتك فى الكلام . أعرف بالضبط كيف ستخرجين ، كيف ستغلقين الباب ، تتدثرين بالمعطف ... فى السيارة ، لن تقولى شيئا ، ستشعلين سيجارة ... ستتظاهرين بالحزن ... وكل ذلك يستوى بالنسبة لى ، يستوى تماما . كنت أتوقع انقلابا ، لو كنت قابلتك فى ظروف أخرى ، لكنت بالتأكيد لاحقت سرابا ... هيا ، أخرجى !

[إيليزا تتراجع ، تتجاوز ناتان وتخرج . ناتان يتأهب ليتبعها . ثم يتوقف ويلتفت إلى أليكس. يبحث عن كلماته... وأخيرا وفى حركة عجز ، يبتسم]

[أليكس يبتسم . ناتان يخرج]

[صمت]

[يتقدم أليكس خطوات ويجلس مكان إيليزا]

ألــيـكــس : إذن ، الفيلسوف ؟ ألا تقول شيئا ؟
بيـــيـــر : أنا الفيلسوف ؟
ألــيـكــس : بيير الفيلسوف **[إلى إيديت]** كفى عن البكاء . تمخطى ، خلاص ، انتهى الموضوع .

إيـــديـــت : أنا حطمت كل شيء ...

ألـــيـكــس : كلا .

إيـــديـــت : أجل ...

ألـــيـكــس : قلت كلا .

[صمت]

ألـــيـكــس : ماشى الحال يا جوليين ؟

جـــولـيـين : نعم ، نعم ...

ألـــيـكــس : ليست غريبة ، العائلة ، هه ؟

جـــولـيـين : اسمع يا أليكس ، أرجوك ، لا تستمر فى الحديث معى على أننى متخلفة عقليا ...

ألـــيـكــس : بدأنا !

جـــولـيـين : أؤكد لك أن هذا شيء بشع للغاية .

ألـــيـكــس : هل ترينْ أنهما كانا على حق حينما سافرا ؟

جـــولـيـين : يا له من سؤال !

ألـــيـكــس : ليس هناك فخ وراء السؤال . أود أن أعرف رأيك .

جـــولـيـين : ولكن كيف تريد منى أن أجيب عن سؤالك ؟

ألـــيـكــس : الـ " ٥٠٤ " أمام سور الحديقة ، وهما مبللان ... وإيليزا ساخطة ، شعرها يتجعد حينما ينزل المطر ... **[لحظة]** أشعر أننى بصحة جيدة ... أشعر أننى فارغ تماما وبصحة جيدة .

[صمت]

بيـــيـــر : فارغ ... نعم .

ألـــيـكــس : أين تقابلتما أنتما الاثنان ؟

بيـــيـــر : أى ، آى ، آى ... أين كان ذلك ؟

[جولبين تتنهد]

بيـــيـــر : بالإعلان ...

جـــولـيـن : من غير المعقول ...

بيـــيـــر : تحت بواكى " بور رويال " ...

جـــولـيـن : عند أصدقاء مشتركين ، بكل بساطة .

ألـــيـكــس : صاعقة ؟

بيـــيـــر : هى ، نعم .

جـــولـيـن : أنت متعب ، تعرف .

[لحظة]

بيـــيـــر : كانت ترتدى دثارا كورسيكيا ...

جـــولـيـن : دثارا !

بيـــيـــر : ماذا يسمى ؟ كاب ؟

جـــولـيـن : كاب ! دثار ، قبعة عبيطة .

بيـــيـــر : إذن كاب ، وتنزهنا فعلا تحت بواكى "بور رويال" ، دون أن أتمكن من مسك ذراعها لحظة واحدة ، نظرا لنوع ثوبها ...

جـــولـيـن : كان بإمكانك أن تفعل ذلك ، كان يكفى أن أخرج ذراعى .

بيـــيـــر : لكنك لم تخرجيها .

[صمت]

ألـــيـكــس : أكمل ... أنا أعشق هذه القصص .

بيـــــيـــــر : مشهيات الذاكرة ...

ألـــيـكـــس : استمر ... أرجوك .

جـــــوليـين : المشهيات... حينما يكون فى الفورمة . حينما يكون فى كامل لياقته ، أقصد حينما يكون الجمهور كثير العدد ، وبطبيعة الحال متجاوبا ، فإنه يكون قادراً على أن يحكى حكايات ، ليس فقط لا أصل لها ولا فصل ، وإنما زيادة على ذلك ، تنتهى بتعريضنا للسخرية .

بيـــــيـــــر : وهل تعرف ماذا تفعل هى فى هذه الحالة ؟ تقول: " كلا ! ماذا تخترع ! ". فماذا يكون موقفى ؟

جـــــوليـين : مطلقا . لا أقول شيئا بالمرة .

بيـــــيـــــر : تتخذين هيئة ... وهذا أسوأ .

جـــــوليـين : مطلقا .

[صمت]

ألـــيـكـــس : استمر ...

بيـــــيـــــر : أستمر ؟

ألـــيـكـــس : استمر ...

بيـــــيـــــر : الجمهور هو الذى ينقص ، كما ترى . **[يبتسم]** عدم وجود مشاهدين ! **[إلى إيديت التى تنهض]** أين تذهبين ؟

إيـــــديـــــت : إلى المطبخ **[تخرج]**

بيـــــيـــــر : **[إلى جوليين]** اذهبى وساعديها ؛ يعنى ، لا تتركيها وحدها .

[جوليين تنهض]

جـــــوليـين : هل سيعود أخوك ؟ ... ماذا نصنع بكل هذا الحساء ! إن لم نكن أربعة ؟

بيـــــيـــــر : نعطيه للقطط .

جـــــوليـين : **[إلى أليكس]** هل عندكم قطط ؟

بيـــــيـــــر : للقطط الضالة ، التى تجول ...

[تخرج جولیین]

بيـــــيـــــر : لا تطيق فكرة البعثرة ... هل تحلم ؟

ألـــيـكــس : أحلم ؟

[يسمع صوت ماء وصفق منتظم . أليكس متمدد فى الكرسى الموسد وعيناه شبه مغمضتين]

بيـــــيـــــر : من أين يأتى هذا الصوت ؟

ألـــيـكــس : هذا المزراب .

بيـــــيـــــر : آه ...

ألـــيـكــس : ربطته بخرقة ، وكدت أقتل نفسى . ألم تر ؟

بيـــــيـــــر : بلى ، رأيت .

[صمت]

بيـــــيـــــر : هل أختك ما تزال ترى الـ ... نسيت اسمه ، مندوب المشروبات ؟

ألـــيـكــس : جان سانتينى . نعم .

بيـــــيـــــر : كورسيكى ؟

ألـــيـكــس : من أصل إيطالى .

بيـــــيـــــر : كان عندى محاسب اسمه سانتينى . كان من كورسيكا .

ألـــيـكـــس : آه ، نعم .

بيـــيـــــر : من كورسيكا القديمة... أنت واثق أن هذا ليس كورسيكيا؟

ألـــيـكـــس : واثق .

بيـــيـــــر : الصوت مستمر ... مزرابك هذا غير محكم .

ألـــيـكـــس : أحب هذا . أحب هذا الصوت كثيرا .

بيـــيـــــر : نعم ... يعنى ...

[صمت]

بيـــيـــــر : آه من هذه الشيخوخة !

[صمت . تعود جولیین]

جـــــوليين : **[مخاطبة بيير بصوت خفيض]** – هى تبكى ...

بيـــيـــــر : [بعد لحظة] إيديت !

ألـــيـكـــس : دعيها ... ما من شيء يمكن عمله ...

جـــــوليين : تريد أن تكون وحدها... يجب أن نتركها وحدها... ألا يوجد نور آخر هنا؟ لماذا لا تشعلون هذا المصباح ؟ هل هو سليم ؟

ألـــيـكـــس : جربى ...

[جولیین تشعل المصباح]

جـــــوليين : هكذا أفضل ، أليس كذلك ؟

بيـــيـــــر : اجلسى .

جـــــوليين : سأرفع الأكواب .

بيـــيـــــر : سنفعل ذلك بعد قليل .

جـــــوليين : حسنا .

بيـــــيــــر : لابد أن تتحركى ، هه ؟

جـــــوليـين : كلا ، كلا ، سأجلس .

[لحظة]

جـــــوليـين : ما الذى يطبِّل فى الخارج .

بيـــــيــــر : المزراب .

جـــــوليـين : المزراب يحدث هذا الصوت ؟

بيـــــيــــر : نعم .

[لحظة]

جـــــوليـين : أخـذت هذا الشـال من المدخل . لا يمكن أن نقـول إنه مناسب جـدا... ألا ترى أن الجـو فيـه لسـعـة برد ؟ لقـد تأكدت من التدفئة فهى شغالة .

بيـــــيــــر : الرطوبة ...

جـــــوليـين : نعم بالتأكيد . الجدران رطبة .

[تقبل إيديت بسرعة ، مضطربة للغاية]

إيـــديـــت : يوجـد شـخـص عـلى الباب . شـخـص يحـاول أن يدخل ! هل تسمعون ؟!

[لحظة قصيرة . يدخل ناتان وإيليزا]

نـــاتـــان : هذا نحن ... **[لحظة . إلى إيليزا]** تعالى .

[يأخذها من ذراعيها . يتقدمان]

نـــاتـــان : **[إلى إيديت]** رأينـا شبـحا يمـر سـريعًا فى الدهليز . كنت أنت ؟

إيـــديـــت : سمعت الكالون ... ظننت أن أحداً يقتحم المنزل .

نـــاتـــان : الباب لم يكن مغلقا بالمفتاح .

إيــديــت : سمعت ضوضاء .

[لحظة قصيرة]

بيـــيـــر : عدتما ... أو أنكما لم تسافرا ؟

نـــاتـــان : سافرنا ... وعدنا **[إلى إيليزا]** اجلسى .

[إيليزا تجلس وجلة]

[صمت]

جـــولـيـن : هذه المسكينة الصغيرة تنتفض من البرد . **[تنهض وتقدم الشال إلى إيليزا]** خذى ، تدثرى فى هذا... سامحينى يا إيديت ، لقد عثرت عليه فى المدخل، أعتقد أنه شالك .

إيــديــت : **[إلى إيليزا]** هل تشعرين بالبرد ؟ هل تريدين كنزة **(بلوفر)** صوفية ؟ عندى أشياء كثيرة فوق .

إيليـــزا : كلا ، كلا ، لا أريد شيئا . شكرا . هذا يكفى تماما .

[تضع الشال فوق كتفيها وتبتسم لإيديت . إيديت تبتسم لها]

إيليـــزا : رائحة طيبة عندما ندخل من الخارج ...

إيــديــت : صحيح ؟

إيليـــزا : نعم ، رائحة طيبة جدا .

[لحظة . إيليزا تنظر إلى أليكس]

إيليـــزا : خروجان مزيفان ...

ألـيـكـس : فى يوم واحد ... ولم لا ؟

[صمت]

بيـــيـــر : إذن سافرتما حقا ثم رجعتما ؟ **[إلى جوليين]** ماذا ؟ أنا لا أوجـه أسـئلة !... زوجـتى تستـهجـن كلامى ، ولكننى لا أوجه أية أسئلة !

نـــاتـــان : لقد غادرنا هذا المنزل... نعم . إيديت ؟... اقـتربى... مـاذا تفعلين هناك؟... اجتزنا الحديقة ، تحت المطر... وركبنا فى السـيـارة ... وشغلت الكونتـاكت ... وشـغلت المسـاحـات ... والأنوار ... وظلت إيليزا صـامتـة ... ولم تشعل سيجارة ، ولم تتظاهر بأنهـا حـزينة ... وبقـينا فى مكاننا ، دقـيقـة ، ربما ؟ خـلال هذه الدقيقة حدث شىء غريب . ومفـاجئ... محطة " جـيـان" التى كنا نظن أننا فى " جـيـان " ، كـانت هنـا ، أمـام سـور الحـديقـة ... وكـانت السـاعـة فى أعلى الواجهة تشير إلى السابعة، فكان أمامنا ساعة نقضيها... **[لحظة . يتقدم خطوات ويقترب من النافذة ثم يعود]** كان هناك أناس كـثيـرون من كل نوع على الرصـيف ، أشبـاح يحملون الحقـائب ، وأشبـاح سـائقين ، وسـيـارات أجرة ، وأنوار فنادق ، وضـوضـاء عربات تفرمل فى برك الماء ... فـقلت لإيليـزا " هيًا ندخل أى مـقـهى " ، وشـربنا شـيـئـا وحكيت لهـا إحـدى الذكريات التى ترجع إلى ثلاثين عـامـا مضت فى هذه المحطة نفسـهـا ، فـقـالت لى " إننى أشـعـر بالرعب من مـحطات السكك الحـديدية " ... وفـيـمـا نحن نتكلم ، كـانت السـاعـة تدور والوقت يمـضى ... فـعـبـرنا الشـارع ، وأسـرعنا إلى شباك التذاكر لشراء التذكرة ...

ثم رصيف المحطة ، الصفارة ، العربة الأولى التى ركبت فيها ... وسمعنا ضجيج الأبواب وصرير اصطكاك الحديد ، وتحرك القطار ... ورأيتها تختفى فى الريف ، وهى من نافذتها رأت الريف يذوب ويختفى ... وكذلك المحطة اختفت ... وأغلقت الكونتاكت ، وأطفأت الأنوار ، وقطعنا الطريق فى الاتجاه العكسى ونحن نجرى ...

[صمت]

ألـيـكـس : **[إلى بيير]** هل عرفت لماذا لم أكتب ؟... بسبب هذا بالتحديد... هذا النوع من الأشياء ... المحطة بقيت دائما خالية فى هذا المكان ... **[إلى إيليزا]** أنتما سافرتما ... وبقينا نحن الأربعة جالسين هنا ، بين هذه الجدران الأربعة ، أنا هنا فى هذا المكان نفسه ، لم أتحرك ... ثم حدث شىء غريب أيضا ، غريب جدا ... كنت جالسا فى الـ ٥٠٤ فى الخلف ، وأنت كنت فى الأمام . وكان ناتان يقود ، وكان قد شغَّل المساحات على السرعة المضاعفة ، أنا أتذكر ذلك تماما ؛ الكاوتشوك ردىء ، أحدث صوتا عند الاحتكاك ... وعبرنا " دامبيير " ، ووضعت أنت شريط موسيقى ، لشوبير ... والتفتت نحوى وسألتنى إذا كان الصوت عاليا جدا ، فقلت " لا ، لا ، لا... لا تغيرى شيئا ، لا تغيرى شيئا " فلم تغيرى شيئا . وطرحت رأسى للوراء ورأيت الأشجار، والأنوار وخطوط الماء التى تجرى على الزجاج ، ونظرة ناتان فى المرآة ، نظرة ناتان الباسمة ،

والليل ... الضباب والليل ... وكنت ، كيف أقول ، فارغا ، نعم ثقل فوق المقعد الخلفي ، مطمئنا ، آمنا ... **[لحظة]** تلك هى الكتابة بالضبط ، تذهب إلى مكان لا تذهب إليه ... ومهما نكن قد صنعنا فوق الصفحة التى أصبحت خالية ... فهناك العودة ونهاية المغامرة ... وأنا فى سن العشرين ، كنت أتخيل إبداعى سبع مجلدات من الورق الفخم ، عالما من الوحوش المدمرة ، ترفعها أمواج البحر الهائجة ، يسيطر عليها الهوس والجنون ... مخلوقات صاخبة ، مخلوقات فيها العبقرية والقوة والنَّصَب ... كان ذلك تصوُّرى وأنا فى العشرين من عمرى ... وبدلا من كل ذلك ، الحلية اليومية ، الجرح الصغير فى وسط العالم ، المجرى الذى لا ينتهى من الرغبات ، والخطوات ، والحركات العقيمة ... متاهة الطرق العقيمة ... وكذلك الحنان ... الحنان الذى يُجمِّدنى ... **[لحظة]** والحساء العظيم الذى أعدته لنا إيديت ، وأنا سأرشُّ فوقه جميع توابل المطبخ .

إيديت : ذق !

أليكس : سترين !

[صمت]

إيديت : اتصلت هاتفيا بجان قبل قليل . سيأتى .

أليكس : السيد " تسى تسى " سيأتى للعشاء ... لن يصل قبل منتصف الليل .

بيـــيــــر : " فى مساء غاب قمره ، مثنى ، مثنى ... "

جـــوليـين : كف يا بيير . اسكت مرة .

[لحظة]

ألــيــكــس : إلى المائدة !

إيليـــــزا : هكذا بسرعة ؟

ألــيــكــس : تقصدين أخيراً .

[إظـــلام]

المترجم فى سطور:

حمادة إبراهيم محمد إسماعيل

دكتوراه الدولة من جامعة السربون

رئيس قسم اللغة الفرنسية بمركز اللغات والترجمة بأكاديمية الفنون، مؤلف ومترجم وناقد مسرحي .

فى مجال الترجمة ترجم الأعمال الكاملة للكاتب المسرحى الفرنسى أوجين بونسكو (٣٤ مسرحية) ، والأعمال المسرحية الكاملة للكاتب الفرنسى ألفريد جارِّى . وعشر مسرحيات لجان تارديو وبعض مسرحيات الإيطاليين إدواردو دى فيليبو وداريو فو . كما شارك فى ترجمة ومراجعة موسوعة وصف مصر .

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١-	اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢-	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣-	التراث المسروق	جورج جيمس	شوقى جلال
٤-	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنيكوفا	أحمد الحضرى
٥-	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦-	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧-	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨-	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩-	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠-	خطاب الحكاية	جيرار چينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١-	مختارات شعرية	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢-	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣-	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤-	التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥-	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦-	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
١٧-	مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨-	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩-	الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠-	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١-	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢-	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣-	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤-	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥-	مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦-	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧-	التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
٢٨-	رسالة فى التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩-	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠-	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١-	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢-	الانقراض	ديفيد روب	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣-	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤-	الرواية العربية	روجر آلن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥-	الأسطورة والحداثة	پول ب . ديكسون	خليل كلفت
٣٦-	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٣٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٣٨-	نقد الحداثة	آلن تورين	أنور مغيث
٣٩-	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزدوج	أوكتافيو پاث	المهدى أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت دينا وجون فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
٤٩-	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م. بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
٥٥-	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	بإشراف : محمد الجوهرى
٦٢-	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى
٦٣-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض
٦٥-	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوفا	حسن بيومى

٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦-	جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمري
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوي
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	محمود السيد علي
٨٣-	مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالي
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل (رواية)	جمال مير صادقي	أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العناني
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠-	وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا - بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوي
٩٥-	مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعي
٩٨-	الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحي
١٠١-	النص الروائي: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبي	عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣-	قبر ابن عربي يليه آياء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ماهوجني (مسرحية)	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوي
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦-	الأدب الأندلسي	ماريا خيسوس روبييرامتي	أشرف علي دعدور
١٠٧-	صورة الفدائي في الشعر الأمريكي اللاتيني المعاصر	نخبة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدي
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من المؤلفين	محمود علي مكي
١٠٩-	حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوي ماكليود	إكرام يوسف

١١٣- راية التمرد	سادى پلانت	أحمد حسان
١١٤- مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلى
١١٥- غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	سمية رمضان
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨- النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	مجموعة من المترجمين
١٢١- الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢- نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان	جوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	أنينل ألكسندرو فنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤- الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية	چون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥- التحليل الموسيقى	سيدرك ثورپ ديفى	سمحة الخولى
١٢٦- فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧- إرهاب (مسرحية)	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨- الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠- الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١- مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢- ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣- الخوف من المرايا (رواية)	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤- تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦- فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧- مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر	چوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	أندريه جلوكسمان	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩- پارسيڤال (مسرحية)	ريتشارد فاچنر	مصطفى ماهر
١٤٠- حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديرك لايدر	عدلى السمرى
١٤٤- صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥- موت أرتيميو كروث (رواية)	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦- الورقة الحمراء (رواية)	ميجيل دى ليبس	على عبدالرءوف البمبى
١٤٧- مسرحيتان	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠- التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان

١٥١-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٢-	عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابى
١٥٣-	غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤-	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥-	الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦-	المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	مى التلمسانى
١٥٧-	خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٩-	الأيديولوچية	ديڤيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠-	آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١-	مسرحيتان من المسرح الإسبانى	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢-	تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣-	موسوعة علم الاجتماع (جـ ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤-	شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥-	حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهير المصادفة
١٦٦-	العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧-	فى عالم طاغور	رابندرنات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨-	دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩-	إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٧٠-	الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١-	وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢-	حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابى
١٧٣-	معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤-	صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥-	التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦-	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧-	أنطون تشيخوف	هنرى ترويايا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨-	مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩-	حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠-	قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١-	النقد الأدبى الأمريكى من الثلاثينيات إلى الثمانينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢-	العنف والنبوءة (شعر)	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣-	چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحى العشرى
١٨٤-	القاهرة: حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥-	أسفار العهد القديم فى التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦-	معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧-	الأرضة (رواية)	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨-	موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب

١٨٩- العمى والبصيرة: مقالات فى بلاغة النقد المعاصر	بول دى مان	سعيد الغانمى
١٩٠- محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١- الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازى السيد
١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
١٩٣- عامل المنجم (رواية)	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤- مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥- شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦- المهلة الأخيرة (رواية)	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧- سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
١٩٨- الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداو	جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠- ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل	جيرمى سيبروك	فخزى لبيب
٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣- الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد هويدى
٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللي-- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦- الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	على يوسف على
٢٠٧- ليل أفريقى (رواية)	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩- السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠- مثنويات حكيم سنائى (شعر)	سنائى الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١- فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢- قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣- مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد على الناصرى
٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محيى الدين
٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧- مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوى
٢١٨- لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتاثان	على إبراهيم منوفى
٢١٩- بقايا اليوم (رواية)	كازو إيشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠- الهيولية فى الكون	بارى باركر	على يوسف على
٢٢١- شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢- فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
٢٢٣- العلم فى مجتمع حر	باول فيرابند	السيد محمد نفادى
٢٢٤- دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥- حكاية غريق (رواية)	جابرييل جارثيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	طاهر محمد على البربرى

٢٢٧-	المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	خوسيه ماريا ديث بوركى	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨-	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩-	مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠-	عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١-	الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	خايمى سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢-	ما بعد المعلومات	توم ستونير	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣-	فكرة الاضمحلال فى التاريخ الغربى	أرثر هيرمان	طلعت الشايب
٢٣٤-	الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥-	ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦-	الولاية	ميشيل شودكيفيتش	أحمد الطيب
٢٣٧-	مصر أرض الوادى	روبين فيدين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨-	العولمة والتحرير	تقرير لمنظمة الأنكتاد	ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩-	العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلا رامراز - رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠-	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كاى حافظ	صلاح محجوب إدريس
٢٤١-	فى انتظار البرابرة (رواية)	ج . م. كوتزى	ابتسام عبدالله
٢٤٢-	سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبرى محمد حسن
٢٤٣-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٢٤٤-	الغليان (رواية)	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥-	نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس وآخرون	توفيق على منصور
٢٤٦-	مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركيث	على إبراهيم منوفى
٢٤٧-	الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر أرمبرست	محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨-	حقول عدن الخضراء (مسرحية)	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩-	لغة التمزق (شعر)	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠-	علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢-	رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	على بدران
٢٥٣-	تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوڤا	حسن بيومى
٢٥٤-	أقدم لك: الفلسفة	ديڤ روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥-	أقدم لك: أفلاطون	ديڤ روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦-	أقدم لك: ديكارت	ديڤ روبنسون وكريس جارات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧-	تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨-	الغجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩-	مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	نخبة	فاروجان كازانجيان
٢٦٠-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١-	رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢-	مدينة المعجزات (رواية)	إدواردو مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣-	الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	على يوسف على
٢٦٤-	إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	لويس عوض

٢٦٥- روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦- مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم على
٢٦٧- فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكى
٢٦٨- ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩- وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧٠- وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧١- الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سى. باترسون	شوقى جلال
٢٧٢- الأديرة الأثرية فى مصر	سى. سى. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣- الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى فى مصر	جوان كول	عنان الشهاوى
٢٧٤- السيدة باربارا (رواية)	رومولو جاييجوس	محمود على مكى
٢٧٥- ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦- فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمسانى
٢٧٧- الچينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزى
٢٧٨- البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩- الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠- الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١- الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوى
٢٨٢- طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣- السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الرءوف البمبى
٢٨٤- هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوريبيديس	أحمد عتمان
٢٨٥- رحلة خواجة حسن نظامى الدهلوى	حسن نظامى الدهلوى	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢٨٧- الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨- الفن الروائى	ديفيد لودج	ماهر البطوطى
٢٨٩- ديوان منوچهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠- علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١- تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢- تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣- مقدمة للأدب العربى	روجر آلن	مجدى توفيق وآخرون
٢٩٤- فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥- سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل وبيل مويرز	بدر الديب
٢٩٦- مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧- فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨- مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩- ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠- أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١- أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢- أقدم لك: فتجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام

الرقم	العنوان	المؤلف	المترجم
٣٠٣-	أقدم لك: بوذا	جين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤-	أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥-	الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦-	الحماسة: النقد الكانطي للتاريخ	جان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧-	أقدم لك: الشعور	ديفيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكي
٣٠٨-	أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز وبورين فان لو	ممدوح عبد المنعم
٣٠٩-	أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريت	جمال الجزيرى
٣١٠-	أقدم لك: يونج	ماجي هايد ومايكل ماكجنس	محيى الدين مزيد
٣١١-	مقال فى المنهج الفلسفى	ر.ج كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٣١٢-	روح الشعب الأسود	وليم ديبويس	أسعد حليم
٣١٣-	أمثال فلسطينية (شعر)	خايير بيان	محمد عبدالله الجعيدى
٣١٤-	مارسيل دوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعى
٣١٥-	جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحى
٣١٦-	محاكمة سقراط	أي. ف. ستون	نسيم مجلى
٣١٧-	بلا غد	س. شير لايموفا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨-	الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٣١٩-	صور دريدا	جايترى اسبيفاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٣٢٠-	لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفى برو فنسال	بإشراف: صلاح فضل
٣٢٢-	وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو يوجين كليناور	خالد مفلح حمزة
٣٢٣-	فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم محمد فوزى
٣٢٤-	اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدى	محمود علاوى
٣٢٥-	عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٣٢٦-	المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧-	مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق على منصور
٣٢٨-	يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٢٩-	رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠-	كل شىء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامى صلاح
٣٣١-	عندما جاء السردين وقصص أخرى	ستيفن جراى	سامية دياب
٣٣٢-	شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	على إبراهيم منوفى
٣٣٣-	الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤-	لقطات من المستقبل	آرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣٥-	عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٣٣٦-	متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٣٣٧-	فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٣٣٨-	نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوى
٣٣٩-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠-	اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخرى لبيب

٣٤١- قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا رلكه	حسن حلمى
٣٤٢- سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٤٣- العالم البرجوازى الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٣٤٤- الموت فى الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٣٤٥- الركض خلف الزمان (شعر)	بونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦- سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٣٤٧- الصبية الطائشون (رواية)	جان كوكتو	بكر الحلو
٣٤٨- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٤٩- دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٣٥٠- بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٣٥١- مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٣٥٢- قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٣٥٣- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٤- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٥- التيارات السياسية فى إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوى
٣٥٦- الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٣٥٧- متون هرمس	تيموثى فريك وبيتر غاندى	عمر الفاروق عمر
٣٥٨- أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٣٥٩- محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٣٦٠- أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٣٦١- التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢- تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٣٦٣- حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبرى محمد حسن
٣٦٤- حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٣٦٥- سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٣٦٦- نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٣٦٧- القلم الجرىء	مجموعة من المؤلفين	البرّاق عبدالهادى رضا
٣٦٨- المصطلح السردى: معجم مصطلحات	جيرالد برنس	عابد خزندار
٣٦٩- المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٣٧٠- الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٣٧١- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٧٢- عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٣٧٣- كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٣٧٤- اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٣٧٥- الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٣٧٦- الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	جان أنوى وآخرون	إدوار الخراط
٣٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٧٨- المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

٣٧٩- ملك فى الحديقة (رواية) سنيل باث جمال عبدالرحمن

٣٨٠- حديث عن الخسارة جونتر جراس شيرين عبدالسلام

٣٨١- أساسيات اللغة ر. ل. تراسك رانيا إبراهيم يوسف

٣٨٢- تاريخ طبرستان بهاء الدين محمد إسفنديار أحمد محمد نادى

٣٨٣- هدية الحجاز (شعر) محمد إقبال سمير عبدالحميد إبراهيم

٣٨٤- القصص التى يحكيها الأطفال سوزان إنجيل إيزابيل كمال

٣٨٥- مشترى العشق (رواية) محمد على بهزادراد يوسف عبدالفتاح فرج

٣٨٦- دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى جانيت تود ريهام حسين إبراهيم

٣٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر) چون دن بهاء چاهين

٣٨٨- مواعظ سعدى الشيرازى (شعر) سعدى الشيرازى محمد علاء الدين منصور

٣٨٩- تفاهم وقصص أخرى نخبة سمير عبدالحميد إبراهيم

٣٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى إم. فى. روبرتس عثمان مصطفى عثمان

٣٩١- الحافلة الليلكية (رواية) مايف بينشى منى الدروبى

٣٩٢- مقامات ورسائل أندلسية فرناندو دى لاجرانجا عبداللطيف عبدالحليم

٣٩٣- فى قلب الشرق ندوة لويس ماسينيون زينب محمود الخضيرى

٣٩٤- القوى الأربع الأساسية فى الكون بول ديفيز هاشم أحمد محمد

٣٩٥- آلام سياوش (رواية) إسماعيل فصيح سليم عبد الأمير حمدان

٣٩٦- السافاك تقى نجارى راد محمود علاوى

٣٩٧- أقدم لك: نيتشه لورانس جين وكيتى شين إمام عبدالفتاح إمام

٣٩٨- أقدم لك: سارتر فيليب تودى وهوارد ريد إمام عبدالفتاح إمام

٣٩٩- أقدم لك: كامى ديفيد ميروفتش وآلن كوركس إمام عبدالفتاح إمام

٤٠٠- مومو (رواية) ميشائيل إنده باهر الجوهرى

٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات زياودن ساردر وآخرون ممدوح عبد المنعم

٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكنج ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت ممدوح عبدالمنعم

٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان) تودور شتورم وجوتفرد كولر عماد حسن بكر

٤٠٤- تعويذة الحسى ديفيد إبرام ظبية خميس

٤٠٥- إيزابيل (رواية) أندريه جيد حمادة إبراهيم

٤٠٦- المستعربون الإسبان فى القرن ١٩ مانويلا مانتاناريس جمال عبد الرحمن

٤٠٧- الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه مجموعة من المؤلفين طلعت شاهين

٤٠٨- معجم تاريخ مصر جوان فوتشركنج عنان الشهاوى

٤٠٩- انتصار السعادة برتراند راسل إلهامى عمارة

٤١٠- خلاصة القرن كارل بوبر الزواوى بغورة

٤١١- همس من الماضى جينيفر أكرمان أحمد مستجير

٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢) ليفى بروفنسال بإشراف: صلاح فضل

٤١٣- أغنيات المنفى (شعر) ناظم حكمت محمد البخارى

٤١٤- الجمهورية العالمية للآداب باسكال كازانوفا أمل الصبان

٤١٥- صورة كوكب (مسرحية) فريدريش دورينمات أحمد كامل عبدالرحيم

٤١٦- مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر أ. أ. رتشاردز محمد مصطفى بدوى

٤١٧- تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٥) رينيه ويليك مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨- سياسات الزمر الحاكمة في مصر العثمانية جين هاثواى عبد الرحمن الشيخ
٤١٩- العصر الذهبي للإسكندرية جون مارلو نسيم مجلى
٤٢٠- مكرو ميجاس (قصة فلسفية) فولتير الطيب بن رجب
٤٢١- الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى الأول روى متحدة أشرف كيلانى
٤٢٢- رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١) ثلاثة من الرحالة عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣- إسراءات الرجل الطيف نخبة وحيد النقاش
٤٢٤- لوائح الحق ولوامع العشق (شعر) نور الدين عبدالرحمن الجامى محمد علاء الدين منصور
٤٢٥- من طاووس إلى فرح محمود طلوعى محمود علاوى
٤٢٦- الخفافيش وقصص أخرى نخبة محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧- باندراس الطاغية (رواية) باى إنكلان ثريا شلبى
٤٢٨- الخزانة الخفية محمد هوتك بن داود خان محمد أمان صافى
٤٢٩- أقدم لك: هيجل ليود سبنسر وأندزجى كروز إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠- أقدم لك: كانط كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١- أقدم لك: فوكو كريس هوروكس وزوران جفتيك إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢- أقدم لك: ماكيافللى باتريك كيرى وأوسكار زاريت إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣- أقدم لك: جويس ديفيد نوريس وكارل فلنت حمدى الجابرى
٤٣٤- أقدم لك: الرومانسية دونكان هيث وجودى بورهام عصام حجازى
٤٣٥- توجهات ما بعد الحداثة نيكولاس زربرج ناجى رشوان
٤٣٦- تاريخ الفلسفة (مج١) فردريك كوبلستون إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧- رحالة هندى فى بلاد الشرق العربى شبلى النعمانى جلال الحفناوى
٤٣٨- بطلات وضحايا إيمان ضياء الدين بيبرس عايدة سيف الدولة
٤٣٩- موت المرابى (رواية) صدر الدين عينى محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠- قواعد اللهجات العربية الحديثة كرستن بروستاد محمد طارق الشرقاوى
٤٤١- رب الأشياء الصغيرة (رواية) أرونداتى روى فخرى لبيب
٤٤٢- حتشبسوت: المرأة الفرعونية فوزية أسعد ماهر جويجاتى
٤٤٣- اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها كيس فرستيغ محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤- أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة لاوريت سيجورنه صالح علمانى
٤٤٥- حول وزن الشعر پرويز ناتل خانلرى محمد محمد يونس
٤٤٦- التحالف الأسود ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير أحمد محمود
٤٤٧- أقدم لك: نظرية الكم ج. پ. ماك إيفوى وأوسكار زاريت ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨- أقدم لك: علم نفس التطور ديلان إيفانز وأوسكار زاريت ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩- أقدم لك: الحركة النسوية نخبة جمال الجزيرى
٤٥٠- أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية صوفيا فوكا وريبيكا رايت جمال الجزيرى
٤٥١- أقدم لك: الفلسفة الشرقية ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢- أقدم لك: لينين والثورة الروسية ريتشارد إيجينانزى وأوسكار زاريت محيى الدين مزيد
٤٥٣- القاهرة: إقامة مدينة حديثة جان لوك أرنو حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤- خمسون عاماً من السينما الفرنسية رينيه بريدال سوزان خليل

٤٥٥-	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦-	لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧-	النساء في الفكر السياسي الغربي	سوزان موللر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨-	الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩-	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠-	أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١-	أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢-	طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣-	الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤-	ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥-	قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦-	حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة عبد الله
٤٦٧-	التفكير السياسي والنظرة السياسية	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨-	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩-	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠-	الأراضي والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد الننة
٤٧١-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢-	دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣-	دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤-	الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥-	صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦-	أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧-	تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨-	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩-	المقهـــى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠-	تساى ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١-	بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢-	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣-	النسوية وما بعد النسوية	سارة چامبل	أحمد الشامى
٤٨٤-	جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥-	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦-	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧-	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد أبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨-	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩-	هُسِّرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	إدموند هُسِّرل	محمود رجب
٤٩٠-	أسمار البيغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١-	نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢-	محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد

٤٩٣- خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤- كتاب الموتى: الخروج فى النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفى
٤٩٥- اللوبى	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦- الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٤٩٧- العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلى	مصطفى رياض
٤٩٨- النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد على بدوى
٤٩٩- تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	فيصل بن خضراء
٥٠٠- فى طفولتى: دراسة فى السيرة الذاتية العربية	تيتز رووكى	طلعت الشايب
٥٠١- تاريخ النساء فى الغرب (جـ١)	أرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢- أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال
٥٠٣- مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤- كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥- كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٦- ربما كان قديسًا (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧- سيدة الماضى الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقى فهيم
٥٠٨- المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩- الفقر والإحسان فى عصر سلاطين المماليك	آدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠- الأرملة الماكرة (مسرحية)	كارلو جولدونى	عبدالرازق عيد
٥١١- كوكب مرقَّع (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢- كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣- العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤- مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥- من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦- إرادة الإنسان فى علاج الإدمان	أرنولد واشنطون ودونا باوندى	صبرى محمد حسن
٥١٧- نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨- استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩- محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٥٢٠- الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١- قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢- إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى
٥٢٣- الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٥٢٤- الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٥٢٥- موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون	نادية رفعت
٥٢٦- أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيى الدين مزيد
٥٢٧- أقدم لك: كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيرى
٥٢٨- أقدم لك: تروتسكى والماركسية	طارق على وفِلْ إيفانز	جمال الجزيرى
٥٢٩- بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
٥٣٠- مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر

٥٣١- ما الذى حَدَثَ فى «حَدَثِ» ١١ سبتمبر؟	چاك دريدا	صفاء فتحى
٥٣٢- المغامرُ والمستشرق	هنرى لورنس	بشير السباعى
٥٣٣- تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوى
٥٣٤- الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥- مخزن الأسرار (شعر)	نظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦- الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون ولورانس هاريزون	شوقى جلال
٥٣٧- للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالغفار مكاوى
٥٣٨- النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى	كيت دانيلر	محمد الحديدى
٥٣٩- خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحى
٥٤٠- توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١- هى تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢- قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣- أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤- أقدم لك: ميلانى كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدى الجابرى
٥٤٥- يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦- ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧- أقدم لك: بارت	فيليب تودى وآن كورس	جمال الجزيرى
٥٤٨- أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدى الجابرى
٥٤٩- أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلى وليتاجانز	جمال الجزيرى
٥٥٠- أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدى الجابرى
٥٥١- الموسيقى والعولمة	سايمون ماندى	سمحة الخولى
٥٥٢- قصص مثالية	ميجيل دى ثربانتس	على عبد الرءوف البمبى
٥٥٣- مدخل للشعر الفرنسى الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤- مصر فى عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥- الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين	أناتولى أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى
٥٥٦- أقدم لك: چان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدى الجابرى
٥٥٧- أقدم لك: الماركيز دى ساد	ستوارت هود وجراهام كرولى	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨- أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين ساردار وبورين ڤان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩- الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجى	عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠- صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦١- جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢- بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣- ورود الخريف (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٤- عُش الغريب (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٥- الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦- تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧- الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨- الأصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩- موقع الثقافة	هومى بابا	ثائر ديب
٥٧٠- دول الخليج الفارسى	سير روبرت هاى	يوسف الشارونى
٥٧١- تاريخ النقد الإسبانى المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢- الطب فى زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣- أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتى	جمال الجزيرى
٥٧٤- مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعى
٥٧٥- الاقتصاد السياسى للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦- فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشرى محمد
٥٧٧- مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	محمد قدرى عمارة
٥٧٨- الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	محمد إبراهيم وعصام عبد الرءوف
٥٧٩- أقدم لك: تشومسكى	چون ماهر وچودى جرونز	محيى الدين مزيد
٥٨٠- دائرة المعارف الدولية (مج١)	جون فيزر وبول سيرجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١- الحمقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢- مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣- الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤- سفر (رواية)	محمود دولت أبادى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥- الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦- السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروى أرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧- تاريخ تطور الفكر الصينى	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزيز حمدى
٥٨٨- أمنحوتپ الثالث	أنييس كابرول	ماهر جويجاتى
٥٨٩- تمبكت العجيبة (رواية)	فيلكس ديبوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠- أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدى عبدالله
٥٩١- الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالتواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢- الثورة المصرية (جـ١)	محمد صبرى السوربونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣- قصائد ساحرة	بول فاليرى	بكر الحلو
٥٩٤- القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥- الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ٢)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٥٩٦- الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧- مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨- مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومى على قنديل
٥٩٩- فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود علاوى
٦٠٠- الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١- النسوية والمواطنة	ريان فوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلى
٦٠٢- ليوتار نحو فلسفة ما بعد حداثية	چيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣- النقد الثقافى	آرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤- الكوارث الطبيعية (مج١)	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٦٠٥- مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦- قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى

٦٠٧- قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨- قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٩- الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠- العمارة المدجنة	رفائيل لوبث جوثمان	على إبراهيم منوفى
٦١١- النقد والأيديولوجية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢- رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣- السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤- بيت الأقصر الكبير(رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥- عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد من ١٩٩٧ إلى ١٩٩٩	أليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
٦١٦- أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧- الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨- نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩- مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
٦٢٠- السلام الصليبى	توماش ماستناك	بشير السباعى
٦٢١- النوبة المعبر الحضارى	وليم ى. آدمز	فؤاد عكود
٦٢٢- أشعار من عالم اسمه الصين	أى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
٦٢٣- نوادر جحا الإيرانى	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤- أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر
٦٢٥- الجرح السرى	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦- مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧- حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨- أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩- قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسى
٦٣٠- سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١- مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢- المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	دولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣- الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤- مكتبة الإسكندرية	روى ماكاويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى
٦٣٥- التثبيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦- حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧- مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعى
٦٣٨- الديمقراطية والشعر	روبرت بن ورين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩- فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
٦٤٠- ألكسياد	الأميرة أنّاكومنينا	حسن حبشى
٦٤١- برتراندرسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
٦٤٢- أقدم لك: داروين والتطور	جوناثان ميلر وبورين فان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣- سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدريابادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤- العلوم عند المسلمين	هوارد د.تيرنر	فتح الله الشيخ

٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سپهر ذبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧-	رسائل من مصر	جون نينيه	فتحى العشرى
٦٤٨-	بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩-	الخوف وقصص خرافية أخرى	جى دى موباسان	سحر يوسف
٦٥٠-	الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١-	ديليسبس الذى لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢-	آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣-	مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤-	أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسى
٦٥٥-	أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦-	خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساستري	ممدوح البستاوى
٦٥٧-	محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
٦٥٨-	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامى
٦٥٩-	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠-	نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١-	روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامى
٦٦٢-	رحلة إلى الجذور	داسو سالديبار	صبرى التهامى
٦٦٣-	امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعى
٦٦٤-	الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وإنا راى هارك	عصام زكريا
٦٦٥-	عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦-	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج انش كليمن	جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب
٦٦٧-	الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	ألفن جولدنر	على ليلة
٦٦٨-	ثقافات العولمة	فريدريك چيمسون وماساو ميوشى	ليلى الجبالى
٦٦٩-	ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلى
٦٧٠-	أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بكر	ماهر البطوطى
٦٧١-	قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولدوين	على عبدالأمير صالح
٦٧٢-	مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣-	ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوى
٦٧٤-	ديوان الإمام الخمينى	آية الله العظمى الخمينى	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥-	أثينا السوداء (جـ٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٦-	أثينا السوداء (جـ٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج١)	إدوارد جرانڤيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٨-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج٢)	إدوارد جرانڤيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٩-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	وليام شكسبير	توفيق على منصور
٦٨٠-	سنوات الطفولة (رواية)	وول شوينكا	سمير عبد ربه
٦٨١-	هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى فش	أحمد الشيمى
٦٨٢-	نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكرى	صبرى محمد حسن

٦٨٣-	سكين واحد لكل رجل (رواية)	ت. م. ألوكو	صبرى محمد حسن
٦٨٤-	الأعمال القصصية الكاملة (أنا كندا) (جـ١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٥-	الأعمال القصصية الكاملة (الصحراء) (جـ٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٦-	امرأة محاربة (رواية)	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧-	محبوبة (رواية)	فتانة حاج سيد جوادى	ماجدة العنانى
٦٨٨-	الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحى
٦٨٩-	الملف (مسرحية)	تادووش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠-	محاكم التفتيش فى فرنسا	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩١-	ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩٢-	أقدم لك: الوجودية	ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت	حمدى الجابرى
٦٩٣-	أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	حائيم برشيت وآخرون	جمال الجزيرى
٦٩٤-	أقدم لك: دريدا	جيف كولينز وبيل مايبلين	حمدى الجابرى
٦٩٥-	أقدم لك: رسل	ديف روبنسون وجودى جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦-	أقدم لك: روسو	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧-	أقدم لك: أرسطو	روبرت ودفين وجودى جروفس	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨-	أقدم لك: عصر التنوير	ليود سبنسر وأندرزيجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٩-	أقدم لك: التحليل النفسى	إيفان وارد وأوسكار زارايت	جمال الجزيرى
٧٠٠-	الكاتب وواقعه	ماريو فرجاش	بسمة عبدالرحمن
٧٠١-	الذاكرة والحداثة	وليم رود فيفيان	منى البرنس
٧٠٢-	الأمثال الفارسية	أحمد وكيليان	محمود علاوى
٧٠٣-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٢)	إدوارد جرانفيل براون	أمين الشواربى
٧٠٤-	فيه ما فيه	مولانا جلال الدين الرومى	محمد علاء الدين منصور وآخرون
٧٠٥-	فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	الإمام الغزالى	عبدالحميد مدكور
٧٠٦-	الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	جونسون ف. يان	عزت عامر
٧٠٧-	أقدم لك: ڤالتر بنيامين	هوارد كاليجل وآخرون	وفاء عبدالقادر
٧٠٨-	فراعنة من؟	دونالد مالكولم ريد	رءوف عباس
٧٠٩-	معنى الحياة	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
٧١٠-	الأطفال والتكنولوچيا والثقافة	يان هاتشباى وجوموران إليس	دعاء محمد الخطيب
٧١١-	درة التاج	ميرزا محمد هادى رسوا	هناء عبد الفتاح
٧١٢-	ميراث الترجمة: الإلياذة (جـ١)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٣-	ميراث الترجمة: الإلياذة (جـ٢)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٤-	ميراث الترجمة: حديث القلوب	لامنيه	حنا صاوه
٧١٥-	جامعة كل المعارف (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٦-	جامعة كل المعارف (جـ٢)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٧-	جامعة كل المعارف (جـ٣)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٨-	جامعة كل المعارف (جـ٤)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٩-	جامعة كل المعارف (جـ٥)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧٢٠-	جامعة كل المعارف (جـ٦)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧٢١-	فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج١)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبد الغنى

٧٢٢- الصفيحة وقصص أخرى	يشار كمال	الصفصافي أحمد القطوري
٧٢٣- تحديات ما بعد الصهيونية	إفرايم نيمني	أحمد ثابت
٧٢٤- اليسار القرويدي	بول روبنسون	عبده الريس
٧٢٥- الاضطراب النفسي	جون فيتكس	مي مقلد
٧٢٦- الموريسكيون في المغرب	غييرمو غوثالبيس بوستو	مروة محمد إبراهيم
٧٢٧- حلم البحر (رواية)	باچين	وحيد السعيد
٧٢٨- العولمة: تدمير العمالة والنمو	موريس آليه	أميرة جمعة
٧٢٩- الثورة الإسلامية في إيران	صادق زيباكلام	هويدا عزت
٧٣٠- حكايات من السهول الأفريقية	أن جاتي	عزت عامر
٧٣١- النوع: الذكر والأنثى بين التميز والاختلاف	مجموعة من المؤلفين	محمد قدري عمارة
٧٣٢- قصص بسيطة (رواية)	إنجو شولتسه	سمير جريس
٧٣٣- مأساة عطيل (مسرحية)	وليم شيكسبير	محمد مصطفى بدوي
٧٣٤- بونابرت في الشرق الإسلامي	أحمد يوسف	أمل الصبان
٧٣٥- فن السيرة في العربية	مايكل كوبرسون	محمود محمد مكي
٧٣٦- التاريخ الشعبي للولايات المتحدة (جـ١)	هوارد زن	شعبان مكاوي
٧٣٧- الكوارث الطبيعية (مج٢)	باتريك ل. أبوت	توفيق علي منصور
٧٣٨- دمشق من عصر ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية	جيرار دي جورج	محمد عواد
٧٣٩- دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر	جيرار دي جورج	محمد عواد
٧٤٠- خطابات القوة	باري هندس	مرفت ياقوت
٧٤١- الإسلام وأزمة العصر	برنارد لويس	أحمد هيكل
٧٤٢- أرض حارة	خوسيه لاكوادرا	رزق بهنسي
٧٤٣- الثقافة: منظور دارويني	روبرت أونجر	شوقي جلال
٧٤٤- ديوان الأسرار والرموز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبد الحميد
٧٤٥- المآثر السلطانية	بيك الدنبلي	محمد أبو زيد
٧٤٦- تاريخ التحليل الاقتصادي (مج١)	جوزيف أ. شومبيتر	حسن النعيمي
٧٤٧- الاستعارة في لغة السينما	تريفور وايتوك	إيمان عبد العزيز
٧٤٨- تدمير النظام العالمي	فرانسيس بويل	سمير كريم
٧٤٩- إيكولوچيا لغات العالم	ل.ج. كالفيه	باتسي جمال الدين
٧٥٠- الإلياذة	هوميروس	بإشراف: أحمد عتمان
٧٥١- الإسراء والمعراج في تراث الشعر الفارسي	نخبة	علاء السباعي
٧٥٢- ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف	جمال قارصلي	نمر عاروري
٧٥٣- التنمية والقيم	إسماعيل سراج الدين وآخرون	محسن يوسف
٧٥٤- الشرق والغرب	أنّا ماري شيمل	عبدالسلام حيدر
٧٥٥- تاريخ الشعر الإسباني خلال القرن العشرين	أندرو ب. دبيكي	علي إبراهيم منوفي
٧٥٦- ذات العيون الساحرة	إنريكي خارديل بونثيلا	خالد محمد عباس
٧٥٧- تجارة مكة	باتريشيا كرون	آمال الروبي
٧٥٨- الإحساس بالعولمة	بروس روبنز	عاطف عبدالحميد
٧٥٩- النثر الأردي	مولوي سيد محمد	جلال الحفناوي
٧٦٠- الدين والتصور الشعبي للكون	السيد الأسود	السيد الأسود

الرقم	العنوان	المؤلف	المترجم
٧٦١-	جيوب مثقلة بالحجارة ( )	فيرجينيا وولف	فاطمة ناعوت
٧٦٢-	المسلم عدوًا و صديقًا	ماريا سوليداد	عبدالعال صالح
٧٦٣-	الحياة فى مصر	أنريكو بيا	نجوى عمر
٧٦٤-	ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل)	غالب الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٥-	ديوان خواجة الدهلوى (شعر تصوف)	خواجة الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٦-	الشرق المتخيل	تييرى هنتش	غازى برو وخليل أحمد خليل
٧٦٧-	الغرب المتخيل	نسيب سمير الحسينى	غازى برو
٧٦٨-	حوار الثقافات	محمود فهمى حجازى	محمود فهمى حجازى
٧٦٩-	أدباء أحياء	فريدريك هتمان	رندا النشار وضياء زاهر
٧٧٠-	السيدة بيرفيكتا	بينيتو بيريث جالدوس	صبرى التهامى
٧٧١-	السيد سيجوندو سومبرا	ريكاردو جويرالديس	صبرى التهامى
٧٧٢-	بريخت ما بعد الحداثة	إليزابيث رايت	محسن مصيلحى
٧٧٣-	دائرة المعارف الدولية (جـ٢)	جون فيزر وبول ستيرجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٧٧٤-	الديموقراطية الأمريكية: التاريخ والمرتكزات	مجموعة من المؤلفين	حسن عبد ربه المصرى
٧٧٥-	مرآة العروس	نذير أحمد الدهلوى	جلال الحفناوى
٧٧٦-	منظومة مصيبت نامه (مج١)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٧٧٧-	الانفجار الأعظم	جيمس إ. ليدسى	عزت عامر
٧٧٨-	صفوة المديح	مولانا محمد أحمد ورضا القادرى	حازم محفوظ
٧٧٩-	خيوط العنكبوت وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم وسارة تاكاهاشى
٧٨٠-	من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٣٠	غلام رسول مهر	سمير عبد الحميد إبراهيم
٧٨١-	الطريق إلى بكين	هدى بدران	نبيلة بدران
٧٨٢-	المسرح المسكون	مارفن كارلسون	جلال عبد المقصود
٧٨٣-	العولمة والرعاية الإنسانية	فيك جورج وبول ويلدنج	طلعت السروجى
٧٨٤-	الإساءة للطفل	ديفيد أ. وولف	جمعة سيد يوسف
٧٨٥-	تأملات عن تطور ذكاء الإنسان	كارل ساجان	سمير حنا صادق
٧٨٦-	المذنبة (رواية)	مارجريت أتوود	سحر توفيق
٧٨٧-	العودة من فلسطين	جوزيه بوفيه	إيناس صادق
٧٨٨-	سر الأهرامات	ميروسلاف فرنر	خالد أبو اليزيد البلتاجى
٧٨٩-	الانتظار (رواية)	هاجين	منى الدروبى
٧٩٠-	الفرانكفونية العربية	مونيك بونتو	جيهان العيسوى
٧٩١-	العطور ومعامل العطور فى مصر القديمة	محمد الشيمى	ماهر جويجاتى
٧٩٢-	دراسات حول القصص القصيرة لإدريس ومحفوظ	منى ميخائيل	منى إبراهيم
٧٩٣-	ثلاث رؤى للمستقبل	جون جريفيس	رءوف وصفى
٧٩٤-	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ٢)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٩٥-	مختارات من الشعر الإسبانى (جـ١)	نخبة	على عبد الرءوف البمبى
٧٩٦-	آفاق جديدة فى دراسة اللغة والذهن	نعوم تشومسكى	حمزة المزينى
٧٩٧-	الرؤية فى ليلة معتمة (شعر)	نخبة	طلعت شاهين
٧٩٨-	الإرشاد النفسى للأطفال	كاترين جيلدرد ودافيد جيلدرد	سميرة أبو الحسن

العنوان	المؤلف	المترجم
٧٩٩- سلم السنوات	آن تيلر	عبد الحميد فهمى الجمال
٨٠٠- قضايا فى علم اللغة التطبيقى	ميشيل ماكارثى	عبد الجواد توفيق
٨٠١- نحو مستقبل أفضل	تقرير دولى	بإشراف: محسن يوسف
٨٠٢- مسلمو غرناطة فى الآداب الأوروبية	ماريا سوليداد	شرين محمود الرفاعى
٨٠٣- التغير والتنمية فى القرن العشرين	توماس باترسون	عزة الخميسى
٨٠٤- سوسيولوجيا الدين	دانييل هيرڤيه-ليجيه وچان بول ويلام	درويش الحلوجى
٨٠٥- من لا عزاء لهم (رواية)	كازو إيشيجورو	طاهر البربرى
٨٠٦- الطبقة العليا المتوسطة	ماجدة بركة	محمود ماجد
٨٠٧- يحى حقى: تشريح مفكر مصرى	ميريام كوك	خيرى دومة
٨٠٨- الشرق الأوسط والولايات المتحدة	ديفيد دابليو ليش	أحمد محمود
٨٠٩- تاريخ الفلسفة السياسية (جـ١)	ليو شتراوس وجوزيف كروبسى	محمود سيد أحمد
٨١٠- تاريخ الفلسفة السياسية (جـ٢)	ليو شتراوس وجوزيف كروبسى	محمود سيد أحمد
٨١١- تاريخ التحليل الاقتصادى (مج٢)	جوزيف أ.شومبيتر	حسن النعيمى
٨١٢- تأمل العالم: الصورة والأسلوب فى الحياة الاجتماعية	ميشيل مافيزولى	فريد الزاهى
٨١٣- لم أخرج من ليلى (رواية)	آنى إرنو	نورا أمين
٨١٤- الحياة اليومية فى مصر الرومانية	نافتال لويس	آمال الروبى
٨١٥- فلسفة المتكلمين (مج٢)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبدالغنى
٨١٦- العدو الأمريكى	فيليب روچيه	بدر الدين عرودكى
٨١٧- مائدة أفلاطون: كلام فى الحب	أفلاطون	محمد لطفى جمعة
٨١٨- الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (جـ١)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسى جمال الدين
٨١٩- الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (جـ٢)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسى جمال الدين
٨٢٠- ميراث الترجمة: هملت (مسرحية)	وليم شكسبير	طانيوس أفندى
٨٢١- هفت بيكر (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٨٢٢- فن الرباعى (شعر)	نخبة	محمد نور الدين عبد المنعم
٨٢٣- وجه أمريكا الأسود (شعر)	نخبة	أحمد شافعى
٨٢٤- لغة الدراما	دافيد برتش	ربيع مفتاح
٨٢٥- ميراث الترجمة: عصر النهضة فى إيطاليا (جـ١)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٦- ميراث الترجمة: عصر النهضة فى إيطاليا (جـ٢)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٧- أهل مطروح: البدو والمستوطنون والذين يقضون العطلات	دونالد ب.كول وثريا تركى	محمد على فرج
٨٢٨- ميراث الترجمة: النظرية النسبية	ألبرت أينشتين	رمسيس شحاتة
٨٢٩- مناظرة حول الإسلام والعلم	إرنست رينان وجمال الدين الأفغانى	مجدى عبد الحافظ
٨٣٠- رق العشق	حسن كريم بور	محمد علاء الدين منصور
٨٣١- ميراث الترجمة: تطور علم الطبيعة	ألبرت أينشتين وليو پولد إنفلد	محمد النادى وعطية عاشور
٨٣٢- تاريخ التحليل الاقتصادى (جـ٣)	جوزيف أ.شومبيتر	حسن النعيمى
٨٣٣- الفلسفة الألمانية	فرنر شميدرس	محسن الدمرداش
٨٣٤- كنز الشعر	ذبيح الله صفا	محمد علاء الدين منصور
٨٣٥- تشيخوف: حياة فى صور	بيتر أوربان	علاء عزمى
٨٣٦- بين الإسلام والغرب	مرثيدس غارثيا	ممدوح البستاوى

٨٣٧- عناكب في المصيدة	ناتاليا فيكو	على فهمى عبدالسلام
٨٣٨- في تفسير مذهب بوش ومقالات أخرى	نعوم تشومسكى	لبنى صبرى
٨٣٩- أقدم لك: النظرية النقدية	ستيوارت سين وبورين فان لون	جمال الجزيرى
٨٤٠- الخواتم الثلاثة	جوتهولد ليسينج	فوزية حسن
٨٤١- هملت: أمير الدانمارك	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٨٤٢- منظومة مصيبت نامه (مج٢)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٨٤٣- من روائع القصيد الفارسى	نخبة	محمد علاء الدين منصور
٨٤٤- دراسات فى الفقر والعولمة	كريمة كريم	سمير كريم
٨٤٥- غياب السلام	نيكولاس جويات	طلعت الشايب
٨٤٦- الطبيعة البشرية	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
٨٤٧- الحياة بعد الرأسمالية	مايكل ألبرت	أحمد محمود
٨٤٨- ميراث الترجمة: تاريخ الدولة العربية	يوليوس ڤلهوزن	عبد الهادى أبو ريدة
٨٤٩- سونيتات شكسبير	وليم شكسبير	بدر توفيق
٨٥٠- الخيال، الأسلوب، الحداثة	مقالات مختارة	جابر عصفور
٨٥١- ميرات الترجمة: الطب التجريبى	كلود برنار	يوسف مراد
٨٥٢- العلم والحقيقة	ريتشارد دوكنز	مصطفى إبراهيم فهمى
٨٥٣- العمارة في الأندلس: عمارة المدن والحصون (مج١)	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٨٥٤- العمارة فى الأندلس: عمارة المدن والحصون (مج٢)	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٨٥٥- فهم الاستعارة فى الأدب	جيرارد ستيم	محمد أحمد حمد
٨٥٦- القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى	فرانثسكو ماركيث يانو بيانويا	عائشة سويلم
٨٥٧- نادجا (رواية)	أندريه بريتون	كامل عويد العامرى
٨٥٨- جوهر الترجمة: عبور الحدود الثقافية	ثيو هرمانز	بيومى قنديل
٨٥٩- السياسة فى الشرق القديم	إيف شيمل	مصطفى ماهر
٨٦٠- مصر وأوروبا	القاضى فان بملن	لطيفة سالم
٨٦١- الإسلام والمسلمون فى أمريكا	جين سميث	محمد الخولى
٨٦٢- ببغاء الكاكادو	أرتور شنيتسلر	محسن الدمرداش
٨٦٣- لقاء بالشعراء	على أكبر دلفى	محمد علاء الدين منصور
٨٦٤- أوراق فلسطينية	دورين إنجرامز	عبد الرحيم الرفاعى
٨٦٥- فكرة الثقافة	تيرى إيجلتون	شوقى جلال
٨٦٦- رسائل خمس فى الآفاق والأنفس	مجموعة من المؤلفين	محمد علاء الدين منصور
٨٦٧- المهمة الاستوائية	ديفيد مايلو	صبرى محمد حسن
٨٦٨- الشعر الفارسى المعاصر	ساعد باقرى ومحمد رضا محمدى	محمد علاء الدين منصور
٨٦٩- تطور الثقافة	روين دونبار وآخرون	شوقى جلال
٨٧٠- عشر مسرحيات (جـ١)	نخبة	حمادة إبراهيم
٨٧١- عشر مسرحيات (جـ٢)	نخبة	حمادة إبراهيم

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٦٠٨٨ / ٢٠٠٥